DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY
OU_190867
UNIVERSAL
LIBRARY

(فهرسة الجزء الاول من شرح المقامات الحريرية للامام الشريشي)

صحيفة	
٦	شرح الصدر
١٠	ترجمة بديع الزمان
١٥	ذكر المفاضلة بين القديم والحديث
١٦	ذكر الحمام
١٨	ذكر الحقد ومدحه وذمه
١٩	حكايات على ألسنة البهائم
٢٠	*(شرح المقامة الاولى وهى الصنعانية)*
٢١	ذكر مدينة صنعاء
٢٣	ذم الكبر
٢٧	ذكر ذم الدنيا
٣٠	*(شرح المقامة الثانية وهى الحلوانية)*
٣٣	ماقيل فى طول اللحى
٣٦	ترجمة البحترى
٤١	ذكر النرجس وماقيل فيه
٥٢	*(شرح المقامة الثالثة وهى الدينارية)*
٥٧	ذكر الوعد وانجازه
٦٠	مدح الشئ وذمه
٦٢	*(شرح المقامة الرابعة وهى الدمياطية)*
٧٣	ذكر حديث خرافة
٧٤	*(شرح المقامة الخامسة وهى الكوفية)*
٧٩	ذكر قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
٨٨	*(شرح المقامة السادسة وهى المراغية)*
٩٤	كلام لطيف يتعلق بالدواة والمداد والقلم
١٠٣	ذكر الضبع
١٠٤	ذم الزمن

صحيفة	
١٠٧	*(شرح المقامة السابعة وهى البرقعيدية)*
١١٢	ترجمة ابن عباس رضى الله عنهما
١١٣	ترجمة اياس القاضى
١١٦	ذكر العمى وما يتعلق به
١٢١	*(شرح المقامة الثامنة وهى المعرية)*
١٢٩	*(شرح المقامة التاسعة وهى الاسكندرية)*
١٣٢	ذكر السفر والحض عليه وترك العجز
١٤٢	ترجمة الفرزدق
١٤٤	ترجمة الكسعى
١٤٥	*(شرح المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية)*
١٤٦	ذكر الحسن والجمال وماقيل فى الغلمان الحسان
١٥١	ترجمة السليك بن السلكة
١٥٩	ذكر العدار والالتحاء
١٦٦	ترجمة ابن سريج
١٧٠	قصة المتلمس
١٧٢	حديث رزء الحسين
١٧٤	*(شرح المقامة الحادية عشرة وهى الساوية)*
١٨٥	*(شرح المقامة الثانية عشرة وهى الدمشقية)*
٢١٥	*(شرح المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالبغدادية)*
٢١٥	ذكر بغداد
٢١٦	مدح الشعراء وذمهم
٢٢٣	*(شرح المقامة الرابعة عشرة وهى المكية)*

صحيفة	
٢٢٨	ترجمة عرقوب
٢٣٠	*شرح المقامة الخامسة عشرة وهى الفرضية)*
٢٣٧	مشاهير أهل الزرد
٢٤١	ماجاء فى ذم البطنة
٢٤٣	*(شرح المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية)*
٢٤٤	أخبار الطفيليين
٢٥٢	ذكر المراء والجدال ومايتولد منهما
٢٥٣	ذكر سحبان وائل
٢٥٣	ذكر باقل
٢٥٤	ذكر وصف الشمع
١٥٧	*(شرح المقامة السابعة عشرة التهقرية)*
١٦٦	*(شرح المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجارية)*
٢٧٠	ذكر هلاك ثمود
٢٧٢	فصل فيه ذكر أوصاف النسوان
١٧٥	ذكر بابل
٢٧٦	أخبار معبد
١٧٨	ذكر اسحق الموصلى
٢٨٢	ذكر زنام الزامر
٢٨٣	ذكر سطيح
٢٨٥	تكملة قصة موسى عليه السلام وفرعون
٢٩٣	غدر الاخوان وقلة الوفاء
٢٩٧	ذكر هود عليه السلام وقومه أهل الاحقاف
٢٩٩	*(شرح المقامة التاسعة عشرة وهى النصيبية)*
٢٩٩	ذكر مدينة نصيبين
٢٩٩	ذكر أوصاف الرياض

صحيفة	
٣٠١	فصل فى ذكر مايستحسن من أشعار المحانين
٣٠٣	ذكر ثواب المرضى
٣٠٦	ذكر حمى كليب
٣٠٨	ذكر تخفيف العيادة
٣١١	ذكر الفرج بعد الشدة
٣١٣	*(شرح المقامة العشرين وهى الفارقية)*
٣٢١	*(شرح المقامة الحادية والعشرين وهى الرازية)*
٣٢٨	ذكر الولاية والعزل والتشكى من الولاة
٣٣٢	ذكر سلم وحام ويافث
٣٣٢	أخبار عمرو بن عبيد الزاهد
٣٣٤	*(شرح المقامة الثانية والعشرين وهى الفراتية)*
٣٣٤	ذكر سقى الفرات
٣٣٥	ذكر بنى الفرات
٣٣٦	ذكر ماجاء فى الجليس
٣٣٨	ذكر التلطف فى المشى
٣٣٩	ذكر الثقلاء
٣٤٠	ماجاء فى البارد
٣٤١	ماجاء فى تشميت العاطس
٣٥٠	*(شرح المقامة الثالثة والعشرين وهى الشعرية)*
٣٥٢	أقسام سرقات الشعراء
٣٥٣	ذكر السرقات المذمومة
٣٥٩	ذكر التحذير من الدنيا
٣٦٦	ذكر ماجاء من الشعر فى أوصاف الغلمان
٣٦٩	التجنيس
٣٧١	ذكر التشبيه
٣٧٢	ذكر أدوات التشبيه

صحيفة		صحيفة	
٣٧٢	ذكر الاستعارة	٣٧٦	التجريد
٣٧٢	ذكر الاشارة	٣٧٦	التتبيع
٣٧٣	ذكر الايماء	٣٧٦	التبليغ
٣٧٣	ذكر التلويح	٣٧٧	التصدير
٣٧٣	ذكر التعريض	٣٧٧	الاستثناء
٣٧٣	ذكر التفخيم	٣٧٧	الالتفات
٣٧٤	ذكر المطابقة	٣٧٧	الاعتراض
٣٧٤	ذكر التقسيم	٣٧٩	الاستطراد
٣٧٥	ذكر التسهيم	٣٨٠	ذكر الحلبة من الخيل
٣٧٥	ذكر التتميم	٣٨١	ذكر الخيل
٣٧٥	ذكر الترديد	٣٩٠	قصة وفاء السموأل

(تمت)

(الجزء الاول)
من شرح المقامات الحريريه
للامام أبى العباس أحمد بن
عبد المؤمن القيسى
الشريشى رحمه
الله تعالى
آمين

(وهو الشرح الكبير من شروح ثلاثة له)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الكبرى الميرية العامرة ببولاق مصر القاهرة)
سنة ١٣٠٠ هجريه

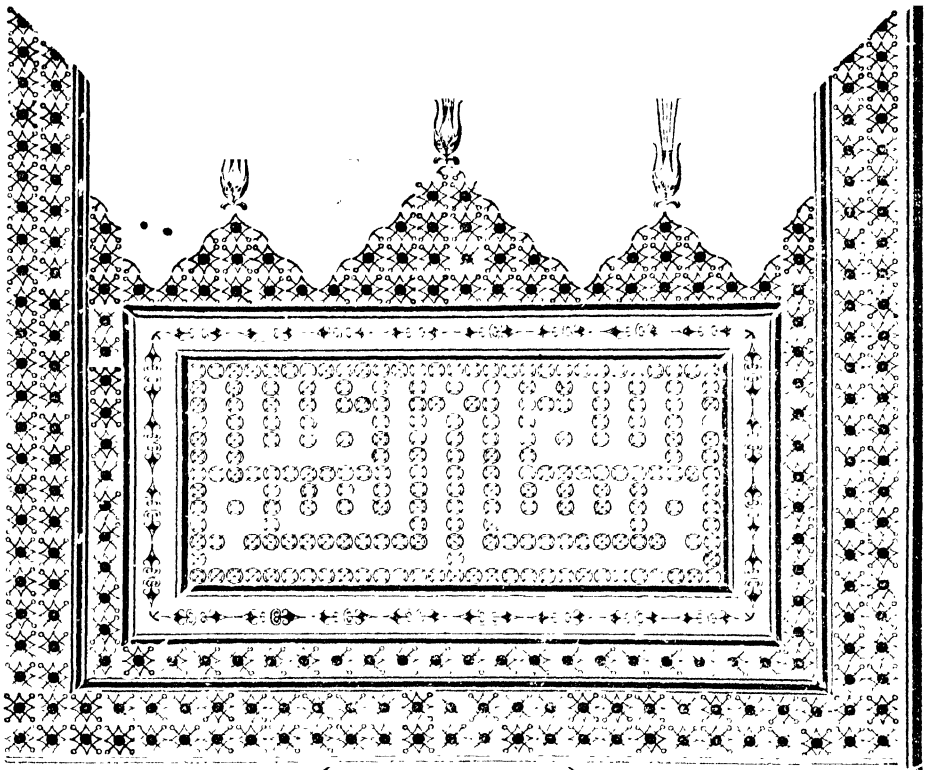

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال الشيخ الاستاذ اللغوى النحوى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسى الشريشى تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه بمنه وكرمه آمين (الحمد لله) الذى اختص هذه الامة بافصح الالسنة وأفسح الاذهان وشرف علماءها بالافتنان فى أفانين البلاغة والبيان وميزنا بين سائر الامم بالنثر المتفق الفقر والنظم المعتدل الاوزان نحمده على أفئدة هداها وألسنة أطال فى شأو البلاغة مداها ونصلى على سيد المرسلين وخيرة العالمين الذى ختمت بنبوته العاقبة النبوة ونسخت بشريعته التامة الكتب المتلوة محمد سيد هذا العالم والمخصوص بعلو المكانة وعموم الديانة فى ولد آدم وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ووقروه وآووه ايواء الموفين بالعهود ونصروه ونقلوا شرعه الكريم نقل التواتر وآثروه ونسلم تسليما وآتاهم من لدنه رحمة وأجرا عظيما ورضى الله عن الامام المعصوم المهدى المعلوم مجدد معالم الديانة والملىء بأداء الامانة والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى والتالين له فى شرف ذلك المدى والقائمين بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبدا ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الائمة الراشدين سعدا يعلى أعلامه ونصرا يصحب قلمه وحسامه وتأييدا يظهر أمره وينصر اعتزامه حتى ينتظم شذان الامصار فى سلك ملكه وتزدحم وفود الامم على غمر بره وتنطوى ضمائر القلوب ومخبآت الغيوب على اخلاص طاعته والانتماء لامره (أما بعد) فان العلم أربح المكاسب وأربح المناصب وأرفع المراتب وأنصع المناقب وحرفة أهل الهمم من الامم ونحلة أهل الشرف من السلف لم يتقلد سلكه الاجيد ماجد

ولم يتوشح برده الاعطف جادّ فى طلب الكمال جاهد ولم يستحق اسمه الا الواحد الفذ بعد الواحد وهو وان تشعبت أفانينه وتنوّعت دواوينه فعلم الادب علمه والأس الذى يبنى عليه كلمه والروح الذى يخبّ فى ميدان الطروس قلمه ولذلك كان أولى ما تقترحه القرائح وأعلى ما تجنح اليه الجوانح فذوو الاخطار فى سائر الاقطار يتنافسون فى اقتنائه ويتصافنون فى عافى أثنائه ويرتاحون لاوضاعه وتآليفه ويستريحون الى أعبائه المكدودة وتكاليفه فانه زمام المنظوم والمنثور وقوام نطق الالسنة وفكر الصدور ومنشط المقال من عقال الفهاهة وميزان الاقدار بالمهابة والنباهة ولم يزل فى كل عصر من حملته بدر طالع وزهر غصن يانع وعلم ترنو اليه أبصار وتومئ اليه أصابع وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتتأصل وتنويع البديع ينضبط ويتحصل والآخر يكدّ ذهنه فى تتميم ما غادره الاوّل الى أن اعتدلت كفتاه وامتلأت ضفتاه وراق مجتلاه ومجتناه وتناهى فى الحسن والاحسان لفظه ومعناه وكان آخر البلغاء وخاتمة الادباء أوّلهم بالاستحقاق وأولاهم بسمة السباق والفذ الذى قد عقمت عن نوأمه فتية العراق وفارس ميدان البراعة ومالك زمام القرطاس واليراعة والملبى عند استدعاء درر الفقر بالسمع والطاعة أبو محمد القاسم بن على الحريرى سقى الله ثراه صوب رحماه وكافأ احسانه فى الثناء عليه بحسناه فبسط لسان الاحسان ومدّ أفنان الافنان ومهد جادّة الاجادة وقوّى مادّة الافادة ولم يبق فى البلاغة متعقبا ولا للزيادة مترقبا لاسيما فى المقامات التى ابتدعها والحكايات التى نوّعها وفرّعها والملح التى وشحها بدرر النثر ورصعها فانه برز فيها سابقا وبزّ البلغاء فائقا وأتى بالمعنى الدقيق للفظ الرقيق مطابقا وخلدها تاجا على هامة الادب وتقصارا فى جيد لعة العرب وروضة تحوم نفوس المطامع عليها ولا تصل أيدى المطامع اليها ولما كانت من البراعة بهذا المحل الشهير وسارت مسير النيرين بين مشاهير الجماهير جعلت الاعتناء بها سهم فهمى والعكوف عليها حزم عزمى والدؤب فى ضبط لغاتها وفك مخبآتها أمّ همى وصيرت تحفظها فرض عينى والفكر الذى لا يحول وسنى بينه وبينى فبدأت بروايتها عن الشيوخ الثقات وتقييد ألفاظها عن أعلام هذه الجهات حتى لا أنقل لفظا الا عن تحقيق ولا أثبت ضبطا الا من طريق فكان أوّل من أخذت عنه روايتها وتلقيت منه درايتها ببلدى الشيخ الفقيه المقرى أبو بكر بن أزهر الحجرى حدّثنى بها عن صهره الفقيه المحدّث الراوية أبى القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور عن منشئها أبى محمد الحريرى وحدّثنى بها أيضا ببلدى الشيخ الفقيه الراوية عن صهره الفقيه المحدث الراوية أبو بكر بن مالك الفهرى عن ابن جهور المذكور وعن الشيخ الفقيه أبى الحجاج الابدى القضاعى كلاهما عن أبى محمد الحريرى وحدّثنى بها أيضا اجازة الشيخ الفقيه المحدّث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجرى عن القضاعى وحدّثنى بها أيضا الكاتب الزاهد أبو الحسين ابن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن ابراهيم بن طاهر بن بركات القرشى المعروف بالخشوعى عن الحريرى وحدّثنى بها أيضا الشيخ الفقيه الاستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى بسنده بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لى بتكميله وتلقيت بها جماعة من جلة الاشياخ أكثر فى العدد ممن ذكرت لا يعدمنى واحد منهم افادة ضبطية أو لفظية ولا يفقدنى

زيادة هزلية أو وعظية فأخذتها أخذ متثبت عن واع منكت ثم لم أدع كتابا ألف فى شرح ألفاظها وايضاح أغراضها وتبيين الانصاف بين انفصالها واعتراضها الا أوعيته نظرا وتحققته معتبرا ومختبرا وتردّدت فى تفهمه وردا وصدرا وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصرا حتى أتيت على جميع ما انتهى اليه وسعى ممن فسرها واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ولم أترك فى كتاب منها فائدة الا استخرجتها ولا فريدة الا استدرجتها ولا نكتة الا علقتها ولا غريبة الا استلحقتها. ولا غادرت فى موضع منها مستحسنا يشذ عن جمعى ولا مستجادا ينبو عنه بصرى أو سمعى فاجتمع من ذلك حفظا وخطا أعلاق جمة وفوائد لم تهتم بها قبلى همة ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ولا اقتصرت على توقيف التصانيف حتى لقيت بها صدور الامصار وعلماء هذه الاعصار فباحثت وناقشت وتأوّلت وتداولت وطالبت المتحفظ بالاداء والمتيقظ بالابداء حتى لم أبق فى قادحة زندا الا اقتدحته ولا مقفلا الا افتتحته فتحصل لى من ذلك أيضا عيون صائبة النواظر وفنون قلما توجد فى مخبآت الدفاتر وأنا فى خلال ذلك ألتمس مزيدا ولا أسأم بحثا وتقييدا الى أن عثرت على شرح الفنجديهى للمقامات والفنجديهى هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودى من قرية فنجديهة من عمل خراسان فرأيت فى شرحه الغاية المطلوبة والبغية المرغوبة والضالة التى كانت عنى الى هذا الاوان مطوية محجوبة فاستأنفت النظر ثانيا وشمرت عن ساعد الجد لا متكاسلا ولا وانيا وعاينت نور المعنى فى نور اللفظ فأصبحت مجتليا جانيا فاستوعبته أيضا أبلغ استيعاب وقيدت من فوائده مالم أجد قبله فى كتاب وأخذت منه أحاديث مسندة أوردها وآثارا مرفوعة قيدها تليق بالباب الذى أوردت فيه وتورد مجمعة اما الالفاظه واما المعانيه وحذفت أسانيدها وان كان قد أوردها تخفيفا عمن يريد المتن ويبتغيه فتم لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده واستيعاب فوائده وتركته مستلب المعانى مطروق المغانى كالروض ركدت ريحه والجسم قبض روحه فانضاف من فوائد هذا التأليف البديع الى الفوائد الملتقطة من الالسنة والمأخوذة من التصانيف المستحسنة روض كله زهر وسلك كله درر وأدب ان لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر فاستخرت الله تعالى فى نظم ما انتشر من فوائدها ونظم ما انتثر من فرائدها والاعتناء بتأليف فى المقامات يغنى عن كل شرح تقدّم فيها ولا يحوج الى سواه فى لفظ من ألفاظها ولا معنى من معانيها فتم من ذلك مجموع جامع وموضوع بارع أودعته من اللغات أصحها وأوضحها وأسلسها قيادا للفظ وأسمعها وأولاها بالصواب فى مظانّ الاختلاف وأرجحها ونسبت المشكل منها الى قائله من جهابذة العلماء وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الاسماء وسبكت العبارة عن المعانى سبكا يدل على الالقاء والاصغاء وهذا الفصل وان سبقنى اليه من تقدّمنى من الشارحين قبلى فلى فيه مزية ايراد اللفظ البعيد عن الاشكال والمطابقة بين الاقوال وأرباب الاقوال ثم زدت فى فوائد هذا التأليف التعريف بالامصار المذكورة فى المقامات على أوفى ما يمكننى من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ومن عقد صلحها أو تولى فتحها وهذه فوائد لا يخفى مكانها ولا ينكر استحسانها فالحاجة الى التعريف بالمكان تتلو الحاجة الى غوامض اللسان ثم استوعبت شرح الامثال ونسبتها جمعا بين القائلين والاقوال ولم أغفل

منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال وهذا الفن لم يتتبعه أحد على الكمال وان ذكره فانما
يذكره استطرادا بحسب الحال ثم استوفيت أيضا ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم
استيفاء وعرفت المشتهرين من الآباء والابناء وبينت أنسابهم وأمكنتهم وأخبارهم وحرفتهم
وآثارهم ومدتهم زيادة فى التهيم والاعتناء وهذا الفن أيضا لم يورده الشارحون حق ايراده
ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده وهو مهم فى الافادة وعلى مغفله فى الوقت وبعده الاعادة ثم
زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ولا من قصد قصدهما سوى أبى سعيد الفنجديهى
فى بعض المواضع فانه ألمح وألمع وأورد اليسير فاشفى ولا أقنع أحدهما تبيين مأخذ الحريرى فى
الكلام واخراج الاحالات المودعة فيه من حيز الابهام والرد الى المنشأ فى آية أو أثر أو خطبة
أو خبر أو حكمة فائقة أو لفظة رائقة أو بيت نادر أو مثل سائر وهذا تتميم بين وتكميل
متعين والفصل الثانى التنبيه على صناعة البديع وتوفية أسمائه كالتجنيس والتتميم والترصيع
والاتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع وبسط أنواع الادب وافتنانه والاكثار
من الشعر فى مظانه من الجد والهزل فى المواضع اللائقة باستحسانه ومقابلة كل باب بما يزيد فى
حسنه وبيانه والجرى مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه فمن تمام التصنيف رد
الفرع الى أصله والجمع فى الترتيب بين الشكل وشكله فأتبعت المواعظ بما يزيدها أثرا فى القلوب
وأردفت المسليات بما يعينها فى اجلاء الكروب وسلكت هذه المسالك فى سائر الاساليب
وأنواع الضروب فان وجد فى هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل أو معنى ينسب فيه الى العذل
من وصف نور وثمر وذكر نديم وخمر أو نعت حسن وحسن أو مدح سماع وأذن فلان أبا محمد
بدأ بأمر فتم وخص نوعا فعم مع أن صنعة الادب مبنية على الملح وخواطر الادباء جائشة
بما سنح فجاء من هذا الترتيب الغريب ما يضرب فى الاجادة بسهم مصيب ويثبت لى فى الجد
والدأب أوفى نصيب ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر كالفنجديهى وابن ظفر قد جردوا
من شروحهم مختصرات وجيزة اقتصروا فيها على ايراد اللغات فحذوت حذوهم فى مختصر
أو ردتها فيه على الكمال ووفيتها حقها من رفع الغلط وكشف الاشكال ولم أخل فى
تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه ولا حال من الاحوال فجاء غاية فى هذا الباب مغنيا فى
اللغات الغريبة عن كل كتاب فان فاته هذا الاصل بضروب من الافادات وأنواع من الزيادات
فلذلك الفرع شغوف الاستيعاب فى اللغات ومزية الاشتقاق والتصريف والشاهد من الشعر
والآيات وكل ذلك بلطف الله تعالى وبسعد من شرفت كتابى بخدمته وبنيت تأليفى على أداء
شكر نعمته ونصبت نفسى لأقف ببابه الاعلى وأتزين بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى عماد
الانام والظل الممدود على المسلمين والاسلام ونعمة الله التى هى من أفضل النعم الجسام
منفق سوق المعارف ومفجر بحور المنن والعوارف المجير بفضله وعدله من المفاقر الفادحة
والمخاوف سيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن امام الائمة الراشدين وولى عهده
سيدنا الامير الاجل أبو يعقوب أيد الله سلطانهم وأبد بيضهم وحزبهم وجمع القلوب على
الانقياد لهم والوجوه على التوجه قبلهم وهذا الكتاب وان كان المعبر عن حسنه والغاية
الملتمسة فى فنه والجامع لما افترق فى سواه والمبرز بما رشحه من الزيادات وحلاه فانه لم يتم

جماله ولا استوفى احتواؤه على الفوائد واشتماله الا ببركة مولانا الخليفة واقتران اسمه الكريم باسم ولى عهده المستحق للتقديم فى هذه الصحيفة فالحمد لله على التوفيق لخدمتهم والمعونة على شكر نعمتهم والتعرض لخيرى الدنيا والآخرة فى ظل حرمتهم وقد بذلت فى الخدمة جهدى وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ما عندى ولم أتغاط قياما بكل الواجب ولا وفاء بجميع الحق الراتب فالقول يقصر عن التحصيل وليس الى مطاولة الطود ومكاثرة اليم من سبيل وقد كنت حين أتممت هذا التأليف وألقيت عن كاهلى الاعباء التى له والتكليف وجلوته كالحسناء ألقت فى المنصة النصيف كثرت خطابه الى من البلدان وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان فقلت حتى يتشرف بلثم اليمين العليا ويتخصص بقبول امام الدين والدنيا فمن بابه الاسمى يلتقط درّه المنظوم وببركاته يسطع مسكه العبيق المختوم وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خلافته المبارك الاهدى وبنجله المتقلد منه صفة وعهدا فى شرح الخطبة كلمة كلمة وايضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمة ثم أشرح المقامات على الولاء وأسلك الجمع بين الايجاز والاستيفاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم أفضل التسليم

(بسم الله الرحمن الرحيم) اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان

(شرح الصدر)

(اللهم انا نحمدك) اللهم اسم خصصته الميم المشددة فى آخره بنداء البارى سبحانه والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفا عنه ولحل اللام فى أوله لانه لا يلى حرف النداء لام التعريف الا فى قولهم يا الله لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلى وهى همزة اله فصارت كالاصلى وفى غير هذا الاسم تتجرد اللام للزيادة فى أول الاسم ويا زائدة فى أوله كذلك وهما جميعا التخصيص الاسم وازالة شياع التنكير عنه فلما تقاربا فى المعنى وتشابها فى الزيادة وطلب كل واحد منهما أن يلى الاسم دون صاحبه ترك استعمال الجمع بينهما فى أول الاسم الا فى ضرورة الشاعر لاقامة الوزن وأما اللام فى قولهم يا الله فلما كانت نائبة عن حرف أصلى خفيت زيادتها فلما زادوا الميم فى آخره ففتحت اللام وشهرت معنى الزيادة فامتنعت يا من أوله الا عند الضرورة كامتناعها فى الرجل والغلام فلما كانت الميم هى الموجبة لمنع يا حمل الاسم معها معنى يا فصار مختتما بالنداء ممتنعا من غيره ونحمدك معناه نثنى عليك بأتم وجوه الثناء كلها فيدخل تحته الشكر والشكر ثناء يقابل به معروف وفى الحديث الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة والشكر ذكره بماله من أفعال جزيلة من قولهم دابة شكور اذا ظهر بها من السمن فوق ما تأكل من العلف ويقال أشكر من بروقة وهى شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد فى مقابلة الذم والشكر فى مقابلة الكفر فاختلاف نقيضيهما دليل على اختلافهما فى أنفسهما (البيان) وضوح المعنى وظهوره و (التبيان) تفهم المعنى وتبينه والبيان منك لغيرك والتبيان منك لنفسك مثل التبيين تقول بينت الشئ لغيرى بيانا وتبينته أنا تبيانا وقد يقع التبيان بمعنى البيان حكى أبو منصور الازهرى رحمه الله بينت الشئ تبيينا وتبيانا قال تعالى تبيانا لكل شئ أى بيانا لك فيه كل ما تحتاج اليه أنت وأمتك من أمر الدين فهو لفظ عام أريد به الخاص وقد يقع البيان لكثرة الكلام ويعد

ذلك من النفاق قال النبي صلى الله عليه وسلم الحياء والعيّ شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق خرّجه الترمذى وقال العيّ قلة الكلام والبذاء الفحش والبيان كثرة الكلام (ألهمت) نبهت عليه وفهمته و (أسبغت) أتممت وكثرت و (أسبلت) أطلت و (الغطاء) أراد به ستر الله على عبده (نعوذ) أى نستجير (شرة) حدّة و (اللسن) حدّة اللسان وادلاله على الكلام (فضول) زوائد (الهذر) اكثار الكلام بغير فائدة (معرّة) شدّة وصعوبة والمعرّة العيب والعار وقيل هى كل مايؤذيك وفلان يعرّ قومه أى يدخل عليهم مكروها يلطخهم به وأصله من العرّة وهى الفعلة القبيحة أو من العرّ وهو الجرب و (اللكن) احتباس اللسان عند الكلام (فضوح) شهرة وفضيحة (الحصر) العيّ وحصر حصرا اذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره واستعاذ من شرة اللسن لانه من اقتدر على الكلام أدّاه الى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة الحق وفيه اثم على فاعله وأصل الشرة القلق والانتشار ومنه الشر وقد شرّ يشرّ ومنه شرر النار ثم استعاذ من ضدّها وهى المعرّة لان صاحبها لا يتم لفظه فيشين بذلك نفسه ويقصر عن مراده من البيان ثم قرن بها الحصر لان من يعتريه يتوالى عليه الوهل والخجل فلا يستطيع الكلام فيفتضح ويشتهر عيبه وهذا الفن من الكلام يسمى فى صنعة البديع المقابلة وأول من صدّر به كتابا عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان فقال اللهمّ انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العيّ والحصر وقديما تعوّذوا بالله من شرّهما ورغبوا اليه فى السلامة منهما وقد قال النمر بن تولب

أعذنى رب من حصر وعىّ * ومن نفس أعالجها علاجا

(وقال محمد بن علقمة)*

لقد وارى المقابر من شريك * كثير تحلم وقليل عاب

صموتا فى المحافل غير عىّ * جديرا حين ينطق بالصواب

ثم استرسل فى ذكر العيّ والبيان الى غاية بعيدة واستشهد على النوعين بآيتين بقوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد وفى الضد بقوله تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فاحتذى الحريرى هذا الحذو فجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع وزاد عليه بأن ابتدأ بحمد الله على نعمة البيان ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ وبيان المقابلة فى كلامه أنه قابل شرة بعرة واللسن باللكن والهذر بالحصر فاذا تفهمت مواقعها فى كلامه قست عليها ما يشبهها فى النظم والنثر وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة فقال هى أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض فى المخالفة فيأتى فى الموافق بما يوافق وفى المخالف بما يخالف وأنشد فى ذلك

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح * وفىّ ومطوى على الغش غادر

فجعل بازاء ناصح وفىّ غاشا غادرا ومثله

فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقه * على ان فيه ما يسوء الاعاديا

(نستكفى) معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا (الافتتان) وذلك ان يصاب بفتنة الاعجاب وأصل الفتنة اختبار الفضة بالنار وقال تعالى فى الاختبار وفتناك فتونا أى اختبرناك والفتين

وألهمت من التبيان
كما نحمدك على ما أسبغت
من العطاء وأسبلت من
الغطاء ونعوذ بك من شرة
اللسن وفضول الهذر كما
نعوذ بك من معرة اللكن
وفضوح الحصر ونستكفى
بك الافتتان

الفضة المحرقة والفتين أيضا الحجارة المحرقة وهي الحجارة يدلك بها الاقدام في الحمام و (الاطراء) الاسترسال في مدح الانسان بحضره وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله (اغضاء) تجاوز ومسامحة وأصله أن يدوك الشيء فتدنى جفنيك وتقصر نظرك كأنك لم تره والاغضاء الاغماض وأغضيت عنه واغمضت اذا تغافلت عنه (المسامح) الموافق لغرضك المتجاوز عن عيبك (الانتصاب) الظهور والاعتراض امام الشيء (ازراء) تقصير وتنقيص (القادح) العائب وقدحت الدود في الاسنان والشجر أكلتها فكان فعل هذا العائب في اعراض الناس فعل الدود في الشجر والقادح أيضا الذي يضرب الزند بالحجر لتورى (هتك) شق وهتكت الستر خرقته (الفاضح) الذي يشهر عيوبك وفضحت الشيء كشفته (نستغفرك) نسألك المغفرة وهي من غفرت الشيء سترته (الشهات) جمع شبهة وهي ما يشتبه عليك أمره و (الخطوات) جمع خطوة وهي ما بين القدمين (الخطط) جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الارض يجعله حدا للشيء يحوزه ويعتمده والخطة بالضم المنزلة والمزية و (الخطيآت) الذنوب وهي من الخطا وجعل ما ساقه في المقامات كانه شهوة اشتهى عملها ثم اشتبه عليه هل في ذلك رضا الله أم سخطه فكانه ساق شهوة الى سوق يجهل التبايع فيها فلعله فيها خاسر الصفقة فلهذا استغفر الله منها (الرشد) الهداية ورشده الله رشدا وأرشده هداه ورشد هو رشدا ورشادا اهتدى (متحليا) متصفا ومتزينا (مؤيدا) معانا وأصاب في كلامه اصابة اذا نطق بالصواب ورمى فاصاب لم يخطئ وقوله تعالى رخاء حيث أصاب أي حيث أراد قال الفراء اختلفت أنا وعيسى النحوي في الآية فقلت ما أحد أعلم بهذا من رؤبة قال فسرنا اليه فلقيناه يتوكأ على اثنين فقال أين تصيبان أي أين تريدان فقلت لصاحبي كفيت السؤال (دافعة) (الزيغ) الميل وزاغ عن الحق مال عنه الى الباطل (العزيمة) الجد وعزم على الشيء جد فيه (قاهرة) غالبة و (هوى النفس) ما تحبه وتميل اليه (بصيرة) يقينا والبصيرة للقلب والبصر للعين (عرفان القدر) أي معرفة أقدارنا (الدراية) مصدر دريت الشيء دراية ودريا علمته (تعضدنا) تقوينا وعضده أعانه وكان له عضدا (الابانة) مصدر أبنت الشيء أي بينته (تعصمنا من الغواية) أي تمنعنا من الضلالة والفساد والغواية مصدر غوى غيا وغواية وغوى أيضا غواية وهما ضد رشد رشدا (الرواية) نقل الحديث من صاحبه الى طالبه (تصرفنا) تزيلنا (السفاهة) الجهل و (الفكاهة) المزاح وما تستريح به النفوس وهي في الكلام كالفاكهة في الطعام (حصائد الالسنة) شر كلامها وقطعها في اعراض الناس وأراد ما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله انا لنؤاخذ بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يا معاذ هل يكب الناس في النار على رؤسهم الا حصائد ألسنتهم فدعا الله أن يتم سعده بأن يؤمنه عادية الالسنة والحصائد في الاصل جمع حصيدة وهي الحزمة من الزرع المحصودة فهي فعيلة بمعنى مفعولة والحصيد الشيء المحصود (نكفى) نمنع (غوائل) قوائل ومهلكات واحدها غائلة وغالته المنية أهلكته (الزخرفة) تزيين الباطل وأصلها تزيين الشيء بالزخرف وهو الذهب (نرد) نقصد (مورد مأثمة) موضع اثم والمورد أصله الموضع يشرب منه الماء (مندمة) ندم (نرهق) نتهم ونعاب والرهق العيب و (تبعة) خطيئة يتبعه ضررها بعد الموت (معتبة) سخط

باطراء المادح واغضاء المسامح كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات الى خطط الخطيآت ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة تدرك بها عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد الالسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد موارد مأثمة ولا نقف مواقف مندمة ولا نرهق تبعة ولا معتبة

وهى من العتاب وهو تقبيح القول على جهة الاشفاق وأصله من عتبت الاديم أى رددته الى الدباغ ليصلح ومنه انما يعاتب الاديم ذو البشرة و يقال عتب على كذا عتبا فأعتبته أى رجعت الى مايريد وأرضيته و باء تبعة وتاء معتبة بكسران و ينتحان (نلجأ) نحوج (معذرة) اعتذار (بادرة) سقطة وزلة وقد بدرت الكلمة والفعلة خرجت من غير أن يدبر موقعها وفلان تحشى بوادره أى فلتاته (المنية) ما يتمنى و (البغية) مايطلب (أنلنا) أعطنا (تفضحنا) تكشفنا (ظلك السابغ) سترك المديد وأصل الظل الستر والموضع الذى لاتبلغه الشمس وفى الحديث ضحا ظله أى عدم فانكشف موضعه للشمس (مضغة) لقمة وكل مايمضغ لقمة و (الماضغ) هنا العائب الآكل اعراض الناس وجعل العرض حين يعيبه مضغة له قال النبى صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت باقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون فى أعراضهم (المسئلة) الحاجة والفقر (بخعنا) أقررنا و بخع له بحقه أقر به و بخع نفسه قتلها غيظا ومنه فلعلك باخع نفسك فالمتعدية بالباء غير المتعدية بنفسها (الاستكانة) الخضوع (والمسكنة) الفقر والذلة (استزلنا) طلبنا أن تنزل علينا والاستزال السؤال بتلطف و (الجم) الكثير (منك) احسانك (عم) شمل (ضراعة) ذلة (البضاعة) المال يتجر به (الامل) الرجاء يقول تجارتنا التى يحصل بها منك واحسانك رجاؤنا وتوكلنا عليك (التوسل) التقرب (البشر) الخلق وهو فى الاصل جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وسموا بشرا لظهور أبشارهم خلافا لغيرهم من الحيوان (الشفيع) الطالب لغيره و (المشفع) الذى أعطى الشفاعة قال النبى صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة و بين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين (المحشر) موضع اجتماع الناس يوم القيامة والمحشر أيضا الحشر وهو الاشبه باليوم (ختمت) جعلته خاتمهم أى آخرهم (درجته) منزلته (عليين) أعلى الجنة وكأنه جمع علية (المبين) المبين (رسول كريم) قيل هو جبريل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (مكين) رفيع المنزلة (ثم) معناه هنالك قال الزجاجى هى اشارة الى ماكان متراخيا من الاماكن والاشهر أن المراد به فى الآية جبريل ولذا رجع الحريرى آخرا فازال الآية من كتابه واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وليس رجوعه عن القول الضعيف الى المشهور بعيب بل هو حسن اذ كان الرجوع عن الخطا الى الصواب واجبا الا أن الثابت عند ابن جهور انه لقول رسول كريم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل وهو الرسول لمحمد بالقرآن (ذى قوة) لانه قلع باحد جناحيه أربع مدائن لقوم لوط وهى سدوم وداموراوصابوراوعمورا فى كل مدينة مائة ألف انسان سوى مافيها من الدواب والانعام (آله) أى أهله وأصله أأل فابدلت الهمزة ألفا وأكثر ماتضاف الى الظاهر وقد سمع اضافتها الى المضمر فى الشعر والكلام الفصيح خلافا لابى جعفر النحاس وأبى بكر الزبيدى فانهما منعا من اضافتها الى المضمر وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من هاء أهل وصوابه انها أصل فى بابها من آل يؤل اذا رجع لانهم يرجعون اليه ويرجع اليهم (الهادين) المرشدين الى طريق الخير وقد هديته الطريق اذا أرشدته (شادوا) رفعوا و بنوا (هديه وهديهم) طريقته وطريقتهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم

ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة
اللهم تحقق لنا هذه المنية
وأنلنا هذه البغية ولا تفضحنا
عن ظلك السابغ ولا تجعلنا
مضغة للماضغ فقد مددنا
اليك يد المسئلة وبخعنا
بالاستكانة لك والمسكنة
واستزلنا كرمك الجم ومنك
الذى عم بضراعة الطلب
وبضاعة الامل ثم بالتوسل
بمحمد سيد البشر والشفيع
المشفع فى المحشر الذى ختمت
به النبيين وأعليت درجته
فى عليين ووصفته فى كتابك
المبين فقلت وأنت أصدق
القائلين (انه لقول رسول
كريم ذى قوة عند ذى العرش
مكين مطاع ثم أمين) اللهم
فصل عليه وعلى آله الهادين
وأصحابه الذين شادوا الدين
واجعلنا الهديه وهديهم
متبعين وانعمنا بمحبته
ومحبتهم أجمعين انك على
كل شئ قدير

الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه (جدير) حقيق (أندية) مجالس واحدها ندى والندى والنادى والمنتدى مجلس القوم للحديث وقيل هو من الندى وهو الكرم لانهم يقصدون فيه فيعطون وقيل هو من النداء الذى هو الصوت لانه ينادى فيه بعضهم بعضا ليجتمعوا وقيل هو من الندى وهو العرق لان الداخل فيه يحتشم فيعرق و (الادب) معرفة الاخبار والاشعار وفلان أديب اذا كان متفننا مشاركا (ركدت) سكنت و (المقامات) المجالس واحدها مقامة والحديث يجتمع له و يجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسا لان المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ولان المحدث يقوم ببعضه تارة و يجلس ببعضه أخرى قال الاعلم المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير ذكر البديع أبو منصور الثعالبى فى يتيمته فقال بديع الزمان هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى مفخر همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفريد الدهر وغرة العصر ومن لم يلف نظيره فى ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ولم يدرك قرينه فى ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ولم ير وأن أحدا بلغ مبلغه من لب الادب وسره وجاء بمثل اعجازه وسحره فانه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب فمنها أنه كان ينشد القصيدة لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها و يوردها الى آخرها لا ينخرم حرف منها و ينظر فى الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا و يسردها سردا وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشاء رسالة فى معنى غريب وباب بديع فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عما فيها وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ثم يعكر الى الاول و يخرجه كأحسن شئ وأملحه و يوشح القصيدة الفريدة من قبلها بالرسالة الشريفة من انشائه فيقرأ من النظم النثر ومن النثر النظم و يعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الابيات الرشيقة و يقترح عليه كل عروض من النظم والنثر فيرتجل فى أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر وكان مع هذا مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص الود حلو الصداقة مر العداوة فارق همذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة وقد درس على أبى الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستفد علمه ووردحضرة الصاحب أبى القاسم بن عباد فتزود من ثمارها وحسن آثارها وولى نيسابور فى سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة فنشر بها بزه وأظهر طرزه وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهى الانفس من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام وجد يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسحر العقول ثم ألقى عصا ترحاله فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه وفارق دنياه فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فقامت نوادب الادب وأثلم حد القلم و بكاه الفضائل والافاضل ورثاه الاكارم مع المكارم على أنه ما مات من لم يمت ذكره ولقد خلد من بقى على الايام نظمه ونثره والله عز وجل يتولاه بعفوه وغفرانه و يحييه بروحه وريحانه

(ترجمة بديع الزمان)

وبالاجابة جدير (وبعد) فانه قد جرى ببعض أندية الادب الذى ركدت فى هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التى ابتدعها بديع الزمان

وذكر الحصرى رحمه الله فى كتاب الزهر أن الذى سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثا ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وانتخبها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بألفاظ بعيدة وحوشية فعارضه البديع بأربعمائة مقامة لطيفة الاغراض والمقاصد بديعة المصادر والموارد انتهى كلامه والذى قصد بها قلة امتناعه للسامع من حديثها وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطار فجاءت مقامات الحريرى أحفل وأجزل وأكمل فلذلك فضلت البديعية وقد صرح علماء الادب فى كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع قال

وقلما أبصرت عيناك من رجل * الا ودعناه ان فتشت فى لقبه

وسئل بعض علماء الادب من أهل عصرنا عن الحريرى والبديع فقال لم يبلغ الحريرى أن يسمى بديع يوم فكيف يقارن بديع زمان وجرى ذكر مقاماته فى مجلس بعض أشياخنا وكان حافظا أديبا فقال مقامات البديع يحكى أنها ارتجال وان البديع كان يقول لاصحابه فى آخر مجلسه اقترحوا غرضا نبنى عليه مقامة فيقترحون ما شاؤا فيملى عليهم المقامة ارتجالا فى الغرض الذى اقترحوه وهذا أقوى دليل ان صح على فضل البديع (قوله علامة) أى كثير العلم وهى بنية للمبالغة و (همذان) بفتح الميم ونقط الذال بلد بخراسان وقيل همذان من كور الجبل و بلد همذان واسع جليل القدر كثير الاقاليم والكور افتتح سنة ثلاث وعشرين ويشرب أهلها من عيون وأودية قال اليعقوبى من أراد من الدينور الى همذان سار متنزها الى موضع يقال له أسد آباذ مرحلتين ومن أسد آباذ الى مدينة همذان مرحلتان وهى كثيرة البرد وقال فيها ابن خالويه وهو همذانى واستوطن حلب عند بنى همذان

اذا همذان اعترته البرد وانقضى * بزعمك أيلول وأنت مقيم
فعيناك عمشان وأنفك سائل * ووجهك مسود البياض بهيم
بلاد اذا ما الصيف أقبل جنة * ولكنها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم

همذان متلفة النفوس ببردها * والزمهرير وحرها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها * فكأنما تموزها كانون

وكل الرواة يروونها همذان بفتح الميم ونقط الذال الا ابن اللبانة فانى رأيت فى شرحه [illegible] بسكون الميم ودال غير معجمة وهى قبيلة يمانية قال فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه

ولو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

والرواية الاولى أثبت (قوله عزا) أى نسب يقال عزيته عزيا وعزوته عزوا نسبته واعتزى الى بنى فلان انتسب اليهم وأبو الفتح فى البديعية بمنزلة أبى زيد فى الحريرية وعيسى بمنزلة الحرث (نشأتها) صنعتها (روايتها) اسناد أحاديثها و (النكرة التى لا تعرف) هى غير فى الاسماء (غنم) غنيمة وحكى الفنجديهى فى شرحه للمقامات ان الذى أشار عليه بها هو شرف الدين أنو شروان بن خالد وزير الخليفة أمره بانشاء المقامات وحكم عليه به وقيل أمره بها صاحب البصرة ووالى وقال سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور البزار ببغداد يقول سمعت الشيخ الرئيس أبا محمد الحريرى يقول أبو زيد السروجى كان شحاذا بليغا ومكديا فصيحا ورد

وعلامة همذان رحمه الله تعالى وعزا الى أبى الفتح الاسكندرى نشأتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تعترف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الطالع شأو الضليع

علينا البصرة فوقف يوما في مسجد بني حرام يتكلم ويسأل الناس شيأ وكان بعض الولاة حاضرا والمسجد غاص بالفضلاء فأعجبهم بفصاحته وحسن صناعته وملاحته وذكر أسر الزوم ابنته كما ذكرنا في المقامة الحرامية وهي الثامنة والاربعون قال فاجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ماشاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده وظرافة اشارته في تسهيل ايراده فحكى كل واحد من جلسائي أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ماشاهدت وانه سمع منه في معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله ويظهر في فنون احتياله فيجري من جريانه في ميدانه وافتنانه في احسانه قال الحريري فابتدأت في انشاء المقامة الحرامية تلك الليلة حاذيا حذوه فلما فرغت منها قرأتها جماعة من الاعيان فاستحسنوها غاية الاستحسان وأنهوا ذلك الى وزير السلطان واقترحوا علي آخر اتهار الله المستعان وهذا الذي ذكر الفتجديهي قد حدثني بنحوه من يوثق به من الطلبة بسند يتصل بأبي محمد الحريري وان الحريري وفد مع أهل البصرة بغداد فوجدوا بواسط أبازيد السروجي فقال يا أهل البصرة أنتم تزعمون أنكم لا تكادون ولا تخدعون وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم فما تعذر علي فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر فلما بلغوا بغداد أخبروا بالقصة وزير السلطان فأمر الحريري بجمع المقامات لكن الذي ثبت عندنا هو ماحدثني به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهر أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور حدثه أن الحريري حدثه أن قصة المقامة الثامنة والاربعين حق وان رجلا قام بمسجد بني حرام فأظهر التوبة من ذنبه وسأل عن الوجه في كفارته فقام رجل من بين الناس فذكر أسر ابنته فنظم الحريري القصة وجعلها مقامة وانها أول مقامة أثبتت في الكتاب وكان ابن جهور يقول ان الذي أشار اليه بها في قوله فأشار من اشارته حكم هو المستظهر بالله العباسي وكان لهذا المستظهر رغبة في الطلب وحظ من الادب وعناية بأهل العلم وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد في أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان في الديوان وأجرى على كل واحد من المال بقدر حظه من العلم وكان ابن جهور يحدث أن الحريري ألف المقامات كلها على الركاب وذلك ان المستظهر بالله لما أمره بصنعتها أخرج كالحافظ على العمال فكان يخرج في الابردين يمشي في ضفتي دجلة والفرات ويصقل خاطره بنظر الخضرة والمياه فلم ينقض فصل العمل الا وقد اجتمع له مائتا مقامة فخلص منها خمسين وأتلف البواقي وصدر الكتاب ورفعه الى السلطان فبلغ عنده أسنى المراتب (قوله فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين أو نظم بيتا أو بيتين) قال أبو عمرو بن العلاء الانسان في فسحة من عقله وفي سلامة من أفواه الناس مالم يضع كتابا أو يقل شعرا وقال العتابي من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان * غيره من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس وقال حسان

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا
وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(واستقلت) طابت الاقالة (المقام) موضع القدمين وأنت قائم (يحار) يتحير (ينفرط) يسبق

فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم وينفرط

(الوهم) الغلط (يسبر غور العقل) يختبر قدره ومنتهاه وأصله فى الجراحات يختبر غورها أى بعد قعرها والمسبار الحديدة التى يقاس بها مقدار غور الجراحة وسبرها قاسها به يفعل ذلك الطبيب للقصاص أو للدواء ويقال لحديدته المسبار والمسبار والمسبر والمكحل والميل والمرود والمجراف (تبين) تتبين (يضطر) يلجأ (حاطب ليل) جامع الحطب بالظلام وهذا مثل لاكثم بن صيفى حكيم العرب ذكره أبو عبيد فى الامثال وقال انما شبهه بحاطب الليل لانه ربما نهشته الحية أو لسعته العقرب فى احتطابه ليلا فكذلك المهذار ربما أصابه فى اكثاره بعض ما يكره قال الفرزدق

كمحتطب ليلا أسار وهضبة * أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبه

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يحتطب فهو يؤلف بين الحطب الكبير والصغير والقوى والضعيف والجيد والردى فكذلك المكثار يأتى بالضعيف من الكلام والقوى والجيد والردى فشبهه لذلك بالحاطب وأراد (بجالب رجل وخيل) ما أراد بحاطب الليل لان الراجل ضعيف والفارس قوى و (المكثار) الكثير الكلام قال النبى صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ألا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت (أقيل) أقيم ورفع (عثار) انكباب وسقوط والاقالة العاثر ان ترفعه من سقطته ومنه الاقالة فى البيع ونحوه (يسعف) يؤاتى ويناول الرغبة وأسعفت الرجل بطلبه ساعدته عليه والاسعاف المصدر وساعفته مساعفة قضيت ارادته (ولا أعفى من المقالة) أى لم يعفنى من كلامه والحاحه وأعفيت الرجل وعافيته أزلت عنه ما يشق عليه وأصله الترك ومنه اعفاء اللحية وهو أن يتركها على حالها ومنه عفا الله عنك (لبيت) أجبت وقلت لبيك (أنشأت) ابتدأت وأخذت أفعل (أعانيه) أعالجه وأصلها من العناء وهو التعب (قريحة) ذهن وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ومنه القرحة للجراحة لان أصلها مادة وشبه الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعانى (فطنة) ذكاء والفطن الذكى (خامدة) ساكنة وخمدت النار سكن لهبها (رويه) تدبر وروّأت الامر تدبرت كيف تصنعه وأصل الرويه الهمز واستعملت بغير همز (ناضبة) جافة ونضب الماء غار فى الارض (ناصبة) متعبة وهم ناصب على معنى النسب أى ذو نصب ولو جاء على القياس لقيل منصب لان فعله أنصبه الهم وقال بشر

تعنائك هم من أميمة منصب * وجاءك من الاخبار ما لا يكذب

ونصب نصبا أعيا من التعب (جزله) غليظه ومتينه (غرر) جمع غرة وهى خيار الشئ ومنه غرة الفرس وهو البياض فى جبهته فجعلها للبيان مجازا (درره) جمع درة وهى الجوهرة العظيمة والكلام الحسن يشبه بالدر والجواهر (ملح) جمع ملحة وهى مليح الكلام (نوادره) غرائبه (وشحتها) زينتها (الكايات) ضرب من الالغاز وأصل الكناية أن تذكر الشئ بغير لفظه اما الابهام على جليسك أو لتعظيم أو لتحقير فالابهام أن تذكر لفظا يفهم من ظاهره غير مرادك مثل قوله تعالى حاكيا عن هود عليه السلام حين قال له قومه انا لنراك فى سفاهة قال يا قوم ليس بى سفاهة فليس فى اللفظ زيادة على نفى السفاهة وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم مثل كناية الرجل بأبى فلان ترك اسمه وعدل الى كنايته تعظيما له والتحقير أن يكون الشئ خسيسا فتأنف من ذكره فتذكره بغير اسمه مثل قوله تعالى كانا يأكلان الطعام فكنى عن الحدث بالاكل لما كان

الوهم ويسبر غور العقل
وتبين فيه قيمة المرء فى الفضل
ويضطر صاحبه الى أن
يكون كحاطب ليل أو جالب
رجل وخيل وقلما سلم
مكثار أو أقيل له عثار فلما
لم يسعف بالاقالة ولا أعفى
من المقالة لبيت دعوته
تلبية المطيع وبذلت فى
مطاوعته جهد المستطيع
وأنشأت على ما أعانيه من
قريحة جامدة وفطنة خامدة
ورويّة ناضبة وهموم
ناصبة خمسين مقامة
تحتوى على جدّ القول
وهزله ورقيق اللفظ وجزله
وغرر البيان ودرره وملح
الادب ونوادره الى ما وشحتها
به من الآيات ومحاسن
الكنايات

ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية والاحاجى النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي وأسندت روايته الى الحرث ابن همام البصرى وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط قارئيه وتكثير سوادطالبيه ولم أودعه من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية وماعدا ذلك فخاطرى أبو عذره ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافى بأن البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات وأن المتصدى بعده لانشاء مقامة ولو أوتى بلاغة قدامة لايغترف الامن فضالته ولايسرى ذلك المسرى الابدلالته ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا
بكاها فقلت الفضل للمتقدم

يتولد عنه (رصعته) نظمته وألصقت بعضه ببعض وتاج مرصع مزين بخرز وجوهر ينظم فيه (اللطائف) الرقائق والكلمة اللطيفة أى الرقيقة المعنى التى تحل فى القلب فتلطفه (الاحاجى) ضرب من الالغاز واحدها أحجية وهى قولك لصاحبك أخرج مافى يدى وذلك كما تقول العرب أحاجيك مافى يدى وحجيالك مافى يدى وهى من الحجى وهو العقل (الفتاوى اللغوية) أرادبها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين والفتيا اظهار الشئ المسؤل عنه عند السؤال (المبتكرة) التى لم يسبق اليها وبكروا بتكر خرج بكرة ومنه الباكور وهو المبكر من كل شئ فى الادراك وبكر كل شئ أوله (المحبرة) المزينة وحبرت الشئ تحبيرا زينته وأصلها من الحبر وهى ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين (أمليت) ألقيت وأمليت على العمى ألقيت عليه مايكتب (أسندت) رفعت (الاحماض) الانتقال من شئ الى شئ وأصله فى الابل ترعى الخلة وهى حلو المرعى فتملها فتنتقل الى الحمض تأكل منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاء الحلاوة فتنشط بذلك على الرعى فيقال أحمض الرجل احماضا والعرب تقول الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها فاراد به تنقله فى المقامات من حكاية فائقة الى قضية رائقة ومن موعظة تبكى الى ملهية تسلى وفى ذلك تنشيط وترغيب فى قراءتها ونفى للمال والكسل عن قارئها (سواد) أشخاص ويسمى الشخص سوادا لانه يسود الارض بظله (أودعه) أضمنه (الاجنبية) التى ليست من شعره والاجنبى من ليس بينك وبينه قرابة من اجنابة وهى البعد (فذين) منفردين هذا من شعر وهذا من آخر (توأمين) أخوين من شعر واحد (أسست) أصلت والاساس أصل الحائط (الحلوانية الكرجية) منسوبتان الى حلوان والكرج وهما بلدان (ماعدا) ماجاوز (خاطرى) ذهنى (أبو عذره) أى أول صانع له يقال للمرأة فلان أبو عذرها أى أول زوج تزوجها فوجدها عذراء فافتضها وأزال عذرتها أى مابها من صعوبة (مقتضب) مقتطع (حلوه ومره) جيده ورديئه (غايات) جمع غاية وهى طلق الخيل والسباق منها الذى يجئ أبدا سابقا (المتصدى) المتعرض (بلاغة) فصاحة وأصلها أن يبلغ الانسان من الكلام والحجة ماأراد (قدامة) هو أبو الوليد بن جعفر كان بليغا مجيدا عالما بسر ارصنعة الكتابة ولوازمها وله كتاب يعرف بسر البلاغة فى الكتابة وترجمته تدل على متضمنه وله تحقيق فى صنع البديع يتميز به عن نظرائه وتدقيق فى كلام العرب يربى فيه على أكفائه وتحذيق فى علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه فلذلك سار المثل ببلاغته واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته (الفضالة) البقية من الماء وغيره وهى مافضل عن الحاجة واغترفها أخذها بيده (يسرى ذلك المسرى) يقصد ذلك المقصد وأصل يسرى يسير بالليل (دلالته) تقدمه وهدايته وتفتح دالها وتكسر والفتح أكثر والدليل بالفلاة الذى يهدى القوم قصدهم (مبكاها) بكاها (صبابة) شوقا (هيج) حرك والبيتان لعدى بن الرقاع وقبلهما

ومما شجانى أننى كنت نائما ... أعلل من فرط الكرى بالتنسم
الى أن دعت ورقاء فى غصن أيكة ... تردد مبكاها بحسن الترنم

فلو قبل مبكاها وعدى هو أبو زيد بن مالك ينتمى الى معاوية بن الحرث وهو عامله وينسب الى الرقاع وهو جد جده وكان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك ومنزله بدمشق وهو من حاضرة الشعراء الامن بادیتهم وكان من أوصف الناس للمطية وكذا ذكره

صاحب الاغانى فى ترجمته وقال نوح بن جرير لابيه من أنسب الناس قال ابن الرقاع فى قوله

لولا الحياء وأن رأسى قد عسا * فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكانها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

أقول الحريرى ههنا للبديع بالفضل وجعله سباقا للغايات وما أحسن هذا الادب منه مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ومن أدل دليل على ذلك انه مذ ظهرت مقامات الحريرى لم تستعمل مقامات البديع ثم انه طبق استعمالها آفاق الارض الا أنه أسر هنا شيا لانه ختم كلامه بأن البديع بالتقدم فضله وهذا منه مذهب مستحسن ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ثم لم ير لنفسه قدرا فى قول وان لم يدرك الطالع شأو الضليع فجعل نفسه كالفرس الاعرج الذى جرى اذا اجتهد دون مشى الصحيح وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة ثم لما بلغ الى هذا الموضع بعد أسطار صرح فى الظاهر للسامع بأن البديع سباق غايات وصاحب آيات وأومأ الى من فطن أنه انما فضله بتقدم الزمان ثم خلط الكلام فى الخيفاء بين المتقدمين والمتاخرين ثم تناسى ذلك الى آخر الكتاب فى السابعة والاربعين وصرح هنالك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيل نفسه على البديع حيث يقول

ان يكن الاسكندرى قبلى * فالطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين الى سوء الادب ورأى فضل مقاماته لذم البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذم عليه وكذا رأيناه فى الغالب من ادعى لنفسه فضلا وازدرى غيره أنه قلما يكون الا ممقوتا فلما أظهر الحريرى مدح البديع ووفاه قسطه من التفضيل والترفيع ولم ينظر نفسه الا بطرف خفى قل من يتفطن له ستر الله عليه ورفع صيته ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة

فشرق حتى لم يجد ذكر مغرب * وغرب حتى لم يجد ذكر مشرق

فلا يذم كتابه الا أحد الرجلين اللذين ذكرهما اما جاهل أو حاسد ومذهب الناس فى تفضيل الحديث على القديم وأكثرهم على تفضيل القديم وقد أحسن حبيب حيث يقول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

(وقال رضى الله تعالى عنه)

لا زلت من شكرى فى حلة * لابسها ذو سلب فاخر

يقول من يقرع أسماعه * ما ترك الاول للآخر

وذكر ابن شرف علة ذلك فقال

أولع الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم

ليس الا لانهم حسدوا الحى * ومالوا الى العظام الرميم

وللمتأخرين شعر كثير فى تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين من أحسنه قول المعرى

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

(وقال ابن عمار)

قوله عسا بالسين أى اشتد وانتشر كما يؤخذ من القاموس وهذا البيت أورده صاحب المغنى فى الكلام على قد شاهدا على ان عسا متصرف وهو بمعنى اشتد اه مصححه

(ذكر المفاضلة بين القديم والحديث)

أنا ابن عمار لا أخفى على أحد * الا على جاهل بالشمس والقمر
ان كان أخرنى دهرى فلا عجب * فوائد الكتب يستلحقن فى الطرر

والذى ذكر أبو العباس فى الكامل هو الحق قال وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق * وأما بيت عدى فى الحمام فقد كثر ذكر العرب لها فى أشعارها ولم أر هنا بفصل منها يروى عن على رضى الله عنه أنه اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال له اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها * ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فانها تلهى الجن عن صبيانكم وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يحبه النظر الى الحمام الاحمر والى الاترج وكان ابراهيم بن سيار يحب بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن المنظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها وتكثر لديك معونتها فهى للطارق عدة وللمستوطن لذة تطعم فى الصحراء وتعود عليك بالسراء ويأنس الوحيد بحركتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهى ناطقة وينفر عنك وهى داجنة وفى طباعها سكون الى الناس واستئناس بهم وهى طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى مفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طارا طارا معا وان وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد تصيدها سباع الطير الا بحيلة ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعه ما يبعث التذكر ويولد الشجون ويهيج الاسى ويجدد رقة القلب حتى يجعل البكاء فرضا معها والتصابى لازما لاجلها وأعراب وادى القرى اذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط النخل عند استعلاء الظهيرة اذا صارت الوراشين والفواخت الى تلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزامير والاوتار وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر كقول أبى صخر الهذلى (اذكر الحمام)

ولما دعت غوريه الايك سجعت * فسجع دمعى يستهل ويستسرى
يذكرنى شجوى دعاء حمامة * ويبعث لوعات الصبابة فى صدرى
بكت حزنا رزء الهديل وشفنى * فراق حبيب ضاق عن فقده صبرى

(وأنشد الاصمعى فقال)

أيها البلبل المغرد فى النخـ * ـل غريبا من أهله حيرانا
افراقا تشكو أم ظلت تدعو * فوق افنان نخلة ورشانا
هاج لى صوتك المغرد شجوا * رب صوت يهيج الاحزانا

(وقال آخر) أحن الى حوائط ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام
ألم بها بكل فتى كريم * من الفتيان مخلوع الزمام

(وقال آخر) اذا غنت على الاغصان ورق * أجبناها باعمال المدام

(وقال آخر)

سيغنيك عن مزمار آل محرق * ومربعهم تغريد تلك الحمائم
بأيكة نظار تجاوبن بالضحى * على باسقات مائلات نواعم

(وأنشد أبو علي عفا الله تعالى عنه)

ومن بستان ابراهيم غنت * حمائم بينها فنن رطيب
فقلت لها وقيت سهام رام * ورقط الريش مطعمها الحبوب
كما هيجت ذا حزن معنى * على أشجانه فبكى الغريب

(وقال نصيب)

لقد هتفت في جنح ليل حمامة * تبكي على الف وانى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتني بالبكاء الحمائم

(وأنشد أبو العباس لحميد بن ثور)

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما
محلاة طوق لم يكن من تمية * ولا ضرب صواغ يكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة في نوحها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميلة * تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

(وقال حبيب)

لتضعضعت عبرات عينك ان دعت * ورقاء حين تضعضع الاظلام
لا تستحن لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وسمع حبيب بخراسان غناء بالفارسية فلم يدر ما هو غير أنه شوقه فقال

حمدتك ليلة شرفت وطالت * أقام سهادها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسي من عناها
ومسمعة يحار السمع فيها * ولم تصممه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت قلبي فلم أجهل شجاها
وظلت كأنني أعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

يعني بهذا الاعمى بشارا حيث يقول

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم * الاذن كالعين توري القلب ما كانا

(قوله الهذر الذي أوردته) أي الاكثار الذي أتيت به وقد تقدم المورد و(توردته) اقتحمته (الباحث) المفتش و(الظلف) البقر والغنم كالحافر للخيل والحمير وهذا مثل للعرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها في الارض فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها وقالوا بحثت عن حتفها بظلفها فصارت مثلا وقال الشاعر

وكانت كعنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت الثرى تستثيرها

(وقال أبو الاسود)

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه

فلا تك مثل التى استخرجت * بأظلافها مدية أو بنيها
* فقام اليها بها ذابح * ومن يدع يوما شعوبا يجيبها

ولفظ المثل عند أبى عبيد كالعنز تبحث عن المدية (والجادع) القاطع الانف (والمارن) طرف الانف وأراد به قصيرا مولى جذيمة الابرش وقد ذكرنا قصته فى شرح الرابعة والعشرين ورجا المصنف أن لا يدركه من الضرر ما أدركهما من الضرر حين جنيا على أنفسهما وانتفع غيرهما (ضل سعيهم) خابت أعمالهم وأصل ضل تحير فلم يدر أين يتوجه وأصل السعى المشى بسرعة سمع أعرابى رجلا يقرأ قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا فقال أنا أعرفهم قيل له ومن هم قال الذين يبرد ون ويأكل غيرهم (أغمض) سامح وسد عينيه عما لا يرضى و (الفطن) الذكى (المتغابى) المتجاهل عن الشئ وهو عارف به وهو مما يحمد به الرجل قال حبيب

ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

(ونضح) بالماء غسل (المحابى) الذى يفضلنى على غيرى وحبانى اختصنى بالعطية وأصل حاباه أن تعطيه ويعطيك وقد يكون فى معنى حباه (الغمر) الجاهل (ذى غمر) صاحب عداوة (متجاهل) مستعمل للجهل وهو على خلافه يقول ان سد عينيه عن عيبى فطن ذو عقل وتغابى حين يبصر لى خطأ أو رأى لى ذلك العيب محب فجعل يغسله عنى لمحبته لكلامى فلا أخلص مع ذلك اتما من جاهل بعيب ما لا يفهم أو من عارف يظهر لى عداوة وحسدا فيرد حسنى قبيحا وهو عارف بحسنى فيشيع فى الناس أن المقامات أكاذيب وهو عارف بفضلها وما قصد بها والغمر الحقد وصاحبه مذموم ولا أعرف من تعرض من الفصحاء لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جىء به الى الرشيد فى قيوده فقال له يحيى بن خالد وأراد أن يبكته بلغنى أنك حقود فقال عبد الملك أيها الوزير ان كان الحقد هو بقاء الخير والشر انهما لباقيان فى صدرى وفى رواية أخرى انما صدرى خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر فقال الرشيد والله ما رأيت أحدا احتج للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك فتمثل الباب لابن الرومى فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد

لئن كنت فى حفظى لما أنا مودع * من الخير والشر انتحيت على عرضى
فما عبتنى الا بفضل أمانة * ورب امرئ يزرى على خلق محض
ولولا الحقود المستكنات لم يكن * لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض
وما الحقد الا توأم الشكر فى الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذى اساءة * فثم ترى شكرا على حسن العوض

ثم رجع الى الطريقة المثلى فانتحل المذهب الاعلى وقال يعيبه ضاربا بسهم البلاغة فى الوجهين

يا مادح الحقد محتالا له شبها * لقد سلكت به مسلكا وعثا
يا دافن الحقد فى ضغنى جوانحه * ساء الدفين الذى أضحت له جدثا
الحقد داء ردىء لا دواء له * يورى الصدور اذا ما اجمر حدثا
فاستشفينه بصفح أو محادثة * فانما يبرئ الصدور ما ننفثا
ان القبيح اذا أصلحت ظاهره * يعود مالم منه مرة شعثا
كم زخرف القول ذو زور ولبسه * على القلوب ولكن قلما لبثا

والجادع مارن أنفه بكفه فألحق بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا على انى وان أغمض لى الفطن المتغابى ونضح عنى المحب المحابى لا أكاد أخلص من غمر جاهل أو ذى غمر متجاهل

(ذكر الحقد ومدحه وذمه)

(قوله يضع منى) أى يحط من منزلتى (الوضع) الكتاب (يندد) يشهر العيب وندد به اذا أسمعه المكروه (نقد الاشياء) فتش وبحث عليها (المعقول) العقل (أنعم) بالغ * وأصل النظم جعل حبات الجوهر فى خيطها وضمها فيه لغيرها ثم سمى بيت الشعر نظما لان الكلام فيه ملتصق بعضه ببعض كحبة الجوهر والبيت يضمه كالخيط و(السلك) خيط الجوهر و(الافادات) الفوائد (سلك) قصد (الموضوعات) الكتب المؤلفة أى أدخلها مدخل هذه الكتب (العجماوات) البهائم وسميت واحدتها عجماء لان صوتها لا يفهم منه معنى و(الجمادات) ماعدا الحيوان وأراد ما ألف من الكتب مما لا حقيقة له فى الظاهر وقد ضمن الحكم الشافية فى الباطن مثل كتاب كليلة ودمنة وغيره مما ألف على ألسنة ما لا عقل له ولا روح وكذلك المقامات وان كان ظاهرها كذبا فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات السروجى فيكون متنبها لما يطرأ عليه من النوازل فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة الى ما يضاف اليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر فانها أعون شئ عليها * ومما يحكى على ألسنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا راع فى غنم عدا عليها الذئب فأخذ شاة منها فطلبه الراعى فالتفت اليه الذئب وقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذا التفتت اليه فكلمته فقالت أنا لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر السبع بسكون الباء أرض المحشر والسبع الفزع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يختبئ اليهودى وراء الحجر فيقول الحجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله * قالوا خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنبا فقال الاسد للذئب اقسم بيننا هذا فقال الحمار للملك والغزال لى والارنب للثعلب فرفع الاسد يده فضربه ضربة فاذا هو مجدل بين يديه ثم قال للثعلب اقسمها فقال الحمار يتغذى به الملك والغزال يتعشى به والارنب بين ذلك فقال الاسد ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء قال رأس هذا الذئب * وحدث الشعبى قال صادر جل قرية فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك فقالت والله ما أشبع من جوع وخير لك من أكلى أن أعلمك ثلاث خصال واحدة وأنا فى يدك والثانية وأنا على الشجرة والثالثة وأنا على الجبل قال هات قالت لا تلهفن على ما فات فخلى سبيلها فلما صارت على الشجرة قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون فلما صارت على الجبل قالت له يا شقى لو ذبحتنى أخرجت من حوصلتى درتين كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض الرجل على شفته تلهفا ثم قال هات الثالثة فقالت أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فات ولا تصدقن بما لا يكون انه سيكون أنا ولحمى ودمى وريشى لا يكون فى عشرون مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت وأمثال هذه الملح أكثر من أن تحصى (قوله نباسمعه) أى ارتفع وأصله فى السيف اذا ارتفع فلم يمض فى الضربة (أثم) جعلهم أصحاب اثم (انعقاد العقود) أى ارتباط العقائد (حرج) اثم وأصل التحريج التضييق (للتنبيه) أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر (نحا منحى) قصده قصد (التهذيب) التخلص

يضع منى لهذا الوضع
وينتد بأنه من مناهى
الشرع ومن نقد الاشياء
بعين المعقول وأنعم النظر
فى مبانى الاصول نظم هذه
المقامات فى سلك الافادات
وسلكها مسلك الموضوعات
عن العجماوات والجمادات
ولم يسمع بمن نباسمعه عن تلك
الحكايات أو أثم رواتها
فى وقت من الاوقات ثم اذا
كانت الاعمال بالنيات
وبها انعقاد العقود الدينيات
فاى حرج على من أنشأ ملحا
للتنبيه لا للتمويه ونحا بها
منحى التهذيب لا الاكاذيب

(حكايات على ألسنة البهائم)

وهذبت الطالب أخرجته وخلصته ورجل مهذب مخلص من العيوب * ويروى ندب وانتدب فندب دعا وانتدب أجاب (وهدى) أرشد (صراط مستقيم) طريق معتدل ومن فعل ماذكر ما جور غير آثم لكنه مع هذا رضى أن يخلص ممن يتكلم فى كتابه بتعييب وأن يخرج من هذا الكتاب كفافا لا أجر ولا وزر بل نرجوله الاجر على نية الافادة والتعليم ان شاء الله تعالى (اعتضد) استعين (أعتمد) اقتصد (أعتصم) أمتنع (يصم) يعيب (أسترشد) أستهدى (يرشد) يهدى ويدل على الخير و(المفزع) الملجا وكذلك (الموئل) وتقول فزعت الى فلان اذا لجأت اليه واستعنت به ليحميك ويمنعك وفزعت منه خفته والمفزع الذى ذكره مصدر بمعنى الفزع وتقول وألت من ذلك اذا نجوت منه وأنت موئلى منه أى الذى تنجينى منه والمفزع الموئل والحصن تفزع اليه فينجيك من طالبك (أنيب) أرجع والانابة الرجوع الى الله تعالى والتوبة اليه

وهل هو فى ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى الى صراط مستقيم

لى أننى راض بان أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا

وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه أنيب وبه نستعين وهو نعم المعين

(شرح المقامة الاولى وهى الصنعانية)

ان قيل لاى معنى اختار الحريرى حارثا وهماما وأبا زيد دون غيرهم من الاسماء فالجواب أنه انما قصدهم لانهم أصدق الاسماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المرفوع تسموا بأسماء الانبياء وأحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحرث وهمام وأقبحها حرب ومرة وصدقهما أنه ليس أحد الا وهو يحرث أى يحاول الكسب أو يهم بحاجته وأما أبو زيد فان صدق أنه انسان بعينه كما تقدم فى الصدر وقع الاكتفاء به وان لم يصدق فقد حكى أهل اللغة انه كنية الكبر وأنشد ابن قتيبة

اعار أبو زيد يبغى سلاحه * وحد سلاح الدهر للمرء كالم

وكنت اذا ما الكلب أنكر أهله * أفدى وحين الكلب جذلان نائم

سلاحه العصا وانكار الكلب أهله اذا لبسوا السلاح وجذلان نائم فى الجدب اذا ماتت المواشى فيشبع من لحومها وينام وقال ابن الاعرابى يقال للشيخ الكبير أبو زيد وأبو سعيد والسروجى فى الغالب انما يصفه بالكبر والهرم فوقعت التسمية لغويه وانما عنى بالحرث بن همام نفسه لانه ممن يحرث ويهم ولذلك نسبه الى البصرة وهى بلدة الحريرى وانما وضع أبا زيد كنية للدهر لانه يصفه بأشياء لا تليق الا بالدهر مثل قوله

وكل سرح فيه ذئبى عائث * حتى كأنى للانام وارث * سامهم وحامهم ويافث

(ومثل قوله)

ووترت أرباب الارا * ئك والدرانك والسجوف

وهى كثيرة وفى الحمسين له كلام لا يليق الا بالدهر فجعل أخذ الحرث من أبى زيد كناية عن علم الحريرى بما جرب من صروف الدهر (قوله اقتعدت) أى ركبت وأصله اتخذت قعدة أو قعودا وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه (والغارب) مقدم سنام البعير و(الاغتراب) والغربة التحول فى البلدان والبعد عن الاوطان وسيأتى ما أصلها وأراد لما اتخذت ظهر الغربة قعودا (أنانى) أبعدنى (المتربة) الفقر (الاتراب) الاصحاب على سن واحدة (طوحت) رمت و(طوائح) نوائب وتقول طوحت بالرجل اذا رميت به الى الهلاك وقياس الطوائح المطاوح

* حدث الحرث بن همام
قال لما اقتعدت غارب
الاغتراب وأنانى المتربة
عن الاتراب طوحت بى

لانك تقول طوّحت فهى مطوّحة والجمع مطوّحات ومطاوح قال أبو عبيد جاءت الطوائح على حذف الزيادة وردّ الفعل الى أصله فانه من طاحت فهى طائحة والجمع طوائح قال أبو عمرو الشيبانى جاءت على النسب مثل لابن وتامر أى ذو لبن وذو تمر وذات تطويح قال الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

ومثله وأرسلنا الرياح لواقح تقديره ملاقح لانك تقول ألقحت الريح السحاب اذا جعتـه وألقته وضارع مرتفع بمضمر تقديره يبكيه ضارع وهو الذليل (صنعاء) بلد باليمن وأضافها الى اليمن لان ثمّ صنعاء أخرى وهى قرية بدمشق وكان اسم صنعاء فى القديم أزال قال ابن الكلبى والشرقى ولما وافتها الحبشة قالوا نعم أى انظر فسمى جبلها نعم فلما نظروا الى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا هذه صنعاء وتفسيرها هنية فسميت صنعاء وحكى الهمذانى قال وأهل صنعاء يقولون فى الاسلام انها القرية المحفوظة وانهم سمعوا هاتفا يقول فى بعض أيام من حاربهم كل عليك يا أزال وأنا أتحنن عليك وأقدم قصور اليمن وأنبههاذ كرا وأبعدها صيتا غمدان وقصر أزال وهى صنعاء والذى أسس غمدان وابتدأ بنيانه واحتفر بئره الذى هو اليوم سقاية لمسجد جامع صنعاء سام بن نوح عليه السلام على ما يذكره علماء صنعاء واليمن وذلك انه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى فى الارض الشمالية فأقبل طالعا فى الجنوب يطلب أطيب البلاد حتى صار الى الاقليم الاول فوجد اليمن أطيبه مسكنا وصنعاء أطيب اليمن فوضع مقرا مته وهى الخيط الذى يقدّر به البناء ويبنى على حدّه فوضع الاساس فى ناحية فيج غمدان فى غربى الجبل فبنى الطير وهو اليوم معروف بصنعاء فلما ارتفع بعث الله طائرا فاختطف المقراة فطار بها وتبعه سام لينظر أين يقع فأم بها جنوب النعم من سفح نعم فوقع بها فلما اتبعه طار بها وطرحها على حرّة غمدان فلما قرّت علم سام انه قد أمر بالبناء هنالك فأسس غمدان واحتفر بيده بئره المسمى كرامة ويستقى منها الى اليوم لكنها أجاج (خاوى الوفاض) فارغ المزاود ويقال خوى الرجل اذا سجد وترك بين جسده وبين الارض خواء وخوى البعير برك على هذه الحال والوفاض جمع وفضة وهى شبه الجراب وهى أيضا كنانة السهام اذا كانت من جلد لا خشب فان كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهى كنانة أو جعبة * ابن سيده فى المحكم الوفضة خريطة يحمل فيها الراعى أداته وزاده والوفضة جعبة السهام * أبو منصور الازهرى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم انه أمر بصدقة توضع فى الاوفاض انهم اخلاط الناس قال الفرّاء هم أهل الصفة * أبو عبيد هذا كله عندنا واحد لان أهل الصفة أخلاط من قبائل شتى ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة فعلى هذا من قصر الوفضة على الجعبة وخطأ الحريرى بأن الزاد لا يكون فى الجعبة فهو المخطئ والجاهل باتساع اللغة (بادى الانفاض) ظاهر الفقر وقد أنفض اذا فنى زاده وأنفض الجراب اذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ومنه قولهم الانفاض يقطر الجلب أى فناء زادهم يجعل ابلهم قطارا أى مربوطة بعضها خلف بعض تساق الى السوق فتباع فيأكلون ثمنها قال الهذلى

له ظبية وله عكة * اذا أنفض القوم لم ينفض

ظبية جريب صغير من جلد ظبى (بلغة) زاد للمسافر يبلغ به من يومه الى غده (الجراب) وعاء من جلد يصنع للزاد (مضغة) لقمة (طفقت) أخذت وجعلت ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه

(ذكر مدينة صنعاء)

طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها خاوى الوفاض بادى الانفاض لا أملك بلغة ولا أجد فى جرابى مضغة فطفقت

(أجوب) أقطع وأخرق وجوب الارض قطعها بالمشى (الهائم) الحيران (أجول) أتصرف (حوماتها) جهاتها (الحائم) الطائر العاطش يحوم حول الماء أى يدور به (أرود) التمس (المسارح) مراعى البهائم (لحاتى) نظراتى يريد المواضع التى يسرح عينيه فيها بالنظر (مسايح) مسالك أراد طرقه التى يسير فيها بالمشى بالغدو والعشى والسيح الماء الجارى على وجه الارض وتكون المسايح أيضا جمع مسيحة أو مسحة وهى الطوفة من قولك مسحت البيت أى طفت به فيكون على هذا فعائل مبهما أصلية وعلى الاول مفاعل (أخلق) أهين (دياجتى) جلدة وجهى يريد انه يخلق وجهه بالمسئلة كما يخلق الثوب وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم المسئلة كدوح وخدوش فى وجه صاحبها وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة بالرجل حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم أى قطعة (أبوح) أذكر (حاجتى) فترى (تفرج) تزيل (غمتى) غمى وما يضيق نفسى (غالتى) عطشى (أدتنى) أوصلتنى (خاتمة المطاف) آخر المشى (هدتنى) دلتنى (والالطاف) حسن السؤال وفاتحته أراد به سؤالك من تلقى فى الطريق اذا دخلت بلدا غريبا فاذا سألت يتلطف أرشدت بسرعة فسؤالك هو الذى فتح لك الطريق ويقال لطف سؤال الرجل اذا رق لفظه ولم يكن فيه جفاء فتقبله القلوب وألطف الرجل سؤاله اذا سألك بحنان وتلطف واللطف الرفق وألطفتك أيضا برتك وأكرمتك فالالطاف مصدر ألطف ويروى الالطاف جمع لطف وهو الرفق يقال لطف الله بالعباد لطفا رفق بهم رفقا وهو راجع الى الاول (ناد) مجلس (رحيب) واسع (محتو) مشتمل (نحيب) بكاء (ولجت) دخلت (غابة الجمع) وسط الناس وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه من يدخله (الأسبر) لافتش وأراد دخلت بين الناس لاجرب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم ويروى محلبة بالحاء وهى من الحلب يقال انحلبت عينه اذا سالت بالدمع (بهرة) وسط (شحت) دقيق ورقيق والشحت الحطب الرقيق (أهبة السياحة) آلة العبادة وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك (يطبع الاسجاع) أى يرتبها ويصنعها تقول طبعت الدرهم والسيف اذا صنعتهما وطبعت الكتاب اذا ختمته وكانت الملوك تكتب فى فصوص خواتمها لا اله الا الله والملك لله وتطبع بذلك كتبها وهذا المعنى أليق يطبع الاسجاع أى يزينها ويختمها بجواهر كلامه ومن روى لجواهر باللام فعلى يصنعها لاغير والتفسير على الروايتين أخذته عن أبى ذر والاسجاع الكلام المفترله قافية كقافية الشعر وكان من كلام الكهان وهذه الموعظة التى فى المقامة من الاسجاع وسجعت الحمامة اذا غنت على طريقة واحدة (يقرع) يضرب (الاسماع) الآذان (زواجر) نواهى وزجر نهاه وانتهره (حاطت) حلقت (أخلاط) أصناف مختلطون (الزمر) الجماعات (الهالة) الدارة حول القمر من نوره والطفاوة الدارة حول الشمس والسامور هو غلاف القمر الذى يستتر فيه ما انتقص منه (الاكام) جمع كم وهو الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به وسمى كما لانه يستر ما تحته والاكام جمع قليل والكثير كام والثمر جمل الاشجار (دلفت) قربت ودلف الشيخ فى مشيته اذا أسرع من ضعف فقارب خطوه (اقتبس من فوائده) التمس وأطلب أخذها واكتسابها و(الفرائد) شذور الذهب تفصل ما بين الجوهر (خب فى مجاله) أخذ فى كلامه والخب عدو سهل وهو الذى تسميه العامة السير وفرس مسيار والمجال للخيل موضع تصرفها وجريها (هدرت) صوتت (شقاشق) جمع شقشقة

أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول فى حوماتها جولان الحائم وأرود فى مسارح لحاتى ومسايح غدواتى وروحاتى كريما أخلق له دياجتى وأبوح اليه بحاجتى أو أذيبا تفرج رؤيته غمتى وتروى روايته غلتى حتى أدتنى خاتمة المطاف وهدتنى فاتحة الالطاف الى نادرحيب محتو على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرأيت فى بهرة الحلقة شخصا شحت خلقة عليه أهبة السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وقد أحاطت به أخلاط الزمر احاطة الهالة بالقمر والاكام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس من فوائده والتقط بعض فرائده فسمعته يقول حين خب فى مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله

وهى النفاحة يخرجها فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير يهيج ويتابع الهدير قال الاخطل

اذا هدرت شقاشقه ونشبت * له الاظفار ترك له الهدار

أراد نشبت وترك فخفف (السادر) الراكب هواه لا يرده شئ استطالة وبغيا ويقال للذى يطيل الجلوس فى الشمس حتى يتحير بصره قد سدر فهو سادر (فى غلوائه) فى ارتفاعه للشر ولجاجه فيه وهو من غلا يغلو فى الامر اذا جاز الحد فيقول يا أيها الاعمى الكثير اللجاج فى ركوب المعاصى هلا نظرت بعين البصيرة ورجعت عما أنت عليه من الضلال (السادل) المرخى (خيلائه) كبره (الجامح) الجارى الى غير غاية وقد جمح الفرس اذا أكب رأسه وجرى فى غير قصد فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه فى غير طريق (الجانح) المائل (الخزعبلات) الاباطيل وهو ما يتراءى للانسان فى نومه من الخيال (تستمر) تدوم فى مرورك (غيك) ضلالك (تستمرئ) تستطيب من المرئ وهو ما يلتذ به من الطعام (بغيك) ظلمك (تتناهى) تبلغ النهاية ونهاية الشئ آخره (زهوك) كبرك وعجبك (اللهو) ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب وقال القاضى أبو حفص بن عمر فى ذم الكبر وما يتعلق به

ولا تنسب الى كبر فهذا * أبوك الترب يخفضك انتسابا
ولا تحبب أخا كبر وقدم * على النفس الاعادى والصحابا
ولا تحبب محاباة بمدح * كفى بالمرء حوبا أن يحابى
وحاذر أن ترى فى القوم رأسا * ولا تنس الذنوب وكن ذنابا
ترابا كن هنا فعساك أن لا * تمنى أن تكون غدا ترابا

(وقال أبو نواس)

حذرتك الكبر لا يغشاك ميسمه * فانه ملبس نازعته الله
يا بؤس جلد على جوف مجوفة * يحوى مقاذير ان كلمته تاها
يرى عليك له فضلا يبين به * ان نال فى العاجل السلطان والجاها
انى لامقت نفسى عند نخوتها * فكيف آمن مقت الله اياها

(وقال أبو العتاهية)

عجبت للانسان فى فخره * وهو غدا فى قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر

(قوله تبارز) أى تكاشف وتقابل والبارز الظاهر المنكشف و (الناصية) شعر مقدم الرأس (تجترئ) تقدم وتشجع والجرىء الشجاع المقدام (سيرتك) عادتك وجمعها سير وهى ما يعامل به الناس من خير أو شر وتقول سرت سيرة من خير أو شر اذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك فصارت عادة لهم ولذلك فسرنا السيرة بالعادة حيث وقعت وأصل السيرة هيئة فعل السير وذلك انك تقول جلس فلان جلسة بالفتح وهى المرة الواحدة من جلوسه فاذا كسرت الجيم فهى هيئة جلوسه ومثله ركب ركبة والركبة هيئة ركوبه وتقول سار هذا الفعل سيرة والسيرة بالكسر هيئة سيره

أيها السادر فى غلوائه
السادل ثوب خيلائه
الجامح فى جهالاته
الجانح الى خزعبلاته
الام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك وختام تتناهى فى زهوك ولا تنتهى عن لهوك
تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبيح سيرتك على عالم سريرتك

(ذم الكبر)

فى الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطا وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هيئة أفعاله حيث كانت (تتوارى) تستتر (بمرأى رقيبك) أى بمنظر ربك أو بحيث يراك ورقيب الشئ حافظه وحارسه (مليكك) مالكك وأراد ان الانسان اذا خلا بريبة استتر بها عن أخيه وعبده حياء منهما ولا يستحى من ربه الذى يطلع على معاصيه ولا يخفى عليه خافية وأشار الى قوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم الآية وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

ان كنت تعلم ان الله يا عمر * يرى ويسمع ما تأتى وما تذر
وأنت فى غفلة من ذاك تركب ما * نهاك عنه فأين الخوف والحذر
تجاهر الله اقداما عليه ومن * حثالة الناس تستحيى وتعتذر

(وقال نابغة بنى شيبان)

ان من يركب الفواحش سرا * حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه * شاهداه وربه ذو الجلال

(وقال أبو نواس)

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تراكمت * ذنوب على آثارهن ذنوب

(حالك) عزتك ومالك (آن) حان وقرب (ارتحالك) انتقالك (توبقك) تهلكك يقال أوبقته الذنوب أهلكته فوبق أى هلك ووبق أيضا وقال أعشى همدان

استغفر الله أعمالى التى سلفت * من عثرة أن يعاقبنى بها أبق

(زلت) زلقت (معشرك) قومك (محشرك) موضعك الذى تحشر اليه (انتهجت) ركبت والنهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح (محجة) طريق من حجه يحجه اذا قصده (اعتدائك) استقامتك (معالجة) مداواة (فللت) كسرت (شباة) حد (اعتدائك) جورك وظلمك (قدعت) كففت قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذى ان قتلته كان لك نورا وان قتلك دخلت الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك * قال الاصمعى كنا بطريق مكة فى بعض المنازل اذ وقفت علينا أعرابية فقالت أطعمونا مما أطعمكم الله فناولها بعض القوم شيأ فقالت له كبت الله لك كل عدو لك الا نفسك (قوله أما) حرف اخبار واستفتاح كألا (الحمام) الموت من حم الامر قضى (الميعاد) الموعد (ما اعدادك) ما استعددت له والاعداد مصدر أعد للامر اذا هيأله ما يحتاج اليه من عدة يقول الموت هو الذى وعدت به أن يأتيك ولا بد فما استعددت له من أفعال البر وللفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران

يا صاح فى الموت لنا حكمة * بالغة لو أننا ننتفع
فاعمل له قبل مفاجاته * ويحصد الزارع ما قد زرع
لا حيلة تنجيك منه ولا * ذو وزر عنه به يمتنع
كم أمم أفناهم قبلنا * وشمل قوم شتته فانصدع

(ولحبيب) فقد أيقنت بالموت نفسى لانى * رأيت المنايا يختر من حياتنا

وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستخفى من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى عنك ندمك اذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهى أكبر أعدائك أما الحمام فميعادك فما اعدادك

قوله أما حرف اخبار الخ الظاهر ان هذا استفهام تقريرى اه مصححه

فياليت أني بعد موتي ومبعثي * أكون رفاتا لا على ولا ليا

(المشيب) الشيب يقال شاب رأسه شيبا ومشيبا (انذارك) اعلامك وأنذرك أعلمك مما تحذر وخوفك منه وأراد قوله تعالى وجاءكم النذير وانظر هذا المعنى في الحادية والاربعين مستوفى نظما ونثرا (اعذارك) جمع عذر والاعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر في طلب الحاجة اذا بالغ فيها قال ابن القابلة السبتي وجنس قوافيه

الشيب في مفرقي حلا * وعقد عهد الملاح حلا
وكان كالآنوس رأسي * فاحتل عاجه خلا
وحرمت وصلي الغواني * وقلن قتل العميد حلا

(اللعد) حفرة في جانب القبر ولحد الميت وألحده شق له في جانب القبر وأصل اللفظة الميل و(مقيلك) مقامك وأصله النوم في القائلة (قيلك) حديثك المقول وحجتك الواضحة والقول مصدر كالطحن والذبح والقيل اسم للمقول كالطحن بالكسر اسم للدقيق المطحون والذبح اسم للمذبوح * يعقوب القال والقيل اسمان لا مصدران * ابن سيده القيل في الاصل مصدر وحكى الفارسي قاله قولا وقيلا مثل ذكرت ذكرا والقال يجوز أن يكون مصدرا فان سيبويه حكى ذامه ذاما وعابه عابا الا أنه لم ينص على القال (مصيرك) رجوعك (نصير) معدول عن ناصر للمبالغة (تناعست) أي أظهرت أنك ناعس (جذبك) قادك بعنف ويقال جذب وجبذ وهي أقل من الاولى وصحفت العامة هذه الثانية وقالوا جبذ بدال غير منقوطة (تقاعست) تأخرت وتصعبت وتشبهت بالاقعس وهو الذي دخل ظهره وخرج صدره أي قادك الوعظ الى الخير فلم تنقد له والعرب تقول عزة قعساء كأنها تتقعس عن الذلة (تجلت) ظهرت و(العبر) ما يتخوف ويتعظ به عند رؤيته (حصحص) تبين من الحص وهو ذهاب الشعر فيتبين ما تحته والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة واذا اجتمع الامثال في مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الاوسط حرفا من جنس الحرف السابق ومثله حفحفت ورقرقت أصلهما حثثت ورققت هذا قول الكوفيين وقال البصريون هما لغتان تقارب تاؤهما الا أن يبدل الحرف الامن مثله أو من مقاربه في المخرج وهذه الحروف متباعدة لا يصح ابدالها (ماريت) شككت (تؤاسي) تعطي (تؤثر) تفضل (توعيه) تجعله في وعاء (بر) احسان (توليه) تعطيه وتلصقه بمن تبره (هاد) مرشد لطريق الخير ترغب عنه أي تتركه (تستهديه) أي تسترشده وتسأله أن يهديك الى الخير و(تستهديه) الثانية تطلب أن يهدي لك هدية يقول تترك من يهديك الى طريق الخير فلا تسأله الهداية وتقصد اعراض الدنيا من الاطعمة وغيرها وترغب أن تعطى منها هدية قال الزاهد بن عمران

توقى وحاذر من قبول هدية * وان جاءنا فيها الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرنا منها وعنها ترغب
فكانت هديات الاوائل قبلنا * تؤلف فيما بينهم وتحبب
فعادت بلايا يسرع المن نحوها * تفرق فيما بيننا وتجنب

(وله في مثله)

احذر هدايا الناس تأمن من الـ * ـمن بها أو قول واش يشي

وبالمشيب أنذارك فأعذارك
وفي اللحد مقيلك فما قيلك
والى الله مصيرك فمن نصيرك
طالما أيقظك الدهر فتناعست
وجذبك الوعظ فتقاعست
وتجلت لك العبر فتعاميت
وحصحص لك الحق فتماريت
وأذكرك الموت فتناسيت
وأمكنك أن تؤاسي فما آسيت
تؤثر فلانا توعيه على ذكرتعه
وتختار قصر انعليه على بر توليه
وترغب عن هاد تستهديه
الى زاد تستهديه
وتغلب حب نوب تشتريه

فقل من يهديك الا امرؤ * من رغبة أو رهبة قد حشى
التبس الامر فلا تقدمن * واخش مقام الله فيمن خشى
كانت هدايا ثم عادت رشا * وفي الرشا الهلك لمن يرتشى
حذرنا منها نبي الهدى * اذ عن الراشي والمرتشى

(الثواب) المكافأة على الفعل وأراد به ما يجازى الله به عبده على احسانه من الاجر وهو من ثاب يثوب اذا رجع وأثبت الرجل أعطيته الثواب وهو المكافأة على فعله (قوله يواقيت) أي جواهر (الصلات) العطايا (أعلق) ألصق (مواقيت) أوقات وهي جمع ميقات * ومما يستحسن من تجنيس الصلات والصلاة حكاية أحمد بن المدبر وكان اذا مدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله فتحاماه الشعراء الا الافراد المجيدين فجاء الحسين بن عبد الرحمن البصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقال أعرفت الشرط قال نعم وأنشد

أردنا في أبي حسن مديحا * كما بالمدح تنجح الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا ما يقبل المدحات لكن * جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم ومالي غير مالي * عيالي انما تغني الزكاة
فأما اذ أبى الا صلاتي * وعاقني الهموم الشاغلات
فيأمر لي بكر الصادمنها * لعلي أن تنشطني الصلات
فتصلح لي على هذا حياتي * ويصلح لي على هذا الممات

فضحك واستطرفه وأمر له بمائة دينار وقال من أين أخذت هذا قال من قول أبي تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

(قوله مغالاة الصدقات) أي الزيادة في المهور وغالت زدت في ثمن السلعة ورددتها غالية والصدقات واحدتها صدقة وهي الصداق قال النبي صلى الله عليه وسلم من يمن المرأة تيسير صداقها وخطبتها قال عروة وأنا أقول من أول شؤمها أن يكثر صداقها (آثر) أفضل وأكثر اثرة (موالاة) متابعة (صحائف) جمع صحيفة وهي الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس (دعابة) مزاح وفي فلان دعابة وتداعب الرجلان تمازحا وفي الحديث كانت فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وفي حديث جابر رضي الله عنه هلا بكرا تداعبها وتداعبك (الاقران) الاصحاب والامثال (تلاوة) قراءة وتلوته قرأته واختلفوا في اشتقاق القرآن فقال أبو عبيدة سمي قرآنا لانه يجمع السور ويضمها قال الله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أي اذا جمعناك شيأ فضمه واعمل به وقال قطرب سمي قرآنا لان القارئ يظهره ويبينه ويلفظ من فيه من قول العرب ما قرأت الناقة سلا قط أي ما رمت به وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتدأ كما يصدأ الحديد قالوا يا رسول الله ما جلاؤها قال قراءة القرآن (العرف) أي المعروف (تنتهك) تبالغ في تناوله بما لا يجوز (حماه) ما حمي منه ومنع وأصل الحمى موضع العشب يحميه الرجل لابله وانتهاكه استئصال عشبه بالرعي ونهكت الجلد انتهكته اذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف (النكر) المنكر (تتحاماه) تتباعد عنه

على ثواب تشتريه بمواقيت الصلات أعلق بقلبك من مواقيت الصلات ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحائف الالوان أشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتنهى عن النكر وتتحاماه

(تزحزح عن الظلم) تنحى عنه غيرك وتزيله (وتغشاه) تاتيه وتباشره (تخشى) تخاف وقال ذو الرمة فى هذا المعنى وهو أحسن شعر قاله

يارب قد أسرفت نفسى وقد علمت * علما يقينا لقد أحصيت آثارى
يامخرج الروح من نفسى اذا احتضرت * وفارج الكرب زحزحنى عن النار

دعا بنفسه أن يكون من الفائزين لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (قوله تبا) أى خسرانا وهلاكا وتبت يده خسرت قال تعالى وما زادوهم غير تتبيب أى غير خسار وهلاك قال الشاعر

عرادة من بقية قوم لوط * ألا تبا لما عملوا تبابا

(ثنى) عطف ورد (انصبابه) جريه (يستفيق) يستريح وأفاق من المرض استراح (غراما) شدة حب لازم له غير مفارق ومنه سمى الغريم لملازمته التقاضى والحاحه فيه وقال تعالى ان عذابها كان غراما أى ملحا دائما ومنه انا لمغرمون وفلان مغرم بالنساء يحبهن ويلازمهن وقال حاتم

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان خفتها بغرام

أى بهلاك وملازمة (فرط صبابة) شدة شوق ومجاوزة حد فى ذلك (يروم) يطلب (صبابة) بقية الماء وهذا الشعر مستحسن الا توافى ومثله فى ذلك قول الزاهد بن عمران وكثيرا ما كان يستمد فى شعره من أدب المتمامات

تبا لذى جهل دعا لمبرة * وأجبته بترابه فأذاعها
منا وقد كافأته بهباته * وذخرتها عندى له فأضاعها
فاقل اللئام من الرجال ولا تجب * مهما دعولك وجنبن أوضاعها

وقال آخر

يامن يضيع عمره * متماديا فى اللهو أمسك
واعلم بأنك لامحا * لة ذاهب كذهاب أمسك

(ولمنصور الفقيه فى الشعر المردف)

اذا كنت تزعم أن الفراق * فراق الحياة قريب قريب
وان المقدم مالا يفوت * على ما يفوت مصيب مصيب
وأنت على ذاك لا ترعوى * فأمرك عندى عجيب عجيب

(وقال) القاضى أبو حفص عمر فى معنى شعر الحريرى فى ذم الدنيا

يا راكدا فى طلاب دنيا * ليس لمن تنزع التعاش
لم تخش نارا هوى لظاها * لمن له نحوها انحياش
أعذر منك الفراش حالا * علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين * عنها ولا يستقر جاش
من لك بالرى من شراب * يشتد من شربه العطاش
دعها فطالما بها رعاع * طاشت بألبابهم فطاشوا
لم يردوها فهم رواء * ووارد وها هم العطاش

وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد تبا لطالب دنيا ثنى اليها انصبابه ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه ولو درى لكفاه مما يروم صبابه

(ذكر ذم الدنيا)

فاظمأ لتروى وكن كقوم * سقوا بها غبة فعاشوا
كأن آمالنا ظباء * ونحن من حيرة خداش
ان لآمالنا انبساطا * به لاعمارنا انكماش
كأن آجالنا صقور * ونحن من تحتها خشاش

(ولابن الرومى رحمه الله)

لعمرك ما الدنيا باقامة * اذا زال عن عين اللبيب غطاؤها
فكيف بقاء الناس فيها وانما * ينال باسباب الفناء بقاؤها

(وقال آخر)

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قريب يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(ولابن سادة رحمه الله تعالى)

بنو الدنيا بجهل عظموها * فذلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

(قوله ثم انه لبد بحاجته) أى سكن عبرته المرتفعة حتى لصقت بالارض (غيض) جفف (الحاجة) ما يلقى من فيه وقد مج الرجل ريقه اذا سال من حق أو كبر وأراد بلبد بحاجته قطع كلامه الذى كان قد استرسل وأخذه من قول سليمان بن عبد الملك وقد تكلم وفد بين يديه فلم يصنعوا شيأ وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فابلغ فقال سليمان كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لبدت بحاجا وأراد بغيض مجاجته ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء (اعتضدها) جعلها تحت عضده (والشكوة) ركوة الماء تصنع من جلد الثور أو الخروف و (تأبطها) جعلها تحت ابطه (هراوته) عصاه (رنت) نظرت (تحفزه) تهيئه وعجلته لانصراف وتحفز واتحفز اذا كان جالسا على عقبيه متهيأ للقيام (تأهبه) استعداده (مزايلة) مفارقة (مركزه) موضعه الذى قام به (أفعم) ملأ وفعمت الشئ فعما ملأته (سجلا) دلوا (سيبه) عطائه معناه وهب لنا نصيبا من عطائه (رفقتك) أصحابك (مغضيا) مستحييا وأصل أغضى كف بصره ونم جفنيه (انثنى) رجع وانعطف عن طريقه (مهيعه) طريقه البين (يسرب) يفرق فكأنه تفعل من السرب وهو الطريق كأنه يردهم من تشييعه فى طرق مختلفة أو يكون من لفظ السرب وهو الجحر فكأنه يغيبهم عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم أو يكون من لفظ السارب وهو الذاهب فى الارض وقد سرب سروبا فكأنه يذهبهم فى كل ناحية ليجهل مكانه (مربعه) منزله فى الربيع خاصة والمربع المنزل فى كل وقت من ربعت المكان أقمت به (مواريا) ساترا (عانى) شخصى أى تبعته مستخفيا بحيث لا يرانى (قفوته) اتبعته من جهة قفاه (انساب) دخل وأصل الانسياب جرى الحية على وجه الارض أو جرى الماء كذلك ولا يكون الانسياب الا على وجه الارض لا يقال انساب فى الجحر حدثنى به بعض من لقيت من أصحابنا وكان أضبط الناس للسان العرب قال وقول الحريرى انساب فيها وهم منه ولو قال انسام فيها لكان أمثل يشبهه بالسيف اذا وضع فى غمده (غرارة) غفلة (ريث) قدر (هجمت عليه) دخلت عليه فجأة ومنه هجم عليه الحر وهجمت عينه دخلت فى رأسه (محاذيا)

ثم انه لبد بحاجته وغيض بحاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده فى جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا فى نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليه مهيعه ويسرب من يتبعه لكى يجهل مربعه (قال الحرث بن همام) فاتبعته مواريا عنه عيانى وقفوت أثره من حيث لا يرانى حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته محاذيا

ملاصقا أو جالسا بحذائه (تلمذ) متعلم الصنعة (حنبذ) مشوى وحنبذ اللحم حنذا شواه بحجارة محماة (نبيذ) أراد به خمرا (خبرك) أراد به أمرك الذى أنت عليه (مخبرك) أى باطنك وما يختبر منك *ومما ينتظم فى هذا النمط حكاية أبى نواس حين رؤى فى مجلس منصور بن عمار يبكى فظن الناس أنه قد نسك فجعلوا يهنئونه ويقولون نرجو لك من الله الخير فقال أنا أهون على الله من ذلك وليس كما تظنون ولكن أبكى لبكاء ذلك الغزال وغلام بالمجلس يبكى من وعظ منصور ثم قال

لم أبك فى مجلس منصور * شوقا الى الجنة والحور
لكن بكائى لبكا شادن * تقيه نفسى كل محذور
تنتسب الالسن فى وصفه * الى مدى عجز وتقصير

وحضر أيضا مجلس بعض القصاص فقالوا له لعل الله قد أقبل بك فقال انما حضرت لاجل هذا الغزال ثم قال

خلياني والمعاصى * ودعا ذكر القصاص
واسقياني الخمر صرفا * فى أباريق الرصاص
وعلى وجه غزال * طائع ليس بعاصى
بين فتيان كرام * قد تواصوا بالمعاصى
وعلى الله وان أفـ * ـرطت فى الذنب خلاصى

(قوله فزفر زفرة القيظ) الزفرة تنفس المهموم أو المغتاظ والقيظ شدة الحر شبه ما أبداه من شدة الغيظ بوهج الحر (يتميز) يتقطع ويتفرق (يحملق) يحد النظر والحملقة نظر الغضبان والحملاق باطن الجفن (يسطو) يصول ويتناولنى بالمكروه يقال سطا عليه وبه يسطو سطوا وسطوة اذا قهره وأذله (خبت ناره) سكنت حدة غيظه (توارى) تغطى واستتر (أواره) لهبه ونار غيظه والاوار وهج النار (الخميصة) كساء فيه خطوط وقال يعقوب وأبو عبيد الخميصة كساء مربع أسود له علمان (الخبيصة) نوع من الحلواء وتسميه عامتنا الخبيز بالزاى وكنى به عن لذة العيش (الشص) حديدة معوجة يصاد بها الحوت وتسمى الصنارة (شيصة) ثمرة رديئة ومن ملح قصاص البلدان ان أبا عبد الله الخواص كان يقول فى قصصه انما الناس مثل التمر فيهم الشيص والبرنى يارب اجعلنا برنيا ولا تجعلنا شيصا وقال قاص آخر ان فى الجنة لحم جدى ولحم خروف ولحم كل شئ بلا عظم مثل الشيص فى بلادنا بلا نوى يريد أنه لا يحتقر شيا فكل ما اتخذله أخذه (أحبولة) آلة يصاد بها (أريغ) أطلب ما يصعب أخذه كانه يروغ من كذا وأصل راغ من كذا أى عدل عنه ورجع وهو يخفى رجوعه قال الفراء لا يقال للذى يرجع راغ يروغ الا أن يكون مخفيا لرجوعه قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أى رجع اليهم يضربهم مخفيا لرجوعه ومعنى باليمين أى بيمينه الذى حلف فى قوله تعالى وتالله لاكيدن أصنامكم أو يريد باليمين القوة وقال تعالى فراغ الى أهله فجاء بعجل أى رجع اليهم فى اخفاء منه لرجوعه (القنيص والقنيصة) الذكر والانثى مما يصاد من الوحش وهذا مثل وانما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل (ألجأنى) أحوجنى (ولجت) دخلت (لطف) رقة وتلطف (عيصه) بيته وأصله الشجر الملتف و (الليث) الاسد (أهب) أخف (صرفه) تقلبه (نبضت) تحركت (فريصة) بضعة فى آخر المكتف تتحرك عند الفزع (شرعت) دخلت و (على) بمعنى فى نحو قولك كان ذلك

لتلمذ على خبز سمذ وجدى حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذلك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الى حتى خفت أن يسطو على فلما ان خبت ناره وتوارى أواره أنشد شعرا

لبست الخميصة أبغى الخبيصه
وأنشبت شصى فى كل شيصه
وصرت وعظى أحبولة
أريغ القنيص بها والقنيصه
وألجأنى الدهر حتى ولجت
بلطف احتيالى على الليث
عيصه
على أننى لم أهب صرفه
ولا نبضت لى منه فريصه
ولا شرعت بى على مورد

على عهد فلان أى فى عهده (مورد) موضع الماء (يدنس) يوسخ ويعيب (عرضى) ذكرى (نفس حريصة) كثيرة الرغبة والطمع (النقيصة) الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها ومن أحسن ماقيل فى الدهر قول تميم بن المعز

يادهر ما أقساك من متلون * فى حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول ممهدا * وعلى اللبيب الحر سيفا مرهفا
واذا صفوت كدرت شيمة باخل * واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وان كرمت لانى * أدرى بأنك لاتدوم على الصفا
زمن اذا أعطى استرد عطاءه * واذا استقام بداله فتحرفا
ما قام خيرك يا زمان بشره * أولى بنا ماقل منك وما كفى

(ولادريس بن اليمانى)

ماذا أقول لدنيا لو ظفرت بها * أدبتها غضبا للعلم والادب
شجا من اتخذية الايام بترحنى * بل بالعوالى وبالهندية القضب

(قوله ادب) أى اقرب (قل) أى قل ماشئت (التلميذ) الخادم والجمع التلاميذ قال ابيد

* تجلو التلاميذ لؤلؤا قشبا * أى تجلو التلاميذ لؤلؤا جديدا وطلبة العلم تلاميذ شيخهم (الاذى) الضرر (سراج) مصباح يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بجيلته وللادباء تاج يتزينون به ويضعونه فوق رؤسهم (انصرفت) رجعت (قضيت العجب) أى أتممته كأنه قال قضيت حاجتى مما رأيت ويقال قضى نحبه من كذا أى بلغ مراده وقضى عليه القاضى أى قطع عليه والقاضى القاطع للامور المحكم لها وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين أى قطعهن وأحكم خلقهن ويكون قضى بمعنى عمل

(شرح المقامة الثانية وهى الحلوانية)

(كلفت) أى اشتد حبى والكلف شدة الحب والمبالغة فيه وفلان كلف بفلان أى مبالغ فى محبته و (ميطت) وأميطت أزيلت (التمائم) الاحراز (نيطت) علقت واذا بلغ الصبى الحلم عند العرب أزالوا الاحراز عن عنقه وألبس العمامة والازار وقلد السيف فاراد أحببت مذ بلغت الحلم مجالس الادباء (اغشى) أقصد وأدخل (المعان) المنزل أبو عبيد يقال البصرة معان منا أى منزل منا قال المعرى * معان من أحبتنا معان * فالاول اسم موضع معلوم جنس به وجعله منزل أحبابه وقال بعضهم سمى معانا لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضا أولان فيه أعيانا (أنضى) أهزل (الركاب) الابل وجعل للطلب ابلا مجازا وانما يريد أتعبت نفسى فرحلت الى طلبه على الابل (لاعلق) منه لاحصل منه على فائدة أتعلق بها (الانام) الخلق (مزنة) سحابة (الأوام) شدة العطش يريد أنه يتعب نفسه فى طلب الادب ليتزين به بين الناس ويعيش به اذا احتاج اليه (فرط اللهيج) شدة الحب يقال قد لهيج بالشئ اذا أكثر الحديث به لحبه فيه وحرصه عليه ولهيج الفصيل بالرضاع اذا لج فيه (اقتباسه) اكتسابه (القمص) لبس القميص (لباسه) ثيابه أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصا (أباحث) أسائل (جل) عظم (قل) حقر (أستسقى الوبل والطل) أى أطلب

ندنس عرضى نفس حريصه
ولو أنصف الدهر فى حكمه
لما ملك الحكم أهل النقيصه
ثم قال لى ادن فكل وان
شئت فقم وقل فالتفت الى
تلميذه وقلت عزمت عليك بمن
تستدفع به الاذى لتخبرنى
من ذا فقال هذا أبو زيد
السروجى سراج الغرباء
وتاج الادباء فانصرفت من
حيث أتيت وقضيت العجب
مما رأيت

(المقامة الثانية الحلوانية)

حكى الحرث بن همام قال
كلفت مذ ميطت عنى التمائم
ونيطت بى العمائم بأن
أغشى معان الادب وأنضى
اليه ركاب الطلب لاعلق
منه بما يكون لى زينة بين
الانام ومزنة عند الأوام
وكنت لفرط اللهيج باقتباسه
والطمع فى تقمص لباسه
أباحث كل من جل وقل
وأستسقى الوبل والطل

منه السقى والوبل أشد المطر الطل أضعفه ويقال الرك أضعف من الطل ومنه قيل للدنىء ركيك (أتعلل) أشغل نفسى وأطمعها والعلالة الشئ اليسير و (عسى ولعل) معناهما الرجاء والطمع يريد أنه يسائل الجليل فى العلم والحقير ومن كثر علمه كان كالوبل أو قل كان كالطل واذا فقد من يؤخذ عنه العلم رجى نفسه بوجوده وأطمعها والتعلل قطع الزمان بالعيش اليسير وقد تعلل بشرابه اذا أخذ منه قليلا قليلا فمعنى أتعلل بعسى ولعل أذهب علة وجدى بالرجاء والطمع (حللت) نزلت (حلوان) بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل وهى من كور الجبل وسميت باسم بانيها وهو (١) حلوان بن على بن الحاف بن قضاعة وهى مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ وهى مقابلة لطبرستان وهى جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل وبها قصب السكر وافتتحت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (بلوت) جربت (الاخوان) الاصحاب (سبرت) فتشت (الاوزان) أقدار الناس (خبرت) جربت وعرفت (شان) عاب و (زان) زين يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس (ألفيت) وجدت (يتقلب) يتنوع (قوالب) جمع قالب وقالب كل شئ قياسه ومايصنع عليه (يخبط) يمشى والخبط المشى فى الارض على غير قصد كمشى الاعمى (أساليب) طرق واحدها أسلوب (آل ساسان) ملوك الفرس (يعتزى) ينتسب (أقيال) ملوك (غسان) قبيلة باليمن كان منها ملوك وغسان ماء كان شربا لولد مازن بن الازد بن الغوث فسموا به (يبرز) يظهر (طورا) حينا (شعار) ثياب والشعار ثوب يلى الجسد (كبر) تكبر يريد أنه لقى أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك فى أحوال المكدين ويجرى بذلك فى طرق اكتساب المعيشة فيدعى أنه من آل ساسان وأصل هذا ان الفرس كان فيهم الملك وكانت العرب تحت حكم ملوكهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لملكهم بكتابه يدعوهم به الى الاسلام مزقوه فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق فأوقع بهم المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية فلم يبق لهم فى الملك رسم وصاروا فى خلافة عثمان رضى الله عنه تحت حكم المسلمين وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب ورماية فسكن من بقى منهم الامصار واستعربوا ورتفقهوا فكان منهم من نفع الله به المسلمين وكان منهم أهل أهواء وبدع ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان ويتولون نحن من بنى ساسان فينتسبون الى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال الملكة الى السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل برزقهم حتى شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس اذا رأوا سائلا متمسكنا قالوا ساسانى وقيل ان ساسان اسم رجل معين شهر أول من أسس الكدية فنسبوا اليه كما أن الطفيلى منسوب الى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل فأراد أن أبا زيد كان يتنوع فى أحواله فيتمسكن تارة ويدعى انه من ساسان ويتعاظم أخرى فينتسب الى غسان ويبرز مرة فى أحلاس الشعراء المكدين ويظهر ثانية فى ثياب فاخرة لباس الكبراء المثرين (قوله بيد أنه) أى غير (محاله) باطله والمحال مالا يمكن أن يتصور وهو فعل من حال الشئ اذا تغير كأنه زال عن وجهه (يتحلى) يتزين (رواء) نظافة وحسن منظر (مداراة) حسن سياسة فى صحبة وأصلها المخادعة (درايه) زدرية مصدر دريت (بلاغة) فصاحة (رائعة) معجبة من شاهدها ارتاع وتعجب (والبديهة) والبداهة الاخذ فى الكلام من غير فكرة وهى الارتجال (مطاوعة) منقادة

وأتعلل بعسى ولعل حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ماشان وزان ألفيت يتقلب بها أبا زيد السروجى فى قوالب الانتساب ويخبط فى أساليب الاكتساب فيدعى تارة أنه من آل ساسان ويعتزى مرة الى أقيال غسان ويبرز طورا فى شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء بيد أنه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة

(١) قوله حلوان بن على كذا فى نسخ الشرح والذى فى القاموس ابن عمران اه

(بارعة) فائقة تفضل غيرها (أعلام) جبال (فارعة) طائلة قد علتها واللام فى قوله لاعلام زائدة وزيادتها اذا تقدمت أحسن منها اذا تأخرت مثل ضربت لزيد اولزيد ضربت (آلاته) عدده وأراد به هذه الانواع التى قدمها التى تحلى بها (يلبس) يصاحب ويخالط (علاته) عيوبه التى ذكر من أنواع الغريزة (سعة روايته) كثرة علمه وما يرويه (يصبى) يمال (خلابة) خداع وقد خلبه خلبا وخلابة خدعه (عارضته) قوة كلامه (معارضته) مقابلته ومناقضة كلامه وتقول رغبت عن الشئ تركته وتزهدت فيه ورغبت فيه اذا أحببته فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لايتعرض أحد لجداله فهو يخادع به الناس حتى لايعترض فيما يقول وقيل معنى فلان شديد المعارضة اذا أفحش وأسمع المكروه ورجل شديد العارضة أى لاتقرب ناحيته (ايراده) أخذه فى الكلام (يسعف) يساعد (أهدابه) أطراف ثوبه و (خصائص) الشئ ما يختص به أى ينفرد (نافست) زايدت وغالبت (مصافاته) مصاحبته (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع من كل شئ يسمى نفيسا من النفس وهى العين حتى كأنه لرفعته تتعلق به العين وقد قال المعرى

فالعين يسلم منها ما رأت فتبت * عنه وتلحق ما تهوى من الصور

(قوله أجلو) أى اكشف (أجتلى) أنظر (طلق الوجه) مستبشرا والطلق ضد العابس (ملتمع) منير بادى اللمعان (قربى) نسبا و (مغناه) منزله من قولهم غنى بالمكان يغنى غنيانا اذا أقام به (غنية) غنى يقال غنى يغنى غنى فهو غنى اذا استغنى والاسم الغنية (ريا) شبعا من الماء ورويت من الماء ضد عطشت (محياه) حياته (حيا) مطر عام يقول انه كان بمصاحبته أبا زيد يزول همه ويلقاه بشر منه فيرى قربه منه بالود كقرابة النسب وكان منزله ما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه واذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برؤيته وقصد تجنيس الالفاظ يبعد المعنى (لبثنا) أقمنا (برهة) مدة (ينشئ) يصنع ويبتدئ و (النزهة) أصلها التباعد عن الريب ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتفرج ثم استعملت فى المعانى فقيل نزه فلان فى آدابه وكنى بهذا عما يستفيده من علمه (يدرأ) يدفع (شبهة) اشكال والتباس (جدحت) حركت ومزجت والمجدح آلة تمزج بها المشروب الصعب الامتزاج (الاملاق) الفقر من الملقة وهى الصخرة الملساء فأملق كأنه صادف ملقة لانبت شيأ ولم يصادف خصبا بعد أن كان فى ترفه وغنى (أغراه) حرضه و (العراق) اختلفوا فيه فقال صاحب العين العراق العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق * ابن قتيبة يقال للعظم الذى عليه اللحم عراق وللغالى من اللحم عرق * أبو عبيد العراق القطعة من اللحم * أبو زيد قول العامة ثريدة العراق خطأ اذا كان العراق العظام وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه فى عام جدب

عجبت من نفسى ومن اشفاقها * ومن طرادى الطير عن أرزاقها
فى سنة قد كشفت عن ساقها * حمراء تبرى اللحم عن عراقها

* ابن الانبارى قول أبى عبيد هو الصواب لان العرب تقول أكلت العراق ولاتقول أكلت العظم وفى حديث أم اسحق العنزية فجعلت لا آكل العراق ولا أضعه فقولها لا آكل يدل على ان العراق لحم مفرد أو لحم على عظم * الاصمعى قيل لاعرابى أى الطعام أطيب قال ثريدة دكاء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من البضع لها جناحان من العراق قيل كيف أكلك لها

واداب بارعة وقدم لاعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يصبى الى رؤيته وخلابة تعارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه ونافست فى مصافاته لنفائس صفاته فكنت به أجلو همومى وأجتلى زمانى طلق الوجه ملتمع الضيا أرى قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لى حيا ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لى كل يوم نزهة ويدرأ عن قلبى شبهة الى أن جدحت له يد الاملاق كاس الفراق وأغراه عدم العراق

قال أصدع بهاتين يعنى السبابة والوسطى وأسند بهذين يعنى الابهام والخنصر وأجمع ماشذ منها بهذه يعنى البنصر وأضرب فيها ضرب ولى السوء فى مال اليتيم فهذا يدل على ان العراق قطع اللحم اذ كانت العرب لا تصف الثريد والاطعمة بكثرة العظام والعراق فى البيت الاكل تقول عرقت العظم عرقا أكلت ما عليه من اللحم والعظم معروق وهو بمنزلة سكت سكاتا (العراق) قال صاحب العين هو شاطئ البحر وبه سميت العراق لانها على شاطئ دجلة * ابن الاعرابى سمى عراقا لانه سفل عن نجد ودنا من البحر أخذ من عراق القربة وهو الخرز فى أسفلها * قطرب سمى عراقا لانه دنا من البحر وبه يناخ وينجد ويقال استعرقت ابلهم اذا أتت ذلك الموضع (لفظته) أى رمته و (معاوز) جمع معوز والمعوز هو العوز نفسه والمعوز بالكسر الثوب الخلق وجمعه معاوز و (الارفاق) مصدر أرفقته اذا أوصلت اليه نفعا يرتفق به ورفقته بمعناه فأراد بمعاوز الارفاق فقد ما يرتفق به و (المفاوز) جمع مفازة وهى الصحراء سميت مفازة على التفاؤل لان الرجل اذا قطعها فاز ونجا (الآفاق) نواحى الارض (نظمه) نحمه وجمعه (سلك) خيط (الرفاق) جمع رفقة وعنى بسلك الرفاق الطريق الذى ينتظمون فيه اذا أخذوا فى السير لانهم يمشون فيه واحدا بعد واحد فنظمهم الطريق وصار لهم كالسلك (خفوق) اضطراب وقد خفق خفقا وخفوقا و (الاخفاق) الخيبة ويقال غدا فأخفق اذا خاب ومثله فى الصائد صاد فاورق (شحذ) حد وسن وشحذ الرجل سيفه اذا ألح عليه بالتحديد ومنه قولهم للملح فى المسئلة شحاذ والعامة تصحفه فتقول شحات بالتاء (غرار) حد وأراد أنه لما عزم على الارتحال حد عزمته أى عول على السفر بجد و (العزمة) مصدر عزم اذا جد وجعل لها حدا مبالغة فى تجميل السفر (ظعن) ذهب وارتحل (أزمة) جمع زمام وهو حبل من جلود يشد به فى حلقة مجعولة فى وتد أنف البعير فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه وحنينهم اليه كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه فمن روى القلوب عادت الهاء من أزمته على السروجى ومن روى القلب عادت على القلب أو على السروجى والقلب لابن عمام (قوله راقنى) أى أعجبنى وقد راق الشئ يروق روقا فهو رائق اذا أعجب (لاقنى) لصق بى وصحبنى (شاقنى) شوقنى (ساقنى لوصاله) دعانى لصحبته (لاح) ظهر (ند) فر وشرد (ند) مثل والجمع أنداد (خلال) جمع خلة بالضم وهى الصداقة (خلاله) جمع خلة بالضم أيضا وهى الخصلة وهذا الخط فى وصف الصديق وغيبته بارع ولابن عمران فى ذلك

يا مرحبا بصديق لست أبصره * الا تجدد لى أنس بمرآه
وان تغيب عن عينى فلم أره * فلى فؤاد بظهر الغيب يرعاه

(استسر) غاب واختفى وأصله فى سرار الهلال فى آخر الشهر وهو يستسر ليلة لا يظهر أو ليلتين و (العرين) بيت الاسد ومأواه (مبينا) معلما بينى لى أين استقر (أبت) رجعت (منبت شعبتى) أى بلدة قرابتى التى نبتوا فيها يريد البصرة والشعبة القرابة (دار كتبها) مدرسة العلم (منتدى) مجتمع (القاطنين) الساكنين وقطن بالمكان أقام فيه (كثة) كثيرة الاصول من غير طول ويقال للحية اذا قصر شعرها وكثر انها لكثة وقد كثت تكث كثاثة وكثوثة ورجل كث اللحية ولحية كثوثة اذا كثفت وقصرت وجعدت ورجل كثم اللحية واذا عظمت وكثر شعرها قيل انه لذو عثنون وانه لهلوف فاذا كانت اللحية قليلة فى الذقن ولم تكن فى العارضين

تطلق العراق ولفظته معاوز الارفاق الى مفاوز الآفاق ونظمه فى سلك الرفاق خفوق راية الاخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بأزمته فيا راقنى من لاقنى بعد بعده ولا شاقنى من ساقنى لوصاله ولا لاح لى مذ ند ند لفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله واستسر عنى حين لا أعرف له عريسا ولا أجد عنه مبينا فلما أبت من غربتى الى منبت شعبتى حضرت دار كتبها التى هى منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمغتربين فدخل ذو لحية كثة

(ما قيل فى طول اللحى)

فذلك السنوط والسناط ورجل سناط بين السنط فاذا لم يكن فى وجهه كثير شعر فذلك الشطط ورجل شط ورجال أشاط والسبلة مقدم اللحية ورجل متسبل وفلان خفيف العذارين وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ وهما العارضان وهما ما نبت فى الخدين من الشعر على عوارض الاسنان قال رؤبة فى لحية حرب بن قطن

هلوفة كأنها جوالق * نكداء لا بارك فيها الخالق
لها فضول ولها نمائق * اذا الرياح العصف السوابق
طيرنها طارت لها عقائق * ان الذى يحملها لمائق

(وأنشد أبو على)

وأنت امرؤ قد كنأت لك لحية * كأنك منها قاعد فى جوالق

وقال النبى صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء خفة لحيته وكانت عائشة رضى الله عنها تقسم فتقول لا والذى زين الرجال باللحى وتقول انه قسم الملائكة وقال الاحدب الصوفى سمعت مطيار بن أحمد يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله أشتهى لحية كبيرة فقال لى لحيتك جيدة وأنت محتاج الى عقل تام وقال صلى الله عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وأتى رجل طويل اللحية معاوية فقال له أما اللحية فلا نسأل عنها فما نقش خاتمك فقال وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قال فما كنيتك فقال أبو الكوكب الدرى قال كذل الرجل وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما زاد منها على قبضته * الحسن بن المثنى اذا رأيت رجلا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شئ وكان المأمون جالسا مع ندمائه ببغداد مشرفا على دجلة وهم يتذاكرون أخبار الناس فقال المأمون ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله بمقدار ما طال من لحيته وما رأيت عاقلا قط طويل اللحية فقال له بعض جلسائه ولا يرد على أمير المؤمنين قد يكون فى طول اللحى أيضا عقل فبينما هم يتذاكرون فى هذا اذ أقبل رجل كبير اللحية حسن الهيئة فاخر الثياب فقال المأمون ما تقولون فى هذا الرجل فقال بعضهم رجل عاقل وقال آخر يجب أن يكون هذا قاضيا فقال المأمون لبعض الخدم على بالرجل فلم يلبث ان أصعد اليه ووقف بين يديه فسلم فأجاد السلام فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن النطق فقال المأمون ما اسمك فقال علويه قال فما الكنية قال أبو حمدويه فضحك المأمون وغمز جلساءه ثم قال ما صنعتك قال فقيه أجيد الشرع فى المسائل فقال له نسألك مسئلة فقال الرجل سل عما بدا لك فقال له المأمون ما تقول فى رجل اشترى شاة من رجل فلما تسلمها المشترى وقضى الثمن ضرطت فخرج من استها بعرة فنقأت عين رجل على من توجب دية العين قال فنكت باصبعه فى الارض طويلا ثم قال تجب على البائع دون المشترى فقال المأمون وما العلة التى أوجبت الدية عليه دون المشترى قال انه لما باعها لم يشترط ان فى استها منجنيقا قال فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه وضحك كل من حضره من الندماء وأنشد المأمون يقول

ما أحد طالت له لحية * فزادت اللحية فى حليته

الا وما ينقص من عقله * أكثر مما زاد فى لحيته

وقال آخر

اذا عظمت للفتى لحية * فطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما زاد فى لحيته

(وأنشد أبو على)

لا تفخرن بلحية * كثرت منابتها طويله
يهوى بها هوج الريا * ح كأنها ذنب الحسيله
قد يدرك الشرف الفتى * يوما ولحيته قليله

قال الحسيلة المجلة وأنشد أبو العباس

كل امرئ ذى لحية عثولية * يقوم عليها ظن ان له فضلا
وما الفضل فى طول السبال وعرضه * اذا الله لم يجعل لصاحبه عقلا

عثولية كبيرة * نظر يزيد بن مزيد الشيبانى رحمه الله الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلفعت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لعمرك لو يعطى الامير على اللحى * لاصبحت قد أيسرت منذ زمان
اذا الشفتنى لحيتى من عصابة * لهم عنده ألف ولى مائتان
لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوت فى حافاتها الجلمان

فامر له بعشرة آلاف درهم والجلمان المقص ويسمى الجالم وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ما سرنى أننى فى طول داود * وأننى علم فى البأس والجود
ما شبت داود فاستضحكت من عجب * كأننى والديشى بمولود
ما طول داود الا طول لحيته * يظل داود فيها غير موجود
تكنه خصلة منها اذا نفحت * ريح الشمال وجف الماء فى العود
أجدى وأغنى من الخز الصفيق ومن * بيض القطائف يوم القر والقود

(وأشد افراطا منه قول ابن الرومى)

ولحية يحملها مائق * مثل الشراعين اذا اشرعا
تقوده الريح بها طائعا * قودا عنيفا يتعب الاخدعا
وان عدا والريح فى وجهه * لم ينبعث فى مشيه اصبعا
لو غاص فى اليم بها غوصة * صاد بها حيتانه أجمعا

(وأشد افراطا منه قول الآخر)

يا لحية الشيخ الازب تميم * أهديت للاقوام عرف النوم
لو أنها دون السماء غمامة * ضاقت مسالك دعوة المظلوم
أو صبها فى الماء ثم سمابها * قامت مقام العارض المركوم

(ولابن سارة) ولحية لست أدرى كيف أنعتها * فضول أشعارها أودت باشعارى

كأنها ويمين الريح تنشرها * مذبة رفعت في عود بيطار

(وقال آخر) أبصرت شيخا ذا هباجائيا * ذا لحية قد كبرت في اتساع
عرضا وطولا وهو من خلفها * كأنه ناشر ثوب يباع

(وقال آخر) لقد كانت مجالسنا فساحا * فضيقها بلحيته رباح
مقلبة الاسافل والاعالي * لها في كل زاوية جناح

(وقال آخر) يا أيها الناس خذوا حذركم * قد برزت لحية بهلول
فطولها الفرسخ في فرسخ * وعرضها ميل الى ميل
لو ضم ما يقطر من دهنها * أسرج منه ألف قنديل
ولوسها الحجام عن قصها * لحالطت ما في السراويل

وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في أخريات الناس ثم أخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي عبادة المشهور له بالاجادة

(ترجمة البحتري)

ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي انها كثة وكل صفة يصف بها السروجي في المقامات فتلك كانت صفة الحريري وذكر ابن جمهور أن الحريري كان قليل اللحية لا خلقة وانما كان مولعا بنتفها كانت بده رحمه الله لا تفارق لحيته وهذا على كثرته قليل فيما قيل في اللحية (قوله رثة) أي خلقة بالية (أخريات) اطراف وهي جمع أخرى أتى طلحة رضي الله عنه مجلس قوم فجعلوا ينادونه من كل جانب ههنا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجلس في أدنى المجلس ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجلس (وطابه) زقاق لبنه أراد أنه يظهر ما عنده (يعجب) يجعلهم يتعجبون (بفصل خطابه) يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته وقوله تعالى وفصل الخطاب هو قول الخطيب أما بعد (يليه) يلصق به (أبي عبادة) قال البكري هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد من بني بحتر بن عتود بن عنيس بن سلاسان بن نفيل ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهي طيئ شاعر مقدم لا يعدل به أحد يفضل على حبيب والناس في تفضيلهما على اختلاف قال أبو الفرج الاصبهاني كان البحتري شاعرا فصيحا حسن المذهب نقي الكلام ختم به الشعراء المحدثون وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة قال البحتري وكان أول أمري أني سرت الى أبي عامر بحمص فعرضت عليه شعري والشعراء يعرضون عليه أشعارهم فترك من حضر وأقبل علي فقال لي حين تفرقوا أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك فشكوت خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق في الشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم فسرت اليهم فاكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته وحدث أبو الفرج قال حدثني أبو الغوث البحتري عن أبيه قال أول أمري اني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف المعري فأنشدته قصيدة أولها

* أفاق صب من هوى فأفيق * فسر أبو يوسف بها وقال أحسنت والله يافتى وأجدت وفي مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه فوق كل من حضر تكاد تمس ركبته ركبته وينشد بحضرتي فأقبل علي وقال أما تستحي مني هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتي فقال له أبو سعيد أحقا ما تقول قال نعم وانما علته مني وسبق به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيرا فقال لي أبو سعيد يافتى قد كان لك في قرابتك مني ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الايمان أن الشعر لي ما سمعته منه ولا انتحلته

فلم ينفع ذلك شيأ وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت ان يساخ بى فى الارض فقمت منكسف البال أجر رجلى فما بلغت باب الدار حتى ردنى الغلام فأقبل على الرجل وقال الشعر لك يا بنى والله ما قلته قط ولا سمعته الا منك ولكنى كنت ظننت انك تتهاون بموضعى فاقدمت على الانشاد بحضرتى تريد مضاهاتى حتى عرفنى الامير نسبك ولوددت أن لا تلد طائية الا مثلك ودعانى وضمنى اليه وعانقنى وأبو سعيد يضحك فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه واحتذيت فنه وعن أبى الغوث عن أبيه قال لى أبو تمام بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلا فبم مدحتهم فأنشدنى شيأ منه فانشدته فقال لى كم أعطوك فقلت كذا فقال لى ظلموك والله ما وفوك حقك فلم استكثرت ما أعطوك والله لبيت منها خيرا مما أخذت ثم أطرق قليلا ثم قال لعمرى لقد استكثرت ذلك لمامات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت أسواق الادب أنت والله يا بنى أمير الشعراء غدا بعدى فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت والله لهذا القول أسر لى مما وصل الى منهم قال البحترى أنشدت أبا تمام يوما شيأ من شعرى فأنشدنى بيت أوس

اذا قرم مناد ناحد ثانه * تمخط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال يا بنى نعت الى نفسى فقلت أعذك بالله من هذا فقال لى ان عمرى ليس يطول وقد نشأ مثلك لطيئ أما علمت أن خالد بن صفوان المنقرى رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بنى نعى نفسى الى احسانك فى كلامك لنا أهل بيت ما نشأ فينا قط خطيب الا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ومات البحترى سنة ثلاث وثمانين ومائتين * المبرد ذكرت للمتوكل المنازعة التى جرت بينى وبين أبى الفتح فى تأويلات فبعث الى عامله بالبصرة أن يحملنى اليه مكرها فوردت سر من رأى فأدخلت على المتوكل وفى المجلس البحترى وأبو العنبس الضمرى فأنشده البحترى قصيدة أولها

عن أى ثغر تبتسم * وباى حكم تحتكم
حسن يضن بحسنه * والحسن أشبه بالكرم حتى بلغ
قل للخليفة جعفرا * المتوكل بن المعتصم
المرتضى بن المجتبى * والمنعم بن المنتقم
أما الرعية فهى من * أمنات عدلك فى حرم
يا بانى المجد الذى * قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم
تلنا الهدى بعد العمى * بل والغنى بعد العدم

ثم مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس وقال يا سيدى تأمر برده فقد والله عارضته فأخذ ينشد فى ذلك

فى أى سلح تنتظم * وبأى كف تلتقم
أدخلت رأس البحترى * أبى عبادة فى الرحم

ووصله بما يشبهه من الشعر فضحك المتوكل حتى استلقى وقال يدفع الى أبى العنبس عشرة آلاف درهم فقال أبو الفتح يا أمير المؤمنين والبحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع

الى البحترى عشرة آلاف درهم قال ياسيدى وهذا البصرى الذى أشخصناه من بلده لايشركهم فيما حصلوه قال و يدفع له عشرة آلاف قال وانصرفنا كلنا فى شفاعة الهذلى ولم ينفع البحترى جده وحذقه وأما أبو الفرج فقال حدثنى جحظة عن أبى العنبس الضمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشده *عن أى ثغر تبتسم * وكان البحترى من أبغض الناس انشادا يتشادق و يتزاور فى مشيه مرة جانبا ومرة القهقرى و يهز رأسه مرة وينكبه أخرى و يشير بكفيه و يقف عند كل بيت و يقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين و يقول لهم مالكم لاتقولون أحسنت هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على فقال أما تسمع ياضمرى مايقول فقلت بلى ياسيدى فرفيه بما أحببت فقال بحياتى اهجه على هذا الروى فقلت على البديهة

أدخلت رأسك فى الرحم * وعلمت أنك تنهزم
يابحترى حذار و يحك من فضافضة ضغم
فلقد أسلت بوادريـ * ـك من الهجاسيل العرم
فبأى عرض تعتصم * وبهتكه جف القلم
لاصبرينك شهرة * بين المسيل الى العلم
يا ابن الثقيلة والثقيـ * ـل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبيـ * ـر من الموالى والحشم

وبعد هذا مايقبح ذكره فغضب البحترى وخرج يعدو وجعلت أصيح به

أدخلت رأسك فى الرحم * وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك و يصفق حتى عاب عنه وامتدح البحترى بعض الولاة فتوانى فى حقه فأنشده

ان الامير أطال الله مدته * يعطى من العرف مالم يعطه أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبدا * من العباد ولا ينسى الذى يعد

فأعطاه خمسين ألف درهم وقال البيتان خير من القصيدة وقال الهذلى قيل للبحترى ايما أشعر أنت أو أبو تمام قال جيده خير من جيدى ورديئى خير من رديئه وصدق أبو تمام لايعلق به أحد فى جيده ورب مما اختل لفظه لامعناه والبحترى لايختل لفظه وقيل له قد عثرت باحتذائك أبا تمام فى شعرك فقال أبعاب على أن أتبع أبا تمام ماعملت بيتا قط حتى أخطر شعره ببالى وذكروا معنى تعاوره البحترى وأبو تمام فقال المبرد للبحترى أنت فى هذا أشعر من أبى تمام فقال لا والله ذلك الرئيس الاستاذ والله ماأكلت الخبز الا به وقال عبد الله بن الحسن سألت المبرد عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر فقال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان طريفة وجيده أجود من شعر البحترى ومن تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من شعره لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن وأبو تمام يقول البيت النادر والبادر وهذا المعنى كان أعجب الى الاصمعى وما أشبهه الابغايص يخرج الدرة والمخشلبة وهى زجاجة توضع مكان الدرة ثم قال لابى تمام والبحترى من المحاسن مالو قيس بأكثر شعر الاوائل ماوجدوا فيه مثله ثم قال والبحترى ضم الشعر وله بيتان لو وضعا الى شعر زهير لجاز افيه وهما

فاسفه السفيه وان تعدى * بأنجع فيك من حلم الحليم

متى أحفظت ذاكرم تخطى * اليك ببعض أفعال اللئيم

وذكر المبرد فى هذا المجلس شعر اله وقدمه على نظرائه

واذا ذكرت محاسن ابنى صاعد * أدت اليك محائل ابنى مخلد

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعل موضع فرقد عن فرقد

وقوله من شاكر عنى الخليفة للذى * أولاه من فضل ومن احسان

حتى لقد أفضلت من افضاله * ورأيت نهج الجود حيث رآنى

وبعدهما أغنت يداه يدى وشرد جوده * بخلى فأفقرنى بما أغنانى

وله أيضا فى الفتح بن خاقان وقد نزل الى الاسد فقتله

حمات عليه السيف لا عطفك اثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

فاجسم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد عنك مهربا

وله فيه وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطى وتحرم

سحاب خطانى جوده وهو مسبل * وبحر عدانى فيضه وهو مفعم

وبدر أضاء الارض شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه أسود مظلم

فقال هل أأشكو نداه بعد ان وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وله أيضا فى انتقاض صلح بين عشيرته

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب

وللسهم السديد أشد حبا * الى الرامى من السهم المصيب

ومن جيد شعره

ولما التقينا واللوى موعدنا * تبين رانى الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

والبحترى مكثر جدا وديوان شعره نسخ مختلفا بالزيادة والنقص لان شعره لا ينضبط لكثرته قال البحترى كنت أذم الشعر فى حداثتى وكنت أرجع فيه الى الطبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان أول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت فى الاوقات أن يقصدها الانسان لتأليف الشعر وحفظه ومن ذلك وقت السحر لان النفس تكون قد أخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا أخذت فى مدح سيد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقاوله ونفض المعانى واحذر المحتمل منها واياك أن تشين شعرك بالالفاظ الهجينة وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرا الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة تجمع النفس وجملة الحال أن تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى فاعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة (قوله هل

عثرت) معناه اطلعت (لمحته) نظرته (بديع) معنى لم يسبق غيره اليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما مما ذكر من صنع البديع فى الثالثة والعشرين والبديع احداث الشئ قبل أن يكون أولا والبدعة ما ابتدع من الدين والبديع المحدث العجيب وأبدع الرجل أتى ببديع من قول أو فعل وأبدع الله الاشياء وابتدعها خلقها بلا مثال (استملحته) وجدته مليحا (يبسم) يبدى بعض أسنانه عند الضحك (لؤلؤ) جوهر شبه به الاسنان وهذا البيت من شعره وقبله

بات نديمالى حتى الصباح * أغيد مجدول مكان الوشاح
فبت أفديه ولا أرعوى * لنهى ناه عنه أو لحى لاح
امزج كأسى بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح

كأنما يبسم البيت وبعده

سحر العيون النجل مستهلك * مالى وتوريد الخدود الملاح
قل لابى نوح شقيق العلا * ومعدن الجود وترب السماح
أعوذ بالفضل الجميل الذى * عودتنى والنائل المستماح
من أن يصد الطرف عنى وأن * أخيب من جدواك بعد النجاح
أشمت حسادى وأحرمتنى * من سيبك المغدق عالى المراح
فهل لانس بان من عودة * وهل لحال فسدت من صلاح
لست على سخطك جلد القوى * ولا على هجرك شاكى السلاح

(قوله المودع) المضمن وأودع الشئ صيره وديعة (استسمنت) حسبته سمينا وطلبت السمانة من هزيل (ورم) دمل والمعنى أنه يرميه بسوء النهم وقد بين هذا أبو الطيب المتنبى فقال

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما التناعم أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

(ونفخت فى غير ضرم) مثل لطلب الشئ فى غير موضعه ولفظ المثل نفخت أو تنفخ والضرم النار (الندر) والنادر الغريب (الثغر) الاسنان (مبسمه) موضع ابتسامه يعنى الفم (الشنب) الماء القليل الجارى على الاسنان * الجرمى سمعت الاصمعى يقول الشنب برد الاسنان والفم فقلت أصحابنا يقولون حدتها حين تطلع فيرادبذلك حداثتها وطراءتها اذا أتت عليها السنون تغيرت فقال ماهو الا برد هاه ابن سيده قال الاصمعى سألت رؤبة عن الشنب ماهو فأخذ حبة رمان فأومأ الى بصيصها (ناهيك) كافيك وتقول ناهيك بفلان أى تدانتهى الامر فيه الى الغاية ونهى الرجل من اللحم وانتهى اذا شبع منه واكتفى والنهى الغدير لانه ينتهى اليه ماء الوادى (يفتر) يكشف ويبسم (رطب) أى طرى كما أخرج من اصدافه وفى اللؤلؤ اذا كان رطوبة وسطوع بياض فاذا أصابه الهوى ودام عليه صلب واذا تداولته الايدى باللمس وقدم تغير بياضه (الطلع) أول حمل النخلة وهو الفرخ فاذا انشق فهو الضحك وبه تشبه الاسنان فى بياضه ثم الاغريض اذا افترق حبه وانما شبه الاسنان بالطلع وهو الفرخ لانه اذا شق وجد ما فيه من حمل النخلة فى غاية البياض ويقال له الوليع قال الشاعر

وتبسم عن لؤلؤ كالوليـ * ـع شقق عنه الرقاة الجفوفا

عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته قال نعم قوله كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح فانه أبدع فى التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة الادب لقد استسمنت ياهذا ذا ورم ونفخت فى غير ضرم أين أنت من البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وأنشد نفسى الفداء الثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب ينتر عن لؤلؤ رطب وعن برد معذب أقاح وعن طلع وعن

الجفوف جمع جف وهو قشر الفرخ ويقال له القيقاو البلبلة وهو طيب الريح والرقاة الراقون الى أعلى النخل و(الحبب) تنضد الاسنان وقيل طرائق تظهر في الخمر عند مزجها بالماء فأما الفقاقيع التي تعلو الخمر عند المزج فهي الحباب بزيادة الالف قال المتلمس

عقار عتقت في الدن حتى * كأن حبابها حدق الجراد

وقال آخر حمراء قانية اذا ماشعشعت * ينزو الى وجه النديم حبابها

(قوله استعاده) أي قال أعده علي (استملاه) طلب أن يكتبه (ايم الله) يمين يحلف به (نجيكم) محدثكم يعني نفسه (ارتابت) شككت والريب الشك (بعزوته) بنسبته أي بنسبته الى نفسه (دعوته) ادعاؤه أنه من قوله والدعوة بكسر الدال في النسب وبفتحها في الطعام (فتوجس) أي أحس وسمع (هجس) وقع وخطر (فطن) شعر (بطن) خفي يريد أنه فهم منهم انهم لم يصدقوه في ان الشعر له وأنكروا أن يقول مثله (حاذر) خاف (يفرط) يسبق (القريض) الشعر (أساة) أطباء واحدهم آس (القول المريض) الضعيف من قبل راويه (خلاصة) ماخلص منه و(جواهر) الارض مثل الحديد والنحاس وغيرهما فاذا عرض الجوهر على النار فما كان منه خالصا زاد صفاء وجودة ومالم يكن خالصا فضحته النار وأظهرت عيبه و(السبك) الاختبار بالنار (تصدع) تشق (غبر) مضى هنا ويستعمل كثيرا بمعنى بقي وهو من الاضداد يقال غبر الشيء غبورا اذا بقي قال الله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين (الامتحان) الاختبار والبحث وهذا المثل من أمثال الفرس ولهذا أبعد مدته حيث قال غبر من الزمان (خبيتي) مكتومي وماخبأته من علمي وأصل خبيتي الهمز فقلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء كما قلبت في خاسية وتقول عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ان أتيت بعلى خففت الراء وان أتيت باللام شددتها (والحقيبة) وعاء يجعله الراكب خلفه و(الاعتبار) والاختبار واحد (قوله ابتدر) أي سبق بالكلام وبادر به (والمنوال) خشبة الحائك يريد ان البيت رفيع الصنعة في الشعر لم يصنع بيت مثله لان الثوب أنواع وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب (سمحت) جادت (قريحة) ذهن (آثرت) فضلت (اختلاب القلوب) امالتها الذي تصديقه وانخداعها بما تبديه وهو من الخلب وهو من غشاء القلب وعن أبي عبيدة وغيره قال ثعلب الخلب الذي بين الزبادة والكبد يقال خلبني حب فلان أي وصل حبه الى خلبي وفلان خلب نساء أي تخلبه النساء وخلاب يخلب الناس أي يذهب بقلوبهم وخلب جمعه خلبة وكله من الخلب قال اعرابي

من كان لم يدر ما حب جمعت له * أو كان في غفلة أو كان لم يجد

فالحب أوله روع وآخره * مثل الحرارة بين الخلب والكبد

(لؤلؤا) درا و(النرجس) نوار أصفر في نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى له ورقة قائمة تشبه به العينان اذا كان في نظرهما فتور وقد تمادى انكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الاصفر المعروف عندنا بالنرجس فاكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لاجل صفرته وان ذكرته لاحد قال وأي صفرة في العين الا أن يكون بصاحبها علة البرقان ويستهجن موضع التشبيه جدا وقد سألت عنه بعض أشياخي في صغري وأنا أقرأ عليه كتاب الجمل وكان أديبا شاعرا فانكر وقوع التشبيه بهذا النور الاصفر وقال لي النرجس عندهم بالمشرق نور يشبه نوار الفول وأكثر من

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسئل لمن هذا البيت وهل حي قائله أو ميت فقال ايم الله للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بان يستمع انه يا قوم لنجيكم منكم اليوم قال فكأن الجماعة ارتابت بعزوته وأبت تصديق دعوته فتوجس ما هجس في أفكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر أن يفرط اليه ذم فقرأ ان بعض الفتيان ثم قال يا رواة القريض وأساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك وبد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وها أنا قد عرضت خبيتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر أحد من حضر وقال أعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمعت قريحة بمثاله فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وأنشد فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ورد او عضت على العناب بالبرد

(ذكر النرجس وما قيل فيه)

لقيته يستبعد التشبيه بهذا الاصفر لاجل لونه وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى وعلى المعنى دون الصورة وعليهما جميعا وهو أكمل وجوه التشبيه وانظر أقسام التشبيه فى الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره باذن الله تعالى وتشبيه العيون بالسيوف والسهام انما المراد به المضاء والقطع ولا يلتفت فى ذلك الى اللون وكذلك تشبيه العيون بالنرجس الاصفر اذا قصد ما فيه من الفتور واقع ممكن فى التشبيه ألا ترى ابن المعتز التفت الى الفتور وحده حين قال

وسنان قد خدع النعاس جفونه * فحكى بمقلته ذبول النرجس

والنرجس الذى يشبه به أهل المشرق العيون هو نبات له قضبان خضر فى رؤسها أقماع يخرج منها نور ينبسط منه على الاقماع ورق أبيض فى وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير هذه الصفة التى تقع فى أشعارهم اذا ذكروا النرجس وبذلك وصفه كسرى أنوشروان فقال النرجس ياقوت أصفر بين درّ أبيض على زمرّد أخضر أخذه بعضهم فقال فيه

ويا قوتة صفراء فى رأس درّة * مركبة فى قائم من زبرجد

كأنّ بهجى الدرّ عقد نظامها * فريد أنيق قد أطاف بعسجد

وأنشد أبو عون الكاتب فى كتاب التشبيه له فقال من جيد ما قيل فى النرجس ما أنشده المبرد رحمه الله تعالى

نرجسة لاحظنى طرفها * تشبه دينارا على درهم

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه

ترنو بأبصارها اليك كما * ترنو اذا خافت المعافير

مثل اليواقيت قد نظمن على * زمرّذ فوقهنّ كافور

كأنها والعيون ترمقها * دراهم وسطها دنانير

(وقال أبو نواس)

لدى نرجس غض القطاف كأنه * اذا ما ثنيناه العيون عيون

تخالفة فى شكلهنّ وصفرة * فكان سواد والبياض جفون

أجاد التشبيه وكشف بذكر المخالفة قناع الشبهة وبين مواقع التشبيه غاية البيان وقال أبو عبد الملك بن فرج فى كتاب الحاس والمحسوس له وأحسن بيت أنشدنيه أبو جعفر البغدادى رحمه الله

مداهن درّ بين أوراق فضة * على قيس شبر أخضر كالزبرجد

وقال أبو الفرج الببغاء

ونرجس لم يعد مبيضه الـ * ـكأس ولا أصفره الراحا

تخال أحداقه لجين حوت * من أصفر العسجد أقداحا

كأنما يهدى المحيى به * لطفا الى الارواح أرواحا

يغنى عن الورد اذا مارنا * ويخلف الورد اذا فاحا

وقال ابن المعتز

كأنّ عيون النرجس الغض بيننا * مداهن درّ بينهنّ عقيق

اذا بلهنّ القطر خلت دموعه * بكاء عيون كلهنّ خلوق

وقال الشاشى أخص الصفات التى * تناولها من كتب
عيون بلا أوجه * لها حدق من ذهب

وقال ابن الرومى يانرجس الدنياترى أبدا * للافتراح ودائم النحب
ذهب العيون اذا مثلن لنا * درّ الجفون زبرجد القضب

وهذه الصفة التى أثبتها أهل المشرق للنرجس هى التى يصف بها أهل المغرب البهار قال ابن أبى عامر فى جارية اسمها بهار

حدق الحسان تقرّبى وتغار * وتظلّ فى صفة البهار تحار
طلعت على قضبى عيون كمائمى * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بى اذا شبهتنى * درّ تمنطق سلكه ويسار
أهدى لنا قضب الزبرجد ساقه * وجباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبى فقيل بهار

بين أنّ البهار عندنا هو الذى تسميه أهل المشرق نرجسا وقال أبو جعفر بن مبرد

تأمّل فقد شقّ البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع ممدودة من زبرجد

(وقال القسطلى)

بهار يروق بمسك ذكىّ * وصنع بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت * بها فضة نوّرت بالذهب

(وقال القاضى أبو الحسن بن ليال)

وبهار يحكى كؤس لجين * حملتها أنامل من زبرجد
سامرتها الكواكب الزهر حتى * سمرت وسطها كواكب عسجد

(وأنشدنى بعض أشياخنا)*

انظر الى حسن البهار وغنجه * يرنو اليك بمقلتى وسنان
فكأنما هى راحة من فضة * قد ضمنت كأسا من العقيان
وكأن نشر نسيمه غبّ الندى * يأتيك بالانفاس من بغدان

والذى تسميه أهل المغرب نرجسا تسميه أهل المشرق بهارا ولذلك قال الحريرى فى العاشرة ووردتى بالبهار دعا فيها على الغلام بالحمى وأن ينعكس حمرة خدّه صفرة وقال حبيب فى ذلك

انّ وجه الحمى لوجه صفيق * حين تسطو به نهارا جهارا
لم تشن وردو جنتيه ولكن * صيرت وردو جنتيه بهارا

وبلون النرجس يشبه أهل الاندلس المريض وقال أبو بكر الابيض

ياشاكيا صدنى عن مسه ألمى * طال اشتياقى به ليلا فلم أنم
تضاءل الدهر اشفاقا على قمر * رقيبه فى سماء المجد والكرم
لم أرض قلبى مكانا اذ حللت به * حتى خلطتك فى سوداءه بدمى
أنت البهار ولا أدرى متى خلعت * عليك أيدى الليالى نرجس السقم

ولابن الرقاق وغزال ذي اعتدال شفه * بعد ماشق هواه الانفسا
جارت الحمى على وجنته * فاستحال الورد منه نرجسا

فثبت بما قدمناه ان نرجسهم بهارنا وان بهارهم نرجسنا وآكد مايدل على صحته اشتراك البيت الذى أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن برد فى لفظ واحد أخذ ابن برد منه صفة النرجس فقلبه لاسم البهار حين نظمه واعلم ان تشبيه العين بنرجسهم أبين لتعلقهم بالصورة وان تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى وهو مع ذلك متمكن فى باب التشبيه وان اسم النرجس لابد فيه من صفرة وقد قال شاعر من المشرق وهو أحمد بن يونس الكاتب فى مناقضة ابن الرومى فى تفضيله النرجس على الورد

ان كنت تنكر ماذكرنا بعدما * قامت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

فلولا ماذكرنا من أشعارهم لحكمنا بهذا البيت على ان نرجسهم هو نرجسنا ومذهب ابن الرومى فى تفضيله على الورد وهو القائل

وأحسن ما فى الوجوه العيون * وأشبه شئ بها النرجس

والنفوس تتشوق الى رؤية نرجسهم لانا لم نعلم نرجسا غير هذا الاصفر حتى نعلم ماذكرناه أنه هو النوار المعروف وهم أيضا يتشوقون لمنظر نرجسنا ويدل على ذلك حكاية القاضى الفقيه أبى الحسن بن اللبان قال خرجت عشية لخارج اشبيلية أيام حداثتى وقراءتى بها فجلست فى وسط واديها وبيدى كتاب أنظر فيه واذا رجل يحمل حوالى فاذا انظرت فى الكتاب يأخذ ينشد للاشعار التى بين أيدينا نظائر من بديع الشعر فذاكرته فوجدته بحر أدب فسألته عن محفوظه فقال أحفظ خمسة عشر ألف بيت من الشعر فسألته هل تظم شيأ فأنشدنى فى وصف فرس وزعم أنه قائلها

منع الحوافر أن يطئن به الثرى * فكأنه فى جريه متعلق
وكأن أربعه توافق طرفه * فتكاد تسبقه الى مايرمق

فاستعدت بيته وراجعته فى قوله يطئن فقلت له انما هو يطأن فلم يعرف اللفظ وانما تكلم بلا همز على لحن عامته فجربته فى غيره فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ لا من جهة العلم فسألته عن بلاده فقال أنا من العراق فقلت له فما السبب الذى جاء بك الى الاندلس فقال لى لا أرى النرجس الاصفر المذكور فى أشعاركم عيانا ودعانى الى الاطالة فى ذكر النرجس رغبة أن أرفع عن غيرى حيرة الشبهة التى أقمت فيها زمانا طويلا لا أجد من يرفعها عنى والبيت الذى اقتضى النظم على أسلوبه هو لابى الفرج العسانى الدمشقى المعروف بالواواذ كره أبو منصور الثعالبى فى يتيمته فقال أبو الفرج من حسان الدهر وصاغة الكلام ومن عجائب أمره انه كان مناديا بدار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه ومازال يشعر حتى جاد شعره ووقع له مايروق ويشوق وينوق حتى تعلق بالعيوق وقال الفتح بن خاقان انى انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت مجلسى لقيت خلافة جارية فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت مابين شفتيها هواء لورقد المحموم فيه لأفاق وهذا مستظرف من كلام الفتح فقال الواواسلمابه

سقى الله ليلا طاب اذ زار طيفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا

بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المحموم فيه أفاقا

وله أيضا بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بى وقولا فى حديثكما * مابال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا عن ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وله فى النحول) وما أبقى الهوى والشوق منى * سوى روح تردد فى خيال

خفيت عن العواذل أن ترانى * كأن الروح منى فى محال

(وله فى الزرقة) يامن هو الماء فى تكوين خلقته * ومن هوالخمر فى أفعال مقلته

ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمى * والسيف ماخره الا بزرقته

علمت انسان عينى أن يعوم فقد * جادت سباحته فى بحر دمعته

وله أيضا تملكت يامهجتى مهجتى * وأسهرت يا ناظرى ناظرى

وما كان ذا أملى ياملول * ولا هجس الهجر فى خاطرى

فجد بالوصال فدتك النفوس * فلست على الهجر بالقادر

وفيك تعلمت نظم القريض * فلقبنى الناس بالشاعر

(وله من قصيدة)

يقمن لنا برق الثغور أدلة * اذا ماض للنافى ظلام الذوائب

قال ومن بديع تشبيهاته قوله فأمطرت لؤلؤا من نرجس البيت ثم قال هذا البيت ضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه وذكر المتنبى منها أربعة فأجاد وهى ماضمنها قوله رحمه الله

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وللفقيه أبى محمد بن حزم خمس تشبيهات فى بيت واحد ولا نقدر أحدا على أكثر منه اذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الاسماء أكثر من ذلك قال

خلوت بها والكاس ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج

فتاة عدمت العيش الا بقربها * وهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج

كأنى وهى والكاس والخمر والدجى * ثرى وحيا والدر والتبر والسبج

وقبل بيت الواوا

انسية لو بدت للشمس ماطلعت * للناظرين ولم تغرب على أحد

قالت وقد فتكت فينا لواحظها * ما ان أرى لقتيل الحب من قود

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * ورد اوعضت على العناب بالبرد

ثم استمرت وقالت وهى ضاحكة * قوموا انظروا كيف فعل الظبى بالاسد

(وأول القصيدة)

لما وضعت على صدرى يد اليد * وصحت فى الليلة الظلماء واكبدى

وقال أيضا أتانى زائرا من كان بيدى * لى الهجر الطويل ولا يزور

فقال الناس لما أبصروه * ليهنك زارك القمر المنير

فقلت لهم ودمع العين يجرى * على خـــــدى له درنثير
ولو نصبت رحى بازاء عينى * لكانت من مدامعها تدور

(قوله لمح البصر) يعنى نظر العين الى الشئ بسرعة ثم يغيب عنه بسرعة وأصل البصر الادراك بالعين (أغرب) أتى بغريب (نضو) كشف (القانى) الاحمر (ايداع سمعى) اعطاء اذنى كانه جعله وديعة عنده (زحزحت) أزالت (الشفق) حمرة الشمس بعد الغروب (غشى) غطى (سنا) ضوء (عطر) فواح طيب النفس و بيت الحريرى فى صنعة البديع فائق وان لم يأت بعدد تشبيهات بيت أبى الفرج و بيانه ان أبا الفرج يصف امرأة باكية فيقول انها نثرت دموعها على من قتلت من عشاقها فسقطت على خدها فبللته بدموعها وعضت على أصابعها المصبوغة بالحناء باسنانها فجعل البيت كله استعارة فقال فأمطرت لؤلؤا وهو يريد بكت دمعا وذكر نرجسا ووردا وهو يريد عينا وخدا وذكر عنابا و بردا وهو يريد أنامل وأسنانا فضمن تحت ألفاظه هذه المعانى وزاد فائدة التشبيه وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر فقابل الحريرى هذا بقوله فزحزحت شفقا وهو يرى نقابا أحمر وذكر سنا مقرونا بهو يرى ضوء وجهها وذكر لؤلؤا من خاتم وهو يريد كلاما من فم والبيت الثانى فى مقابلة بيت أبى الفرج والاول توطئة له وهو يصف امرأة زارته منتقبة فسألها أن تكشف عن وجهها وتحدثه فأزالت نقابها وأسمعته كلاما حسنا من فم عطر واللؤلؤ يشبه به الاسنان فى مثل قوله كانما يبسم عن لؤلؤ * رطب وقوله يفترعن لؤلؤ رطب و يشبه به الكلام فى مثل قول البحترى * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه * وقول الحريرى وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر ويشبه به الدمع كقول الواواء أمطرت لؤلؤا وهو كثير ومن أحسنه قول الشاعر

ولما وقفنا للوداع ودمعها * ودمعى يثيران الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعى * عقيقا وصار الكل فى نحرها عقدا

(وقال ابن عبد ربه)

وكأنما غاص الاسى بجفونها * حتى أتالك بلؤلؤ منثور

فأخذه الزيادى فحسنه فقال

ولم أر أحلى من تبسم أعين * غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنا

قال فوقعت استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا وانما هو للثغر بسبب توسط اللؤلؤ الذى هو للعيون والثغور فقبل المعنى والحذاق يتحيلون فى أخذ المعانى بترك القافية والوزن كقول ابن شهيد

ولما فشا من دمعنا بعض سرنا * الى كاشحينا والقلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفونها * ليشجى بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تلمحن حتى ما يروق المباسم

وقال ابن شهيد فى الامتحان فأحسن

ونبئت أقواما تجيش صدورهم * على وانى منهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولى فاسمعت صمهم * وغاصوا على سرى فأعياهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق لمن الله ماندرى

فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب سالتها حين زارت نضو برقعها

الـ * قانى وايداع سمعى أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا فقر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فمن شاء فليخبر فانى لحاضر * ولاشئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى هذا الامتحان ونسبة شعره فيه الى الانتحال قصة أبى بكر بن تقى حين استهدى بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كأنما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت به * مسك المداد على الكافور من ورقه

(فأجابه أبو بكر بن تقى فقال)

أرسلت تحوى ثلاثا من قنى سلب * مبادة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللحظ ينكرها واللحظ يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليها بعض من سمعها ونسبه الى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رماه بمثل النبل فى حدقه
فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه
ماذم شعرى وأيم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى فى كواكبه * بل الصباح الذى ينشق فى أفقه

وخرج السلامى الى الموصل وهو صبى حين راهق البلوغ فوجد بها أبا عثمان الخالدى وأبا الفرج البغاء وأبا الحسن التلعفرى وشيوخ الشعراء فلما رأوه عجبوا منه واتهموه فى شعره فقال الخالدى أنا أكفيكم أمره فاتخذ دعوة وجمع الشعراء والسلامى معهم فلما توسطوا الشراب أخذ فى التفتيش عن قدر بضاعته فجاء مطر شديد وثلج وبرد عم الارض كثرة فألقى أبو عثمان الخالدى نارنجا بين أيديهم على ذلك البرد وقال يا أصحابنا هل لكم فى أن نصف ذلك فقال السلامى ارتجالا

لله در الخالدى الاوحد الندب الخطير
أهدى لماء المزن عند جوده نار السعير
حتى اذا صدر العتا * ب اليه من حنق الصدور
بعثت اليه بعذره * من خاطرى أو فى السرور
لا تعذلوه فانما * أهدى الخدود الى النغور

فامسكوا عنه عند ذلك واعترفوا له بالفضل الا التلعفرى فانه أقام على قوله فيه حتى قال السلامى فيه

ياشاعرا بشعوره لم يشعر * ما كنت أول طالب لم يظفر
لو كنت تعرف والدا تسمو به * لم تنتسب صنعة الى التلعفرى
تاه ابن فائقة الفسوق على الورى * بقذال صفعان ونكهة أبخر
وبلادة فى الشعر تعلم أنه * تيس ولو قصرت بطبع البحترى

وقال فيه

سما التلعفرى الى وصالى * ونفس الكلب تكبر عن وصاله
ينافى خلقه خلقى وتأبى * فعالى أن تضاف الى فعاله
فصنعتى اللطيفة فى لسانى * وصنعته الخسيسة فى قذاله
فان أشعر فما هو من رجالى * وان يصفع فما أنا من رجاله

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة أن صاعدا اللغوي منهم في كل ما يورده من حديث أو شعر فأدخلت عليه يوما باكورة وردة لم تتفتح أكمامها فقال فيها صاعد ارتجالا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وقال ان هذين البيتين لغيره وأتى مجلس ابن برد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال

عشوت الى قصر عباسة * وقد صرع النوم حراسها

أبياتا ذكر فيها البيتين فكتبها ابن العريف بخط بصري وصار بها الى المنصور فاشتد غيظه وقال غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق في وضع لي فيه سلطان فأخذ طبقا فيه ضروب من الانوار وعليه جوار باسمين على بركة ماء حصباؤها الدر والجوهر ودعاه في مجلس حافل وقال له هذا طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدم بين يدي ملك قبلي فضحه فقال على البديهة

أبا عامر هل غير جدوالك واكف * وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها عامر الحيا * حليا تحنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بانواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها بالباسمين السقائف
فلم ترعيني في البلاد حديقة * تنقلها في الراحتين المناصف

والحكاية بطولها في القسم الرابع من الذخيرة * وخرج معه الى أرض الزهرة فمد يده الى شيء من الترنجان يعبث به ورمى به الى صاعد معترضا بأن يصفه فقال

لم أر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرذ فيه بان وأوراق
من طيبه سرق الاترج تكهته * يا قوم حتى من الاحجار سراق
كانما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه أخلاق
من ليس يقعده عن سود مكرمة * ولا يقوم له في سوأة ساق

وله أيضا

بعثت اليك من خيري داري * محزمة كألوان العقيق
توكل بالعكوف على التصابي * وتصطاد الظليم من الطريق

(قوله لبداهته) أي لارتجاله وانشاده من غير فكرة ويقال بدهه بدها وبديهة وبداهة اذا فجأه وبده في كلامه اذا لم يتفكر فيه وفلان حسن البديهة والبداهة أي الارتجال والقول من غير تفكر وهو عندهم مما يمدح به وان كانت الاصابة غالبا في الروية وإطالة الفكرة كما قال عبد الله ابن وهب الراسبي للخوارج حين عقدوا له دعوا الرأي حتى يختمر فلا خير في الرأي الفطير والقول القصير وقال المنصور لكاتبه لا تبرم أمرا حتى تتفكر فان فكرة العاقل مرآة تريه حسنه من قبيحه وقال أيضا الحكمة نور الفكرة والصواب فرع الروية والتدبير فرع الهمة قال ابن الرومي

ان الروية نار الجد منضجة * وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها * لكنه عاجل يمضي مع الريح

وقال الشجع في جعفر بن يحيى

قوله وعليه جوار الخ كذا في الاصل الذي بايدينا ولعل فيه سقطا يظهر من الابيات بعده فتأمل وحرره
مصححه

فخار الحاضرون لبداهته

يريد الملوك مدى جعفر * ولا يسنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم في الغنى * ولكن معروفه أوسع
بداهته مثل تفكيره * متى تلقه فهو مستجمع

وقال فيه

بديهته وفكرته سواء * اذا التبست على الناس الامور

وقال ابراهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل

يقضي الامور على بديهته * وتريه فكرته عواقبه
فيظل يوردها ويصدرها * فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوما بعض دواوينه فرأى غلاما جميل الصورة على أذنه قلم فقال من أنت يا غلام فقال أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك والمتقلب في نعمتك والمؤمل بخدمتك الحسن بن رجاء خادمك فقال المأمون أحسنت يا غلام وبالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ثم أمر أن ترفع مرتبته في الديوان (قوله بنزاهته) أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر (آنس) أبصر (استئناسهم) أنسهم وتركهم الانكار (طرفة) نظرة وقد طرف يطرف طرفا اذا حرك جفنيه بعد النظر (دونكم) اغراء ومعناه خذوا حذركم واسمعوا (جد) تحقق (البين) الفراق (بنان) أصابع (الحصر) المنقطع عن الكلام عيا (ليل) أراد به نقابا أسود (صبح) وجه (أقلهما) رفعهما (غمن) قد (ضرست البلور) الاصابع (الدرر) الاسنان والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدهم استئناسا بأنه غير مدع في الشعر ودل على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما وهو قد أدرج معنى زائدا في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره وذلك أنه لما لم يستوف مقابلة بيت أبي الفرج مرة ببيته المتقدمين استوفاها في هذا البيت الثاني لانه قابل أمطرت بساقطت واللؤلؤ باللؤلؤ والنرجس بالخاتم وهما العين والنمم وحمرة الخد بسننا القمر وبقي عليه زائد من قول أبي الفرج وعضت على العناب بالبرد فقابله في هذا البيت بقوله وضرست البلور بالدرر وجعلها تعض على أصابعها وهي بيض لانه يصف امرأة شعرت بفراق أحبابها فتركت الزينة واستعمال الحناء فلما حان فراقهم لبست ثياب الحزن وأقبلت تودعهم تلهفا وتندما على فراقهم ووصف الاصابع باللين والصبغ وذلك مذكور في العاشرة وجعلها لابسة السواد لان أهل المشرق يلبسونه لحزنهم وأهل الاندلس يلبسون البياض لحزنهم

قال الشاعر

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضا * وجئتم منه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وأنشد أبو عثمان الاسنابدي في أبيات المعاني له

أرعت مراتع مدراها على عجل * صنوين ان أفرد المرعى أبدا
واستبدلت من رياض الحزن مونقة * ثوب الامير الذي في ملكه قعدا

عنى بمراتع مدراها شعرها وبصنوين مقصاحلقته به وبرياض الحزن ثيابا ملونة وبثوب الامير ثوبا أسود لان ملوك بني العباس لباسهم السواد وعارض ابن لبال الحريري في أبياته فقال

ودعتها ومدامعي * تنهل بالدمع الطليق

واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصباجهم الى شعب اكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأنشد

وأقبلت يوم جد البين في حلل
فلاح ليل على صبح أقلهما
غمن وضرست البلور بالدرر

فبكت فأذرت أدمعا * في صفحة الخدّ الانيق
ومضت تعضّ بنانها * بين التلهف والشهيق
فرأيت درّ اساقطا * من نرجسين على شقيق
ورأيت مبيضّ اللجين * من يعضّ محمرّ العقيق

وكما عارض بيت الحريري عارض قول البحتري المتقدّم

يا بأبي ظبي اذا مارنا * أثخن قلبي وفؤادي جراح
يفترّ عن طلع وعن جوهر * وفضة أوحبب أوأقاح

فزاد عليه بوصفين ومما يناظر ما تقدّم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف

وكأنما أثر الدموع بخدّها * طلّ تساقط فوق وردٍ يانع
عذب الفراق لنا قبيل وداعنا * ثم اجترعناه كسمّ ناقع

وقال ابن الرومي لو كنت يوم الوداع شاهدنا * وهنّ يطفئن غلة الوجد
لم تر الا دموع باكية * تسفح من مقلة على خدّ
كان تلك الدموع قطر ندى * يقطر من نرجس على ورد

وقال الناشئ بكيت الفراق وقد راعني * بكاء الحبيب لبعد المزار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقال أبو نواس)

تقول غداة البين احدى نسائهم * أفي الكبد الحراء قسر ولي الصبر
وقد غلبتها عبرة فدموعها * على خدّها جر وفي نحرها صفر

يقول لون خدها أحمر فتشكلت الدمعة به جرا ولون نحرها أصفر عاجي كما قال ذو الرمة

كأنها فضة قد مسها ذهب * فصار فيها اللون الدمع صفرته

وقيل للعباس بن محمد ما لون الماء فقال لون انائه ولما ذكر الحريري الحلل السود على الجارية تذكرت ما قال أبو عثمان الناجم في جارية رأى عليها ثوبا أزرق

ما تعدّت قبول حين جلت زيا شبيها بوجهها ذي الضياء
لبست أزرقا فجاءت بوجه * يشبه البدر في أديم السماء

ولابي جعفر بن برد في غلام بدا له في ثوب لازوردي فقال

لما بدا في لازور * دي الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ماهذا بشر
فأجابني لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال ابن المعتز في غلام عليه ديباج بنفسجي

وبنفسجيّ الثوب قد * قتل محبه من حاله
الآن صرت البدر اذ * ألبست ثوب جماله

(قوله استسنى) أي استعظم وقد سنو الرجل وسناشرف وعظم (ديمته) كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع أو يريد بها فطنته التي تمده بما شاء من الشعر وأصل الديمة المطر الدائم واستغزروها

فمنذ استسنى القوم قمته
واستغزروا ديمته

استكثروها ووجدوها غزيرة (أجلوا عشرته) أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل (جلوا قشرته) أى حسنوها من لفظ الجمال أو يكون معناه جلوا من جملت الحساب واجملته أى جمعته فكأنهم جمعوا له شيأ وكسوه وقشرته ثوبه لانه قدم أن هيئته كانت رثة فاحتاجوا أن يكسوه (تلهب جذوته) اشتعال جمرته واتقادها وأراد حدة ذهنه والجذوة النار فى طرف العود (تألق) لمعان (جلوته) ماجلاه وكشفه من وجهه وتقول جلوت العروس جلوة اذا أزلت نقابها وأظهرت وجهها والجلوة بالكسر هيئة جلوه حين يجلى وأراد بتألق جلوته بريق وجهه (أمعنت) بالغت وأدمت النظر وأصله من أمعن فى الارض اذا أبعد الذهاب فيها (توسمه) نظر سماته وهى علامته التى يعرف بها ويريد أنه أدام النظر فى نعوته (سرحت الطرف) أرسلت العين بالنظر وأصل الطرف تحرك العين عند النظر تقول طرفت العين طرفا والعين الجارحة والبصر ما تدركه بنظرها ثم سميت العين طرفا لذلك و (ميسمه) علامته (أقمر) ابيض فصار مثل لون القمر (الدجوجى) الشديد السواد وأراد نبات شعره الاسود (قوله بموردة) أى بقدومه واتيانه تقول وردعلينا فلان اذا قدم عليك من بلد آخر والمورد مصدر ورد وهو بمعنى الورود لانه قدم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعا ولا يجد عنه مخبرا حيث قال واسترعنى حينا فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بقدومه وهنأ نفسه على ذلك (استلام) تقبيل اليد * ابن الانبارى استلم الحجر معناه أخذه ومسه بيده واستلم افتعل من المسالمة يريد أخذ الحجر وضمه اليه أو يكون استفعل من اللائمة وهى السلاح يريد أنه حصن نفسه بمس الحجر من العذاب لان السلاح انما يلبس ليمتنع به و يتحصن (أحال) غير (حليتك) صفتك ولذلك احتاج أن يعين النظر لما تغيرت صفاته التى كان يعرفه بها من الفتوة والشبيبة فلما رآه قد شاب شعره وتغيرت صفاته لم يعرفه الا بعد طول تأمل وقال الحاوانى القيروانى

ولرب باكية رأت فى لمتى * وخز المشيب تألقت ضحكاته
قالت أغصناقد علاه فلا أرى * زهر الرياض ونورت ورقاته
فأجبتها قارعت فى جنب الهوى * صرف الزمان وهذه نكباته

(ولابن الجد)

نكرت تحولى وهو من فرط الاسى * لفراق اخوان على كرام
وتعجبت للشيب لا تتعجبى * هذا غبار وقائع الايام

(قوله فأنشأ يقول) أى ابتدأ *(وأنشدوا)*

أنشأت تطلب ماتغير قد تناشبت الاظافر

أى ابتدأت تطلب (الشوائب) أصله ما يقع فى الماء الصافى من الاقذاء فيكدره فأراد أن أنكاد الدهر شيبته و (قلب) كثير التقلب فيحول من حال الى حال (دان) طاع وانقاد (يتقلب) يتحول عن الطاعة (وميض) لمع خفى (خلب) خداع لا ماء فيه وأراد لا تثق بالدهر اذا ما كسبت فيه شيأ من المال فانه يحول عليك ولا يترك لك منه شيأ (أضرى) أغرى وألصقها بك وأصل أضرى من ضراوة الكلب تقول ضرى الكلب بالصيد اذا تعلم الصيد وأضريته أنا بمعنى عرضته للصيد و (الخطوب) الامور الشداد و (الب) حشد أى اصبر للشدائد اذا أضراها الدهر بك وحشدها

وأجلوا عشرته وجلوا
قشرته
(قال المخبر بهذه الحكاية)
فلما رأيت تلهب جذوته
وتألق جلوته أمعنت النظر
فى توسمه وسرحت الطرف
فى ميسمه فاذا هو شيخنا
السروجى وقد أقمر له
الدجوجى فهنأت نفسى
بموردة وابتدرت استلام
يده وقلت له ما الذى أحال
حليتك حتى جهلت
معرفتك وأى شئ شيب
لمتك حتى أنكرت
حليتك فأنشا يقول
وقع الشوائب شيب
والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص
ففى غد يتقلب
فلا تثق بوميض
من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو أضرى
بك الخطوب وألب

فما عليك في ذلك عيب كما ان الذهب يسبك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر و (التبر) الذهب قبل سبكه وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والاربعين

وطالما أصلى الياقوت جمر غضى * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وزاد الآخر في المعنى فقال

انى أنا الذهب المحمى ومخبره * يزيد في السبك للدينار دينارا

وأنشدوا

اصبر على نوب الزما * ن فهكذا مضت الدهور

فرح وحزن تارة * لا الحزن دام ولا السرور

فما على التبر عار ... في النار حين يقلب
ثم يمحض مفارقا موضعه ... ومستصحبا القلوب معه

(شرح المقامة الثالثة وهى الدينارية)

(نطمنى) أى جمعنى (أخدانا) أى أصحابا (ناد) مجلس (مناد) متكلم (كباشيء ولم يبد نارا (قدح) ضرب (زناد) حديدة النار وزناد العرب من خشب وأكثر ما يكون من المرخ والعفار وانما هو أن يؤخذ عود قدر شبر فيثقب في وسطه ثقب لا ينفذ ويؤخذ عود آخر قدر ذراع فيحدد طرفه ويجعل ذلك في الثقب وقد وضعه رجل بين رجليه فيديره ويفتله فيبدى النار فالاعلى زند والسفلى زندة والزناد جمع زند (قوله ذكت) أى اشتعلت (عناد) خلاف يريد أن هؤلاء الاصحاب لحسن أدبهم ومناظرتهم ليس بينهم خلاف وهم فيما لا يسقط من كلامهم شيء وليس فيهم جاهل فيكون كلامه قليل الاصابة و (الاناشيد) ما يتناشدونه من الاشعار بينهم كأن واحدها أنشودة وتجاذب أطرافها يريد المشاركة في انشادها أى اذا أنشد أحدهم شعرا لغرب به شاركوه في انشاده لحفظهم الاشعار فكأنهم تجاذبوه كما يتجاذب باطراف الثوب و (الاسانيد) الاخبار المسندة الى أهلها وأصل (التوارد) مزاحمة الابل على شرب الماء فجعل مشاركتهم في ضبط غرائب الاخبار كتوارد الابل على الماء و (الطرف) الغرائب والطرفة الشيء العجيب من كل شيء الذى لا يوجد له نظير (سمل) ثوب خلق وأكثر ما تقول العرب ثوب أسمال وأخلاق فيوصف بالجمع لانه قطع متفرقة وسمل قليل وفي تذلل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى بما لابس (قزل) عرج (قوله يا أخاير الذخائر) الاخاير جمع أخير كما يقال أكابر واكابر والمستعمل خير وشر ولا يقال أخير ولا أشر الا شاذا وان كان هو الاصل لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الاصل لانه يرد الشيء الى أصله وقال رؤبة

* بلال خير الناس وابن الاخير * فنطق بالمستعمل لشهرته وباصله وهو قليل فاذا تعجبوا من ذلك قالوا ما أخيره فلانا وما أشره فلانا والذخائر جمع ذخيرة وهى الشيء النفيس الغالى يصونه الانسان ويعتده لزمانه (البشائر) جمع بشارة وقد بشرت الرجل بشارة اذا أدخلت عليه السرور و (العشائر) جمع عشيرة وهى قرابة الرجل من قبيلته يقول أنتم أرفع الذخائر وخيرها وأنتم يستبشر من لقيكم برؤيتكم ويتيامن بلقائكم ويعلم أنكم تصلونه وتكرمونه ليستعطفهم بهذا الكلام (عموا صباحا) دعاء لهم بالنعمة في الصباح أى جعلكم الله تنعمون في صباحكم وعموا أمر من وعم يعم وهى في معنى نعم ينعم (وأنعموا اصطباحا) أى طاب شربكم في الصباح وتنعمتم به والاصطباح أن يصبحوا وهم يشربون (ندى) مجلس اجتماع أى هو شريف يقعد

(المقامة الثالثة الدينارية)

(روى الحرث بن همام) قال نطمنى وأخدانا الى ناد لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح لم يورث فيه زناد ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب أطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا أخاير الذخائر وبشائر العشائر عموا صباحا وأنعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا ندى

ويجتمع عنده (ندى) كرم (جدى) عطية (العقار) المال الذى لا ينتقل كالنخل والدور والارضين (قرى) جمع قرية (مقار) جفان يقرى فيها الاضياف أى يطعمون فيها و (القرى) طعام الضيف (قطوب) عبوس (الخطوب) الشدائد (الحروب) القتال (الكروب) الهموم قال النبى صلى الله عليه وسلم مما أعلم انه لا يقوله مكروب الا فرج الله عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت الآية ومن كلام ابن المعتز الحوادث المحضة مكسبة لمحظوظ جزيلة وثواب مدخر وتطهير من ذنب وتنبيه من غفلة وتعريف بقدر النعمة ومرور على مقارعة الدهر واذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة *غير لولا حوادث الايام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام وقال أبو تمام

والحادثات وان أصابك بؤسها * فهو الذى أنبالك كيف نعيمها

(الحسود) المتمنى اهلاك مالك واذا رأى لك خيرا تمنى ازالته يريد أن الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه وقلما يوجد الذى يرمى بالعين الا حسودا (انتياب) نزول وقصود (النوب) النوازل (قوله صفرت) أى خلت من الدراهم (الراحة) باطن الكف (قرعت) خلت من المال وصارت قرعاء و (الساحة) فناء الدار والساحة عند العرب الرحبة التى تحلق بها البيوت وأرادانها خلت من الابل والبقر والغنم وغير ذلك (غار المنبع) جف الماء النابع والمنبع موضع النبع (المربع) المنزل فى الربيع و (نبا) بأهله وجدوه نبوة أى ارتفاعا غير وطىء فلم تمكن الاقامة فيه (أقوى) خلا المجمع موضع الاجتماع (أقض) خشن وصار فيه القضض وهى الحجارة و (المضجع) موضع رقاده وأخذ من قول أبى ذؤيب

أما الجنبك لا يلائم مضجعا * الا اقض عليه ذالك المضجع

وكنى بهذه الالفاظ عن تغير الاحوال وذهاب المال وساق الكلام مساق حكايات الاعراب منها أن اعرابيا وقف بقوم فقال أشكو اليكم أيها الملأ زمانا أناخ على بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال اصمانى جديداه بنبل مصائبه عن قسى نوائبه فما ترك لى راغية أجتدى ضرعها ولا ثاغية أرتجى نفعها فهل فيكم من معين على صرفه أو معد على حتفه وقد ذكرنا منها جملة فى الثالثة والثلاثين وحكى أبو على فى نوادره حكاية عن أبى زيد اللغوى على لسان اعرابى يشبه كلام الحريرى هنا فى سياقه وكثير من الالفاظ فيقول ان المنبع الذى كنا نعيش به نحن وأموالنا قد ذهب فهلكنا بذهابه والمربع وهو موضع الخصب صار نبوة لا ينبت شيأ فلم تجد الابل ما ترعاه فهلكت واذا هلك المال هلك صاحبه والمجالس التى كنا نجتمع فيها هلك أهلها فخلت ومضجعنا الذى كان موطأ بالفرش أقض فامتنع من الاضجاع عليه (قوله استحالت) تغيرت (وحال) الرجل ما هو عليه من خير أو شر أو غنى أو فقر والحال أيضا المال (أعول) بكى و (عيال) الرجل من يفتقر اليه فى مؤنته وتنفقته واحدهم عيل (المرابط) المواضع التى تربط فيها الخيل وتحبس (الغابط) الذى يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شئ (أودى) هلك (الناطق) المال من الحيوان مثل الابل والبقر والغنم وكل ما يتملك من ذى روح سمى بذلك لاصواتها والناطق كل حيوان له صوت و (الصامت) الذهب والفضة والمتاع (رثى) بكى وأشفق (الشامت) الذى يسر بمصيبتك ومنه تشميت العاطس وهو ادخال السرور عليه بالدعاء وقد شمت به شماتا وشماتة

وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى فازال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشر شر الحسود وانتياب النوب السود وصفرت الراحة حتى قرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع وأقوى المجمع واقض المضجع واستحالت الحال وأعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت

فهو شامت اذا سر ببلاء ينزل به و (الحاسد) هو الحسود والحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء والارض أما فى السماء فحسد ابليس آدم وأما فى الارض فحسد قابيل هابيل وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس انهما قابيل وابليس فالحسد حمل ابليس على الكفر وحمل قابيل على قتل أخيه وقال على رضى الله عنه لا راحة لحسود ولا أخ للملول ولا محب لسيئ الخلق وقال رجل لخالد بن صفوان انى أحبك قال وما يمنعك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريد أن الحسد وكل بالادنين * الحسن البصرى ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد بنفس دائم وحزن لازم وغيرة لا تنفد * معاوية كل الناس أقدر على أن أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها * المبرد حدثنا الزيادى قال يقال ستة لا تخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله التلف والحسود والحقود وطالب مرتبة فوق قدره وخليط أهل الادب وليس منهم قال الاصمعى اجتمع ثلاثة حساد فقال أحدهم لصاحبه ما بلغ حسدك قال ما اشتهيت أن ينفعل بمسلم خير قط فقال الثانى أنت رجل صالح ولكنى ما اشتهيت ان ينفعل بى خير قط فقال الثالث ما فى الارض خير منكما ولكنى ما اشتهيت أن ينفعل أحد بأحد خيرا قط قال وأنشد الشاعر

ورثى لنا الحاسدو الشامت ... وآل بنا الدهر الموقع والفقر

كل العداوة قد ترجى مودتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال حبيب واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال القاضى ابن عمر

نهانى حلمى فما أظلم * وعزمكانى فما أظلم

ولا بد من حاسد قلبه * يثور ما ثرنا مظلم

رجت حسودى على أنه * يعذبنى ثم لا يرحم

قضانا الحسود ولسنا كما * يقول ولكن كما يعلم

وقال اليمانى انى لأرحم حاسدى لفرط ما * ضمنت صدورهم من الاوغار

نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار

لا ذنب لى قدرمت كتم فواضلى * فكأنما برقعتها بنهار

(قوله ورثى لنا الحاسد والشامت) قال النبى صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثا غنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل وفقيها يلعب به الجهال قال الشافعى خمسة مرحومون عزيز ذل وغنى قل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل وقال الشافعى ومن حديث واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك فأخذه الحريرى من قول الآخر

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت

ومغرم توقد احشاؤه * بالنار الا أنه ساكت

رق فما فى جسمه منفصل * الا وفيه سقم ثابت

يرثى له الشامت عما به * ياويح من يرثى له الشامت

(قوله آل بنا) أى رجع بنا وقد آل يئيل ويؤل أى رجع (الموقع) المهلك من أوقع به و يحتمل أن يريد

بالموقع الذى يحمله على الوقع ورجل موقع اذا اشتكى ألم رجليه (المدقع) الملصق بالدقعاء أى التراب أى لم يترك للانسان شيأ يبسطه غير التراب (احتذينا) اتخذنا (الوجى) توجع باطن القدمين من الحفاء يريد أنه لبس مكان النعال الحفاء حتى توجعت قدماه (الشجى) مايعرض فى الحلق وكنى بهذا عن سوء الحال لان الشجى ليس بغذاء انما هو مشقة وتعب ولكن بالغ فى وصف سوء حاله فقال انه ينتعل مالا ينتعل ويغتذى ماليس بغذاء أى ليس ثم انتعال ولا غذاء (استبطنا) أى جعلناه فى بطوننا (الجوى) فساد الجوف و(الاحشاء) اسقاط الجوف وماحشى به (الطوى) الجوع وقد طوى يطوى لان الاحشاء اذا امتلأت من الطعام انتشرت واذا فرغت منه انطوى بعضها على بعض و(السهاد) امتناع النوم من قول الشاعر

مالعينى كلت بالسهاد * ولجنبى نأيا عن وسادى

(استوطنا) سكنا واتخذناه وطنا (الوهاد) ماانخفض من الارض (استوطأنا) وجدناه وطيأ (القتاد) شجر له شوك شديد يسمى عندنا حمض الامير (الاقتاد) خشب الرحال يريد أنهم نسوا ركوب المطايا لبعد عهدهم بها ورجعوا الآن يمشون على الشوك فيجدونه وطيأ (الحين) الموت (المجتاح) من لفظ الجوائح يريد به المستأصل للاموال (استبطأنا) وجدناه بطيء المجيء (المتاح) المقدر يريد أن يوم موتهم تمنوه لشدة ماقاسوا وأبطأ عليهم (آس) طبيب يطب علة الفقر والجمع الاساة (سمح) كريم و(المواسى) المعين وذكر عاصم فى شرح قوله * يواسى فى كريهته أخاه * انّ معناه جعله اسوة نفسه فواس من الاسوة كأنه يشاركه فى ماله ويقال آسيته وواسيته والاصل الهمز * المفضل معنى فلان يواسى فلانا يشاركه والمواساة المشاركة وآساه شاركه فيما هو فيه * مورج ما يواسيه أى مايصيبه بخير أى أصلا * غيره معناه يعوضه من مودته وقرابته شيأ من الاوس وهو العوض قال الشاعر

فلارمينك مشقصا * أوساأو يس من الهبالة

والهبالة اسم ناقة أى أرمينك بسهم يكون عوضا عن الناقة وكأن أصله يؤاوسه فقدموا السين وهى لام الفعل وأخروا الواو وهى عينه فصار يؤاسوه فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها فهو من المقلوب وان جعلته من أسوت الجرح اذا اصلحته فلا قلب فيه (قوله فوالذى استخرجنى من قيلة) قيلة هى أم الاوس والخزرج وهى بنت الارقم الغسانيه وانتسابه لها كانتسابه قبل الى أقيال غسان (أخا عيلة) صاحب فقر قال تعالى وان خفتم عيلة أى فقرا وقال صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة (بيت ليلة) قوت يبيت عليه ليلة (أويت) أشفقت وحننت (مفاقره) جمع فقر على غير قياس ومثله مذاكير الرجل جمع ذكر ومحاسنه ومساويه (لويت) انعطفت (استنباط) استخراج و(الفقر) فى النثر فواصله وهى مثل القوافى فى النظم والفقر ماتقدم فى المقامة من الكلام المنقر (أبرزت) أظهرت (حتما) واجبا يريد أنه قصد الى أن يحقق ماتقدم من النصاحة فى فقره ان كانت له أو انتحلها فقال ليختبره امتدح هذا الدينار بشعر (فانبرى) أى اعترض وتقدم (انتحال) ادعاء منه فى شعر غيره يقال انتحل كذا أى ألزمه نفسه وجعله كالملك لما أخذ من النحلة وهى الهبة والعطية (قوله اكرم به) معناه ماأكرمه (راقت) أعجبت (جواب آفاق) قطاع بلاد (تراست سفرته) بعدت غيبته وسمى السفر

المدقع الى أن احتذينا
الوجى واغتذينا الشجى
واستبطنا الجوى وطوينا
الاحشاء على الطوى
واكتحلنا السهاد واستوطنا
الوهاد واستوطانا القتاد
وتناسينا الاقتاد واستطبنا
الحين المجتاح واستبطانا
اليوم المتاح فهل من
حر آس أو سمح مواس
فوالذى استخرجنى من قيلة
لقد أمسيت أخا عيلة
لا أملك بيت ليلة (قال
الحرث بن همام) فاويت
لمفاقره ولويت الى استنباط
فقره فأبرزت دينارا وقلت
له اختبارا ان مدحته نظما
فهو لك حتما فانبرى ينشد
فى الحال من غير انتحال
اكرم به أصفر راقت صفرته
جواب آفاق تراست سفرته

سفر الانه يسفر عن أخلاق الرجال أى يكشفها ويوضحها أخذ من قولهم سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته وأظهرته ويقال للمكنسة مسفرة لانها تسفر التراب عن الموضع وسفر بيته كنسه (مأثورة) محدث بها (سمعته) ذكره المسموع (أودعت) ضمنت (أسرته) خطوط وجهه أراد نقشه وان بين اسطاره سر الغنى فمن ملكه ملك الغنى (قارنت) ساوت (النجح) ضد الخيبة (المساعى) المشى فى طلب الحوائج (الانام) الخلق (غرته) وجهه قيل لابى الزناد مالك تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا قال انها وان أدنتنى من الدنيا فقد صانتنى عنها و (النقرة) القطعة المسبوكة من الذهب والفضة قبل ان يطبع منها الدراهم والدنانير وأراد كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم فيه والنقرة انما تستعمل من الفضة واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما وأخذه من قول البحترى

فكل قلب اليه منصرف * كأنه من جميعها خلقا

أومن قول ابن الرومى

به أمست الاهواء يجمعها هوى * كان نفوس الناس فى حبه نفس

أومن قول المتنبى

فى خطه من كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

(يصول) يقهر ويغلب وصال الشجاع على قرنه والفحل على ابله والحمار على اتنه صولا اذا قهر وعلا وصاح بها (الصرة) الخرقة تصرف فيها الدراهم و (حوته) ضمته يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه (تفانت) هلكت (توانت) أبطأت وضعفت عن نصرته (عترته) قرابته الادنون (نضاره) ذهبه (نضرته) حسنه (مغناته) سنابه يقال فلان يغنى مغناتك أى ينوب منابك ويقوم مقامك يريد أنه ينوب عن الانسان فى المضايق وينصره (استتبت) تمت واستقامت والمستتب الطريق البين قال الشاعر * على مستتب كالمجرة تعمل * (امرته) ولايته (مترف) منعم (حسرته) تفجعه وحزنه (كرته) رجعته و (بدرتم) القمر ليلة الكمال ويريد به شخصا يشبه البدر فى حسنه ورفعته فاذا بعثت فى طلبه الدينار أزلته عن مرتبته وتملكته و (البدرة) عشرة آلاف درهم (مستشيط) غضبان (تتلظى) تتلهب (جمرته) شدة غيظه (أسر) أخفى (نجواه) حديثه سرا (نشرته) حدته وغضبه يقول كم من غضبان شديد الغيظ مثل حاكم يصول بصاحب جناية ويهدده فاذا رشى بالدينار وبعث اليه سرا أزال غضبه وسكن حدته (اسلمته) تركته (أسرته) قومه (مسرته) فرحه (أبدعته) أوجدته قبل أن يكون (فطرته) خلقته (التقى) الخوف (جلت) عظمت (قوله انجز حر ما وعد) هذا مثل قاله الحرث آكل المرار وهو جد امرئ القيس لصخر بن نهشل بن دارم وذلك أن الحرث قال يا صخر هل أدلك على غنيمة على أن لى خمسها قال نعم فدله على قوم من العرب فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا فحملهم صخر على أن يعطوا الحرث الخمس فأبوا وكان طريقهم على سمجعات وهى ثنية متضايقة فلما دنوا منها صار اليهم صخر حتى قعد على رأسها ومنعهم الجواز أو يعطوا للحرث الخمس فقال حزة البربوعى والله لا نعطيه من غنيمتنا شيأ ومضى فى الثنية فحمل عليه صخر فقتله فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ففى ذلك يقول نهشل ابن حرى بن منجز بن نهشل بن دارم

ماثورة سمعته وشهرته
قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته
وحبيت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته
به يصول من حوته صرته
وان تفانت أو توانت عترته
ياحبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته
كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولا دمات حسرته
وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أزلته بدرته
ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت نشرته
وكم أسير أسلمته أسرته
أنتجه حتى صفت مسرته
وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته
ثم بسط يده بعد ما أنشده
وقال أنجز حر ما وعد

ونحن منعنا الجيش أن يتأوبوا * على سجعات والجياد بنا تجرى
حبسناهم حتى أقروا لحكمنا * وأدى أنفال الخميس الى صخر

فمعنى أنجز حرّ ما وعد أحضر وهيأ وقد نجز الشيء اذا حضر ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامر أراد لينجز حرّ ما وعد (سمع) صب وأمطر (خال) سحاب يخيل لك أنّ المطر فيه (رعد) صوت يقول لابن همام انّ السحاب اذا سمع الرعد سمع بالمطر وأنت قد أسمعتنى ذكر الدينار ووعدتنى به فأنجز لى وعدى (نبذت) رميت (ماسوف) محزون (بارك) أى ضع البركة فيه وقولهم تبارك الله أى تقدّس وتطهر وقيل هو تفاعل من البركة أى البركة تنال بذكر اسمك (الاثناء) الرجوع (توفية الثناء) كمال الشكر والمدح ومما قيل فى وصف الدينار ومدحه

ومقسم الوجنات يبرق وجهه * بادٍ على وجناته عباد
جبل الانام على محبة حسنه * فكأنه ربّ وهم عباد

(وفى مقامات البديع فى وصفه)

ياحسنها فاقعة صفراء * مشرقة منقوشة قراء
يكاد أن يقطر منها الماء * قد أثمرتها همة علياء
ياأيها الذى بغيته الثناء * ما ينقضى بقدرك الاطراء
امض على الله لك الجزاء

واذ قد فرغت من شرح ألفاظه فى انجاز الوعد فى المثل وما اتصل به فلنذكر مذاهبهم فى ذلك فأكثرهم على انجاز الوعد وقد ذكر فيما هو مستقبل * وبع آجلا منك بالعاجل * وقال واذا خيرت بين ذرّة منقودة ودرّة موعودة فمل الى النقد وقال جرير

انى لأرجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

وقال آخر ولا شك أنّ الخير منك سجية * ولكنّ خير الخير عندى المعجل

وقال آخر أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والانجاز مهلة ومنه أنّ منصور بن زياد كلم يحيى بن خالد فى حاجة رجل فقال لى عده عنى قضاءها فقال منصور بن زياد ومايدعوك الى العدة مع القدرة فقال هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع من القلوب انّ الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر به نجحها لم تتحدث النفس بسرورها انّ الوعد مطعم والانجاز طعام وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل قال ابن الكلبى لهشام بن عبد الملك ياأمير المؤمنين لا تصنع الى معروفا حتى تعدنى به فانه لم يأتنى منك سيب على غير وعد الا هان علىّ قدره وقل منى شكره فقال له لم قلت ذلك وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولانى ان أنجح المعروف فى القلوب وأبرده على الاكباد معروف غير منتظر بوعد لا يكدره مطل ووعد المستهدى عيسى بن داب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيرى

ولا تيأسن من صالح أن تناله * وان كان بؤسا بين أيد تبادره

فقال يدفع لعبد الله جارية أخرى فقال الزبيرى

وأنجز خير الناس من قبل وعده * أراحك من مطل ومن طول كدّه

وسمع خال اذ رعد فنبذت ماسوف عليه فوضعه فى فيه وقال بارك الله فيه ثم عمر للاثناء بعد توفية الثناء

(ذكر الوعد وانجازه)

فقال له عيسى بن داب ما صنعت شيأ هلا قلت

حلاوة الفضل بوعد ينجز * لا خير في العرف كنهب ينهز

فقال المهدى الوعد أحسن ما يكو * ن اذا تقدمه ضمان

وقال بعض البلغاء دع الوعد يركض ثلاثا فان كثير العطاء قبل الوعد قليل وجليله حقير وقال يحيى بن خالد من لم يبت مسرورا بوعد لم يجد للصنيعة مطعما وفيه يقول أبو قابوس النصرانى

رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يأتى الذى لم يأته أحد

ينسى الذى كان من معروفه أبدا * الى الرجال ولا ينسى الذى يعد

وقال الحارثى وما روضة دارية أسدية * مغنمة زهراء ذات ثرى صعد

بأحسن من حر تضمن حاجة * لحر فأوفى بالنجاح مع الوعد

فنشأت لى من فكاهته نشوة
غرام سهلت على ائتناف
اغترام فجردت دينارا آخر
وقلت له هل لك فى أن تذمه

وقال ابن رشيق أحسنت فى تأخيرها منة * لو لم تؤخر لم تكن كاملة

وكيف لا يحسن تأخيرها * بعد يقينى أنها حاصله

وجنة الفردوس يدعى بها * آجلة للمرء لا عاجله

وقال رجل لابى عمرو بن العلاء وعدتنى بأمر فلم تنجزه فقال أبو عمرو من أولى منا بالعتب أنا والا أنت قال أنا قال ابو عمرو لا والله بل أنا قال وكيف قال لانى وعدتك وعدا فأنت تفرح بالوعد فبت ليلتك جزلان مسرورا وبت أنا بهم الانجاز فبت ليلتى مفكرا مغموما بما عاق الدهر من بلوغ الارادة فيه فلقيتنى مدلا ولقيتك مستحيا واعتذر بعض الرؤساء لابى على البصرى من تأخر وعده فقال فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه (قوله فنشأت) أى ظهرت وبدت (فكاهة) مزاح (نشوة غرام) سكرة شوق والغرام الحب المعذب للقلب (ائتناف) استقبال (اغترام) غرم ثم ذكر أن يذمه ثم يضمه وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله

ان المؤنة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم

كلف الانام بذمه وبضمه * فتعجبوا لمذمم مضموم

(وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم)

ألا رب شئ فيه من أحرف اسمه * نواه لنا عنه وزجر وانذار

فتنا بدينار وهمنا بدرهم * وآخذا هم وآخذا نار

وقال ابن رشيق صحفت دالين من ديه * نار يلوح ودرهم

فقال لى ذلكم ذى * نار وذا قال ذرهم

وابن رشيق وابن شرف أديبا القيروان يجمعهما البلد والزمان وكانا مرة يتصاحبان ومرة يتباغضان وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم

صديق المرء كالدينار طبعا * وكيف يفارق المرء الطباعا

تراه اذا أقام يقيم جاها * وان فارقته أجدى انتفاعا

أخذه من قول كشاجم ومريد من أباه * ومهين من أجله

فهو كالدينار لا يكـ * ـرم الا من أذله

وقال آخر النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى

والمرء مالم يفد من غيره ورعا * مقسم القلب بين الهم والنار

(قوله مرتجلا) أى غير مفكر (شدا) ابتدأ الغناء وطرب بنشيده (تبا) أى خسرا (عماذق) لا يصفو وده لصاحبه وقد مذق وده اذا لم يخلصه ومذق اللبن خلطه بالماء والمذيق المخلوط (أصفر ذى وجهين) قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ووقع هذا فى نثر البديع قال فى مخاطبة أبى الفتح عيسى أطعنا تريد قلت إى والله قال أخصب رائدك ولا ضل قائدك فمتى عزمت قلت غداة غد فقال

صباح الله لاصبح انطلاق * وطير الوصل لاطير الفراق

وقال السعد لا يعدوك دأبا * يصاحبكم الى يوم التلاق

فأين تريد قلت الوطن قال بلغت الوطن وقضيت الوطر فمتى العود قلت القابل فقال طويت الريط وثنيت الخيط فأين أنت من الكرم قلت بحيث أردت فقال اذا رجعك الله سالما من هذا الطريق فاستصحب لى عدوا فى ثياب صديق من تجار الصفر يدعو الى الكفر ويرقص على الظفر كدارة العين يحط ثقل الدين وينافق بوجهين فعلمت أنه يلتمس دينارا فقلت ذلك لك نقدا ومثله وعدا فأنشأ يقول

رأيك فيما خطبت أعلى * لازلت للمكرمات أهلا

صليت عودا ودمت فردا * وطبت فرعا وطبت أصلا

ياواحد الدهر والمعالى * لاتى الدهر منك ثكلا

قوله عدوا فى ثياب صديق من قول أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(قوله الرامق) أى الناظر ورمقت الشئ رمقا أتبعت النظر اليه و(زينة المعشوق) التى فى الدينار نقشه وتزيينه و(لون العاشق) صفرته فالناظر فى الدينار يرى فى الظاهر زينته فيهواه فيقع على ماوقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ويدل على ذلك صفرته الظاهرة عليه وقال ابن ظفر زينة المعشوق غرور مدعاة الى التهور فى الغرام ولون العاشق وهو الاصفرار دليل على ما أسر من شاغف الكلف فالغافل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها فيصيده الهوى والعاقل ينظر منه الى لون العاشق فيستدل على باطن الجوى (ذوى الحقائق) يعنى أهل الرشد والعلم والذين ينظرون الى مافى الدنيا بعين الحقيقة ثم لولا حب الدنيا ماسرق السارق فيستوجب قطع يده أو بعض أعضائه واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب ومن ملح السرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن والآخر أعسر فكان الايمن يفخر على الاعسر فأخذا فى سرقة فقطعت أيمانهما فكان الاعسر يعمل بيساره أعماله كلها والايمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شأ ففخر الاعسر عليه بذلك فقال له الايمن ماعلمت أن للاعسر فضيلة الا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه (الفاسق) الخارج عن الطاعة الى ركوب المعصية أو عن الايمان الى الكفر أخذ من فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وقال قوم الفاسق الجائر واحتجوا بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أى جار عنه قال رؤبة

يهوين فى نجد وغورا غائرا * فواسقا عن قصدها جوائرا

ثم نضمه فأنشد مرتجلا

وشدا عجلا
تبا له من خادع عماذق
أصفر ذى وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق
زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوى الحقائق
يدعو الى ارتكاب سخط
الخالق
لولا لم تقطع يمين سارق
ولا بدت مظلمة من فاسق

(اشمأز) انقبض (باخل) شحيح وبخيل أكثر من باخل (طارق) قاصد بليل (المطل) تأخير الحق الواجب وأصله من مطل القين الحديد فى النار اذا مدّه وطوّله (العائق) الحابس وقد عاقه عن الشئ اذا حبسه (راشق) عائن وأصله الرامى لجعله للذى يصيب الناس بعينه و(استعيذ) قرئ عليه المعوّذتان وهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (الخلائق) الطبائع واحدتها خليقة (الآبق) الهارب وأبق العبد يأبق اباقا زال عن مولاه وفى معنى فراق الدينار قول الاخطل

ومعشوق يرقص كل يوم * ترى فى وجهه أبدا كلاما
اذا فارقته أجدالك خيرا * ولا يجدى عليك اذا أقاما

ولا اشماز باخل من طارق
ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق
وشرّ ما فيه من الخلائق
ان ليس يغنى عنك فى المضايق
الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق

وهذا من قول الحسن البصرى وقد رأى رجلا يقلب درهما فقال له أتحب درهمك هذا قال نعم قال فانه ليس لك حتى يخرج من يدك (واها) تعجب معناه ما أعجب من يقذفه (حالق) جبل أملس منيف (ناجاه) حدّثه سرا (الوامق) المحب وقد ومق يمق مقة (المحق) القائل الحق (قوله ما أغزر و بلك) أى ما أكثر بلاغتك و(أملك) ألزم وأحق يريد أن شرطك الذى شرطت من اعطائى دينارا آخر ان ذممته قد لزمنى بذمى له والشرط أملك مثل وأول من قاله الافعى الجرهمى وكان حكيما للعرب فتحاكم اليه خصمان فاشترط أحدهما وأراد أن لا يلتزمه فقال الافعى الشرط أملك وتقديره الشرط أملك لا أمرلك منك (نفحته) رميته (عوّذهما) ارقهما و(المثانى) أم القرآن سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة واختصها لانه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار فكأنه قال اقرا الحمد لله رب العالمين شكرا لله عليهما وتعويذا لهما وهذا كما قال ابن رشيق فى غلام جميل

معتدل القامة والقد * مورد الوجنة والخد
لو وضع الورد على خده * ما عرف الخد من الورد
قل للذى يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمد

وله فى مثله

شكوت باخب الى ظالمى * فقال لى مستهزئا ما هو
قلت غرام ثابت قال لى * اقرأ عليه قل هو الله

وقال أبو عبيد المثانى فى كتاب الله ثلاثة أشياء القرآن سماه الله المثانى فى قوله تعالى كتابا متشابها مثانى رسمى الفاتحة مثانى فى قوله سبعا من المثانى وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم ان المثانى من السور ما دون المئين كأنها جعلت مبادى والتى تليها مثانى (قوله بتوأمه) أى بأخيه يعنى الدينار الاول (انكفأ) انقلب ورولى (مغداه) بكوره وسيره فى الغدو (النادى ونداه) المجلس وكرم أهله ونريد أن نأتى بفصل فى مدح الشئ وذمه على حكم ما مدح الحريرى الدينار وذمه وبين مذهب العرب وأهل الادب فى ذلك فقد ألف ابن رشيق فيه كتابا جليت فى هذا الكتاب عيونه قال أبو عثمان الجاحظ العربى يعاف الشئ ويهجو به غيره فان ابتلى به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره فافهم هذا فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنهم يمدحون بالشئ الذى يهجون به وهذا باطل ليس شئ الا وله وجهان فاذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين واذا ذموا ذكروا أقبح الوجهين قال ابن رشيق أكثر ما تجرى هذه الممادح والمذام على جهة المنافقة لا على جهة المناصفة ومن باب المساحة لا من باب المشاحة والا فالشئ لا يوافق ضدّه فيكون الحسن قبيحا فى حالة واحدة والمدح ذمّا لمعنى واحد لكن لكل

(مدح الشئ وذمه)

شئ كما ذكر الجاحظ مساو ومحاسن كما فعل عمرو بن الاهتم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد الزبرقان بن بدر على ما ادّعاه من الشرف فى قومه قال عمرو أجل يا رسول الله انه مانع حوزته مطاع فى أنديته شديد العارضة فقال الزبرقان أما والله لقد علم أكثر مما قال ولكن حسدنى شرفى فقال عمرو اما وقد قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروءة لئيم الخال حديث الغنى فرأى الكراهة فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة * وكتب يزيد بن معاوية فى صدر كتابه الى عبد الله بن زياد وقد ولاه محاربة الحسين بن على رضى الله عنهما وكان قبل ذلك يسيء الرأى فيه أما بعد فان المسبوب يوما ممدوح وان الممدوح مسبوب يوما ويروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيأ قط فمر يوما بكلب ميت فقال أصحابه ما أنتن ريحه فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ما أحسن بياض اسنانه وقالت للحسين ابن منذر امرأة كيف سدت وأنت دميم بخيل فقال لانى سديد الرأى شديد الاقدام وقال مسلمة ابن عبد الملك لاخيه هشام كيف تطمع فى الخلافة وأنت جبان بخيل وأنت جبان فقال لانى حليم وأنا عفيف فسلم لعائبه ما ادّعاه من دساويه وذكر من محاسنه ما لم ينازع فيه * صعد خالد بن عبد الله القسرى منبر مكة يوم الجمعة وهو أمير للوليد بن عبد الملك بن مروان فأثنى على الحجاج خيرا فلما كانت الجمعة الثانية وقدمات الوليد ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه واظهار البراءة منه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان يظهر من طاعة الله عزوجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفى عن الملائكة فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه منهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كان يرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله وغشه على ما خفى عنا فلما أراد فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل ومر غيلان ابن خرشة الضبى مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر لاهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الامير يتعلم العوم فيه صبيانهم ويكون لسقائهم ولسيل مياههم ويأتيهم بميرتهم ثم عاد ابن عامر فساير زيادا عليه فقال زياد ما أضر هذا النهر لاهل هذا المصر فقال أجل والله أيها الامير تنزمنه دورهم وتغرق فيه صبيانهم ويكثر لاجله بعوضهم ومدح الجاحظ العروض فقال هو ميزان الشعر ومعياره به يعرف الصحيح من السقيم والعليل من السليم وعليه مدار القريض والشعر وبه يسلم من الاود والكسر ثم ذمه فقال هو علم مولد وأدب مستبرد ومذهب مرفوض تستنكره العقول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول * وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها أما المال فتبلعين وأما المروءة فتخلعين وأما الدين فتفسدين ويسكت ساعة ثم يقول أما النفس فتسمحين وأما الهم فتطردين أفتراك منى تفلتين ثم يشربها وشكا أبو العيناء حاله الى عبد الله ابن سليمان فقال أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم بن المدبر قال كتبت الى رجل قد حصر من همته طول الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر فأخفقت فى طلبتى قال أنت اخترته قال وما على

أعز الله الامير فى ذلك قد اختار موسى قومه سبعين رجلا وما كان منهم رشيد واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا فرجع الى المشركين مرتدا واختار على رضى الله عنه أبا موسى حاكما فحكم عليه (قوله فاستعدته) أى قلت له أعد علىّ (عرفت بوشيك) أى عرفت بحسن كلامك وتزيينه (استقم) استعدل وأزل عوجك (حييت) طال بقاؤك والتحية البقاء (حييت) عشت (والحوادث) ما يحدث من الخير والشر (بؤس) شدة العيش (رخاء) لينه وسعته (زعزع) ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه والزعزعة تحريك الشئ اذا أردت قلعه (رخاء) ريح لينة سريعة من الارخاء فى السير وهو عدو فوق التقريب وناقة مرخاء سريعة (القزل) أسوأ العرج وقد قزل قزلا و (هزل) هزل ترك الجد فى قول أو فعل يقول كيف تحيلت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع فى هذه النقيصة فهو يهزأ به فغضب عند ذلك (استسر بشره) زال عنه سماحه وطلاقة وجهه (تجلى) ظهر (ولى) ذهب (قوله أقرع) أى أضرب (الفرج) كشف الهم (ألقى حبلى على غاربى) أى أسرح وأمشى حيث أحببت والعرب تطلق هذا اللفظ فتقول للمرأة حبلك على غاربك أى أنت مسيبة فتوجهى حيث شئت لا مانع لك ولا حابس والغارب ما انحدر من السنام والحبل هو الذى يعقل به البعير فاذا سرحوه حلوا عقاله وألقوه على غاربه قال ابن الانبارى أصله أن يلقى حبل الناقة على غاربها فتفزع ولا ترعى اذا لم ترد على الارض (أسلك مسلك) أى أدخل مدخل والمسلك الطريق (مزج) خلط الجد بالهزل (حرج) اثم والله تعالى أعلم

(شرح المقامة الرابعة وهى الدمياطية)

(قوله ظعنت) رحلت والظعن ضد الاقامة (دمياط) بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخا وهى على ساحل البحر الملح والى دمياط ينتهى ماء النيل فيفترق منها فيخرج بعضه الى بحيرة تنيس وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ويخرج بعضه الى البحر وبها تعمل الشروب وقد ذكرنا ذلك عند تنيس (قوله هياط) صياح وتهايط القوم اجتمعوا ودبروا أمرهم (مياط) دفاع أى كان عام هرج وخلاف (مرموق) منظورا اليه (الرخاء) سعة المال (موموق) محبوب (أسحب) أجر (مطارف) ثياب لها أعلام فى أطرافها (أجتلى) أنظر (معارف) وجوه (السراء) الغنى والسرور (رافقت) صحبت فى السفر و (الصحب) الاصحاب (الشقاق) الخلاف ومعنى شقوا عصاه أزالوه وطرحوه والعرب تقول شق فلان العصا اذا ترك الطاعة وخرج مباينا قال أبو عبيد العصا تضرب مثلا للاجتماع وانشقاقها يضرب مثلا للافتراق الذى لا اجتماع بعده (أفاويق) جمع أفواق وأفواق جمع فواق وهو ما بين الحلبتين و (الوفاق) ترك الخلاف وقد وافقته موافقة ووفاقا (قوله لاحوا) ظهروا والعرب تضرب المثل باسنان المشط وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان وقال النبى صلى الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية فان أرادوا الاستواء فى الشر قالوا سواسية كاسنان الحمار وقال كثير يهجو ضمرة

فسائل بقومى كل أجرد سابح * وسل غفارا بى بضمرة أو سخلا
سواء كاسنان الحمار فلا ترى * لذى كبرة منهم على ناشئ فضلا

فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم فى مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت بين كرام فقلت أنا الحرث فكيف حالك والحوادث فقال أتقلب فى الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذى كان تجلى ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة فى العرج ولكن لاقرع باب الفرج
وألقى حبلى على غاربى وأسلك مسلك من قد مرج

ان لامنى القوم قلت اعذروا فليس على أعرج من حرج

(المقامة الرابعة الدمياطية)

أخبر الحرث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق الاخاء أسحب مطارف الثراء واجتلى معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كاسنان المشط فى الاستواء

(التئام) اجتماع واتفاق (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه وتميل اليه النفس فاراد أن اغراضهم متفقة (النجاء) السير السريع (نرحل) نشد عليها الرحل ونشخص بها (هوجاء) ناقة سريعة كأن بها هوجا وهو الحمق لسرعة مشيها (وردنا منهلا) أتينا ماء تنزل عليه والنهل الشرب الاول والعلل الثانى وذلك أن الابل ترد الماء فتشرب منه ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى التمرئة ثم ترد مرة أخرى فتشرب الماء فالشرب الاول نهل والثانى علل والمنهل موضع النهل والورود قصد الماء (اختلسنا) استرقنا (اللبث) الاقامة ومثله المكث أى لا يستقرون بموضع ينزلون فيه الا قليلا و (الركاب) الابل و (اعمالها) استعمالها (فتية الشباب) صغيرة السن وأراد أنها طويلة سوداء لا قرف فيها لان شعر الشباب أسود ويريد أنها أول الشهر فهى كالفتية والليلة أول الشهر سوداء (غدافية) منسوبة الى الغداف وهو الغراب لسواده و (الاهاب) الجلد وأراد لونها (أسرينا) مشينا بالليل يقال سرى وأسرى (نضا الليل شبابه) أى أزال ظلامه ونضا ثوبه جرده عنه ومثله (سلت خضابه) وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه وسلت الشئ سلتا أزاله عما علق به والمرأة خضابها كذلك وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة وينظر الى سراه مع صحبه فى سواد الليل قول ابن شهاب

وفتوّ أسروا وقد عكف الليـ * ـل وأقعى مغدودف الاطناب
وكان النجوم لما هدتهم * أشرقت كالعيون من أهداب
يتفرّون جوز كل فلاة * جنح ليل جوزاؤه من ركاب
عن ذكرى لمدحهم فتناهوا * من حديثى فى عرض أمر جحاب
همة فى السماء تسحب ذيلا * من ذيول العلا وجد الركاب

ومما جاء فى سرى الليل قول عبد الصمد بن المعذل وهو من حسن الاستعارة

أقول وجنح الدجى ملبد * ولليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ما ضم من المسجد
فيا ليلة الوصل لا تبعدى * كما ليلة الهجر لا تبعد
ويا غد ان كنت لى راحما * فلا تدن من ليلتى يا غد

وقال ابن المعتز يا رب ليل حالك الجلباب * ملتحف خافقتى غراب

وما أحسن قول ابن شهيد فى وصف الليل

وبتنا نراعى الليل لم نطو برده * ولم يجن شيب الصبح من فرعه وخطا
تراه كمثل الزنج من فرط كبره * اذا رام شيأ فى تأخره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد علق الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال حبيب اليك هتكنا جنح ليل كأنه * قدا كتحلت منه البلاد بأثمد

وقال ذو الرمة ودوية مثل السماء اعتسفتها * وقد صبغ الليل الحصى بسواد

وقال أيضا وليل كجلباب العروس ادرعته * بأربعة والشخص فى العين واحد
أحم غدافى وأبيض صارم * وأعبس مهرى وأروع ماجد

وقال البحترى ياخليلى بالهواجر من معـ * ـن بن عوف وبحتر بن عتود

وكالنفس الواحدة فى التئام الاهواء وكمامع ذلك نسير النجاء ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب فى ليلة فتية الشباب غدافية الاهاب فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا

اطلبا ثالثا سواى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

(وقال السلامى)

الليل طوى عرض البسيطة عاجلا * قطار المطايا أن يلوح لها القصر

وكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودارهى الدنيا ويوم هو الدهر

فالبيت الاول والثانى نحو بيت البحترى والبيت الثانى نحو بيت ذى الرمة فى التقسيم وبمثل هذا الكلام يمتدح الملوك والافلا ولما مدح عضد الدولة بلغه به من المكانة الغاية القصوى وفتن بشعره حتى كان يقول اذا رأيت السلامى فى مجلسى ظننت أن عطارد انزل من السماء وسنذكر من شعره ما يحسن (قوله السرى) أى السير بالليل (الكرى) النوم (مخضلة) مبتلة بالندى (الربا) الكدى واحدها ربوة (معتلة الصبا) أى ليّنة الريح (مناخا) منزلا (العيس) الابل يخالط بياضها حمرة (محطا) منزلا يحط به الاحمال (التعريس) النزول بالليل فى آخره وهذا التخير الذى ذكر لهذه الارض منتزع من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كانت أرض مخصبة فتقصدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها فان الله رفيق يحب الرفق واذا كانت مجدبة فأخوا عليها وعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل واياكم والتعريس على ظهر الطريق فانه مأوى الحيات ومدارج السباع (الخليط) الاصحاب (هدأ) سكن (الاطيط) أصوات الابل و (الغطيط) أصوات الناس النيام (صيتا) جهير الصوت (سميره) رفيقه الذى يسمره بالحديث (الرحال) منازل المسافرين سميت رحالا باسم الرحال التى توضع فيها والرحل اسم لما يحمله البعير من حمله وتنبه وما يوطأ به تحت الحمل (سيرتك) عادتك (جيلك) أهل عصرك (جيرتك) جيرانك (قوله أرعى) أى أحفظ (جار) تعدّى ومال عن الحق قال صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه (ابذل) اعطى (صال) صاح مخوّفا (الخليط) الصاحب ويقع للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد وسمى بذلك لاختلاط الامرين بين الصاحبين (الجميم) الاول الصديق الخلص والثانى الماء الحار (الشفيق) الحب (الشفيق) الاخ من الاب كأنه شق معك طهر أبيه ومن الام كأنه شق معك بطن أمك (أفى للعشير) أعامل الصاحب بالوفاء (يكافئ بالعشير) يجازى بالعشير من فعلى والمكافأة المواساة (أستقل) اراه قليلا (الجزيل) الكثير (النزيل) الضيف والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره (أنمر) اعطى (الزميل) الرديف (الجميل) الافعال الجميلة (أميرى) الحاكم علىّ (الانيس) الذى يؤنسك بحديثه وفلان رئيس قومه أفضلهم وأعزهم (أودع) اعطى وديعة (معارفى) من يعرفنى (عوارفى) عطاياى واحدها عارفة وهى اليد من النعمة (أولى مرافقى) اعطى مصاحبى فى السفر ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض و (مرافقى) جمع مرفقة وهى المعونة وما يرتفق به و (القالى) المبغض وقليت الرجل قلى أبغضته (تسالى) كثرة سؤالى (السالى) الناسى للمودة والتارك لها وسلوت عن الشئ أسلو سلوا وسلوة اذا تركته (اللفاء) النقصان وقال أبو على فى الايضاح اللفاء مادون الحق قال أبو زيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر رحمه الله

فما أنا بالضعيف فتظلموه * ولا حظى اللفاء ولا الخسيس

السرى ودلنا الى الكرى
صادفنا أرضا مخضلة الربا
معتلة الصبا فتخيرنا ها
مناخا للعيس ومحطا
للتعريس فلما حلها الخليط
وهدأ بها الاطيط والغطيط
سمعت صيتا من الرجال
يقول لسميره فى الرحال
كيف حكم سيرتك مع
جيلك وجيرتك فقال أرعى
الجار ولو جار وأبذل الوصال
لمن صال وأحتمل الخليط
ولو أبى التخليط وأود
الحميم ولو جرّ عنى الحميم
وأفضل الشفيق على
الشقيق وأفى للعشير وان
لم يكافئ بالعشير وأستقل
الجزيل للنزيل وأنمر
الزميل بالجميل وأنزل سميرى
منزلة أميرى وأحل أنيسى
محل رئيسى وأودع معارفى
عوارفى وأولى مرافقى
مرافقى وألين مقالى للقالى
وأديم تسالى عن السالى
وأرضى من الوفاء باللفاء

(أقنع) أرضى والقناعة الرضا باليسير و (الجزاء) المكافأة وجازيته بما صنع مثل كافأته مكافأة و (الاجزاء) الانصباء تقسم على جماعة واحدها جزء وأقلها أنقصها (أتظلم) أشتكي من الظلم (لا أنقم) لا أنتقم تقول نقمت منه نقمة أي عاقبته فمعناه لا أعاقب صاحبي ولو بلغ في الاضرار مني الغاية وتقول أيضا نقمت الشيء وأنقمته نقما ونقوما اذا أنكرته فمعناه على هذا لا أنكر على صاحبي ولو بالغ في الاذى ويقال في الانكار نقم ينقم (قوله ويك) معناه التعجب كأنه قال ما أعجبك أو عجبا لك وقيل أراد ويلك فحذف اللام (انما يضن بالضنين) وهذا مثل أول من قاله الاغلب العجلي وفسره أبو عبيد فقال معناه تمسك باخاء من تمسك باخائك وبيانه أن الضنين البخيل ويضن يبخل فيقول انما أتمسك وأتعلق بصاحب تمسك بي وعرف حقي فأنا أبخل به على غيري أن يشركني في صحبته كما يبخل بي هو على غيره وقيل الضنين في المثل هو الشيء المضنون به لنفاسته فمعناه انما يبخل بالشيء النفيس الرفيع (الموافق) المساعد الموافق (العاتي) المتكبر الصعب الخلق و (المراعاة) المحافظة للود و (أسم) اجعلها سمة أي علامة (اصافي) أخلص له ودي (يأبى) يمنع (انصافي) أي اعطائي الحق من نفسه (أواخي) أصيره أخا واتخذه صديقا (يلغى) يترك ويطرح (الاواخي) أسباب الود واحدها أخية وأصل الأخية عروة من حبل تشد في وتد أو على حجر تحت الارض وتبقى العروة على وجه الارض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها (أمالي) أعاون وأصلها الهمزة تقول مالأته على الامر أمالئه اذا عاونته وساعدته ومنه والله ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله فخفف الهمزة ليوافق (آمالي) وهو جمع أمل وهو الرجاء (صرم حبالي) قطع أسباب وصالي وهم يكنون بالحبل عن الود لان الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط به (قوله أداري) أسوس وأحسن صحبته و (الزمام) حبل من جلود يربط في حلقة في أنف البعير (يخفر ذمامي) ينقض عهدي أي لا أنقاد لمن لا عهد له (ودادي) حبي وهو من وادّه وهو الذي لا يكون الا من اثنين فوضعه موضع ودي ويقال أيضا في الحب حباب مثل وداد قال الشاعر

* أداء عراني من حبابك أم سحر * (أضادي) أعدائي المناقضين لافعالي (ايعادي) تهديدي وتخويفي (الايادي) النعم (وواسيته) مواساة جعلته أسوة نفسي في مالي فقاسمته فيه (مساآتي) أحزاني وما يسوءني (التفاتي) نظري وانعطافي الى جهته (يشمت) يسر (وفاتي) موتي (أخص) أفرد (حبائي) عطائي (أحبائي) جمع حبيب (أستطب) أطلب طبه (خلتي) صداقتي (يسد خلتي) يصلح فقري (أخلص) أجعله خالصا (ينعم) يملأ (أفرغ ثنائي) أصب مدحي وأكسوه أو يكون أفرغه أبلغ آخره (قوله تحزن) أي تحبس (أذكو) أضيء يقال (خمدت) النار اذا سكن لهبها وذكت اتقدت و (المثقال) الصنجة التي يوزن بها سميت بذلك لانها تثقل ما يوزن بها في الكفة الثانية (تحاذي) تشابه (والفعال) بفتح الفاء اسم للفعل الحسن والقبيح ولا يقال بكسرها الا في مصدر فاعل قال ابن الاعرابي الفعال فعل الواحد من الخير والشر والفعال بالكسر الفعل بين الاثنين (حذو) مشابهة والعرب تقول في الشيئين يشتبهان هما حذو والنعل بالنعل أي كل واحد من النعلين تقطع على قالب أختها ومنه قول الهذلي

وتأمل السبب الذي أحذوله * وانظر بمثل حذائه فاحذوني

(النعابين) الغبن (نكفي) نمنع (التضاغن) العداوة وتضاغن الرجلان اعتقد كل واحد منهما

واقنع من الجزاء باقل الاجزاء ولا أتظلم حين أظلم ولا أنقم ولو لدغني الارقم فقال له صاحبه ويك يا بني (انما يضن بالضنين) وينافس في الثمين لكن انا لا آتي غير الموافق ولا اسم العاتي بمراعاتي ولا اصافي من يأبى انصافي ولا أواخي من يلغى الاواخي ولا أمالي من يخيب آمالي ولا أبالي بمن صرم حبالي ولا اداري من جهل مقداري ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا أبذل ودادي لاضدادي ولا أدع ايعادي للمعادي ولا أغرس الايادي في أرض الاعادي ولا أسمح بمواساتي لمن يفرح بمساآتي ولا ارى التفاتي الى من يشمت بوفاتي ولا أخص بحبائي الا احبائي ولا استطب لدائي غير أودائي ولا املك خلتي من لا يسد خلتي ولا اصفي نيتي لمن يمنى منيتي ولا اخلص دعائي لمن لا ينعم وعائي ولا افرغ ثنائي على من يفرغ انائي ومن حكمه بان ابذل وتحزن وألين وتخشن واذوب وتجمد واذكو وتخمد لا والله بل تتوازن في المقال وزن المثقال وتتحاذى في الفعال حذو النعال حتى نأمن التغابن ونكفي

لصاحبه ضغناوهو الحقد (أعلاك) أسقيك علالا أى مرتبعد أخرى (تعلنى) تمرضنى (أقلاك) أرفعك (تستقلنى) تحقرنى (أجترح) اكتسب (أسرح) أرعى عليك وأجلب عليك الرزق بالغداة والعشى (تسرحنى) تهملنى (ضيم) ذل (أنى) كيف (تشرق) تضىء من أشرقت وتشرق تطلع من شرقت (غيم) سحاب (أصحب) أنقاد (بعسف) بجور وأصل العسف ركوب الامر بغير تدبير و (الخطة) المنزلة والمرتبة و (الخسف) الاذلال والنقصان ومنه خسف الارض والخاسف المهزول و يقال باتوا على الخسف أى جياعا ليس لهم شئ يقتاتون به والخسف للدابة أن تبيت بغير علف (قوله أعلق) بمعنى علق أى الصق (أسه) أصل بنائه يقول من علق بقلبى ودّه جعلت ذلك الود أسا بقلبى و بنيت عليه ودى فان أسس فى قلبى ود اسليمانيت له عليه مثله وان غشنى فى ود غششته والهاء فى أسه ترجع الى من أى من نصحنى فى صحبته نصحته و (الخل) الصاحب (بخسه) نقصه (أخسره) أنقصه (الورى) الخلق من الناس (الجنى) مايجنى من الثمرة (أبتغى الغبن) أطلب الخداع (أثنى) أرجع و (صفقة المغبون) بيعة المخدوع (حسه) فهمه والحس صوت حركة الحى و (الصفقة) فى الاصل مصدر يقال صفق بيده يصفق صفقا اذا ضرب باحداهما على الاخرى وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشترى بيده على يد البائع فان رضى البيع قبض على يد المشترى وانعقد البيع وان لم يرض أرسل يده ثم صار وا يقولون رضى الصفقة اذا رضى البيع ثم سمى عقد البيع صفقة (مذاق) خلاط غير خالص (الهوى) الحب و (خالنى) حسبنى (لبسه) تخليطه وتلبيسه (غريمى) صاحب دين (من جنسه) من نوع ما أعطانى (استغبالك) استجهالك (القلى) البغض (هبه) احسبه (الملحود) المدفون (رمسه) قبره و ينظر الى بيته قول ابن الرومى

من تصدى لاخيه * بالغنى فهو أخوه
فان احتاج اليه * راء منه مايسوه
يكرم المثرى فان أمـ * ـلق أقصاه بنوه
أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه
فان احتجت اليه * ساعة مجلك فوه

ووجد على حجر مكتوبا

كل من أحوجك الدهر اليه * وتعرضت له هنت عليه

وهذان المذهبان اللذان ذكرهما الحريرى مبنيان على آيتين من كتاب الله تعالى الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين والثانية قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل قال النبى صلى الله عليه وسلم لا خير فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل الذى ترى له وللشعراء القدماء والمحدثين فى المذهبين شعر كثير قال المقنع الكندى فى المذهب الاول

وان الذى بينى و بين بنى أبى * و بين بنى عمى لمختلف جدا
أراهم الى نصرى بطاء وان هم * دعونى الى نصر أتيتهم شدا
وان أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

والافلم أعلك وتعلنى واقلك
وتستقلنى واجترح لك
وتجرحنى واسرح اليك
وتسرحنى وكيف يجتلب
انصاف بضيم وانى تشرق
شمس مع غيم ودتى اصحب
ودبعسف واى حر رضى
بخطة خسف ولله ابوك
حيث يقول
جزيت من اعلق بوده
جزاء من يبنى على اسه
وكنت للخل كما كان لى
على وفاء الكيل أو بخسه
ولم اخسره وشر الورى
من يومه أخسر من امسه
وكل من يطلب عندى جنى
فماله الاجنى غرسه
لا ابتغى الغبن ولا اثنى
بصفقة المغبون فى حسه
ولست بالموجب حقا لمن
لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالنى
أصدقه الود على لبسه
ومادرى من جهله انى
اقضى غريمى الدين من جنسه
فاهجر من استغبالك القلى
وهبه كالملحود فى رمسه

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمرّ بي * زجرت لهم طيرا تمرّ بهم سعدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى * وان قلّ مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس يسود القوم من يحمل الحقدا

وقال معن بن أوس المدني في المذهب الثاني

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت اذا ما صاحب رام خلقتي * وبدل سوأ بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن ولم أدم * على ذلك الا ريثما أتحوّل

(وقال ابراهيم بن العباس الصولي)

أميل مع الزمان الى ابن عمي * وآخذ للصديق من الشفيق
وان ألفيتني حرّا مطاعا * فانك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفي وبيني * وأجمع بين مالي والحقوق
وكنت اذا الصديق أراد غيظي * وأشرقني على شرق بريق
غفرت ذنوبه وصفحت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق

وكلف ابراهيم بن العباس بعض اخوانه مقاطعة صديق فقال له

انى متى أجعل بحقدك لا أنر به سواكا
ومتى أطعتك في أخيك أطعت فيك غدا أخاكا
حتى أرى مستقسما * يومي لذا وغدا لذاكا

وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثاني

فان تزرني أزرك أو ان * تقف بي أقف ببابك
والله لا كنت في حسابي * الا اذا كنت في حسابك

أين هذا من قول البستي أيضا وقد خالف فيه خلافا شديدا ولا نازعه أحد فيه ولا سبقه اليه اذ يقول

وانى لاختص بعض الرجال * وان كان فدما ثقيلا عياما
* فان الجبين على انه * وخيم ثقيل يشهى الطعاما

ولابن شرف

بع من جفاك ولا تبخل بسلعته * واطلب به بدلا ان رام تبديلا

وهو كثير وبما ذكرت يستدل على الباب (قوله وعيت) أي حفظت (تقت) أي اشتقت (عينهما) نخصهما (لاح) ظهر (ابن ذكاء) هو الصبح وذكاء هي الشمس ويقال للصبح ابن ذكاء لانه من ضوئها (ألحف) غطى (الجو) الهواء بين السماء والارض أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه ومن حسن التشبيه في ضوء الصبح قول ذي الرمة

وقد لاح للساري الذي كل السرى * على أخريات الليل فتق مشهر
كلون الحصان الابيض البطن قائما * تمايل عنه الجل واللون أشقر

والبس لمن في وصله لبسة
لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى
انك محتاج الى فلسه

(قال الحرث بن همام) فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى أن أعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجو الضياء

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بافرس الاشقر الابيض البطن وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال

غداوا والصبح تحت الليل باد * كطرف أشقر ملقى الجلال

(وقال أبو يوسف الرمادى)

وليلة أنس قد أمرنا ظلامها * باوجه راح تستنير فترشف

الى أن بدا ضوء الصباح كأنما * تحمل لقمان وأقبل يوسف

(قوله غدوت) أى بكرت (استقلال) ارتفاع وقيام و (الركاب) الابل واحدتها راحلة (ولا اغتداء الغراب) أى ولا مثل اغتدائه فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لان لا لا تنصب المعارف وأراد أن اغتدائى كان قبل أن يغتدى الغراب والغراب أكثر الطير بكورا وهذا وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله ولا كيد فرعون موسى ولا انهلال السحب ولا عمرو بن عبيد اذا طابت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ولم يأت هذا الا عن العرب تقول العرب فتى ولا كمالك فيريدون أن مالكا أفضل من الفتى ومثله مرعى ولا كالسعدان أى ان المرعى فاضل فى طيبه ولكن السعدان أفضل منه ومثله ماء ولا كصداء فصداء أفضل من ذلك الماء على طيبه فهذا مذهب العرب فى ذكر ولا بين المشبهين وأما قول الحريرى غدوت ولا اغتداء الغراب فيريد أن غدوى أبكر من اغتداء الغراب وكذلك ولا انهلال السحب وهو يريد أن جودهم فوق جود السحاب لان كلام العرب فلان أبكر من الغراب وأجود من السحاب ولا يقولون السحاب أجود من فلان ولا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك فاذا حققت لفظة ولا فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى وانما اللفظ من كلام عامة العراق فاستعملها لانها عندهم متعارفة وليست بعربية ومثل هذا قد جوزه المولدون فى أشعارهم وجاء منه فى مقامات البديع كثير ويستعمل أهل فاس فى مغربنا اللفظة ولا فى تشبيهاتهم كثيرا جدا على حد استعمال الحريرى لها ولا يستعملها أهل الاندلس وقال الفتح يهى الرفع فى قوله ولا اغتداء الغراب أكثر مبالغة فى التشبيه من النصب (قوله أستقرى) أى أتتبع (صوب) جهة وناحية (الليلى) الذى سمع بالليل (أتوسم) أتعرف وأنظر سمتها (الجلى) البين (لمحت) رأيت (بردان رثان) ثوبان خلقان (نجيا ليلتى) أى المتحدثان فيها وجعلهما متحدثين مع الليلة مجازا لما أوقعا الحديث فيها كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار ولا يمكران انما يمكر فيهما فنسب ذلك المكر اليهما (صاحبا رواتى) أى اللذان أروى عنهما هذه القصة (كاف) محب (دمائتهما) سهولتهما والدمائة سهولة الارض وكل ما وطئته وسهلته أو ذللته بيدك فهو دمث (راث) بالئ مشفق (ورثائتهما) سوء حالهما (أبحته) جعلته له مباحا (كثرى وقلى) أى كثر مالى وقليله (طفقت) أخذت (أسير) أمشى (السيارة) القوم الذين يسيرون فى الاسفار (أهز الاعواد) استعارة وأراد أنه يستعطف لهما أصحاب الاموال فيواسونهم فكنى عنهم بالاعواد وقد كرر هذا المعنى نظما حين قال

قصدته والشيخ يبغى جنى * عوده مازال مهزوزا

وقال الشاعر فى مثله

غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت أستقرى صوب الصوت الليلى وأتوسم الوجوه بالنظر الجلى الى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا الليلى وصاحبا رواتى فقصدتهما قصد كاف بدمائتهما راث لرثائتهما وأبحتهما التحول الى رحلى والتحكم فى كثرى وقلى وطفقت أسير بين السيارة فضلهما وأهز الاعواد الممرة لهما

الا يكن ورقى غضا أراح به * للمعتفين فانى لين العود

أراد ان لا أكن كثير المال فانى كريم والورق المال غير الصامت وأراح به اهتز به من الاريحية وراح الشجر أتى بورق فى آخر الصيف لا أصل لها ويقال لها الخلفة والرمل (قوله غمرا) أى أعطيا (النحلان) العطايا (الخلان) الاصحاب و (قوله وكنا بمعرس) المعرس موضع النزول آخر الليل (نتنور) ننظر النيران (القرى) طعام الضيف (كيسه) وعاء دراهمه والكيس خريطة تسع خمسمائة درهم والبدرة تسع عشرة آلاف درهم قال حبيب

من بعد ما صارت هنيدة صرمة * والبدرة النحلاء صارت بوسا

(قوله انجلاء بوسه) انكشاف فقره (درنى) وسخنى و (رسخ) الشئ فى الارض رسوخا غاب فيها ورسخ العالم فى العلم دخل فيه (استحم) أدخل الحمام واستحم الرجل اغتسل بالحميم وهو الماء الحار (أقضى) أقطع وأزيل وقضيت الشئ صنعته (المهم) أراد به فرض الصلاة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان أهم أموركم عندى الصلاة فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع وقيل المهم الوسخ لان الامر المهم هو الذى فى القلب منه هم وشغل وقد ذكر ان الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ما عليه من الوسخ فيكون قوله وأقضى هذا المهم من قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وقد أهمنى الشئ فهو مهم وهذا القول أوفق بمراده وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام

ياصاح عهدى بالحمام قد بعدا * فلا تلمنى فيه ان طلبت مدى
قارعت فيه العدا فى معرك لجب * دحض تزل به الاقدام قد بعدا
عدا أثرن برأسى حين ثرن به * رقدا وأعادت جلده جلدا
فظلت مستأصلا بالقتل أجمعها * فلم أدع والدا منها ولا ولدا
ثم انثنيت معا فى ناعما جذلا * مظفرا أستزيد الواحد الصمدا

ورأى نفسه ممتدا بين يدى الحكاك فقال

أأغتران مد فى العمر لى * وأرجى المتاب الى قابل
وأغفل والموت لى طالب * حثيث كذئب الغضا القاتل
كأنى بى هكذا ميتا * تحكم فى يد الغاسل

وله ايضا

شكوت للدهر حسن ما صنعا * طريد مجد تحيتى رفعا
ياحسن حمامنا وقد غربت * شمس الضحى فيه بعد ما متعا
أيقن ان الهلال راكبه * فضاء للحاضرين واتسعا
فانعم أبا عامر بنعمته * واعجب لامرين فيه قد جمعا
نيرانه من زناد كم قدحت * وماؤه من بنانكم نبعا

ولبعضهم فى حمام كانت مضاوئه من زجاج أحمر وفى سمائه حمرة وبياض

تحيرت من طيب حمامنا * فقيل لى ان فيه الفلق
فمن حمرة فوقنا وابيضاض * لحد الحبيب اذا ما عرق
رأى الدهر ما سد من حسنه * فسد كوى سقفه بالشفق

ودخل الحمام أبو جعفر الطليطلى وأبو بكر بن تقى رحمهما الله تعالى فقال ابو جعفر

الى أن غمرا بالنحلان
واتخذا من الخلان وكنا
بمعرس نتبين منه بنيان
القرى ونتنور نيران
القرى فلما رأى أبو زيد
امتلاء كيسه وانجلاء
بوسه قال لى ان بدنى
قد اتسخ ودرنى قد رسخ
أفتأذن لى فى قصد قرية
لاستحم وأقضى هذا المهم

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماءونار حواهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ونظر فيه الى غلام وسيم فقال

هل استمالك ميال القوام وقد * سالت عليه من الحمام انداء
كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من اعطافه الماء

وقال آخر حمامنا فيه فضل القيظ محتدم * وفيه للبرد سر غير ذى ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال ابن رشيق ومما قاله على عقب وداع

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم * لاجل نعيم قد رضيت ببوسى
ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة * فابكى ولا يدرى بذا الجليسى

وقال آخر وحمام كأن النار فيه * مسعرة بنيران الجحيم
دخلت أنا ومن أهواه فيه * فعاد لنا كجنات النعيم

وقال اخر فى ذم حمام

وحمام سوء وخيم الهوا * قليل المياه كثير الزحام
فما للقيام به من قعود * ولا للقعود به من قيام
حنيا ته عطفات القسى * وقطرانه صائبات السهام

فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة

وقال آخر فى تعجيل الخروج منه

خذ من الحمام واخرج * قبل أن يأخذ منك
حدثا عنه والا * حدث الحمام عنك

وقال ابن رشيق

ومرتهن لدى الحمام أضحى * وحالاه لاصحاب السعير
اذا سئموا العذاب أو استغاثوا * أغاثوهم بباب الزمهرير
كذلك حاله حرا وبردا * بيت الحوض أو بيت الطهور
وطال به انتظار مواعديه * فقد زاد الشقى على النظير

وله ايضا سأشكر للحمام بدأ وعودة * أيادى بيضا مالهن ثمين
جلالك على عينى عريان حاسرا * فرحت بتطليق وأنت تمين
وطهر قلبى من هوالك بارد * وبدن فقر الجفن وهو سخين

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحمام يذكر جهنم وينقى الدرن * وقال على رضى الله عنه بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى * ودخله بعض الامراء مع الرقاشى فقال له امدحه فقال يذهب القشافة ويعقب النظافة وينعش التخمة ويطيب النغمة فقال ذمه فقال يهتك الاستار ويؤلف الاقذار ويذهب بالوقار (قوله اذا شئت فالسرعة السرعة) يقول اذا شئت أن تقصد الحمام فالزم السرعة وعجل الرجعة وكررهما تأكيدا والفعل الناصب لهما يلزم اضماره مع التكرير فاذا أفردت جاز

اظهار الفعل ونظيرهما قول العرب الطريق الطريق والاسد الاسد وقال الشاعر

خل الطريق لمن يبني المنار له * فلما سقط التكرير ساغ له اظهار الفعل (مطلعي) مصدر بمعنى طلوعي أهل الحجاز يفتحون لامه في المصدر وغيرهم يكسرها (ارتداد طرفك) اي رجوع نظرك (استن استنان الجواد) جرى كما يجري الفرس وانما يقال استن في كلامهم اذا جرى في غير طريق بتحريف ومنه قولهم استنت الفصال حتى القرعا يريدون جرت الفصال وهي تلعب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فاستنت شرفا أو شرفين وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها في جهة

بمستنة كاستنان الخروف * وقد قطع الحبل بالمرود

أراد المهر ويقال له خروف وفلو وقد فسر استنت الفصال بأن معناه أحسن رعيها حتى كأنه صقلها والجواد الفرس الكريم (المضمار) الطلق تجري فيه الخيل سمي مضمارا لان الخيل تضمر فيه وذلك ان العرب كانت تسمن الخيل فتستخرجها الى المضمار فتجريها طلقا قدر ما تحتمل ثم تزيدها يوما آخر في الجري على ذلك ثم لا تزال تزيدها في الطلق كل يوم حتى تجري بها الاميال فيسيل عرق الخيل بذلك الجري ويشتد لحمها بذلك التضمير قال زهير

تضمر بالاصائل كل يوم * تسن على سنابكها القرون

القرون دفع العرق واحدها قرن وقوله (بدار بدار) اي سبقا سبقا وهو معدول عن ابدر فيقول لابنه ابدر بالجري واسبق الى الحمام (نخل) نحسب (غر) خدع (نرقبه) اي ننظر من أين يجيء ويرى و (رقبة) أهلة (الاعياد) وما أحسن قول ابن الرقاق في هذه الرقبة

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله * جفونا الى نحو السماء موائلا
الى أن بدا أحوى المدامع أحور * يجر لأذيال الشباب غلائلا
فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا * بمن قد حوى طيب الشمول شمائلا
أتطلبك الابصار في الجو ناقصا * وأنت كذا تمشي على الارض كاملا

وله في معناه

لله شهر ما نظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبدى لي أغن مهنهف * بضمائه ينجاب كل ظلام
فطفقت أهتف بالانام ضلالتم * وغلطتم في عدة الايام
ما جاءنا شهر لاول ليلة * مذ كانت الدنيا بدر تمام

(نستطلعه) اي نلتمس طلوعه (الطلائع) الباحثون عليه (والرواد) الطالبون له وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو والراصدون في الطرقات الواحد طليعة وأصل الرواد الطالبون للمرعى (هرم) شاخ ومعناه قارب أن يتم (ينهار) ينهدم و (الجرف) ما يأكله الوادي استعاره للنهار (لاحت) ظهرت و (الاطمار) الثياب الخلقة أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير وبلي عند الغروب وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات في الشتاء وغروب الشمس ومما يستغرب من ذلك قول العلوي الاصبهاني

ومجلس شرب جئته متطربا * عشيا وعين الشمس في الافق تنعس

وقال ابن الرومي

كان جنوح الشمس ثم غروبها * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض

فقال ستجد مطلعي عليك أسرع من ارتداد طرفك الملك ثم استن استنان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم يخل انه غر وطلب المغتر فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد الى أن هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال مدى الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار

قوله رقبة أهلة عبارة غيره كما ترقب أهلة الاعياد وهي أوضح اه مصححه

تخاوص عين صد أجفانها الكرى * يرنق منها النوم وهى تغمض

وقال ايضا

اذا رتعت شمس الاصيل وقبضت * على الافق الغربى ورسا مرصعا
وودعت الدنيا لتقضى نحبها * وشوّل باقى عمرها فتشعشعا
ولاحظت الانوار وهى مريضة * وقد وضعت خداعلى الارض أصرعا
كما لاحظت عوّادة عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا

أخبرنى ابن منصور قال خرجت بخارج فاس عشية مع فتى ورّاق فنظر الى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم وأنشدنى مرتجلا.

انظر الى الشمس فى الاصيل * كأنها وجنتا عليل
ورق هذا النسيم حتى * كأنما يشتكى نحولى

وقال ابن الرقاق

وعشية لبست ملاء شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتى معشوق
لو أستطيع شربتها كالخمر بها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

وقال ابن سراج

والشمس تنفض زعفرانا بالربا * وتبث مسكتها على الغيطان

قلت لاصحابى قد تناهينا فى المهلة وتمادينا فى الرحلة

وما احسن قول الرصافى فى معناه

وعشى أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم تملك يمينك ردّها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال ابن الرومى فى طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة

تريك بياض غرّتها ووجها * كقرن الشمس أغسق ثم زالا
أصاب خصاصة فبدا كليلا * كلا وانجلّ سائرها انفلالا

قوله بدا كليلا اشارة الى أنه عند ما بدا غاب بسرعة وأذكر كلا فى المقامة التاسعة والثلاثين وقال ابن المعتز فى نحوه

تظل الشمس ترمقنا بلحظ * مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتح غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر

(قوله تناهينا) اى بلغنا النهاية و(المهلة) التراخى يقول قد تراخينا فى انتظاره حتى بلغنا الغاية فى ذلك (تمادينا فى الرحلة) هذا على حذف مضاف للعلم به تقديره تمادينا فى ترك الرحلة وانتظارها ومثل هذا الحذف جائز فى النظم والنثر وأنشد أبو على

أنا النديم لكم دنى مجاهرة * كى لا ألام على نهى وانذارى

أى على ترك النهى والانذار وقال آخر

واهلك مهرأبيك الدوا * ء ليس له من طعام نصيب

أى فقد الدواء وجاء فى القرآن واسأل القرية التى كنا فيها اى أهل القرية وهى أشد قوة من

قريتك اى من اهل قريتك ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام الفصيح مما لا يتم المعنى الا بتقديره فالذى غلط الحريرى فقال لو تمادت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل قد جهل الكلام الفصيح فأراد طالت بنا هذه السفرة وتمادى الشئ فهو ممتاد اذا طال فيه المدى وهو الغاية البعيدة يقول تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره فطالت علينا السفرة لعطلة السفر حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسافر فيه و (الزمان) اليوم (بان) تبين (مان) كذب يقال منه مان يمين ومانا وأمانه يمونه مونا فقام بمؤنته (قوله فتأهبوا) استعدوا (الظعن) الرحيل (ولا تلووا) تعرجوا (خضراء الدمن) عشب المزابل هى حسنة المنظر سيئة الخبر واذا يبست لم ينتفع بعودها لخوره وضعفه فشبه بها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته وسوء باطنه فى كذبه واخلاف وعده حتى عطلهم عن سفرهم نهارا فى انتظاره قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل له وما خضراء الدمن فقال الجارية الحسناء فى المنبت السوء (قوله احدج) اى اجعل عليها الحدج وهو مركب من مراكب النساء وأراد أرحل الناقة (وراحلته) ناقته (أتحمل لرحلتى) أو قرحملى للرحيل يقال تحمل القوم اذا عبوا أحمالهم وارتحلوا و (القتب) خشب الرحل (قوله ساعدا) اى ذراعا يستعين به (مساعدا) موافقا (نأيتك) بعدت عنك (أشر) بطر وعدم شكر يقال أشر الرجل يأشر أشرا اذا بطر قال الاخطل يذكر بنى أمية

أعطاكم الله جدا تنصرون به * لاجد الاصغير بعده محتقر
لم يأشروا فيه اذ كانوا موالية * ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

(قوله مذلم أزل) اى مذ بنت ووجدت (انتشر) ذهب (عتب) لام وسخط فعله (خرافته) حديثه الملهى وحديث خرافة مثل سائر على ألسنة الناس فى القديم والحديث يضرب لكل حديث لا حقيقة له ووقع فى أمثال المفضل بسند يصل الى عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم حدثنى حديث خرافة فقال رحم الله خرافة كان رجلا صالحا فاخبرنى أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن فسبوه فقال أحدهم نعفو عنه وقال آخر نقتله وقال آخر نستعبده فبينما هم يتشاورون فى أمره اذ ورد عليهم رجل فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام قال وما أنتم قالوا نفر من الجن أسرنا هذا فنحن نأتمر فى أمره فقال ان حدثتكم حديثا عجيبا أتشركونى فيه قالوا نعم قال انى كنت ذا نعمة فزالت وركبنى دين فخرجت هاربا فاصابنى عطش شديد فسرت الى بئر فنزلت لاشرب فصاح بى صائح من البئر مه فخرجت منها ولم أشرب فغلبنى العطش فعدت فصاح بى ثم عدت الثالثة فشربت ولم ألتفت اليه فقال اللهم ان كان رجلا فحوله امرأة وان كان امرأة فحولها رجلا فاذا أنا امرأة فأتيت مدينة فتزوجنى رجل فولدت منه ولدين ثم عدت الى بلدى فمررت بالبئر التى شربت منها فنزلت فصاح بى كما صاح فى الاول فشربت ولم ألتفت له فدعا كالاول فعدت رجلا كما كنت فأتيت بلدى فتزوجت امرأة فولدت منها ولدين فلى ابنان من ظهرى وابنان من بطنى فقالوا ان هذا لعجيب أنت شريكنا فبينما هم يتشاورون اذ ورد عليهم ثور يطير فلما جاوزهم اذا رجل بيده خشبة وهو يحفز فى اثره فوقف عليهم فسلم فردوا وسألهم فردوا عليه مثل ردهم على صاحبهم فقال ان حدثتكم بحديث أعجب من

الى أن أضعنا الزمان وبان
ان الرجل قد مان فتأهبوا
للظعن ولا تلووا على خضراء
الدمن ونهضت لاحدج
راحلتى وأتحمل لرحلتى
فوجدت أبا زيد قد كتب
على القتب
يا من غدا لى ساعدا
ومساعدا دون البشر
لا تحسبن انى نأيتك
عن ملال أو أشر
لكننى مذ لم أزل
* ممن اذا طعم انتشر
قال فأقرأت الجماعة القتب
ليعذره من كان عتب
فاعجبوا بخرافته

(ذكر حديث خرافة)

هذا أتشركونني فيه قالوا نعم قال كان لي عم وكان موسرا وكانت له ابنة جميلة وكان سبعة اخوة وكان لعمي بحل يربيه فانفلت فقال أيكم يرده فابنتي له فاخذت خشبتي هذه واتزرت ثم حفزت في اثره وأنا غلام وقد شبت فلا أنا ألحقه ولا هو يكل فقالوا ان هذا العجب اقعد فانت شريكنا فبينما هم يتشاورون اذ ورد عليهم رجل على فرس أنثى وخلفه غلام على فرس ذكر فسلم كما سلم صاحباه فردوا عليه كردهم على صاحبيه فسألهم فاخبروه الخبر فقال لهم ان حدثتكم بحديث أغرب من هذا أتشركونني فيه فقالوا نعم قال كانت لي أم خبيثة ثم قال للفرس الانثى الذي تحته أكذلك فقالت برأسها نعم قال وكنت أتهمها بهذا العبد وأشار الى الفرس الذي تحت غلامه أهكذا فقال برأسه نعم فوجهت بغلامي هذا الراكب ذات يوم في بعض حاجاتي فحبسته عندها فأغفى فرأى في منامه كأنها صاحت صيحة فاذا هي بجزرة قد خرج فقالت اسجد فسجد ثم قالت اركب فركب ثم قالت ادرس فدرس ثم دعت برحى فطحنت قدح سويق فأتت به الغلام وقالت له ائت به مولاك فأتاني به فاحتلت على ساحتي سقيتها القدح فاذا هي فرس أنثى واذا هو فرس ذكر قال أكذلك قالت الفرس الانثى برأسها نعم وقال الفرس الذكر برأسه نعم فقالوا ان هذا أعجب شيء سمعناه أنت شريكنا فاجمع رأيهم فأعتقوا خرافة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذا الحديث فما جاء من الاحاديث المحالة نسب الى خرافة صاحب الحديث (قوله آتته) أي ضرره (طعنا) رحلنا (اعتاش) استبدل

وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من اعتاش عنا

(المقامة الخامسة الكوفية)

(حكى الحرث بن همام) قال (سمرت بالكوفة)

(شرح المقامة الخامسة وهي الكوفية)

(سمرت بالكوفة) الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون فرسخا وسميت كوفة لاستدارتها أخذت من الكوفان وهي الرملة الشديدة البياض قيل سميت كوفة لاجتماع الناس فيها من قولهم تكوفوا في الرمل تكوفا اذا ركب بعضه بعضا وقيل سميت كوفة لانها قطعت من البلاد من قولهم أعطيت فلانا كيفة أي قطعة وكفت أكيف كيفا قطعت والكوفة فعلة مما قلبت الياء واوا للضمة التي قبلها وهي مدينة العراق الكبرى والمصر الاعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق ذكر البخاري أبو الحسن بن جبير في رحلته حاجا انه دخل الكوفة في أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة فقال هي مدينة كبيرة قد استولى الخراب على أكثرها فالعامر منها أقل من الخراب ومن أسباب خرابها قبلة خماجة المجاورة لها وهي لا تزال تضربها وكذلك تتعاقب الايام والليالي ماحقا ومنشئا وبناؤها بالآجر خاصة ولا سور لها والجامع العتيق آخرها مما يلي شرق البلد ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمس أبلطة وفي سائر الجوانب بلاطتان متسعتان وهي على أعمدة من السواري المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا قسي عليها وهي في نهاية من الطول متصلة بسقف المسجد فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها فما رؤي في الارض مسجد أعلى سقفا منه ولا أطول أعمدة ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت بازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال انه كان مصلى الخليل ابراهيم عليه السلام وعليه ستر أسود صونا له ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة والناس يزدحمون على هذا البيت

للصلاة فيه و بمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب أغلق عليه بأعواد الساج كأنه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط هو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه ضربه الشقي عبد الرحمن بن ملجم فالناس يصلون فيه باكين داعين وفي الزاوية من البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغير أغلق عليه بأعواد الساج وهو مغار النور الذي كان آية نوح عليه السلام ويتصل بالجدار القبلي فضاء يقال انه كان منشأ السفينة ومع هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلقينا هذه الآثار من أشياخ البلد وفي الشرقية بيت قبر مسلمة ابن عقيل وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير حيث بركت ناقة علي رضي الله عنه وهو محمول عليها ميتا وفيه قبره والله تعالى أعلم بصحة ذلك والفرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ والجانب الشرقي كله حدائق نخل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر (قوله سدرت) أي ذهب نومي (الاديم) الجلد وأراد ان لون الليلة فيه سواد وبياض لان قرنها ناقص ولذلك جعله (كتعويذ من لجين) وهو حرز فضة يستعمل مستديرا استدارة القمر وبعض الدائرة فارغ فيربط في الدائرة خيط فيعلق في أعناق الصبيان وقال فيه الشكردي

في ليلة أديمها ذو لونين
وقرنها كتعويذ من لجين
مع رقته

قم سل شمعي بالمدا ... م فضيه هم قد أمضه
أوماترى قرن السما * ء كأنه تعويذ فضه
فاذا ألم به المحا * ق تخاله في الخد عضه

وعلى معنى البيت الآخر قال اسمعيل القاضي يصف الهلال

اسقني قبل صاحبي ... واخش صرف النوائب
فالهلال الذي يلو * ح خلال الغياهب
مثل فتح اللجين صيـ * ـغ لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب

لما رأيت الهلال منطويا ... في غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لي ... بصولجان أو في الضرب كره

وقال القاضي أبو الحسين بن ليال

انظر الى الهلال اذ * لاح بهي المنظر
كزورق من فضة * وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز

أهلا بنطر قد أنار هلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وله أيضا

أهلا وسهلا بالنداى والعود * وشرب كأس بكف مقصود
قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر مرأى الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفا غر شرده * يفتح فاه لاكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر فأحسن حيث يقول

وجاءنى فى قيص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

(وأخذه من قول الاعرابى)

كان ابن مزنتها جانحا * قسيط لدى الافق من خنصر

ابن مزنتها الهلال والقسيط قلامة الظفر (قوله غذوا) أى ربوا به وجعل غذاءهم واللبان للآدميات واللبن للآدميات وغيرهن (سحبوا) جرّوا (سحبان) فصيح العرب وانظره فى السادسة عشرة (ذيل النسيان) طرف يريد أنهم بفصاحتهم أنسوا ذكر سحبان فكأنهم جرّوا عليه ثوب النسيان حتى غطوه فيذكره أحد من هؤلاء وأصل ذلك ان يسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى كقول امرئ القيس تعفى بذيل الدرع ان جئت موتلى * وكقوله

خرجت بها أمشى تجر وراءنا * على أثرينا ذيل مرط مرجل

(قوله يحفظ عنه) أى هم علماء يرون العلم فيحفظ عنهم (يتحفظ) يتحذر وأخذ هذا من قول سليمان الارت لعبد الملك قد أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وتبطنت العذراء فلم يبق لى من لذتى الا صديق أطرح نحيا بينى وبينه مؤنة الحفظ فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشئ وقلة الغفلة فى الامور كأنه على حذر وأنشد ثعلب

انى لابغض عاشقا متحفظا * لم تنهه عين وقلب

(قوله يميل الرفيق اليه) تقول ملت الى فلان اذا أحببته وتقربت منه ومِلت عنه اذا كرهته وبعدت عنه وارفيق الصاحب يرتفق به فى السفر (قوله استهوانا) هوى بنا وشغلنا و(السمر) الحديث يسمر عليه وذكر الحريرى أن أصل السمر نزل القمر والسمر الحديث ومنه أخذ السميرة وغالب أحوال السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر وذكر هذا فى تفسير الرابعة والاربعين وهو الاصل ثم اتسع فيه فصار الخلوس بالليل للحديث يسمى سمرا على أى حال اتفق (رقّ) ضرب رواته والرواق الثوب يستظل به من الشمس يريد ان الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقا فانحجب عنهم به القمر و(البهيم) الخالص السواد والبهيم الخالص من كل لون و(التهويم) النوم بالليل والتغوير النوم فى القائلة وقد نوم الرجل اذا أسقط النعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه فحقيقته سجود الرأس من النعاس قال ذو الرمة فى ذلك

وأشعث سئل السيف قد لاح جسمه * وخيف هموم والمهاوى الاباعد
سقاه نعاس كأس سكر فرأسه * لدين الكرى فى آخر الليل ساجد

ويقال خفق رأسه فهو خافق قال ذو الرمة

وخافق الرأس فوق الرحل قلت له * دع بالزمام وجوز الليل مركوم

(وقال الرصافى فأحسن)

وجدين فى السرى قد تعاطوا * غفوات الكرى بغير كؤس
جنحوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يلثمون أيدى العيس
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة فى الرؤس

(قوله نبأة) أى صوت (مستنبح) يحكى نباح الكلاب وكان الرجل اذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر

غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان
ما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه
فاستهوانا السمر الى أن غرب القمر وغلب السهر فلما رق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح

أين يتوجه حاكى بصوته نباح الكلب فان كان قريبا من العمران نبحت لنباحه كلاب الحى فسمع أصواتها فقصد الحى فتسمى العرب من ينعل هذا المستنبح وأنشد أبو على فى نوادره

ومستنبح بات الصدى يستتيهه * فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارا ثقوبا زنادها * يليح الى السارى هلم الى قدر

(وقال حسان بن ماثل)

ومستنبح فى جنح ليل دعوته * بمشبوبة فى رأس دمد مقابل
فقلت له أقبل فانك راشد * وان على النار الندى وابن ماثل

وقد أنشد أبو تمام فى حماسته فى باب الاضياف فى المستنبح ما فيه كفاية فلستظرهنالك (قوله تلتها) أى تبعتها (صكة) دفعة (مستفتح) طالب فتح الباب (الملم) الزائر (المدلهم) الشديد السواد من الدهمة ولامه زائدة (المغنى) المنزل (وقيتم) كفيتم وانما دعالهم بهذا لان فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال بوشك قلوب الناس أن تملأ شرا حتى يجرى الشر فضلا بين الناس فلا يجد قلبا يدخله (أكفهرّ) تراكم ظلامه وكثر (ذراكم) منزلكم وكنكم وكل ما استترت به من ريش أو مطر أو شمس فهو ذرا (شعثا) متغير الشعر والشعث ترك غسل الرأس حتى يتغير (مغبرا) عليه الغبار وفى الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخت ثيابه فقال أما وجد هذا ما ينقى به ثيابه ورأى رجلا شعث الرأس فقال أما وجد هذا ما يسكن به شعره (أخا سفار) أى ملازم لها (اسبطر) امتد وطال سفره (انثنى) رجع وعاد (محقوقفا) منحنيا (الافق) ناحية السماء (افترّ) انفتحت أطرافه ولم يتقارب كأنه فر هذا من هذا ومنه فررت الدابة وافترّ نحل وشبه انحناؤه من السفر بدائرة القمر الناقص وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه فى الانحناء من الكبر قال الشاعر

تقوس بعد مرّ العمر ظهرى * وداستنى الليالى أىّ دوس
فأمشى والعصا تهوى أمامى * كأن قوامها وتر لقوسى

وقال ابن ليال

قوس ظهرى المشيب والكبر * والدهر يا عمرو كله عبر
كأننى والعصا تدبّ بى * قوس لها وهى فى يدى وتر

(قوله عرا) قصد (فناءكم) منزلكم وفناء الدار ما أحاط بها من الارض فخمته (معترا) قاصد الطلب معروفكم (أمكم) قصدكم (طرا) أجمع (يبغى قرى) يطلب طعاما (احلولى) اشتدت حلاوته (ينث) ينشى وينشر (البرّ) الاحسان (قوله خلبنا) أى خدعنا (علمنا ماوراء برقه) يريدان ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دلهم على ما عنده من العلم كما أن البرق اذا ظهر ولمع علم ما وراءه من المطر (ابتدرنا) استبقنا (الترحاب) قولهم مرحبا (هيا هيا) أى سق سق (هلم ماتهيا) أى أحضر ما تيسر (لاتلمظت بقراكم) تذوقت بطعامكم وأصل التلمظ تتبع اللسان ما بقى من الطعام فى الفم بعد الاكل (كلا) ثقيلا وفلان كل على أهله اذا لم يكفهم مؤنة نفسه والكل الاعياء وجمعه كاول وعلى فلان كل كثير قال النابغة الجعدى

رأيتم بنى سعد كلولا كثيرة * شهيدى بذلك ابنا حمار بن أحمرا

ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا
من الملم فى الليل المدلهم
فقال
يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا
ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى أكفهرا
الى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا
حتى انثنى محقوقفا منحنيا
مثل هلال الافق حين افترا
وقد عرافناءكم معترا
وأمكم دون الانام طرا
يبغى قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا
يرضى بما احلولى وما أمرا
وينثنى عنكم ينث البرا
(قال الحرث بن همام) فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ماوراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ماتهيا فقال الضيف والذى أحلنى ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا لى أن لا تخذونى كلا

(تجشموا) تكلفوا (أكلا) طعاما و (الاكلة) الغداء والعشاء والاصل فى هذا ان الاكل بالفتح مصدر أكل وبالضم ما أكل والاكلة بالفتح المرة الواحدة وبالنهم اللقمة وبالكسر هيئة الاكل (هاضت) أضعفت وادخلت عليه مضرة وهى القيء والاسهال وأصل المثل رب أكلة تمنع أكلات وقال ابن هرمة

وربت أكلة منعت أخاها * بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يشفى بشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

و (المآكل) جمع مأكلة أو مأكل وهى الاكل وهى أيضا ما يؤكل (سام التكليف) أى عرض مضيفه الى تكلف مايشق عليه و (الاذى) الضرر و (المضيف) صاحب المنزل (يفضى) يؤل (سارسائره) اشهر التحدث به ومشى فى الناس (خير العشاء سوافره) بواكره أى ما أكل منه بضوء النهار واحسبها سافرة والسافرة المرأة التى سفرت نقابها عن وجهها أى كشفته فكأن اللقمة اذا أبصرتها عند أكلها قد سفرت الطعام عن نفسها وتجمع على سوافر على هذا المعنى حكى أبو بكر بن شعبان النحوى قال دخلت على محمد اليزيدى وهو يتغدى فقال يا أبا بكر خير الغداء بواكره فخير العشاء عذافقلت لا أدرى فقال دخلت على حسين بن الخادم وهو يتغدى فقال يا أبا سليمان خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا فقلت لا أدرى فقال كنت بحضرة الرشيد وهو يتغدى فدخل الاصمعى فقال يا أصمعى خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا فقال بواصره يعنى ما يصر من الطعام قبل الظلام وحكى أبو يعقوب فى الغداء التأخير فقال الحكيم وقيل قوله لى بن أبى طالب رضى الله عنه من سر النساء ولا نساء ٣ فليبكر الغداء وليباكر العشاء وليخفف الرداء يريد ثقل الدين (التعشى) أكل العشاء وهو مايؤكل بالعشى (يعشى) يورث العشا وهو سواد البصر ليلا قال ابن دريد

وأرى العشا فى العين أكثر ما يكون من العشاء

أراد من تأخير العشاء لان أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره وقال كشاجم

ونديم مخالف * لايشاء الذى أشا
هو فى الصحو لى أخ * وعدو اذا انتشى
اقترحت العشاء يو * ما عليه فأدهشا
ساعة ثم قال لى * العشا يورث العشا

كأن هذا الطبيب أخذ كشاجم من قول الصاحب بن عباد قال الصاحب ما أخمنى أحد كأبى الحسن البديهى فانه كان عندى فقدمت اليه فاكهة فأمعن فى المشمش فقلت المشمش يلطخ المعدة فقال لا يعجبنى المضيف اذا تطبب فوددت أنى لم أقل له ياء ورد النهى عن ترك العشاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا العشاء ولو بكف حشف وان تركه مهرمة وقوله (تحول دون الهجوع) أى تمنع من النوم وجاء فى الحديث النهى عن التكلف قال سلمان ذهبت أنا وصاحب لى الى سلمان فقال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاءنا بخبز وملح فقال صاحبى لو كان فى ملحنا صعتر فبعث سلمان مطهرته فأرهنها فجاء بصعتر فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان

ولا تجشموا لأجل اكلا
فرب أكلة هاضت الآكل
وحرمنه ما آكل وشر
الاضياف من سام التكليف
وآذى المضيف خصوصا
اذى يعتلق بالاجسام
ويفضى الى الاسقام وماقيل
فى المثل الذى سارسائره خير
العشاء سوافره اذ ليعجل
التعشى ويجتنب أكل الليل
الذى يعشى اللهم الا أن
تقدنا رالجوع وتحول دون
الهجوع

٣ قوله فليبكر الغداء الايدل
على المدعى كما هو ظاهر اه
مصححه

٣ قوله الهجوع اى النوم هذا مكرر مع ماتقدم له فى أول شرح هذه الجملة اه

لو قنعت لم تكن مطهرتى مرهونة وجاء فى حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذم الادام الخل وكفى بالمرء اثما أن يسخط ما قرب اليه (٣) الهجوع أى النوم (قوله عقيدتنا) أى ما انعقدت عليه نياتنا ويقال رميت عن القوس ولا يقال رميت بها الا أن ترميها من يدك (لاجرم) بمعنى حقا ولابد ولا محالة (السبط) السهل (راح) تيسر (أذكى) أوقد (السراج) المصباح (تأملته) نظرته (ليهنئكم) أى ليسرّكم (الوارد) القاصد (المغنم البارد) الهنى الذى يغنم دون قتال ولا تعب (أفل) غاب (الشعرى) كوكب معروف وهما شعريان العبور والغميصاء سموها عبورا لانهم يزعمون أنها عبرت المجرة وسموا الاخرى الغميصاء لانها بكت على أختها حتى غمصت عينها أى خفيت (استسرّ) غاب وخفى (النثرة) (٤) ثلاثة أنجم مجتمعة (تبلج) ظهر وأضاء (النثر) ضد النظم يقول ان غاب قرّ السماء الذى يحدث بضوئه فهذا أبو زيد قرّ النصاحة قد طلع فجدد واحديثكم ودعوا النوم (سرت) مشت (حميا المسرّة) شدة السرور والحميا حدة الخمر وتسمى الخمر الحميا (السنة) أخذ من النوم (ماقيهم) عيونهم والمأق طرف العين من جهة الانف (رفضوا) تركوا (النكاهة) الحديث المطرف وأصلها المزاح ومنه قولهم لا تمازحن صبيا ولا تناكهن أمة قال ابن الانبارى المعنى لا تمازحن الا أنه استسمح اعادة اللفظ فأتى باللفظ فى مثل معناه مخالف للفظه وتناكهن مشتق من النكاهة وهى المزاح وقال طرفة

وان امرأ لم يعف يوما فكاهة * لمن لم يرد سوأة به لجهول

ووصف أبو العيناء ابن أبى دواد فقال له هزل يؤثم به وجد يتقدم الجد وبين ذلك فكاهة تستملح ودعابة تستظرف وقرّح مصادره ثلاثة مزح ومزاح ومزاحة * اليزيدى المزاح بالكسر لاغير أبو عمرو ماذكره اليزيدى مصدر مازحت مزاحا وممازحة (قوله مكبّ) أى مائل الرأس (اعمال يديه) استعمالها بالاكل و (استرفع) أمر برفعه ويروى استفرغ أى أتم (أطرفنا) أى حدثنا بطرفة وهى الحديث المستملح والطرفة عند العرب الشئ المحدث الذى لم يكن عرف وجاء فلان بطرفة وشئ طريف وهو مشتق من الطريف والطارف وهما المال المستحدث الذى جمعه الرجل واكتسبه والتالد ما ورثه عن الآباء قال الشاعر

وأصبح مالى من طريف وتالد * لغيرى وكان المال بالامس ماليا

(أسمارك) جمع سمر وهو الحديث يسمر عليه (قوله مالم يره الراؤن) أى الناظرون اليه وقوله (ولا رواه الراوون) اى حفظه الحافظون (عاينته) شاهدته ورأيته بعينى (انتيابكم) قصدكم (مصيرى) رجوعى (مرآه) رؤيته (مسرح) حيث يسرح ويمشى (مسراه) سيره بالليل (مراحى) قواذق (التربة) البلدة (مجاعة) جوع (بوسى) شر (جراب) وعاء الزاد (كفؤاد أم موسى) فارغا لقوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا وسمى موسى لانهم وجدوه بين ماء وشجر وموسى بالقبطية هو الماء والشجر فعربت بجعلت الشين سينا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ولم يزل بنو اسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى الفراعنة وهم على بقايا من دين ابراهيم عليه السلام المشروع له واسحق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام اليه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله منه ولا أطول عمرا وكان شديد الغلظة سيئ الملكة واسمه الوليد بن

(قال) فكأنه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لاجرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام ماراح وأذكى بيننا السراج تأملته فاذا هو أبو زيد فقلت لحيى ليهنئكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن أفل قرّ الشعرى فقد طلع قرّ الشعر أو استسرّ بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرّة فيهم وطارت السنة عن ماقيهم ورفضوا الدعة التى كانوا نوها وثابوا الى نشر النكاهة بعد ما طووها وأبو زيد مكب على أعمال يديه حتى اذا استرفع مالديه قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو عجيبة من عجائب استمارك فقال لقد بلوت من العجائب مالم يره الراؤن ولا رواه الراوون وان من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيرى الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه فى مسرح مسراه فقال ان مراحى العربة لفظتنى الى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد أم موسى

(ذكر قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام)

٤ قوله ثلاثة أنجم الخ الذى فى القاموس انها كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما الطخ بياض كأنه قطعة سحاب وهى انف الاسد اه

مصعب وكان اتخذ بنى اسرائيل خولا فصنف منهم يبنون وصنف يحرثون ومن لا عمل له وظف عليه الجزية فرأى فى منامه أن نارا أقبلت من المقدس فأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد الذى جاءبنو اسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل وعهد اليهن بذلك فذبح الولدان وعذب الحبالى حتى يطرحن ما فى بطونهن حتى كاد يفنيهم فقيل له انما هم خولك وانك ان تفنهم ينقطع النسل فأمر بقتل الغلمان عاما ويستحيون عاما فولد هرون فى السنة التى يستحيون فيها وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها فلما وضعته أمه حزنت لشأنه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو النيل ولا تخافى ولا تحزنى فعملت تابوتا وجعلته فيه وألقته فى اليم وقالت لاخته قصيه أى اقتفى أثره فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون فخرج جوارى فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية امرأة فرعون وهى بنت مزاحم اسرائيلية فكشفت عنه التابوت فرأته فرحمته وأخذته وأخبرت به فرعون فأراد أن يذبحه وخشى أن يكون المولود الذى حذر منه فلم تزل به آسية حتى تركه لها وذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فاللام من ليكون للعاقبة ولم يكن لفرعون ولدا فاتخذه له ولدا فارتاد والله المرضعات فلم يقبل ثديا واحدة منهن ولما غاب أمره عن أمه كاد قلبها يطير وجدا عليه فبعثت أخته كأنها تلتمس رضاعه فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فقالوا لها دلينا على ذلك فذهبت فجاءت بأمه فلما رأته كادت لشدة حبها فيه وفرحها به أن تقول هرابنى وتفتضح فعصمها الله من ذلك وذلك قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها فأعطته ثديها فأخذ يرضعه فربته فى قصر فرعون فلما تحرك عرضته آسية على فرعون فلما أخذه مد موسى يده الى لحيته فنتفها فقال فرعون على بالذباحين فانما هو هذا فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه فانه صبى لا يعقل ودعت له بجمر وياقوت فطرح جبريل عليه السلام يده فى النار فوضعها موسى عليه السلام فى فمه فأحرقته فتركه فرعون فكبر فى حجره فلما ترعرع تبناد فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ويدعى ابن فرعون ثم ان موسى عليه السلام أخبر أن فرعون تدرك فركب فركب اثره فادركه بلد منف فدخلها وقد أخليت لفرعون وليس فى طرقها أحد فرأى اسرائيليا مع قبطى يقتتلان فاستغاثه الاسرائيلى فوكز القبطى فقضى عليه فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى فى كتابه حتى خرج خائفا يترقب الى مدين وأما رجوعه منها الى فرعون بأنه رسول الله الى أن غرق فرعون فى البحر وجنوده فذكور فى الثامنة عشرة (قوله نهضت) أى مشيت (سجا الدجى) سكن بالظلام وغطى كل شئ (الوجى) الحفاء (أرتاد) أطلب (مضيفا) منزلا وأضافه أنزله وضافه نزل به فهو ضيفه أى النازل به (أقتاد) أقود (حادى السغب) سائق الجوع (حييتم) طابت حياتكم والتحية البقاء (خفض) لين وخفض عيشه خفف اذا أخصب (خضل) ناعم وخضل الشئ يخضل خضلا ابتل (ابن سبيل) خاط طريق وهو الغريب وسمى الغريب ابن السبيل لانه اذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب الا السبيل الذى جلبه و(مرمل) لا زاد له وأرمل القوم فنى زادهم ومن أبيات اللغز فى ابن السبيل

فنهضت حين سجا الدجى ... على ما بى من الوجى
لارتاد مضيفا أو أقتاد رغيفا
فساقنى حادى السغب ... والقضاء المكنى أبا الهيثم
الى أن وقفت على باب دار
فقلت على بدار ... حييتم يا أهل هذا المنزل
وعشتم فى خفض عيش ... خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل

ونحن ابن من لا ينكر الناس فضله * وليس له فى الناس من طالب وترا
فان تحفظوا فينا أبانا فحقنا * رعيتم والا أوقدت ناركم شرا

أى سبيتم فى كل مكان كما قال الآخر

وانت الذى شيبتنى قبل شيبتى * وأوقدت لى نارا بكل مكان

(ومنها أيضا)

وأحيانا يكون كبيرسن * وأحيانا يكون من الشباب

ومنسوب الى من لم يلده * كذلك الله أنزل فى الكتاب

(قوله نضوسرى) أى هزيل من مشى الليل فى الاسدار و (خابط ليل) الذى يمشى فيه على غير هداية (أليل) شديد السواد (جوى الحشى) فاسد الجوف من الجوع وهو (الطوى مشتمل) منضم أى قد انضم جوفه على الجوع ففسدت أحشاؤه (موئل) ملجا من وأت الى كذا أى لجأت (دجا) ألبس (جنح) سواد (المسبل) المطبق (تململ) تقلب وتوجع و (الربع) المنزل و (المنهل) موضع الماء * و يقال ألقى عصاه اذا ترك السير وأقام وروى الاصمعى عن بعض البصريين انه قال سميت العصا عصا لان اليد والاصابع تشتمل عليها وهو من قول العرب عصوت القوم اذا جمعتهم على خير أو شر و يقال عصى بالسيف يعصى اذا ضرب به كما يضرب بالعصا (بشر) طلاقة وجه (برز) خرج (جؤذر) ظبى وأصله ولد الغزالة (الشوذر) ثوب قصير و (الشيخ الذى سن القرى) هو ابراهيم عليه السلام واختصه بلقب الشيخ لانه أول من شاب ولما رأى الشيب قال يارب ما هذا فاوحى الله اليه يا ابراهيم هذا وقار فقال يارب زدنى وقارا وشابا وهو ابن مائة وخمسين سنة وذلك انه لما ولدت سارة اسحق قال الكنعانيون ألا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاما فتبنياه فصور الله اسحق على صورة ابراهيم عليهما السلام فلم يفصل بينهما فوشم الله ابراهيم بالشيب (قوله سن) ابتدأ وجعله سنة وهو أول من ضيف الضيف وأطعم المساكين وقص شاربه وقلم اظفاره واستحد واستاك وفرق شعره ومضمض واستنثر واستنجى بالماء (واسس المحجوج) أى بنى اساس البيت الحرام و (ام القرى) مكة و (الطارق) الآتى بالليل و (المناخ) موضع البروك (يقرى) يضيف (الكرى) النوم (برى أعظمه) أى أزال اللحم عنها (انبرى) اعترض وقال حبيب فى أن أول من قرى الضيف ابراهيم عليه السلام

للجود سهم حين يقتسم العلا * لابراهيم المكدى ولا المسهوم

و بيان ذلك ان أول من قرى * وحبا خليل الله ابراهيم

وقال أبو بحر صفوان بن ادريس فى فتى اسمه ابراهيم وذكر لفظ المقامات وأبدع ما شاء حيث قال

أسمى من سن القرى رفقا بمن * يفنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حسنك فاصطنعنى انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
لما نظرت نجوم خيلان بدت * فى صحن وجنتك استفدت مقاما
أفنيت جسم الصب شوقا مثل ما * أفنى سميذع قبلك الاصناما
يا زهرة سكنت فؤادى غضة * انى تبوأت اللهيب كماما
حتى كأن الحب قال لاضلعى * يا نار كونى بردا له وسلاما

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار

نضوسرى خابط ليل أليل
جوى الحشى على الطوى
مشتمل
ماذاق مذ يوم ان طعم مأكل
ولا له فى أرضكم من موئل
وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة فى تململ
فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لى ألق عصاك وادخل .
وابشر ببشر وقرى معجل
قال فبرز الى جؤذر عليه
شوذر وقال
وحرمة الشيخ الذى سن القرى
وأسس المحجوج فى أم القرى
ما عندنا لطارق اذا عرا
سوى الحديث والمناخ
فى الذرا
وكيف يقرى من نفى عنه
الكرى
طوى برى أعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ماترى
فقلت ما أصنع

أبا قاسم والهوى جنة * وانى من حرّها لم أفق
تقحمت جاحم نار الحشى * وخضت بحار سواد الحدق
أكنت الخليل وكنت الكليم * أمنت الجوى وأمنت الغرق

انظر الى الاضياف فى الرابعة والاربعين (قوله بمنزل قفر) كأنّ هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول. بمنزل قفر

ليس اغلاق لبابى أنّ لى * فيه ما أخشى عليه السرقا
انما أغلقه كى لا يرى * سوء حالى من يمرّ الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلو * يدخل السارق فيه سرقا

انما أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى وكان من أهل الملح فاستضافه أعرابى فقال ما عندنا الا الاسودان فقال الاعرابى خير كثير فقال لعلك تظنهما التمر والماء والله ما هما الا الليل والحرة فلم يكن ليزيد دار الا الحرة وهى أرض سوداء فيها حجارة سود وهى مقبرة المدينة والقبور المجصصة بالليل موحشة فظنك بقبور سود البناء فى أرض سوداء فى ظلمة الليل كيف حال من يكون هذا قراه فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الاعرابى ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقمق ويروى عن وهب عابد قرطبة

برزت من المنازل والقباب * فلم يعسر على أحد حجابى
فنزلى الفضاء وسقف بيتى * سماء الله أو قطع السحاب
لانى لم أجد مصراع بيت * يكون من السحاب الى التراب
ولا انشق اثرى عن عود نحت * أؤمل أن أشد به ثيابى
ولا خفت الاباق على عبيدى * ولا خفت الهلاك على دوابى
وفى ذا راحة وفراغ بال * قد أب الدهر ذا أبدا ودابى

(وقال آخر)

ولما التمست الرزق فانجذ حبله * فلم يصف لى من بحره العذب مشرب
خطبت من الاعدام احدى بناته * فزوّجنيها الفقر اذ جئت أخطب
فأولدتها الحرب الشقى فماله * على الارض غيرى والدحين ينسب
فلوّهت فى البيداء والليل مسبل * على جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لأقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان على بدرهم * لرحت الى رحلى وفى الكف عقرب
ولو قطر الناس الدنانير لم يكن * بشىء سوى الحصباء رأسى تحصب
وان يقترف ذنبا ببرقة مذنب * فان برأسى ذلك الذنب يعصب
وان أرخ شرا فى الانام فنازح * وان أرشرا فهو منى مقرّب
أمامى من الحرمان جيش عرمرم * ومنه ورائى جحفل حين أركب

(وقال آخر)

لو ركبت البحار صارت أجاجا * لا ترى فى متونها أمواجا

ولوانى وضعت ياقوتة حمـ*ـراء فى راحتى لصارت زجاجا
ولوانى وردت عـذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا أجاجا

(وقال آخر)

لو وردت البحار أطلب ماء * جف قبل الورود ماء البحار
أو مسست العود النضير بكفى * لذوى بعد بهجة واخضرار
أو رمى باسمى النجوم الدرارى * لانزوى ضوءها عن الابصار
ولوانى بعت القناديل يوما * أدغم الليل فى ضياء النهار

(وقال شواش)

كسدت شواشينا وقل معاشنا * فسعودنا مقرونة بنحوس
فكأنما قطعت رؤس الناس أو * خلقوا الشقوتنا بغير رؤس

ومنزل حلف فقر ولكن
يافتى ما اسمك فقد فتنى
فهمك فقال اسمى زيد
ومنشئى فيد

قيل لابى الشمقمق ابشر فانا رو ينا فى الحديث العارون فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فأنشأ يقول

أنا فى حال تعالى الله ربى أى حال
ليس لى شئ اذا قيل * لك هذا قلت ذالى
فأراضى الله فرشى * والسموات ظلالى
ولقد أفلست حتى * حل أكلى لعيالى
من رأى شيأ محالا * فانا عين المحال
لو بقى فى الناس حر * لم أكن فى مثل حالى

(قوله منزل) أى مضيف (حلف) صاحب (منشئى) موضعى الذى نشأت فيه و (فيد) بلد مشهور فى نصف المسافة التى بين مكة وبغداد وفيها عين ماء وينزلها عمال طريق مكة وأهلها طيئ وهم فى سفح جبلهم المعروف بسلمى وقد ذكرها زهير فى قوله

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم * ماء بشرقى سلمى فيد أو كل

قال الزجاجى سميت بفيد بن حام وهو أول من نزلها قال ويقول أهل العراق هى من قولهم فاد الرجل يفيد فيدا اذا مات أو من قولهم استفاد فائدة وقلما يقولون أفاد فائدة والفيد أيضا نور الزعفران قال شيخنا ابن جرير رضى الله عنه انه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضحوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج وصبحوا فيدا يوم الاحد فى اليوم الرابع عشر من خروجهم ثم وصفها فقال هى مصر كبير منفرج فى بسيط من الارض تمتد حوله ربض لطيف به سور عتيق وهو معمور بسكان من الاعراب يتعيشون من الحجاج فى التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق وفيها ينزل بعض الحجاج بعض أزوادهم اعتدادا لارمال من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها وهى نصف الطريق من بغداد الى مكة أو أقل يسيرا ومنها الى الكوفة اثنا عشر يوما فى طريق سهلة ودخلها أمير الحاج على تعبية وأهبة ارهابا للمجتمعين بها من الاعراب لئلا يداخلهم الطمع فى الحاج فهم لا يجدون اليهم سبيلا والمياه كثيرة فى آبارها تمدها عيون تحت الارض وامتلأت أيدى الحجاج القادمين من أغنام

ووردت هذه المدرة أمس مع أخوالي من بني عبس فقلت له زدني ايضاحا عشت ونعشت فقال أخبرتني أمي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف أحي هو فيتوقع أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا أولي الالباب بأعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال أثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها في الآفاق فأحضرنا الدواة واساودها ورقشنا الحكاية على ماسردها ثم استبطناه عن مرتآه في استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردني خف على أن أكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال ألفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر قدره الا مصاب (قال الراوي) فالتزم منه كل مناقسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع

العرب بالمبايعة فلم يبق خيمة ولا ظلالة الا رمى جانبها كبش أو كبشان بحسب الوجد فعمت جميع المحلة الغنم واللبن والسمن والعسل فأكلوا واحتملوا وكان ذلك اليوم عيد الركب قال وبهذه المحلة العراقية وما انضاف اليها من الخراسانية والموصلية وسائر جهات الآفاق صحبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم الا الله تعالى يغص بهم البسيط الافيح ويضيق بهم المهمه الضحضح فترى الارض تميد بهم ميدا وتموج بجمعهم موجا فتصيرهم بحرا طامي العباب ماؤه السراب وسفينه الركاب وشراعه الظلال المرفوعة والقباب يسير سير السحاب متداخلا بعضها على بعض فتعاين تزاحما في البراح المنفسح يهول ويروع واصطكاكا كالمبيع التجارات فيه فبعضها ببعض مقروع فمن لم يشاهد هذا السفر العراقي لم يشاهد عجبا يتحدث به ويتحف السامع بغرائبه والقدرة والقوة لله وحده وحسبك ان النازل في منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ولم يكن له دلالة على موضعه ضل وتلف وعاد منشودا بجملة الضوال وربما اضطر به الحال الى الوصول لمضرب الامير ورفع المسئلة اليه في أمر أحد المنشدين ممن أعد لذلك أن يردفه خلفه على جمل ويطوف به المحلة مناديا باسم جماله وبلده الى أن يؤديه الى رفقته وعجائب هذه المحلة كثيرة ولا هلها من اليسار ما يغنيهم على ما هم بسبيله وما ذكرنا أمر هذه المحلة الا ليستدل على ان فيها بلدا في غاية القوة والعمارة حيث أمد هذا الجمع الكثير والجم الغفير بما تقدم من أنواع الارزاق وان قبائل طيئ متوفرة بحيث تطلع الى الغارة على مثل هذه المحلة والملك لله وحده مفنى الجميع بعد كمال العدة (قوله وردت) أي أتيت (المدرة) البلد (عبس) قبيلة (ايضاحا) بيانا (نعشت) جبرت و (برة) الاول اسمها والثاني صفتها يريد أنها مكرمة كثيرة البر (نكحت) تزوجت (عام الغارة) أي عام اغار عليهم عدوهم (ماوان) بلدة (سراة) سادة (آنس) أبصر و (الاثقال) الامتلاء بالولد (باقعة) داهية ويقال انه الذي جال بقاع الارض وعرف خيرها وشرها * قال ابن الانباري رحمه الله فلان باقعة أي داهية حذر محتال حاذق والباقعة عند العرب الطائر الحذر المحتال الذي يشرب الماء من المباقع ولا يرد المشارع والمياه المحصورة خوفا من أن يحتال عليه فيصطاد ثم شبه به كل حذر محتال (هلم جرا) معناه الى الآن قال ابن الانباري هلم جرا سيروا على هينتكم أي تثبتوا على سيركم ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها أخذ من الجر في السوق وهو ان تترك الغنم والبقر ترعى في السير وينتصب جرا في قول الكوفيين على المصدر لان في هلم معنى جر وفي قول البصريين هو مصدر في موضع الحال تقديره هلم جارين أي مستتبتين قياسا على جاء عبد الله مشيا وأقبل ركضا وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض وقال بعضهم ينصب على التمييز (يتوقع) ينتظر (أودع) أدخل (اللحد البلقع) اللحد الخالي (صدفني) أمالني (التعرف) أن يعرفه انه أبوه (صفر يدي) فراغها من الدراهم (فصلت) زلت (مرضوضة) مدقوقة مكسورة (مفضوضة) مفترقة (أولي الالباب) أهل العقول (العجاب) مبالغة في العجب (خلدوها) أي أثبتوا سكنها (الآفاق) البلدان وجهات الارض جمعها (أساودها) اقلامها (رقشنا) كتبنا (على ماسردها) أي كما حكاها وتكلم بها (استبطناه) سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه (مرتآه) رأيه وغرضه (ردني) كمى (أكفل) اضم (نصاب) عشرون دينارا (ألفناه) جعناه (يقنعني) يكفيني (مصاب) مجنون (قوله قسطا) أي نصيبا (قطا) كتابا (الصنع) الفعل

الجميل (استنفد) استتم (الوسع) الطاقة ووسع الرجل قدر ما يجد من مال أو كلام أو غير ذلك وهو من السعة أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء (استطلنا) استكثرنا ووجدناه كثيرا طويلا والطول الانعام والفضل أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلا و (الوشى) ثياب مرقومة بالوان شتى من الحرير و (الحبر) ثياب فيها خطوط و رقوم مختلفة والحبر تصنع باليمن فشبه حسن حديثه بالوشى وانه قصر بالحبر لحسن فنونه وقال ابن الرقاق وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سامرهم أبو زيد وزاد عليه بالشجاعة

لله ليلتنا التى استجدى بها * فلق الصباح لسرية الاظلام
طرأت على مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين براعة وحسام

(جشر) طلع (قضيناها) أتممناها (شوائبها) ما ينكدها ويكدرها (الذوائب) الشعر الطويل الاسود وأراد به ظلام الليل وجعل فيه بياض الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر قال ابن دريد

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(انفطر) انشق وطلع (عودها) بياض صبحها ويقال انفطر القضيب اذا بدا نبات ورقه وقال امرؤ القيس كغرعوبة البانة المنفطر * (قرن الغزالة) شعاعها وحاجبها والغزالة من أسماء الشمس وأسماؤها كثيرة ذكرها يعقوب وغيره وذكر منها عشرة خمسة بالهاء وهى الغزالة والخارجة والجونة ومهاة والهة وخمسة بغير الهاء وهى الشمس والسراج والصبح وذكاء ويوح (طمر) وثب (الغزالة) الظبية (انهض) أى قم (الصلات) العطايا (نستنض) نستحضر والناض المال الحاضر و (الاحالات) الديون التى وعدوه بها (استطارت) توسعت وانتشرت (صدوع) شقوق و (الخفين) الشوق والرحمة (وصلت جناحه) أى مشيت معه ويدى فى يده وجناح الرجل يده (سنيت) يسرت (نجاحه) قضاء حاجته (احرز العين) حصل المال و (صرته) خرقة دراهمه (برقت) لمعت (أسارير) طرق الوجه ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تبرق اسارير وجهه و يقال لها الاسرة و يقال لخطوط الكف الاسرة وقد جمعهما التهامى فى لفظ واحد فى قوله

يبدى أسرة وجهه ويمينه * فى ساعة الاعسار والايسار

(مسرته) سروره أراد انطلق وجهه سرورا بالمال (خطا) مشى و (النجيب) الجيد العقل الكريم الاصل (قوله أنافثه) أى أكلمه (تغرغرت) امتلأت (تظنى) حسب (خلت) حسبت (يستسر) يخفى (مكرى) خدعى (يخيل) يلبس و يشبهه (عرسى) زوجتى (فنون) أنواع (أبدعت فيها) أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها (يحكها) يحدث بها (حاكها) نسجها وقال مثلها الاصمعى مذكور فى المقامة الاربعين وأما الكميت الشاعر فهو ابن زيد الاسدى وهو شاعر مجيد مكثر جدا وديوان شعره مستعمل مشهور ولما قال قصائده الهاشميات قصد البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس أنا ابن أخيك فقال ومن أنت فانتسب له قال صدقت وما حاجتك قال أنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت ان أعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان غير

وآستنفد فى الثناء الوسع
حتى انا استطلنا القول
واستقللنا الطول ثم انه نشر
من وشى السمر ما أزرى
بالحبر الى ان أظل التنوير
وجشر الصبح المنير
فقضيناها ليلة غابت
شوائبها الى أن شابت
ذوائبها وكل سعودها الى
ان انفطر عودها ولما ذر قرن
الغزالة طمر طمور الغزالة
وقال انهض بنا لنقبض
الصلات ونستنض الاحالات
فقد استطارت صدوع
كبدى من الخفين الى
ولدى فوصلت جناحه حتى
سنيت نجاحه فحين أحرز
العين فى صرته برقت أسارير
مسرته وقال لى جزيت
خيرا عن خطا قد بيك والله
خلفتنى على ك فقلت أريد
أن أتبعك لاشاهد ولدك
النجيب وأنافثه لكى يجيب
فنظر الى نظرة الخادع الى
المخدوع وضحك حتى تغرغرت
مقلتاه بالدموع وأنشد
يا من تظنى السراب ماء
لما رويت الذى رويت
ما خلت أن يستسر مكرى
وأن يخيل الذى عنيت
والله ما برة بعرسى
ولا الى ابنه اكتنيت
وانما الى فنون سحر
أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعى فيما
حكى ولا حاكها الكميت

ذلك أمرتني بستره قال يا ابن أخي احسب شعرك على قدر عقلك فقل راشدا فأنشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب * ومالعباسي وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فانشده

ولم تلهني دار ولا رسم منزل * ولم يتطربني بنان مخضب

قال لم لا يتطربك اذا فقال

ولا أنا ممن يزجر الطير همه * أصاح غراب أم تكلم ثعلب

قال أنت ممن ويحك والى من تسمو قال

ولا السانحات البارحات عشية * أمرّ صحيح القرن أم مرّ اعضب

قال اما هذا فقد أحسنت فيه قال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى * وخير بني حواء والخير يطلب

قال فمن هم ويحك فقال

الى النفر البيض الذين بحبهم * الى الله فيما نابني أتقرب

فقال أرحني ويحك من هؤلاء فقال

بني هاشم رهط النبي فانني * بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

فقال لله درك يا بني فقد أصبت وأحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذ الايصر دسهمك ولا يثلب قولك ثم مر فيها فقال أظهر وأشهر فأنت أشعر من مضى وأشعر من بقي فحينئذ قدم المدينة فاتى عبد الله بن الحسين فأنشده فقال يا أبا المستهل ان لي ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بها شهودا فقال بأبي أنت وأمي كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ولا والله ما قلت فيكم شيئا الا لله وما كنت لآخذ في شيء جعلته لله ثمنا فلما أبى عليه أخذ مئزره فدفعه الى أربعة غلمان فجعل يدور به دور بني هاشم ويقول هذا الكميت قال فيكم الشعر حين دمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبني أمية فاثيبوه بما قدرتم فاجتمع له من حلي النساء ومن الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن في دولة عدو نافاستعن بهذا على دهرك فقال بأبي أنت وأمي قد أكثرتم وأطنبتم وما أردت بمدحي اياكم الا الله فارددته الى أهله فجهد به بكل حيلة فأبى فقال اما اذا أبيت أن تقبل فان رأيت ان تقول شعرا تغضب به بين النزارية والتميمية لعل فتنة تحدث فتخرج بين اضغانها فقال قصيدته التي أولها

الا حييت هنا يا مربنا * وهل ناس قفول المسلمينا

فعرّض فيها وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم مثل قوله

لنا قمر السماء وكل نجم * يشير اليه أيدي المهتدينا

وما ضربت هجان بني نزار * هوائج من فحول الاعجمينا

وما حملوا الحمير على هجان * مضمرة فيلفوا مبغلينا

ودشت في العرب فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار وثارت العصبية في البادية والحاضرة وتحزب الناس فتعصب مروان بن محمد لقومه من نزار على اليمن فانحرفت عنه الى الدعوة

العباسية وكان الكميت سبب ذلك وكان لامتداحه بني هاشم وتعريضه ببني أمية يطلبه خلفاء بني أمية فهرب منهم عشرين سنة فجد هشام بن عبد الملك في طلبه ولم يجده ولم يستقر للكميت قرار من خوفه وكان لمسلمة بن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها له لا يرده فيها فخرج مسلمة لبعض صيوده فأتاه الناس يسلمون عليه فأتاه الكميت ومسلمة لا يعرفه فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد

قف بالديار وقوف زائر * وتأن انك غير صاغر

حتى انتهى الى قوله يا مسلم ابن أبي الوليد * دظنات اني شئت ناشر

علقت حبالي من حبا * ل الذمة الجار المجاور

فالآن صرت الى أمية والامور لها مصاير

والآن كنت به المصيـ * ـب كهتد بالامس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الذي أقبل من آخر يات الناس ثم بدأ نابالسلام ثم قال أما بعد ثم بدأ نابالشعر قبل الكميت فأعجب بفصاحته فسأله عما كان فيه من طول غيبته فذكر له سخط هشام عليه فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام وهشام لا يعرفه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال هشام نعم الحمد لله من هذا قال الكميت مبتدئ الحمد ومبتدعه الذي خص بالحمد نفسه وأمر به ملائكته وجعله فاتحة كتابه ومنتهى شكره وكلام أهل جنته أحمده حمد من علم يقينا وأبصر مستبينا وأشهد بما شهد به لنفسه قائما بالقسط وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده العربي ورسوله النبي الامي الذي أرسله والناس في عفوات حيرة ومدلهمة ظلمة عند استقرار أبهة الضلالة فبلغ عن الله ما أمر به حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم ثم اني يا أمير المؤمنين تهت في حيرة وحرت في سكرة أهاب بي داعيها فأجابه عاريها فاه طوطيت في الضلالة حائدا عن الحق قائلا بغير الصدق فهذا مقام العائذ بك ومنطق التائب ومبصر الهدى بعد طول العمى يا أمير المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته ومجترم عفوتم عن جرمه فقال هشام وقد علم انه الكميت من سن لك هذه الغواية وأهاب بك في العماية قال الذي أخرج آدم من الجنة فنسي ولم يجد له عزما وأنت يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها فبصرت وحقن بك دماء قوم اشرب خوفك قلوبهم لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك وعز بأسك وثبات جأشك وأنت مستغن برأيك عن رأي ذوي الالباب برأي أريب وحلم مصيب فأطال الله لامير المؤمنين البقاء وأتم عليه النعماء ودفع به الاعداء فرضي عنه وأمر له بمال كثير فهذه منزلة الكميت من الشعر والخطابة خلافا لمن يقول القافية جلبته في المقامات وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه (قوله حاكها) أي نسجها يريد أن الكميت ممن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه فلذلك قال حاكها وسال بعض الخلفاء جريرا عن النابغة وزهير فقال ينيران الشعر ويسديانه والعلماء بالشعر يسمون صناع الشعر عبيد الشعر مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدي بن الرقاع والكميت (قوله تخذتها) أي اتخذتها يقال تخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ وخفف عنه حذفوا ألف الوصل من المخذو التاء الاولى الساكنة التي هي فاء الفعل فبقي تخذ ومثله اتقى يتقى وتقى يتقى حذفت ألفه

تخذتها وصلة الى ما

وتاؤه الاولى وليس بطرد هذا التخفيف وانما جاء فى اتخذوا تقى واتجه واتسع فقالوا اتقى وتخذ وتجه وتسع (وصلة) أى موصلة (تعافيتها) تكارهتها وهى تفاعلت من عفت الشئ أعافه عيافا أى كرهته (حالت) تغيرت (أحو) أجمع (مهد) اقبل وسهل (أجرمت) أذنبت لنفسى (جنيت) أذنبت لغيرى أرادان كان عذرى بينا فاقبل وان كنت ظالما فتجاوز واسمح (أودع) ضمن وجعل فيه (الغضى) شجر جمره يثبت فى النار

تجنيه كفى متى اشتهيت ولو تعافيتها الحالات
حالى ولم أحو ما حويت مهد العذر أو فسامح
ان كنت أجرمت أو جنيت ثم انه ودعنى ومضى وأودع
قلبى جمر الغضى

* (شرح المقامة السادسة وهى المراغية) *

(المقامة السادسة المراغية)

وتعرف بالخيفاء (ديوان النظار) أى مجلس المناظرة (المراغة) بلدة من كور اذربيجان (اليراعة) القلم قبل أن يبرى و يسوّى فاذا برى وسوى قيل له قلم و بقى عليه الاسم الاوّل وهو اليراعة واليراع القصب (أرباب البراعة) أصحاب اصالة الرأى والبارع الاصيل الجيد الرأى و يقال برع يبرع بروعا و براعة اذا فاق فى السودد (ينقح) يحسن و يخلص (الانشاء) الكتابة (خلف) بقى (السلف) المتقدمون وسلفوا ذهبوا وتقدموا (يبتدع) يحدث (طريقة) حالة موصوفة وطريقة فلان كذا أى حالته التى هو عليها (غراء) واضحة مشهورة لم يقل أحد مثلها وغرة الشئ أوله (يفترع) يفتض (عذراء) بكرا سميت عذراء لصعوبة جماعها وتعذر الشئ تصعب وافتراع البكر اداموها وازالة ما تصعب منها وكل ما أدميته فقد فرعته وافترعته فعينى يفترع رسالة عذراء أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره فاقتدر هو على سلوك طريقها والاتيان بها (المغلق) الفصيح المعرب الذى يأتى بالغلق وهو الشئ العجيب (الاوان) الوقت (العيال) من يتكل فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه وعال الرجل عياله اذا افتقر وعلته عولا قت بمؤنته فعيد أن كتاب هذا الزمان عيال على من تقدمهم حيث افتقروا الى الاخذ من كلامهم وقد وعدنا أن نذكر سحبان فيما يأتى ان شاء الله تعالى (الكهل) التام الخلق بين الشاب والشيخ (الحاشية) طرف المجلس و (الحاشية) الثانى الاتباع وخدمة القوم وأصلها زال المال وصغاره * قال يعقوب الحاشية والحواشى والحشو صغار الابل وأنشد * جللتها والاخر الحواشيا * (شط) جرى (شوطهم) طلقتهم (نثروا) التواعليها (العجوة) التمرة الطيبة (والنجوة) الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور وما وجدت فى كتاب لغة ان النجوة اسم للتمرة الرديئة وقد بحثت عنها بعض أصحابنا غاية البحث فى كل كتاب يتهم فيه ذكر النخل والتمر فأخبرنى أنه ما وجد لها ذكرا وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم فى التمر الردىء لانها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده لان البصرة أكثر بلاد الله نخلا فيسمون كل نوع من التمر باسم والتمر تكثر أنواعه عندهم ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ورأيت بها نوعا من التمر زعموا أنه لا يطيب أبدا وانما حاله أن ينكمش على نواه فلا نجد الا جلدا يابسا على النواة فيعلفونه المعز فيحتمل أن يكون مثل هذا فى نخل البصرة يسمى نجوة و يقابل بالعجوة التى هى أشرف التمر وأطيبه وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الارض فلا معنى له * الفنجديهى النجوة قيل انها لفاظة التمر اذا سقطت لا يبالى بها فان صحت روايتها فكأنها سميت بالنجوة التى هى العذرة (نوطهم) وعاء تمرهم قال أبو حنيفة النوطة الحلة الصغيرة من

(المقامة السادسة المراغية)

(روى الحرث بن همام) قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الانشاء و يتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وان المغلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس فى الحاشية عند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم فى شوطهم ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم

حلال التمر والحلة الوعاء الذى يكتنز فيه التمر وكل وعاء له علاقة فهو نوطة والجمع نوط وقد ناطه ينوطه اذا علقه فأراد ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم (ينبئ) يخبر (تخاز رطرفه) كسر عينه بالنظر وتخاز رنظر بمؤخر عينه وهو نظر المنكر للشئ (تشامخ) ارتفاع وهو فعل المستحقر للشئ (مخرنبق) منتبئ (لينباع) لينهض وفسره أبو عبيد فى الامثال فقال المخرنبق المطرق الساكت لينباع ليثب اذا أصاب فرصة قال ومعناه أنه سكت لداهية يريدها وقيل المخرنبق الساكت على السوء لينباع ليظهر الذى فى ظنه من الشر (مجرمز) منقبض وهو كقول النابغة

وقلت ياقوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

فأخذه ابن الرومى فقال

سكن سكونا كان رهنا بوثبة * عما سكذاك الليث للوثب يلبد

(نابض) رام ويقال أنبض القوس اذا جذب وترها ثم أطلقه لتختبر شدتها ونبض العرق تحرك فيكون نابض على النسب أو على حذف الزائد * الفنجديهى أورد أبو الحسين بن فارس اللغوى فى كتابه المجمل ان نبض لغة فى أنبض وهما بمعنى واحد قال الشاعر

فان أباها مقسم بيمينه * لئن نبضت كفى فانى لنابض

فصح بهذا قوله (رابض) لاطئ بالارض وربضت الشاة اضطجعت (يبغى النضال) أى يطلب المراماة وأراد أنه يريد أن يلقى عليهم المسائل ليجاذبوه (قوله ثلت) أى نفضت وصب ما فيها (الكائن) الجعاب وهى أوعية السهام (فاءت) رجعت (السكائن) جمع سكينة وهو الوقار يريد أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا (ركدت) سكنت (الزعازع) الرياح الشديدة المزلزلة واحدها زعزع (كف المنازع) أمسك المخالف يريد انقطع كلامه (اذا) أمر افظيعا منكرا (جرتم عن القصد) خرجتم عن الاستقامة (جدا) كثيرا (الرفات) البالية (افتتم) فعلتم ما لا يجب وتجاوزتم فيه ويقال افتات الرجل افتعل من الفوات وفات ذهب وعدم (غمصتم) حقرتم وغطيتم (جيلكم) أهل عصركم (اللدات) جمع لدة وهو الذى ولد معك (جهابذة) حذاق الواحد جهبذ (النقد) معرفة الكلام نقده ميزه وأصله من ميز الدراهم الجيدة من الرديئة (موابذة) حكام والموبذ الكثير الجاه من الفرس مثل الوزير والقائد (أبرزته) أظهرته (طوارف) جديدات وغريبات (القرائح) الاذهان (برز) غلب (الجذع) من الخيل ابن سنتين (القارح) ابن خمس أى غلب فيه الحديث العصر القديم (عبارات) جمع عبارة وهى التفسير وعبرت عن فلان تكلمت عنه وكنت لسانه (المهذبة) الخلصة من العيب و (الاستعارة) أن تعير اللفظ ما يستحقه غيره وهى من العارية (الموشحة) المزينة (الاساجيع) جمع أسجوعة وهى الكلام المربوط بقافية (أنعم) بالغ (المطروقة) التى نزل عليها (المعقولة) المربوطة (الشوارد) الفارة يقول ليس للقدماء الا المعانى التى قصدها المتأخرون كما قصدها المتقدمون وقيدها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون فكان تقييدها سببا لان مشت فى الاقطار فعرفت وحفظت (المأثورة) المحدث بها (الصادر) الخارج عن الماء و (الوارد) الداخل اليه وذكرهنا ان الصادر يتقدم الوارد وذلك أنا اذا فرضنا وضع ماء لا يمكن وروده الا واحدا بعد واحد فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره فى المقامة. قال الحريرى فى درة الغواص ان الخواص يقولون هذا أمر يعرفه الصادر والوارد

ينبئ تخاز رطرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرمز سمد الباع ونابض يبرى النبال ورابض يبغى النضال. فلما ثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت الزماجر وسكت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيأ اذا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظائم الرفات وافتتم فى الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أنسيتم ياجهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا أنعم النظر من حضر غير المعانى المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم الموالد لا لتقدم الصادر على الوارد

ووجه الكلام أن يقال الوارد والصادر لانه مأخوذ من الورد والصدر ولما كان الورد يقدم الصدر وجب أن يقدم لفظ الوارد على الصادر وهذا كما ترى الورد يقدم الصدر فى حق واحد يقال ورد الماء ثم صدر عنه وأما فى حق اثنين كما قدمنا وكما ذكر هو فى هذه المقامة فالصادر يتقدم الوارد وقول الناس هذا أمر يعرفه الصادر والوارد فى حق اثنين فهم فيه على صواب ومحال أن يكون المثل فى حق واحد لان الشئ لا يعطف على نفسه ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه لان الواو لا تعطى رتبة يقول لا تحدث بكلمهم ونظمهم ونثرهم لفضلهم علينا لكن لسبقهم لنا (أنشا) كتب (وشى) زين ورقم (عبر) تكلم أو فسر (حبر) حسن (أوجز) اختصر (أعجز) أى عجز عن فعله غيره (أسهب) أطال الكلام (أذهب) جاء بالذهب وأصل أسهب حفر بئرا بعيدة القعر وأذهب صادف معدن الذهب فى حفير (بده) ارتجل ولم يتفكر (شده) حيرمن يتعاطى منزلته (اخترع) قال مالم يسبق اليه (خرع) شقق المعانى (قوله ناظورة) اى كبير القوم ومقدمهم الذى ينظرون اليه (الديوان) دار الكتاب وموضع اجتماعهم والديوان الزمام يكون فيه أسماء الجند وأرزاقهم وأصله دوان فقلبت واوه الاولى ياء لانكسار ماقبلها ودل عليه دواوين فى جمعه وهو اسم أعجمى عرب والاصل فى تسميته ان كسرى أمر الكتاب أن يجتمعوا له فى دار ويعملوا حساب السواد فى ثلاثة أيام وأعجلهم فيه فأخذوا فى ذلك واطلع عليهم لينظر مايصنعون فنظر اليهم يحسبون بأسرع مايكن ويفسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال أرى ديوانه ومعناه شياطين ثم سمى موضعهم ديوانا ثم استعملته العرب وجعل كل محصل من كلام أو شعر ديوانا (قارع) ضارب وكاسر (الصفاة) الصخرة الملساء استعارها للصعب من الكلام (قريع) سيد (الصفات) النعوت التى تقدم أنه يعرف بفعلها و (قرن مجالك) صاحب كالملك الذى تجول فيه يعنى نفسه (قرين جدالك) صاحب مجاداتك والقرن بالكسر الذى يماثلك فى شدة أو خصام أو علم وان لم يكن بينكما معرفة وقرينك صاحبك الذى لا يفارقك كأنه قرن معك والمجال الموضع الذى تراض فيه الخيل (رض) سس ولين (النجيب) الفحل الكريم من الابل وعنى نفسه (ادع مجيبا) يقول سسنى ثم ادعنى استصب لك (ترى عجيبا) فى حسن جوابى (البغاث) صغار الطير (يستنسر) يصير نسرا يقول نحن أهل علم ومعارف فلا تجوز علينا المخاوف والعرب تقول فى أمثالها ان البغاث فى أرضنا يستنسر أى يرجع الضعيف قويا لعزنا وحمايتنا له ممن يريده وقيل فى البغاث انه ذكر الرخم وقيل البغاث كل مايصاد من الطير والجوارح كل مايصيد والرهام مالا يصيد ولا يصاد كالخطاف وغيره (القضة) الحصى البيض الصغار ويقال جاء بالقض والقضيض بالقاف والضاد ومعناه جاء بالكبير والصغير والقضيض صغار الحصى وما تكسر منه وقالوا جاؤا قضهم بقضيضهم أى كلهم (استهدف) صار هدفا وهو الغرض للسهم (النضال) المراماة (العضال) الذى لا يبرأ مثله (استثار) حرك (نقع) غبار (الامتحان) الاختبار (يقذ) يقع فى عينه القذى وهو مايسقط فى العين يقول من صار غرضا للالسنة قل أن يسلم ومن صار طالبا للمناظرة أهل المعارف أعين وأفهم (المفاضح) المخزيات واشتهار العيوب (وسم) علامة (قدحه) سهمه يريد قداح الميسر وكان كل رجل يعمل فى قدحه علامة يعرف بها قال دريد بن الصمة

وانى لاعرف الآن من اذا أنشا وشى واذا عبر حبر وان أسهب أذهب واذا أوجز أعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين أولئك الاعيان من قارع هذى الصفاة وقريع هذه الصفات فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذا شئت ذا الفرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له باهذا ان البغاث بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف للنضال نخلص من الداء العضال أو استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه

وأصغر من قداح النبع فرع * به علمان من عتب وضرس

الضرس العض بالضرس وسنذكر فى الثالثة والاربعين قداح العرب (سيتفرى) سيتكشف (قولة تناجت) أى تحدثت سرا (يسبر) يقاس (قليبه) بئره (يعمد) يقصد (تقليبه) تجريبه (ذروه) اتركوه (حصتى) نصيبى (قصتى) خبرى وجعل لمسئلته حجرا يرميه به مجازا (عضلة) صعبة (العقد) جمع عقدة يريد أن عقدها صعب الحل (محك المنتقد) وهو حجر يقاس به جيد الفضة والذهب من الردئ أراد ان مسئلته نهاية فى الصعوبة والعضلة كل مسئلة شديدة لا يهتدى لمثلها ولا يوقف على جوابها من قولهم داء عضال ومعضل اذا كان شديدا لا يهتدى لدوائه ولا يوقف على علاجه وعضلت المرأة تعضيلا نشب ولدها فى بطنها وعضلت الدجاجة بيضتها كذلك وفلان عضلة من العضل أى داهية لا يهتدى لمكره (قوله الزعامة) أى الرياسة (وأبو نعامة) هو قطرى ابن الفجاءة التميمى الخارجى وكان له فرس يكنى بها فى الحرب ويكنى فى السلم أبا محمد وقطرى منسوب الى قطر موضع قريب من عمير وكان فارسا شجاعا شاعرا مجيدا وكان رئيس الخوارج وسلموا عليه بأمير المؤمنين عشرين سنة وكان خطيبا فصيحا وله خطبة فى ذم الدنيا انتهى فيها من البلاغة الى الغاية وأولها أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات ودانت بالقليل وتحببت بالعاجل وتحلت بالامانى وتزينت بالغرور لا تدوم زهرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة لا تعدو اذا هى تناهت الى أمنية الرغبة منها والرضا عنها أن تكون كما قال تعالى كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا ومنها وكم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة اليها قد صرعته وذى احتيال فيها قد خدعته وكم من ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا وذى تاج قد كبته للیدين والنم سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر ملبسها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ومن جيد شعره فى وقعة دولاب

لعمرك انى فى الحياة لزاهد * وفى العيش مالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذى بث ولا لسقيم
لعمرك انى يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طغت علمان بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم
فلم أر يوما كان أكثر مفظعا * بهج دما من فائض وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامتهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنى يوم ذلك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

وأم حكيم التى شبب بها كانت معه فى عسكر الاباضية وكانت من أشجع الناس وأجلهم وجها

وستفرى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعمد فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه فى حصتى لارميه بحجر قصتى فانها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه فى هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فاقبل على الكهل

وأحسنهم بدينه متمسكا وكان قطرى يحبها ويجلها وأخبر من شاهدها فى تلك الحروب انها كانت ترتجز فتقول

أحمل رأسا قد سئمت حمله * وقد ملات دهنه وغسله * الافتى يحمل عنى ثقله

والخوارج يفدونها بالآباء والامهات وخطبها جماعة من أشراف الخوارج فردتهم وقالت

الا ان وجها حسن الله خلقه * لأجدر ان يلقى به الحسن جامعا

وأكرم هذا الجرم عن أن يناله * تورك فحل همه أن يجامعا

أين هذه من أم خارجة واسمها عمرة بنت سعد كان يقال لها خطب فتقول نكح وضرب بها المثل فقيل أسرع من نكاح أم خارجة وأين هى من حفيدة قطرى صاحبها حكى الاصبهانى عن اسمعيل ابن المباجر قال خرجت أنا والسيد الحميرى سكارى فلقينا بنت الفجاءة بن عمر بن قطرى بن الفجاءة وكانت امرأة برزة حسناء فواقفها السيد وأنشدها من شعره فأعجب كل واحد منهما صاحبه ثم خطبها فقالت كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق قال يكون كنكاح أم خارجة قيل لها خطب قالت نكح فاستضحكت وقالت تنظر فى هذا وعلى ذلك فمن أنت قال

ان تسأليني بقومي تسألي رجلا * في ذروة المجد من أجواد ذي يمن

ثم الولاء الذى أرجو النجاة به * من كبة النار للهادى أبى حسن

فقالت لاشئ أعجب من هذا يمان وتميمة ورافضى وأباضية فكيف يجتمعان فقال بحسن رأيك فى تحشد نفسك ولا يذكر أحدنا سلفا ولا مذهبا قالت أفليس التزويج اذا علم انكشفت معه الستور قال وأنا أعرض عليك أخرى قالت وما هى قال المتعة التى لا يعلم بها أحد قالت تلك أخت الزنا قال أعيذك بالله ان تكفرى بعد ايمانك قالت وكيف قال لها قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة قالت أستخير الله وأقلدك اذ كنت صاحب قياس وتفتيش فانصرفت معه وبات معرسا بها وبلغ أهلها من الخوارج أمرها فتوعدوها بالقتل فجعدت وقالوا أتزوجت بكافر فكانت تختلف اليه مرة وتواصله وقوله تقليد الخوارج أبا نعامة لما قتل الزبير بن على أميرا الخوارج اداروا أمرهم فأرادوا تولية عبيد بن هلال اليشكرى فقال ألا أدلكم على من هو خير منى لكم من يطاعن فى قبل ويحمى عن دبر عليكم بقطرى بن الفجاءة المازنى فبايعوه (قوله أوالى) أى ألازم وأتخذه وليا (أرقح) أصلح يقال رقح من عيشه اذا أصلح منه قال الشاعر

يترك ما رقح من عيشه * يعبث فيه همج هامج

الهمج البعوض ثم قيل لأرذال الناس همج (الحالى) المزين بالحلى (أودى) عوجى (سعة) كثرة (ذات يدى) أى مالى (عددى) عيالى (حاذى) ظهرى وفلان خفيف الحاذ أى قليل العيال وأصل الحاذ مؤخر الفخذين (تنفدرذاذى) فرغ قليل مالى والرذاذ المطر الضعيف (أمتعه) قصدته (أرجائى) جهاتى وبلادى (رجائى) أملى (روائى) حسن هيئتى وحالى (ارواء) ازالة عطشى (هش) خف ورجل هش بسام طليق الوجه (للوفادة) القدوم عليه (وارتاح) طرب واهتز (الافادة) تكسيب الفوائد (المراح) بفتح الميم المشى والانصراف و (المراح) بالضم الموضع الذى تروح اليه الابل وتروح منه أو تراح اليه أى تساق بالعشى و (المراح) بالكسر النشاط والخفة وقد مرح مرح العب من الفرح (كاهل) ما بين فروع الكتفين استعارة للنشاط

وقال اعلم انى أوالى هذا الوالى وأرقح حالى بالبيان الحالى وكنت استعين على تقويم أودى فى بلدى بسعة ذات يدى مع قلة عددى فلما ثقل حاذى ونفد رذاذى أمتعه من أرجائى برجائى ودعوته لاعادة روائى واورائى فهش للوفادة وارتاح وغدا بالافادة وراح فلما استأذنته فى المراح الى المراح على كاهل المراح

(أزمعت) عزمت (بتاتا) زادا (شتاتا) مالا متفرقا (تنشئ) تصنع وتكتب (امام ارتحالك) قبل سفرك (تودعها) تضمنها وتجعل فيها (يعجمن) ينقطن واعجمت الكتاب أزلت عنه عجمته (قط) لفظة موضوعة لما مضى من الدهر وجعل الحريرى قول الخواص لا أكلمه قط من أفحش الخطا لتناقض الكلام قال وذلك ان العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة أبدا فيما يستقبل فيقولون ما كلمته قط ولا أكلمه أبدا والمعنى ما كلمته فيما انقطع من عمرى لانه من قططت الشئ اذا قطعته ومنه قط القلم اذا قطع طرفه وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان اذا استقبل قد واذا استدبر قط فالقد قطع الشئ طولا والقط قطعه عرضا يقول تصنع رسالة تضمنها حالك يكون تركيبها من كلمة يعجم حروفها النقط وكلمة لا ينقط منها حرف وبهذا المعنى سميت المقامة الخفشاء لان الاخفش من الخيل الذى احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء (استأنيت) أمهلت وأخرت (أحار) ردورا جع (نهت) أيقظت (سنة) حولا (سنة) نوما (قاطبة) جماعة (قطب) وجهه اذا عبسه (صدعت) أوضحت وأظهرت وأصل الصدع الشق (باليقين) بالحق الواضح (آية) علامة قال ابن الانبارى رحمه الله فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه قيل انها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها واحتج أبو عبيد لذلك بقول الشاعر

بآية ما تحبون الطعاما وبقول النابغة توهمت آيات لها فعرفتها* لستة أعوام وذا العام سابع

الثانى سميت آية لانها جماعة حروف قال أبو عمرو خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم الثالث سميت آية لانها عجب من العجائب فالآية العجب (قوله استسعيت) طلبت سعيه أى جريه و (اليعبوب) الفرس السريع (استسقيت) استمطرت وطلبت سقياه و (الاسكوب) المطر الكثير (باريها) صانعها وكل هذه أمثال ويريد أنا أهل لكل ما طلبت وأول من قال أعط القوس باريها الحطيئة وذلك أنه دخل على سعيد بن العاص وهو يقرى الناس فأكل أكلا جافيا وخرج الناس فأقام وأتاه الحاجب ليخرجه فامتنع وقال أترغب بهم عن مجالستى انى بنفسى عنهم لأرغب فقال له سعيد دعه ثم تذاكروا الشعر والشعراء فقال لهم الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ولو أعطيتم القوس باريها وقعتم على ما تريدون فقال له سعيد فمن أشعر العرب قال الذى يقول

لأعد الاقتار عدما ولكن * فقد من قد رزئته الاعدام

الى آخر القصيدة قال فمن قائلها قال أبو دواد الايادى قال ثم من قال والله لحسبك عندى رهبة أو رغبة أنا اذا رفعت احدى رجلى على الاخرى وعويت فى اثر الثعوانى كما يعوى الفصيل الصادى اثر أمه قال ومن أنت قال الحطيئة قال حسبك الله يا أبا ملكة ألا أعلمتنا بمكانك فلم تحملنا على الجهل بك فنضيع حقك ونبخسك قسطك وأدناه ووصله قال الشاعر

يا بارى القوس بريا ليس يحسنه * لا تظلم القوس أعط القوس باريها

(ريث) مقدار وبطء (استجم) استكثر (قريحته) طبيعته والقريحة فى الاصل أول ماء البئر النابع واستجمها تركها حتى تكثر (استدر) استنزل درها وهو لبنها و (اللقحة) الناقة ذات اللبن يريد أقام قليلا يفكر ويختار ما يقول ومثل هذه الحالة ذكروا ان صديقا لكلثوم العتابى أتاه يوما فقال له أصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الا شاردة عنك فقال له العتابى انى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فأحببت أن أترك كل معنى

قال قد أزمعت أن لا أزودك بتاتا ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ لى امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلتيها يعجمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت بيانى حولا فما أحار قولا ونهت فكرى سنة فما ازداد الا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته

حتى يرجع الى موضعه وهذا مثل قول امرئ القيس ويقال انه قالها وهو ابن عشر سنين

أذود القوافي عني ذيادا * ذياد غلام غوي جوادا
فلما كثرن وعنينه * تخير منها جوادا جيادا
فأعزل مرجانها جانبا * وآخذ من درها المستجادا

(وقال عريف القوافي)

أبيت بأبواب القوافي كأنما * أصادي بها سربا من الوحش نزعا
عواصي الا ما جعلت وراءها * عصا مرة تغشى وجوها وأذرعا
اذا خفت أن تزري على ترددتها * وراء التراقي خشية أن تطلعا

أصادي أداري وجعل القوافي تقتحم عليه كالابل وهو يضربها بعصاه حتى يختار جيادها (قوله ألق) أي اجعل فيها لقة تقول لقت الدواة فهي ملقة وألقتها فهي ملاقة وجمع اللقة لق ويقال للصوفة قبل أن تبل بالمداد البوهة والمرارة فاذا بلت بالمداد سميت لقة وقد يقال لها لقة قبل أن تبل سميت بما تؤل اليه كما قيل للكبش ذبيح وللصيد رمية فان كانت قطنة فهي العطبة والكرسفة وكرسفت الدواة كرسفة والقطن كله يقال له العطب والكرسف ويقال للمداد نقس ونتس والكسر أفصح وقيل الفتح مصدر نقستها جعلت فيها نقسا والحبر من المداد بالكسر لا غير والحبر بالفتح والكسر العالم وقال بعضهم سمي المداد حبرا باسم العالم كانهم أرادوا مداد حبر فحذفوا ولو كان ما قالوه صحيحا لقالوا للمداد حبر بالفتح والاشبه أن يسمى حبرا لانه يحسن الكتابة من قولهم حبرت الشيء اذا حسنته ويقال للجمال حبر وسير فداد حبرة ولذلك مداد زينة وجمال أو يكون من الحبر والحبار وهو الاثر فيسمى بذلك لتأثيره في الكتاب ويقال مذدت الدواة أمدها مدا اذا جعلت فيها مدادا فان كان فيها مداد فزدت عليه قلت أمددتها فاذا أمرته أن يأخذ من المداد بالقلم قلت استمدد فان سألته أن يعطيك على القلم مدادا قلت أمددني من دواتك واستمددته أنا سألته أن يمدني وقال الخليل مدني وأمدني أعطني من مداد دواتك وكل شيء زاد في شيء فهو مداد له وأمهت الدواة وموهتها اذا جعلت فيها ماء والامر من ذلك كله أمه وموه دواتك واشتقاق الدواة من الدواء لان بها اصلاح أمر الكتاب وبعض الشعراء اشتقها من دوى الرجل يدوى دويا اذا صار في جوفه الداء قال

أما الدواة فأدوى حملها جسدي * وحرف الخط تحريف من القلم

ووزنها فعلة تحركت الياء وقبلها فتحة فقلبت ألفا وتجمع دويات كقناة وقنوات ودوى كقناة وقنى ويقال أدويت فانا مدو واتخذت دواة ويقال للذي يبيعها دواء كخياط واذا أمرت من يتخذها قلت أدود واة ويقال لمن يحملها ويمسكها دواء ويقال لها الدواة والرقيم والنون ويقال هو القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت أي كتبت ومن فرق بينهما قال زبرت بالزاي أي كتبت وذبرت أي قرأت وسمي قلما لانه قلم أي قطع وسوي كما يقلم الظفر وكل عود قطع وحز رأسه وعلم بعلامة فهو قلم قال الله تعالى اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وكانت سهاما فيها أسماؤهم مكتوبة ويقال للذي يقلم به مقلم وللذي يبرى به مبرى ولما سقط عن البرى والتقليم القلامة والبراية وقيل لاعرابي ما القلم ففكر ساعة وجعل يقلب أصابعه ثم قال لا أدري فقيل له توهمه

وقال ألق دواتك واقرب

كلام لطيف يتعلق بالدواة والمداد والقلم

وخذ أداتك واكتب

فى نفسك قال هو عود قلم من جوانبه كتقليم الاظفار ويقال لعقده الكعوب واحدها كعب ولما بينها الانابيب واحدها انبوب ويستعملان فى الرمح وفى كل عود فيه عقد والعقدة التى تشتبه تسمى الابنة وجمعها أبن فان كان فى العود أو القصبة تأكل قيل فيه قادح ونقد ويقال لباطنه الشحمة ولظاهره اللط فان قشرت منه قشرة قلت ليطت من القلم ليطة فان أخذت شحمته بالسكين قيل شحمته أشحمه فان أفرطت فى أخذها قلت بطنته تبطينا فهو مبطن وحفرته فهو محفور فان تركت شحمته قلت أشحمته اشحاما ويقال لغشائه الذى عليه الغلاف واللحاء والقشر فاذا نزعتها عنه قيل قشرته وبشرته ولحوته ونجوته وسحوته ويقال فى ثلاثتها بالياء وسحيته وجلمته وجلفته ورسقته ونقحته مشددان ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان والشعيرتان واحدهما سن وشعيرة فاذا قطع طرفه وهيئ للكتابة قيل قططته أقطه قطا وقصمته اقصمه قصما والمقط بالكسر ما يقط عليه وبالفتح الموضع الذى يقط من رأسه فان جعلت احدى سنيه أطول من الاخرى قلت قلم محرف وقد حرفته تحريفا فان سويتهما قلت قلم مبسوط فان سمع له صوت عند الكتابة فذلك الصريف والصرير والرشيق ويقال للقصب اليراع والاباء الواحد يراعة واباءة وقيل الاباء أطراف القلم أى القصب ويقال للقطن الذى يوجد فى بطنها البيلم والقيصف والقيسع واحدته بيلمة وقيصفة وقيسعة فان كان فى القصب تأكل قيل فيه قادح ونقد وكذلك العود والسن والقرن فان كان فيها عوج فذلك الدرّ (قوله خذ أداتك) أى قلمك وقال ابن طاهر للكاتب له أليق دواتك وأطل سن قلمك وفرق بين السطور وتوسط بين الحروف وقال ابن عبدربه ينبغى للكاتب أن يصلح آلته التى لا بد له منها وأداته التى لا تتم صناعته الا بها وهى دواته فليتعهد ريها اصلاحها ثم ليختر من أنابيب القصب أقلها عقدا وأكثفها لحما وأصلبها قشرا وأعدلها استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا ليكون عونا له على برى أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصب واعلم أن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس نظم هذا أحد الشعراء فقال

يمسك الفارس رمحا بيد * وأنا أمسك فيها قصبه
فكلانا فارس فى شأنه * انما الاقلام رمح الكتبه

وقال أبو الفتح البستى ان هز أقلامه يوما لعملها * أنسالك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

رأى جعفر بن يحيى خطا فاستحسنه فقال الخط خيط الحكمة ينظم فيه منثورها ويفصل فيه شذورها ومن كتاب لجعفر بن يحيى الى محمد بن الليث يستوصفه الخط أما بعد فليكن قلمك محرفا لا متينا ولا رقيقا ضيق القلب فاره بريا مستويا كمنقار الحمامة أعطف بطنه ورقق شفرتيه وليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسج مخرج السحاة مستويا من أحد الطرفين الى آخره فليست تستقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أكثر مطك فى اطراف القرطاس الذى فيه يسارك واقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر والمط نصف الخط ولا يقوى عليه الا العاقل قال العتابى سألنى الاصمعى فى دار الرشيد أى الانابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر فقلت له ما نشف بالهبير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه من الدرية الظهور النيرة القشور الفضية الكسور قال فأى نوع من البرى أصوب وأكتب فقلت له البرية المستوية القطة التى عن يمينها برية

تاتى معها المجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها صفيق وللريح فى جوفها خريق والمداد فى خرطومها رقيق فبقى شاخصا الى لا يجد جوابا وقال الحسن بن وهب يحتاج الكاتب الى خلال جودة برى القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأنى لامتطاء الانامل وارسال المدة بعد اشباع الحروف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع وقال بعض الكتاب عطروا دفاتركم بجيد الحبر فان الكتب غوان والحبر غوال وقال بعض الكتاب أيضا

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الاسحار يأرج بالغداة
بأضوع أو باسطع من نسيم * تؤدّيه الافاوه من دواة

كان هذا يفادى من قول الآخر

دعى فى الكتابة لا روى * له فيها يعدّ ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه * تلاق فريحها أبدا كريه

ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر مداد وهو يستره فقال له

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

(ولبعضهم يهجو كاتبا)

حمار فى الكتابة يدّعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو لطخت نفسك بالمداد

وقال كشاجم لوراق يدعى الكتابة

وزعمت أنك فى الكتابة مدرك * شأوى فقلت رماحها أقلام
هيهات تلك صناعة ممزوجة * فيها ضياء واضح وظلام
هذا الحديد سلاح أبطال الوغى * وبه يسيح دماءنا الاقلام

وقال أبو العيناء كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا فنقطت من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه فتعجبت فقال لا تعجب المال فرع والقلم أصل والاصل أحوج الى المراعاة من الفرع وبهذا السواد جاءت هذه الثياب ثم أطرق قليلا وقال

اذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسلمه الوجود الى العيان
ووشاه فنمنمه جواد * فصيح فى المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات * تجلى بينها صور المعانى

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب فاعتمد عليه اعتمادا شديدا فصرّ القلم فى يده فأنشد

اذا ما التقينا واتضينا صوارما * يكاد يصمّ السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلى نظمها ونثيرها
تقود أبيات البيان بفطنة * تكشف عن وجه البلاغة نورها
تظل المنايا والعطايا شوارعا * تدور بما شئنا وتمضى أمورها
اذا ما خطوب الدهر أرخت ستورها * تجلت بنا عما يسرّ ستورها

وأتى رجل وكيعا فقال رجل بيت اليك بحرمة فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب بحبرتى عند الاعمش فوثب وكيع الى منزله ثم أخرج منه دنانير فنفقته وقال له اعذرنى فما أملك غيرها ودفعها

اليه وقال أبو الحسن بن لبال فى محبرة آبنوس

وخديمة للعلم فى أحشائها * كاف بجمع حلاله وحرامه
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وحدثنى عن شيخى الفقيه أبى عبد الله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسين قال حدثنى أبى أنه كان بسبتة أيام الشبيبة والطلب فى مجلس جمع من طلبة الادب فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها وأراد أن يقصد بها الوالى على حسنها وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة فأطرقوا يروّون فبادرهم أبو الطالب بن أبى ركب فقال

جاءتك من غرر العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
سوداء صفراء الحلى كأنها * ليل تطرّزه نجوم تزهر

فاستحسنهما من حضر ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر فكتبا للرجل فى رقعة فبعد ما سار بها قليلا رجع فأبرز منها قلم صفر مذهبا ورغب أن يضمن ذكره فى منظوم يضاف الى البيتين فأطرقوا يروّون فى ذلك فبادرهم أبو طالب المذكور فقال

كملت بأصفر من نجار حليها * تخفيه أحيانا وحينا يظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

(وقال آخر يصف دواة وأقلاما)

قد بعثنا اليك أم العطايا * والمنايا زنجية الاحساب
فى حشاها من غير حرب حراب * وهى أمضى من نافذات الحراب

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلم الاعلى الذى بسنانه * تصاب من المرء الكلى والمفاصل
له الحظوات اللاء لو لا نجيبها * لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ديمة طلّ ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح ان استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهى حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوّضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكىّ وأقبلت * أعالية فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصران وسدّدت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

(وقال أبو الفتح البستى)

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة * مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

وقال البحترى تعنوله وزراء الملك راغمة * وعادة السيف أن يستخدم القلما

(وقال أبو العباس التنوخى)

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يقابله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله للاقلام مذ بريت * أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

(وناقضه أبو الطيب المتنبى فقال)

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به * فانما نحن للاسياف كالخدم

وقال الصولى فاخر صاحب سيف صاحب قلم فقال صاحب القلم أنا أكتب بلا غرر وأنت تقتل على خطر فقال صاحب السيف القلم خادم السيف ان تم مداده والا فالى السيف معاده قال الصولى وقال بعض اليونانيين الدين والدنيا تحت شيئين سيف وقلم والسيف تحت القلم وفى ذلك يقول جرير النميرى

أتحقرنى ولست لذا أهلا * وتدنى الاصغرين من الخوان
جهابذة وكتاب وليسوا * بفرسان الكتيبة والطعان
ستذكرنى وتعرفنى اذاما * تلاقى الحلقتان من البطان

وقال كشاجم هنيأ لاصحاب السيوف بطالة * تقضى بها أيامهم فى التنعم
وكم فيهم من دائم الامر لم يرع * بحرب ولم ينهر لقرن مصمم
وكل ذوى الاقلام فى كل ساعة * سيوفهم ليست تجف من الدم

وقال آخر قوم اذا أخذوا الاقلام من قصب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * مالا ينال بحد المشرفيات

(وقال البحترى يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه)

واذا تألق فى العيون كلامه * المحمود خلت لسانه من عضبه
واذا دجت أقلامه ثم انحنت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه فى بعده * منا ويبعد نيله من قربه
حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها من قلبه
فكأنها والسمع معقود لها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

(وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية)

مارقعة جاءتك مثنية * كأنها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن وجهة الهزل الى الجد
ياكاتبا أسلمنى عتبه * اليه حسبى منك ماعندى

(وقال البحترى فى ابن الزيات)

قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطل الناس ذكر عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ماشك * امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا * حك فى رونق الربيع الجديد

ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنب ظلمة التعقيد
فالعذارى غدون فى الحلل الصفر اذا رحن فى الخطوب السود

قال المأمون لمحمد بن داود ان شاركك فى اللفظ فقد تاركك فى الخط فقال يا أمير المؤمنين ان من أعظم آيات النبى صلى الله عليه وسلم أنه أدى عن الله تعالى رسالته وحفظ وحيه وهو أمى لا يعرف من فنون الخط فنا ولا يقرأ من حروفها حرفا وبقى عمود ذلك فى أهله فهم يشرفون بالشرف الكريم فى نقص الخط كما يشرف غيرهم بزيادته وان أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لموضعه والمتقلد لنهيه ولامره فتعلقت به المشابهة الجليلة وتناهت اليه الفضيلة فقال المأمون يا محمد لقد تركتنى لا آسى على الكتابة ولو كنت أميا قد ذكرنا من آلات الكتابة نثرا ونظما ما فيه كفاية وفى السادسة والعشرين من النظم فى أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردناها وانما أخرج الحريرى رسالته الحنفاء من هذه الاوصاف المنظومة فى الرسائل التى قدمناها آنفا لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لا نشائها وباب لما فيها من لزوم نقط لفظة وترك أخرى وهى على ما بها من التكلف رائقة المعانى أنيقة المبانى ولو غيره تعاطاها لاظلمت معانيها وتداعت مبانيها فلله هو لقد كان منقادا له صعب الكلام بأيسر مرام وما هو فى محاولة البلاغة الا كما قال ابن حبيب فى سليمان بن وهب

سرح نطقه اذا ما استمرت * عقد العى فى لسان الخطيب
ومصيب شواكل الامر فيه * مشكلات ملكن لب اللبيب
لا معنى بكل شئ ولكن * ما عجيب فى عينه بعجيب

(قوله غض الدهر جفن حسودك) يقال غض جفنه أى سد عينه دعاء عليه بالعمى يقول الكرم يزين صاحبه واللؤم وهو البخل يشينه ويعيبه ثم دعا له بدوام السعد وثبوته وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أعطى الممدوح من النعم فيأخذها بالعين (الاروع) السيد الكريم وهو الذى قصد وقيل الاروع الحديد النفس وقيل الذى يروعك بجماله (يثيب) يجازى قاصده (والمعور) البادى العورة وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ومن جملة عيوبه البخل حتى يخيب قاصده لانه قابل به الاروع وهو التام الجسيم الجهير الصوت قال الشاعر

يا أخى لئيم الناس كل ملائم * وينطق بالعوراء من كان معورا

(الحلاحل) السيد الذى يحل به الناس كثيرا (يضيف) ينزل الاضياف ويكرمهم (والماحل) البخيل شبه بالبلد الماحل وهو الجدب فكأن الماحل الذى لا يوجد عنده خير يقال أمحل البلد وبلد ماحل وذو محل مثل لابن وتامر والماحل النمام يقال محل به الى السلطان اذا وشى به وهو الذى (يخيف) على الحقيقة والماحل أيضا المخاصم وقد ماحلته وماحلنى (يغذى) يطعم (والمحك) اللجوج وهو مقابل السمح الخلق (يقذى) يجعل فى العين قذى أى يضر قاصده ويؤلمه (ينجى) يخلص صاحبه من الذم وتقدم المطال (ينقى) يغسل العيب (والالطاط) الامتناع من فعل الخير ويقال لط وألط اذا ذهب ولط الشئ وألطه اذا ستره (يحزى) يهين (اطراح) ترك (ذى الحرمة)

الكرم يثبت الله جيش سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين
والاروع يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذى والمحك يقذى
والعطاء ينجى والمطال يشجى والدعاء يقى والمدح ينقى
والحر يجزى والالطاط يحزى واطراح ذى الحرمة

أى صاحبها والحرمة مالا يحل تركه لضياع ومن قصدك فقد دخل فى حرمك فتركه ليس من المروأة (غى) فساد وضلال (محرمة) منع (بنى الآمال) أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه (بغى) ظلم (ضن) بخل (غبين) مخدوع فى رأيه (ضنين) بخيل يقول ما يضن بماله من هو سديد النظر ولا المصيب الرأى انما يبخل به من هو فاسد النظر مغبون فى رأيه (خزن) حبس ماله (قبض راحه) ضم كفه على ما فيها وهذه كناية عن المنع والبخل و (التقى) الذى يقى نفسه من العذاب بعمله الصالح من وقيت نفسى أقيها واختلف فى وزنه فقيل فعول وأصلها وقوى فأبدلوا من الواو تاء لقرب مخرجيهما ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء وكسروا القاف لتصح الياء والاختيار أن يكون وزنه فعيلا وأصله تقيى فأدغموا الياء فى الياء والدليل على صحته جمعهم له على أتقياء كولى وأولياء ومن قال انه فعول قال لما أشبه فعيلا جمع جمعه (قوله مافتئ) أى مازال (يفى) يصدق ويكون وفيا (آراؤك) جمع رأى (تشفى) تزيل الهم عن قلب وليك وتبرئ مرض قاصدك من فقره يصفه بجودة الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده (هلالك يضى) يصفه بطلاقة الوجه واضاءته عند السؤال قال زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وكما قال أبو بكر فى الطلاقة

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

خلافا لسيئ الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء واللئيم الذى اذا سئل انزوى وتقبض (يغضى) يسمح (آلاؤك) نعمك (أعداؤك تثنى) يقول لكثير المادحين لك والناشرين لفضلك لم يمكن أعداءك وحسادك ذمك لتكذيب الناس اياهم فصاروا يثنون عليك مع من يثنى * ويحكى ان اعرابيا استضاف حاتما فلم ينزله فبات جائعا مقرورا فلما كان فى السحر ركب راحلته وانصرف فتقدمه حاتم فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكرا فقال له من كان أبا مثواك البارحة قال حاتم قال فكيف كان مبيتك عنده قال خير مبيت نحر لى ناقة فأطعمنى لحما عبيطا وأسقانى الخمر وعلف راحلتى وسرت من عنده بخير حال فقال له أنا حاتم والله لاتبرح حتى ترى ما وصفت فرده وقال له ما حملك على الكذب فقال له الاعرابى ان الناس كلهم يثنون عليك بالجود ولو ذكرت شرا كنت أكذب فرجعت مضطرا الى قولهم ابقاء على نفسى لا عليك وقد تقدم قول البحترى فى هذا المعنى

أأشكو نداه بعد ما وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال حبيب فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا * عدوك فاعلم انى غير حامد
بسباقة تنساق من غير سائق * وتنقاد فى الآفاق من غير قائد
أفادت صديقا من عدو وعادرت * أقاربه دنيا من رجال أباعد
ومخلفة لما ترد أذن سامع * فتصدر الا عن يمين وشاهد

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم يقول يسمع عدوك اطنابى فى مدحك فيمدحك صاغرا فكيف وليك فأمدحك بقصيدة تقطع الارض ليست بابل تساق ولا بخيل تقاد فترد العدو صديقا والبعيد قريبا ولا يسمعها أحد الا ويحلف أنه لم يسمع مثلها فيشهد له بالصدق

غى ومحرمة بنى الآمال بغى
وماضن الا غبين ولا غبن
الاضنين ولا خزن الاشقى
ولا قبض راحه تقى ومافتئ
وعدك يفى وآراؤك تشفى
وهلالك يضى وحلمك يغضى
وآلاؤك تغنى وأعداؤك
تثنى

(قوله وسوددك يبنى) أى يرفع لك مجدا وشرفا (حسامك يفنى) أى سيفك يقطع ويفنى أعداءك (مواصلك يجتنى) أى من زارك وواصلك اجتنى نعمك ومواهبك (يقتنى) أى يكتسب (سماؤك تغيث) أى تأتى بالغيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجدب (سماحك يغيث) أى جودك وحسن خلقك ينفرج كرب المهموم وتقول غوث الرجل أى قال واغوثاه وأغثته اغيثه اذا فرجت عنه مايشتكى منه (درك يفيض) عطاؤك يشمل أى لبنك يملأ الاناء ويفيض عليه يريد أن عطاءه يكثر لسائله (وردك يغيض) أى منعك يذهب الرزق وغاض الماء غار فى الارض (مؤملك راجيك) و(الفىء) الظل بعد الزوال يريد ان عمره قد أدبر فشبه نفسه بالفىء الذاهب (أملك بظن) أى قصدك برجاء و(حرصه يثب) أى طمعه يتزايد فيجعله فى غاية من القلق (نخب) مختارة (مهورها) حقوقها يقول مدحك نخب فى ملئه فوجبت حقوقها لحسنها وجودتها ومما ينظر الى هذه المعارضة قول الشاعر

وخذ حمدى بجودك ذا بهذا * كلانا اليوم أربح صيرفىّ
لاصبح من نوالك فى رياش * وتصبح من مقالى فى حلىّ

وقال حبيب

وحلة كساها * كالحلى فى التهابه
فاستبطنت مديحا * كالارى فى نصابه
فراح فى ثيابى * ورحت فى ثيابه

(وقال ابن شهيد فى ضيف له)

وما انفك معشوق الثواء يمده * ببشر وترحيب وبسط لسان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حان
فأتبعته ماسد خلة حاله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

(قوله مرامه يخف) أى مطلبه يسهل عليك (أواصره) جمع آصرة وهى صلة الرحم والاصر الموضع الحابس من قولهم أسرت فلانا على الشئ آصره اصرا اذا حبسته عليه وعطفته ويقال ماتأصرنى على فلان آصرة أى ماتحبسنى عليه حابسة ولا تعطفنى عليه عاطفة ذكره ابن الانبارى وذكر الحريرى فى الدرة ان اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر بكسر الصاد ومعناه الموضع الحابس المار عليه فسميت أواصر لانها تعطف على مايجب رعايته من المودة والرحم * قال وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الاعرابى فتحادثا فحكى أبو نصر أن أبا الاسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثيابا جديدة من غير ان يسأله أو استكساه فخرج وهو يقول

كسالك ولم تستكسه فحمدته * فتى ماجد يعطى الجزيل وياصر
وان أحق الناس ان كنت مادحا * بمدحك من اعطالك والعرض وافر

فقال ابن الاعرابى وناصر بالنون فقال له أبو نصر دعنى ياهذا ويأصرى وعليك بناصرك يريد بياصر يعطف (قوله تشف) أى تزيد وتفضل غيرها يقول ان الاسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشيخ والضعف وكثرة العيال وجودة المدح والعهود السابقة التى بينى وبينك (اطراؤه يجتذب) أى مدحه يتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته وأصل

وسوددك يبنى وحسامك يفنى ومواصلك يجتنى ومادحك يقتنى وسماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرك يفيض وردك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فى ولم يبق لى شئ أملك بظن حرصه يثب ومدحك بنخب مهورها تجب ومرامه يخف وأواصره تشف واطراؤه يجتذب

الاطراء المدح فى الوجه فهو بمشاهدته كانه مدح طرى أو ظهرت عليه طراوة (ملامه يجتنب) ذمه يخاف ويبعد منه فيرشى عليه يقول ان الذى رجالُ شيخ مسنّ فقير قصدكَ بيقين أنك من أهل الكرم فطمعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك وأهدى اليك من مدائحه عرائس وجبت عليك حقوقها ومرامه سهل عليك ولديك علق تقوم مقام القرابة وتزيد على ذلك وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه (ووراءه ضفف) أى خلفه كثرة عيال من ضفّ الطعام ضفا اذا كثر القوم عليه وضف العيش اشتدّ و (الشظف) سوء الحال (حصهم) عرّاهم ونتف ريشهم (جنف) ميل الدهر عليهم (قشف) بؤس عيش (يجيب) يسلعد (وله) هم وحيرة (يذيب) يذهب اللحم (تضيف) نزل به ومال اليه (كمد) حزن قارب الموت (نيف) زاد على المعهود (لمأمول) أى لمقصود مرجو (اهمال) تضييع وتسييب (نيب) عض باسنانه (وهدو تغيب) أى سكون وأمن زال عنه (يزغ) يميل (نفث صدره) أى تكلم بشر ونفث بزق من داء فى صدره ومنه المثل لا بدّ للمصدور أن ينفث (ينفض) أى يضرب ويبعد (نشز) ارتفع وزال (يقتضى) يتضمن ويلزم (نبذ) طرح (حرمه) جمع حرمة (بيض أمله) أى أسعد رجاءه ورده أبيض بعطائك الذى يخفف ألمه ويزيل وجعه (ينث) ينشر (عالمه) ناسه وأهل زمانه (بقيت) عشت وطال بقاؤك (اماطة شجب) ازالة هلاك وتنحيته (نشب) مال (شجن) حزن والشجن أيضا الحاجة (مراعاة) حفظ (يفن) شيخ كبير (موصولا) أى متصلا (بخفض) عيش هنىء (غض) ناعم جديد (غشى) قصد ودخل (معهد) موضع يعهد به جلوسه (وهم غبى) غلط جاهل (قوله املاء رسالته) أى القائها عليه ليكتبها (جلى) كشف (الهيجاء) الحرب وهى من الهيج وهو الحركة والاضطراب (بسالته) شجاعته (أوسعته) كثرت له (حفاوة) اكرام و (الطول) الانعام (الشعوب) القبائل واحدها شعب بفتح الشين وهو الاب الكبير* ثعلب الشعب الاب الاكبر الذى ينتهون اليه والقبيلة دونه (نجاره) أصله (الشعاب) الطرق فى الجبال (وجاره) جحره وأراد بيته لانهم سألوه من أى قبيلة هو وعن مسكنه فى أى موضع هو (قوله غسان أسرتى) أى هذه القبيلة أصلى وقرابتى (الصميمة) الصريحة الخالصة (تربتى) بلدتى (اشراقا) ضياء ونقاء من العيب (جسيمة) عظيمة (الفردوس) الجنة سميت بذلك لعرائشها والفردوس المعرش من الكرم (مطيبة) أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء وفى بزهتها وحسنها وفى قدرها وأراد بالبيت غسان وبالربع سروج أو يريد بيته فى غسان فى الشرف كالشمس ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها ونزهتها وقد قال فى أخرى

من رآها قال مرسى * جنة الدنيا سروج

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس قول أبى الطمحان القينى

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب * بدا كوكب تاوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(وقال حسان بن ثابت)

بيض الوجوه مضيئة أحسابهم * شمّ الانوف من الطراز الاول

وزاد عليه فى الاضاءة والاشراق حجة بن الضرب فقال

وملامه يجتنب ووراءه
ضفف مسهم شظف
وحصهم جنف وعمهم
قشف وهو فى دمع يجيب
وله يذيب وهم تضيف
وكمد نيف لمأمول
خيب واهمال شيب وعدو
نيب وهدو تغيب ولم
يزغ وده فيغضب ولا خبث
عوده فيقبض ولا نفث
صدره فينفض ولا نشز
وصله فيبغض ومايقتضى
كرمك نبذ حرمه فبيض
أمله بتخفيف ألمه ينث
مجدك بين عالمه بقيت
لاماطة شجب واعطاء نشب
ومداواة شجن ومراعاة يفن
موصولا بخفض وسرور غض
ماغشى معهد غنى أو خشى
وهم غبى والسلام فلما
فرغ من املاء رسالته
وجلى فى هيجاء البلاغة عن
بسالته أرضته الجماعة
فعلا وقولا وأوسعته
حفاوة وطولا ثم سئل من
أى الشعوب نجاره وفى
أى الشعاب وجاره فقال
غسان أسرتى الصميمه
وسروج تربتى القديمه
فالبيت مثل الشمس اش * راقا
ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مط * يبة
ومنزهة وقيمه

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت * لنورهم الشمس المنيرة والبدر

وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس فى علو الهمة وتبعيد منازلها من منازل الكواكب حيث يقول

وعزمة بعثتها همة زحل * من تحتها بمكان الترب من زحل

وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة وهذا من غلو المتنبى الذى يخرج به عن الناس حتى يعاب لانه لو جعلها مع زحل فى منزلة واحدة كما جعل الحريرى منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية وزاد على غيره فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل كما يعلو زحل على الارض ومن هذا الافراط فى شعره كثير وأكثر النقاد يعيبون عليه وبعد هذا فمجزاته فى الشعر زاد بها على المتقدمين والمتاخرين عند الاكثر فلا يجارى فى كثير منها (واها) تعجبا كأنه قال ما أعجب ما كان عيشى بها (عمية) كثيرة (أسحب مطرفى) أى أجر ثوبى المعلم فى طرفه اعجابا بنفسى (أختال) أمشى الخيلاء متكبرا (برد الشباب) ثوب الفتوة (أجتلى) أنظر (الوسمية) الحسان و (النوب والحوادث) والنوازل والمصائب كلها بمعنى واحد وهى ما ينوب الانسان أو يحدث عليه أو ينزل به أو يصيبه من البلاء بعد العافية (الملمة) التى تأتى بما يلام عليه (كربى المقيمة) همومى الثابتة (مهجتى) نفسى وأصلها دم القلب (تقتاده) تسوقه (برة) حلقة من صفر تجعل فى وترة أنف البعير يذلل بها (الصغار) الذلة (العظمة) داهية يستعظم أمرها (والهضيمة) المحقرة لشانه عند الناس فيريد بالبهيمة البعير الذى يقاد ويذلل بالبرة وبالعظمة سؤاله الناس وبالهضيمة احتقارهم له اذا سألهم فيردونه خائبا (والسباع) هنا الاسود (تنوشها) تتناولها وتخدشها (والضباع) جمع ضبع وهو نوع من سباع الارض وهى مضادة فى الخلقة لسبع الانداس لانها عظيمة الكفل والفخذين رقيقة الصدر وهذا السبع أزل عظيم الصدر والضبع عظيم البطن ولذلك سمى حضاجر بالجمع والحضجر العظيم البطن والحضجر الوطب الكبير من اللبن ويشبه به العظيم البطن وهى عرجاء مثل هذا السبع ويضرب بحمقها المثل فيقال أحمق من ضبع وأحمق من أم عامر وهى كنيتها * ومن حمقها ان الصائد يدخل وجارها فيقول لها خامرى أم عامر ومعناه الجئى الى أقصى مغارك واستترى فتنقبض فيقول لها أم عامر ليست فى وجارها ثم يقول ابشرى ام عامر بكمر الرجال أبشرى أم عامر بشاة هزلاء وجراد عضلاء فتمد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقيبها بحبال فلا تتحرك ولو شاءت ان تقتله لامكنها ولا يدخل عليها الا عريانا وان دخل بثوب قتلته ثم يخرج لاصحابه بالحبال وهم على فم الوجار باسلحتهم فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها * ومن حمقها انها تترك جراءها اذا خرجت تلتمس ما تأكل فتجد جراء أخرى قد خرجت أيضا لذلك وتركت جراءها فترضع أولاد غيرها وتترك أولادها فربما ضاعت جراؤها فاكلها الذئب قال الشاعر

كمرضعة أولادا أخرى وضيعت * بنى بطنها هذا الضلال عن القصد

قال أبو زيد والضباع لا تفترس شيأ انما تأكل الجيف وتنبش القبور عن الموتى وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته وليس لها بالنهار كبير عمل قال الهذلى

تبيت الليل لا يخفى عليها * حمار حيث جر ولا قتيل

(قوله المستضيمة) أى المذلة والضيم الذل يضرب المثل لتلاعب الزمان بالناس بالاسود والضباع

واها لعيش كان لى فيها ولذات عمه
أيام أسحب مطرفى فى روضها ماضى العزيمه
اختال فى برد الشبا * ب وأجتلى النعم الوسيمه
لا أتقى نوب الزما * ن ولا حوادثه الملمه
فلو ان كربا مما تلـ ـفت من كربى المقيمه
أو يفتدى عيش مضى لفديته مهجتى الكريمه
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغا * ر الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها ايدى الضباع المستضيمه

(ذكر الضبع)

فقال ان الضباع المحتقرة عند الاسود تتناول الاسود بالضرر وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه ويضع الرفيع ويقتر عليه ويملك الهجناء والاراذل الخطط الجسام ويجرع النبلاء والاعيان غصص المخازى وكؤس الحمام وهذه أحوال مشاهدة تنسب الى الدهر لوقوعها فيه وقدرها البارى عزوجل اختبارا لعباده وليبصر العقلاء جريان أحكامه فى خلقه وان الكل تحت قهره وان كل انسان من أهل الحزم والرأى عاجز عن ادراك مالم يقدر له وقال محمد بن الفضل

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللئاما
فهم فيها يعيشو * ن ويلحون الكراما

(وقال المعرى فى معنى بيت الحريرى)

ومن صحب الليالى علمته * خداع الالف والقيل المحالا
وغيرت الخطوب عليه حتى * تريه الذر يحملن الجبالا

(وقال يزيد المهلبى يرثى المتوكل)

علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد
وأصبح الناس فوضى يعجبون به * لينا صريعا تندى حوله النقد

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب

من لم يعاين أبا نصر وقاتله * فما رأى ضبعا فى شدقه سبع
فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * افناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

هكذا ينظم حر الكلام ويعتذر لموت الكرام وتنفى عنهم شماتة اللئام وقد أحسن الاعتذار أيضا لابى نصر بأغرب من هذا وجعله قاتل نفسه اذ لا نظير له فى شجاعته فيقتله وانما قتله أمر الله الذى لا يغالب كما قال أبو الطيب

ألا انما كانت وفاة محمد * دليلا على أن ليس لله غالب

وكذلك قوله

فان ترم عن عمر توانى به المدى * لما بك حتى لم يجد فيك مصرعا
فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها حتى انثنى فتقطعا

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الجرمى ومما قال فيه حبيب وهو أشجع بيت قيل قوله

ونفس تعاف العار حتى كأنما * هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت فى مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر

(ذم الزمان)

(قوله والذنب للايام) نسب الذنب اليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم (تنب) ترتفع (شيمه) طبيعة أى لو لا شؤم الايام لم تتغير الطباع أى لو استقامت هى لاستقامت أحوال الناس فيها فكان كل انسان يدرك منها على قدر منزلته * ومما قيل فى ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ان عبد الملك بن مروان سأل مسلمة بن يزيد وكان من المعمرين فقال أى الملوك رأيت أكمل وأى الزمان رأيت أفضل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا أو ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم * أبو جعفر الشيبانى قال

والذنب للايام لو
لا شؤمها لم تنب شيمه
ولو استقامت كانت الأ
حوال فيها مستقيمه

أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن في جماعة فقال ما أنتم فيه قلنا نذكر الزمان وفساده قال كلا ان الزمان وعاء وما ألقي فيه من خير أو شر كان على حاله ثم أنشأ يقول

أرى جللا تصان على رجال * واخلافا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال آخر

أيا ذهران كنت عاديتنا * فها قد صنعت بنا ما كفاكا
جعلت الشرار علينا خيارا * وأوليتنا بعد وجه قفاكا

(وقال أبو العتاهية)

كفاك عن الدنيا الذميمة مخبرا * غنى باخليها وافتقار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها * وان رجال الضر فوق سنامها

(وقال ابن لنكك)

يا زمانا ألبس الاحـ * ـرار ذلا ومهانه
لست عندي بزمان * انما أنت زمانه

وقال ابن الرومي

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا ويطفو فوقه جيفه

وكرر فقال

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذا يسفل في الميزان مارجحا

وقال آخر

رب يوم بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

وقال آخر

لم أبك من زمن نكد أساء به * الا بكيت عليه حين أفقده
ولا جزعت على ميت فجعت به * الا ظللت بسكنى القبر أحسده
ولا ذممت زمانا في تقلبه * الا وفي زمني قد صرت أحمده

(وقال ابن أبي عيزارة)

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تفويت غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

(وأنشد المبرد)

حياة أبي العباس زيدت بقربه * أخا ثقة قاس الامور وجربا
ونعتب أحيانا عليه ولو قضى * لكنا على الباقي من الناس اعتبا

قال عروة بن الزبير الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم أخذه أبو الطيب فقال

وشبه الشيء منجذب اليه * واشبهنا بدنيانا الطغام
ولولم يعل الاذو محل * تعالى الحيش وانحط القتام
ودهرناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث عظام
وما أزمانهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ثم ان خبره نما الى الوالي فلاقاه باللآلي وسامه أن ينضوي الى أحشائه ويلي ديوان انشائه فأحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الاباء

الطغام السفلة (قوله نما) أي ارتفع ووصل (اللآلي) الدرر (سامه) كلفه (ينضوي) ينضم و(احشائه) خاصته (يلي ديوان انشائه) يتولى دار كتابته أي يكون هو الذي ينشئ الكتب وينسخها الكتاب وتنفذ الى البلاد (أحسبه) كفاه (الحباء) العطاء (ظلفه) منعه (الاباء)

الامتناع وقد أبيت من كذا أى امتنعت منه ويكنى به عن نزاهة النفس (عود شجرته) يريد انه كان عرفه قبل أن يتكلم وأن يعرف نفسه و (ايناع الثمرة) ادراكها ونضج ثمرتها (ايماض جفنه) اشارة عينه (عضبه) سيفه (جفنه) غمده أى أشار على أن أستره (بطين) مملوء (الخرج) وعاء معلوم وهذا كقول الشاعر

يبيتون بالدهنا خفافا عيابهم * ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وقد أخذ هذا اللفظ فى مقامة أخرى فقال حتى آل ذا عيبة خضراء وحقيبة بجراء أى مملوأة والى هذا المعنى أشار نصيب فى قوله

أقول لركب قافلين رأيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان انى * لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثناؤها عليه أن بدت للناس مملوأة من معروفه فأتى أبو العتاهية فزاد المعنى بيانا بقوله

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا أتين بنا أتين مخفة * واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

(قوله فصل) أى زال وتنحى (الفلج) الظفر بما أراد (الرعاية) حفظ الصحبة (لاحيا) لائما (رفض) ترك (مترنما) مطربا أى لما خرج ممتلئ الوعاء ظافرا بما أراد لمته على ترك خدمة الامير التى كلفه فأنشد معتذرا (المترية) أى الفقر (المرتبة) المنزلة الرفيعة وهذا البيت ينظر الى حكاية الاصمعى وقد رؤى راكبا حمارا فقيل له ابعد بر اذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا

ولما أبت الاطرافا بودها * وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربنا بريق من هواها مكدر * وليس يعاف الريق من كان صاديا

يقول هذا وامالك دينى ونفسى أحب الى من ذلك مع ذهابهما أطرف الشئ وتطرفه استفاده وقيل استجاده (نبوة) ارتفاع وقلة ثبات (معتبة) سخط (يالها) تعجب كأنه قال يا عجبا لها ما أشدها (يرب) يصلح ويقوى (الصنيع) الفعل الجميل (يشيد) يرفع ويتم (رتبه) بناه وهيأه (السراب) مايظهر نصف النهار كأنه ماء (اشتبه) أشكل (الحالم) من يرى فى منامه رؤيا وقد حلم يحلم و (الروع) الفزع يقول مثل المترفه بالخطة السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميرا فانتبه فى أيدى أعاديه أسيرا أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزئير اسود ولصفير ثعابين وكذلك الامراء ان رفعوا الخديم ببعض انعامهم كدروه بتعجيل انتقامهم ومما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر

الى الله أشكو كل يوم وليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا كان لاشك واقعا * وان كان خيرا كان أضغاث أحلام

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول اشعب الطماع قال رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل قيل وكيف ذلك قال كنت أرانى أحمل بدرة فمن ثقلها كنت أسلح فى ثيابى فانتبهت فاذا السلح ولا بدرة قال الفنجديهى ومن أحسن ماسمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعانى ظريفة المبانى شرفنى بانشادها واملائها على السيد الاجل أبو الظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاهرة مصر لبعضهم

وزارنى طيف من أهوى على وجل * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا

(قال الراوى) وكنت عرفت قبل ايناع عود شجرته وكدت أنبه على علو قدره قبل استنارة بدره فاوحى الىّ بايماض جفنه أن لا أجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه
احب الىّ من المرتبه
لان الولاة لهم نبوة
ومعتبة يالها معتبه
ومافيهم من يرب الصنيع
ولا من يشيد مارتبه
فلا يخدعنك لموع السراب
ولا تأت أمرا اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه
وأدركه الروع لما انتبه

فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيبنى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

ومن ملح هذا الباب أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة فقال أيها الامير انى رأيت رؤيا فأذن لى بقصها فقال قل فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد * فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك زعتنى بوليدة * مغنوجة حسن على قيامها
وبدرة حملت الى وبغلة * شهباء ناجبة يصل لجامها

فقال له بشر كل شئ رأيته فهو عندك الا البغلة فانها دهماء قال امرأتى طالق ثلاثا ان كنت رأيتها الا دهماء ولكنى غلطت قال البطين الشاعر قدمت على على بن يحيى الارمينى فكتبت اليه

رأيت فى النوم أنى راكب فرسا * ولى غلام وفى كفى دنانير
فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا * وعند مثلك لى بالفعل تبشير

فوقع فى أسفل كتابى اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ثم امر لى بكل ما رأيته فى منامى

(المقامة السابعة البرقعيدية)
(حكى الحرث بن همام)

(شرح المقامة السابعة وهى البرقعيدية)

(ازمعت الشخوص) أى عزمت على الخروج (برقعيد) بلد بينه وبين الموصل عشرون فرسخا (شمت) نظرت ويريد ب(برق عيد) مقدمات العيد التى ينظر الناس بها فى اسبابه سال رجل الجنيد لما ذا سمى يوم العيد فقال لان آدم لما خرج من الجنة واهبط الى الارض ثم تاب الله عليه فرده الى الجنة كان فى ذلك اليوم فقيل له يوم عيد لانه أعيد الى الجنة فيه قال ابن الانبارى رحمه الله معنى يوم العيد الذى يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الوقت الذى يعود فيه الفرح أو الحزن واصله العود لانه من عاد يعود فلما سكنت الواو وكسر ما قبلها قلبت ياء فصارت من باب ميزان وميقات وهما من الوزن والوقت وكذلك الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها قلبت واوا مثل موسر وموقن وهما من أيسر وأيقن ويقولون فى الجمع مياسر (المدينة) البلد من أخذها من مدن بالمكان يمدن اذا أقام فيه فهى فعيلة والجمع مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية وهى مفعولة ويقال دنت الرجل ملكته ودنت له أطعت ويقال للامة مدينة لانها مملوكة قال الشاعر

ثوت وثوى فى كرمها ابن مدينة * يظل على مسحاته يتوكل

يعنى عبدا (يوم الزينة) يوم العيد لتزين الناس فيه (قوله أظل) أى قرب ودنا حتى دخلنا فى ظله (بفرضه) يعنى زكاة الفطر (ونفله) يعنى صلاة العيد * الفنجديهى فرض العيد صدقة الفطر ونفل العيد مثل الصلاة والغسل ولبس الجديد من الثياب * ابن عمر رضى الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين * ابن عباس رضى الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى

وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة فى لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ فى شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لمجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحياتحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه فى وعائه فأبرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ فى أوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه ألقت ورقة منهن لديه فأتاح لى القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد أصبحت موقوذا
باوجاع وأوجال
وممنوا بمحتال
ومختال ومغتال
وخوان من الاخوا*ن

قال لى لا قال لى
وأعمال من العما*ل
فى تضليع أعمالى
فكم أصلى بأذحالى
وأمحال وترحال
وكم أخطر فى بال
ولا أخطر فى بال
فليت الدهر لما جا*ر
أطفالى أطفالى
فلولا أن أشبالـ*ـى

زكاة مقبولة ومن أداها بعدها فهى صدقة من الصدقات (أجلب بخيله ورجله) أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ضرب به المثل لاقباله وتصميمه على المجىء (لبس) لباس وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمعته ولعيده * جابر كان للنبى صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة (برزت) خرجت (التأم) التحم والتصق (المصلى) موضع صلاة العيد (الزحام) الضيق لكثرة الناس (الكظم) تضييق النفس من شدة الزحام (شملتين) عباءتين والشملة نوع من الاكسية وقيل لها شملة لان صاحبها يشتمل بها أى يديرها حوالية (محجوب) مستور (المقلتين) العينين أراد أنه أعمى (اعتضد) علقها فى عضده (استقاد) جعلها تقوده (السعلاة) أنثى الغول وذكرها يسمى الكعنكع وأنشدوا * غولا ترامى شرسا كعنكعا * والغول جن مسكنها الصحارى تتراءى للانسان كأنها انسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك (قوله متهافت) أى متساقط لضعفه وتهافت الشئ فى يدى تناثر (خافت) خفى الصوت وقد خفت الرجل اذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك وأصل خفت مات هزالا (فرغ) أتم (أجال) مشى وصرف (خمسه) أصابعه (فى وعائه) يعنى المخلاة التى اعتضدها وهى تعليقة يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة (أبرز) أخرج (أوان) وقت (الفراغ) قلة الشغل (ناولهن) أعطاهن (الحيزبون) المسنة القوية الخلق (تتوسم) تنظر (الزبون) المخدع عن ماله فعول بمعنى مفعول وهو من ألفاظ أهل المشرق وأرادبه الكثير الصدقة (آنست) أبصرت (ندى) كرم (أتاح) ساق (القدر المعتوب) الملوم (قوله موقوذا) أى مشرفا على الموت من شدة الاوجاع والاوجال والموقوذة فى القرآن المقتولة بالخشب والوقذ شدة الضرب (أوجال) مخاوف (ممنوا) مبتلى (محتال) ماكر كثير الحيلة (مختال) متكبر (مغتال) مهلك (خوان) كثير الخيانة * ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يوجد فى آخر الزمان درهم من حلال أو أخ يوثق به (قال) مبغض (اقلالى) فقرى (اعمال) جد وبحث تقول أعملت الشئ فى الشئ اذا جعلته يعمل فيه و (العمال) عاملو كل شئ (تضليع) افساد (أعمال) جمع عمل يريد انه مطلوب يبحث على اعماله اذا أتى بها مجموعة فتنقض اعماله وتصير له اضلاعا بعد اجتماعها ذلك فسادلها ويحتمل أن يكون التضليع من ضلعك مع فلان أى سيلك معه فاعماله تميل عن طرقها فتفسد وقيل تضليع الاعمال تثقيلها قال الازهرى رحمه الله ضلع الدين ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله وفى الحديث أعوذ بالله من ضلع الدين (أصلى) احترق (أذحال) احتقاد وعداوات (امحال) فقر (ترحال) سفر ونقله من بلد الى بلد (أخطر) امشى متبخترا وقد خطر الرجل اذا أقبل بيديه وأدبر بهما وهى مشية الشيطان (بال) خلق (اخطر فى بال) أمر على بال أحد ولا خاطره (جار) مال عن الحق ولم يعدل (اطفا) أمات (أطفالى) أولادى ومثله (أشبالى) * الفنجديهى يقول ليت الدهر لما ظلم أولادى وجار عليهم اماتنى لأتخلص فان مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد قال ابن عيينة قلت لصياد اى طائر أسرع الى مصايدكم قال الذى يرق يعنى الذى يطعم ولده (اغلالى) قيودى و (الاعلال) جمع علّ وهو القراد الضخم وهو الذى يلصق بأخفاذ الدواب وهو كثير التشبث والالتصاق لا يقلع الا بجهد فيريد بالاغلال أولاده

لانهم قيوده فلا يسرح بسيبهم وبالاعلال انهم قد تعلقوا به يطلبون ما عنده وقال الشاعر يصف ناقته

ولو ظل في أوصالها العلى يرتقى * ويقال للقراد الطلح والقيقب والحجير والعلى والبرام والقرشوم واللبود في بعض اللغات (جهزت) أرسلت (آل) قريب وآل أهل أو يكون آل أميرا وسائسا قال عمر رضي الله عنه ألنا وآيل علينا أي سسنا الناس وساسنا غيرنا فيكون على هذا مقلوبا من آيل كما قيل سار في سائر (مسحب) طريق يقول لولا ذل الاولاد ما قصدت والياً ولا جررت ذيلي في طريق ذل ويقال سحب ذيله سحبا اذا جره والمسحب موضع جره ثوبه (محرابي) مسجدي (أحرى) أحق بي (اسمالي) أثوابي الخلقة و(أسمى لي) اعزلي وأرفع لقدري (أثقالي) همومي أو ديوني أو كثرة عيالي واحدها ثقل وثقل الشيء ثقلا ضد خف وأثقل الرجل كثر عياله (بلبالي) حزني والبلبال وسواس الهموم (سربال) قميص و(السروال) معروف وفي الحديث أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها فقالوا انها متسرولة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمتسرولات من أمتي ثلاثا يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فانها من استر ثيابكم وحضوا بها نساءكم اذا خرجن ومن ملح الصاحب بن عباد أن بعض الشعراء كتب له

أيا من عطاياه تعطي الغنى * الى راجتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين * كسا لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في * ثياب من الخز الا أنا

فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له احملني أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال له لو علمت ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا غير هذا من الخز لاعطيناكه ثم أمر بادخاله الى الخزانة وصب تلك الحلع عليه وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح (قوله ملحمها) ناسجها ولما جعل الشعر حلة جعل لها ناسجا وراقما (ناجاني) حدثني (الوصلة) الموصلة (استعرضت) أي نظرت وعرضتها على نفسي (تقت) اشتقت (أفتاني) أعلمني (الحلوان) اجر الكهان وأراد اجرة العراف وهو الذي يعرف بالتلائف الملتقطة أربابها فيفتكونهم امنه بما اتفقوا عليه فذهب مالك أن من عرف لقطة وكان من شأنه أخذ الجعل على مثل ذلك فله أجرة مثله والشافعي لا يوجب له حقا سواء كان من شأنه أن يعرف باللقطة أو لم يكن تعب في ذلك أو لم يتعب الا أن يشترط قبل الطلب (رصدتها) ارتقبتها (تستقري) تتبع واقتريت الارض واستقريتها تتبعتها متاملا (تستوكف) تستمطر (ينجح) ينفع ويؤثر يقال نجحت الحاجة اذا انقضت ونجح طالبها اذا لم يخب وأنجح أشهر يقول ان مشيها عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها وقصد (برشح الاناء) كرم الكف يقول لم يرشح لها كف بعطية (أكدى) خاب وصعب ويقال أكدى الحافر وهو أن يحفر البئر يطلب الماء فاذا بلغ الى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على الحفر قيل له أكدى فهو مكدو والكدية هي الصلابة التي يتعذر حفرها (استعطافها) تليينها القلوب (كدها) اتعبها (مطافها) مشيها

لما جهزت آمالي
الى آل ولا والى
ولا جررت أذيالي
على مسحب اذلالي
فمحرابي أحرى بي
* وأسمالي أسمى لي
فهل حر يرى تخفيف
أثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي
بسربال وسروال
(قال الحرث بن همام) فلما
استعرضت حلة الابيات
تقت الى معرفة ملحمها
وراقم علمها فناجاني الفكر
بأن الوصلة اليه العجوز
وأفتاني بأن حلوان المعترف
يجوز فرصدتها وهي
تستقري الصفوف صفا
صفا وتستوكف الاكف
كفا كفا وما ان ينجح لها
عناء ولا يرشح على يدها
اناء فلما أكدى استعطافها
وكدها مطافها

وطوفها على الناس ويحسن أن ينشد هنا فى حالها لابى نواس

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك * ضللت ولو أن السماك دليل
غيره اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده

(عاذت) تعوذت ولاذت (الاسترجاع) قولهم انا لله وانا اليه راجعون وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ما قال أحد عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا استجيب له (ارتجاع) رد (تعج) تمل وترجع (بقعتى) موضعى (آبت) رجعت (الحرمان) الخيبة والمنع (تحامل) مشقات وتحاملت فى الامر تكلفته على مشقة (أفوض) أرد (لاحول) أى لاحيلة يقال ماله حيلة ولاحول وماله احتيال ولامحتال ولامحالة ولامحيلة كله بمعنى ويقال ماله محال بالفتح أى حول ومحال بالكسر أى مكر * ثعلب هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك ومحل به القرآن شهد عليه بالتقصير وقال الفراء المحالة على ثلاثة أقسام شى الحيلة والتى تجعل على رأس البئر كالبكرة وواحدة محال الظهر وهى فقاره ويقال أخذت فى الحولقة والحوقلة اذا قلت لاحول ولاقوة الا بالله وينتصب لاحول ولاقوة بالتبرئة وان شئت رفعتهما بالابتداء وبالله خبر قوة وحذفت خبر لاحول لدلالة الثانى عليه وان شئت رفعت حولا بالابتداء ونصبت قوة بالتبرئة وان شئت نصبت حولا بالتبرئة ورفعت قوة بالعطف على موضع لاحول وان شئت نصبت قوة بالتنوين عطفا على اللفظ (قوله صاف) أى خالص الود (مصاف) صادق فى وده (معين) ماء كثير يريد صاحب كرم كثير (معين) يعين بماله (المساوى) ضد المحاسن واحدها سوء على غير قياس وقيل لا واحد لها (بدا) ظهر (الثمين) النفيس الغالى الثمن يقول ان الناس قد استووا فى الافعال السيئة وأراد قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا استووا هلكوا ومعناه ان الناس فى الغالب انما يتساوون فى الشر ولا تجدهم كلهم فضلاء لان الخير قليل قال أبو العباس التطيلى فيما يتعلق بهذا المعنى

والناس كالناس الا ان تجربهم * والبصيرة حكم ليس للبصر
كلا يك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل بالثمر

وقال التهامى

ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودرارى
ولربما اعتضد الحليم بجاهل * لا خير فى يمنى بغير يسار
والناس مشتبهون فى ايرادهم * وتفاضل الاقوام بالاصدار

(قوله عديها) أى طمعيها (استعدتها) رددتها (غالت) أهلكت واستعار للتضييع يدا مجازا (تعسا) هلكا والتعس الدعاء أن لا تقال عثرته (يالكاع) يالئيمة يا منتنة واللكاع وسخ الفرج واللكع ولد الحمار (القنص) الصيد (الحبالة) الشبكة وصفة الحبالة أن يعمد لحبل من شعر مخلوط بسير من صوف فذلك أقوى له فيعقد فى أحد طرفيه عين يجرى فيها الحبل ويربط فى الطرف الثانى خشبة وربما حددوا طرفها ثم يأتون الى الطريق الذى يدخل منه الصيد الى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ويفتحون عليها عين الحبل ثم يغطونها بالتراب

عاذت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقاع وأنساها الشيطان ذكر رقعتى فلم تعج الى بقعتى وآبت الى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال انا لله وأفوض أمرى الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم أنشد

لم يبق صاف ولا مصاف
ولا معين ولا معين
وفى المساوى بدا التساوى
فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها مسى النفس وعديها واجمعى الرقاع وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت احدى الرقاع فقال تعسا لك يالكاع أنحرم ويحك القنص والحبالة

والزبل حتى تصير فى طبع الارض فاذا أقبل الصيد للماء فوضع يده أو رجله فى الحفرة سقطت به وانضم على يده أو رجله الحبل فيثب فازعا ويفر فتتبعه تلك الخشبة فكلما انتفض أقبلت عليه فتضربه فى يديه ورجليه وبطنه وظهره فتوهى أعضاءه وربما كسرت يديه أو رجليه فلا يسير بها قدر ميل حتى يقف موقوذا منها فيأتيه الصائد فيأخذه وأنواع الحبالة كثيرة (قوله القبس) يريد به نور المصباح و (الذبالة) الفتيلة (ضغث) حزمة من حشيش صغيرة وأصلها جماعة القضبان وشبهها من النبات يجمعها أصل واحد وكل ما جمعت عليه كفك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضغث (ابالة) حزمة كبيرة والضغث على الابالة مثل حزمة الحطاب اذا حملها للبيع وجعل فوقها حزيمة صغيرة لنفسه فالكبيرة ابالة والصغيرة ضغث فكأنه قال انها خسارة على خسارة ويقال لها ابالة وابيل وابيلة وبيل وبيلة وضغث على ابالة مثل أخذه من قول الشاعر

فى كل يوم من ذؤاله * ضغث يزيد على ابالة

(وقال آخر وذكر ناقته)

ردت عوارى غيطان الفلا ونجت * بمثل ابالة من خالص الشعر

(وهذا مثل قول حبيب)

فكم جزع وادجب ذروة غارب * وبالانس كانت أمسكته جوانبه

(قوله انصاعت) أى ذهبت نافرة واثنت بسرعة وكل ما ثنيته ولويته بسرعة فقد صعته صوعا وكذلك اذا جمعته وفرقته فذهب عنك بسرعة وصاع الشجاع القوم فى الحرب اذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ففروا سراعا متفرقين وكل نافر مسرع منصاع قال ذو الرمة فى الحمر

فرت من الرامى فانصاعت * والويل هجيراه والحرب

(تقتص) أى تتبع (مدرجها) طريقها التى مشت فيها التفريق الرقاع ويقال درج الشيخ والصبى درجا ودرجانا اذا تقاربت خطاهما والمدرج الموضع الذى درجا فيه والمدرجة قارعة الطريق (تنشد) تطلب من نشدت الضالة و (مدرجها) رقعتها ويقال أدرجت الكتاب والثوب طويتهما (القطعة) عند أهل المشرق الواحدة من صرف يعرفونه الحندوس يعمدون الى دراهمه فيقطعونها قطعا فيى صرفهم وبها يتصدقون فأراد أنه قرن برقعة الشعر درهما وقطعة من الحندوس وقال لها ان خبرتنى بقائل الشعر فخذى الدرهم أجرة وان أبيت أن تعرفينى به فخذى القطعة صدقة وانصرفى (المشوف) المصقول المجلو والشوف الجلاء و (المعلم) المنقوش ونقشه علامته وقيل هو الذى عليه علامة الملك وأخذه من قول عنترة

ولقد شربت من المدامة بعدما * ركد الهواجر بالمشوف المعلم

(يوحى) تكلمى (المبهم) المغلق الملبس (أبيت) امتنعت (اسرحى) اذهبى (استخلاص) تخليص واستخلص الشئ جعله خالصا (التم) الكامل (والابلج) النقى الابيض وفعله ابلاج كاحمار (الهم) الكبير الذى يهم به من رآه وشيخ هم مسن والهم الرقيق النحيف وهو من همته النار اذا أذابته وهممت الشحم أذبته (استطلعتها طلعه) استخبرتها خبره وسألتها أن تطلعنى عليه وتقول استطلعت طلع الشئ اذا حاولت الاطلاع عليه وأردت معرفة خبره الذى تطلع منه عليه وطلع بالكسر (بردته) ثوبه (وشى) زين ورقم (خطفت) أخذت بسرعة (الباشق) من جوارح الطير

والقبس والذبالة انها الضغث على ابالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانتنى قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت فى المشوف المعلم وأشرت الى الدرهم فبوحى بالسر المبهم وان أبيت أن تشرحى فخذى القطعة واسرحى فقالت الى استخلاص البدر التم والابلج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدالك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت ان الشيخ من أهل سروج وهو الذى وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق

(مرقت) خرجت بسرعة (الراشق) الذي يرشق الصيد اى ينشبه ويكون الراشق بمعنى المرشوق كقوله تعالى من ماء دافق أى مدفوق (قوله خالج) أى داخل وجاذب (تأجج) اشتعل (كربى) همى والتأجج التفعل من الاجيج وهو تصويت النار ولهبها اذا اشتعلت وعظمت (آثرت) اخترت وفضلت وآثرته بكذا فضلته به والايثار المصدر (أفاجيه) آتيه فجأة وهو لا يشعر (أناجيه) أحدثه (أعجم) أجرب (فراستى) نظرى وجعل لها عودا مجازا (تخطى رقاب الجمع) الجواز على أعناق الناس خرج الترمذى فى النهى عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم (عفت) كرهت (يتأذى) يصيبهم أذى (يسرى) يصل (اللوم) ضد الحمد وهو أن تأخذ الانسان بلسانك ذما لما فعل (سدكت) التصقت ولزمت (قيد عيانى) غرض نظرى أى قيدت نظرى فيه (انقضت) تمت (حقت الوثبة) أى وجبت القفزة اليه (خفقت) أسرعت (توسمته) نظرته (التحام) التصاق وانغلاق (ألمعيتى) ذكائى وصدق ظنى والالمعى هو الذى يظن بك الظن ولا يخطئ وهو اليلمعى من اللمعان كانه يلمع لذكائه وجودة فطنته وقال أوس

الالمعى الذى يظن بك الظن * كان قد رأى وقد سمعا

فلا يبين أحد الالمعى باحسن مما بينه أوس فاذا سئلت ما الالمعى فانشد بيته تأت بالجواب الشافى و (الفراسة) ان تنظر الشئ فتستدل بظاهره على باطنه وبما حضر على ما غاب وقيل الالمعية ان ترى الشئ على بعد فتعرفه وتحققه والفراسة أن ترى الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر أو بما يريد أن يفعله فالالمعية فى البعد والفراسة فى القرب وكيف اختلفت الالمعية والفراسة فالظن الصادق يجمع بينهما و (ابن عباس) رضى الله عنه هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى يكنى أبا العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف فى السنة التى مات فيها ما بين ثمان وستين فى الاقل وأربع وسبعين فى الاكثر وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه الامة وضرب على قبره فسطاط روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن وفى حديث آخر اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وفى حديث آخر اللهم زده علما وفقهه وفى حديث آخر اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وكلها أحاديث صحاح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويدنيه ويقربه ويشاور مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول ابن عباس فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول * عبد الله بن عبد الله ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ولا أجلد رأيا ولا أثبت نظرا من ابن عباس ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين * عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال والحرام والعربية والانساب والشعر * عطاء كان ناس يأتون ابن عباس فى الشعر والانساب وناس يأتون لايام العرب ووقائعها وناس يأتون للعلم والفقه فمنهم صنف لا يقبل عليهم بما يشاؤن * مسروق كنت اذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس فاذا تكلم قلت أفصح الناس فاذا تحدث قلت أعلم الناس * أبو وائل خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة فجعل يقرأ ويفسر فجعلت

ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبى ان أبا زيد هو المشار اليه وتأجج كربى لمصابه بناظريه وآثرت أن أفاجيه وأناجيه لاعجم عود فراستى فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطى رقاب الجمع المنهى عنه فى الشرع وعفت أن يتأذى بى قوم أو يسرى الى لوم فسدكت بمكانى وجعلت شخصه قيد عيانى الى ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة فخففت اليه وتوسمته على التحام جفنيه فاذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس وفراستى

(ترجمة ابن عباس رضى الله عنهما)

أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والترك والروم لاسلمت * طاوس أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا ابن عباس يخالفوه فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا الى قوله * ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس ولو أدرك اسناننا ما عاشره منا رجل * يزيد الاصم خرج معاوية حاجا ومعه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم * القاسم بن محمد ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر وذكر أبو العباس في الكامل أن عمرو بن أبي ربيعة أنشده قصيدته

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فحفظها من سمعها وهي ثمانون بيتا * مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما رأيت جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ودعا لي بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وروى عنه انه رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرأيته قال نعم قال ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك فعمي بعد ذلك في آخر عمره وهو القائل في ذلك ويروى لحسان رضي الله عنهما

فراسة اياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته بأحد قصي

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلب ذكي وعقل غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

نظر اليه الحطيئة في مجلس عمر رضي الله عنهما فقال من هذا الذي برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه فقيل له عبد الله بن عباس وقال فيه حسان بن ثابت رضي الله عنهما

اذا ما ابن عباس بدا لك وجهه * رأيت له في كل أحواله فضلا
اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بمنتطعات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس وليدع * لذي اربة في القول جدا ولا هزلا
سموت الى العليا بغير مشقة * فنلت ذراها لا ذليلا ولا وغلا

ونظر اليه معاوية يوما يتكلم معه فأتبعه بصره فقال متمثلا

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان اذا انتحى * وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائرا أبيض خرج من قبره فتأولوه علما فخرج الى الناس وقيل دخل قبره طائر أبيض فقيل هو بصره قال أبو الزبير مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فجاء طائر أبيض فدخل في نعشه حين حمل فما رؤي خارجا منه وفضائله كثيرة مشهورة فلنقف منها على هذا القدر (وأما اياس) فهو أبو واثلة بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال بن رباب المزني قاضي البصرة وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب الى عدي بن ارطاة عامله على البصرة ان اجمع اياس بن معاوية المزني والقاسم بن ربيعة الحارثي قول القضاء أنفذهما وأفقههما فجمع بينهما فقال كل واحد ان صاحبه أنفذ وأفقه فقال له اياس سل عني وعن القاسم فتيهي المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنه ان سألهما أشارا به فقال القاسم لا تسأل عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا لافقه مني وأعلم بالقضاء مني فان كنت كاذبا

(ترجمة اياس القاضي)

فما عليك أن لا تولّيني وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولي فقال له اياس انك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال له عدي أما انك اذ فهمتها فأنت لها فاستقضاه وقال اياس رحمه الله أرسل الي ابن هبيرة فاتيته فسألني فسكت فلما أطلت قال هيه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال أتفرض الفرائض قلت نعم قال أتعرف من أيام العرب شيأ قلت نعم قال أتعرف من أيام العجم شيأ قلت أنا بها أعرف قال اني أريد أن استعين بك على عملي قلت ان في خصالا ثلاثا لا أصلح معها للعمل قال ماهي قلت أنا دميم كما ترى وأنا عيي وأنا حديد قال أما دمامتك فاني لا أريد ان أحاسن بك الناس وأما العي فاني أراك تعرب عن نفسك وأما الحدة فان السوط يقومك قم فولاني القضاء وأعطاني عشرة آلاف درهم فهي أول مال تموّلته ودخل عليه عدي بن ارطاة في مجلس القضاء وعدي أمير البصرة وكان أعرابي الطبع فقال ياهناه أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرطت لاهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فبم تحكم قال بأن لا تخرجها قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك وأول ماظهر من ذكائه أنه دخل دمشق وهو غلام فتحاكم مع شيخ عند قاضيها فصال اياس بحدته على الشيخ فقال له القاضي انه شيخ كبير فخفض كلامك فقال له اياس الحق أكبر منه فقال له القاضي اسكت فقال ومن ينطق بحجتي فقال له القاضي ما أراك تقول حقا فقال له اياس لا اله الا الله أحق هذا أم باطل فدخل القاضي من فوره الى عبد الملك بن مروان فأعلمه بما رأى من ذكائه فقال له عبد الملك اخرج فاحكم بينهما وأخرجه الآن من دمشق الى بلاده لئلا يفسد على أهل الشام ولما دخل عبد الملك البصرة رأى اياسا وهو صبي وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال عبد الملك أف لهذه العثانين أما فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت اليه وقال كم سنك فقال سني أطال الله بقاء الامير سن اسامة بن زيد بن حارثة حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة * وأما ذكاؤه وفراسته فقد ألف في ذلك المدائني كتابا سماه كتاب زكن اياس والزكن التشبيه يقال زكن عليهم وزكم شبه وخيل وقيل الزكن الظن والتفرس ومن زكنه أنه اختصم اليه رجلان في قطيفتين حمراء وخضراء فقال أحدهما دخلت الحوض لاغتسل ووضعت قطيفتي ثم جاء هذا ووضع قطيفته بجنب قطيفتي ثم دخل واغتسل فخرج قبلي وأخذ قطيفتي فتبعته فزعم أنها قطيفته فقال ألك بينة قال لا قال ائتوني بمشط فأتي به فسرح رأس هذا ثم هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ومن رأس الآخر أخضر فقضى بالاخضر لصاحب الاخضر وبالاحمر لصاحب الاحمر وأتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزكنه اهله حتى صاروا فرقتين فرقة تزعم أنه معلم وأخرى تزعم أنه قاض ثم وجهوا اليه رجلا فاخبره خبرهم فقال أصاب الذين ذكروا اني قاض ورويدا أخبرك عن القوم أما الذي من صفته كذا فهو كذا وأما الذي يليه فهو كذا واما ذاك الشيخ فانه نجار فقال الرجل في كلهم والله أصبت الا في الشيخ فانه من قريش فقال اياس وان كان من قريش فقام الرجل

الى أصحابه فقال قد جئتكم من عند أعجب الناس والله ان منكم من أحدا لا أخبرني بصناعته الا هذا فزعم أنه نجار فقال صدق والله انى لانجر عيدان جوارى يعنى عود المزمار ونظر الى ثلاث نسوة فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فوجدن كذلك فسئل من أين علم ذلك فقال لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها فوضعت المرضع على ثديها والحامل على بطنها والبكر على فرجها وسمع نباح كلب لم يره فقال هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر فنظر فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال سمعت عند نباحه دويا ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت أنه عند بئر * ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير فقال هذا بعير أعور فنظروا فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال لانى وجدت اعتلافه من جهة واحدة ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل كما يضرب بجود حاتم وحلم الاحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب نظمهم حبيب فى بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس بن المأمون فقال

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

وتوفى سنة ثنتين وعشرين ومائة وأخباره كثيرة وفيما أوردناه كفاية (قوله أهبت به) أى دعوته وأصل أهاب دعا نفسه من بعد وقيل الاهابة دعاء الابل للشرب (والقرص) رغيف صغير سمى قرصا كأنه قرص من العجين أى قطع والتقريص التقطيع (هش) خف فرحا و (العارفة) يريد النعمة وهى المعروف (لبى) أجاب وقال لبيك ومصدره تلبية وهى تفعلة من الالباب وهو اللزوم ولب بالمكان وألب به اقام وأصله لبب بثلاث بآت فأبدلوا الآخرة ياء استثقالا لاجتماع الامثال كما قالوا تظنيت وتمطيت فالياء فيهما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ثم اتبعوا الابدال فى المصدر وهى تلبية فأوه باء وقولهم لبيك معناه اجابة بعد اجابة ولز وما لطاعتك بعد لزوم (رغفان) جمع رغيف يريد أنه لما سمع بذكر الخبز فكان الخبز دعاه فاجابه (زمامه) مقوده (امامه) هاديه (الاثافى) حجارة القدر وهى ثلاث والعرب تقول رماه الله ثالثة الاثافى يعنون بها الجبل لانهم يجعلون حجرين ويلصقونهما بالجبل فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث واحدتها اثفية بالتشديد وقد تخفف وقد أثفيت القدر وأثفتها واثفيتها وتسمى العرب أثافى الحديد المنصب (الرقيب) الحافظ يريد الله تعالى (استحلس وكنتى) أى دخل بيتى وجلس على حلسه وهو ما يبسط تحت بسطه يقيها الارض وفلان حلس بيته أى لازم القعود فيه وفى الحديث كن فى الفتنة حلس بيتك أى لا تدخل فيها والحلس كساء يلى ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه فشبه الذين يعرفون الشئ ويلزمونه بالحلس ومنه قولهم لست من احلاسها أى من أصحابها العارفين بها ومنه بنو فلان احلاس الخيل أى الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها واحلاس القوافى المجيدون فى نظم الشعر والوكنة الثقبة فى الحائط يسكنها الطائر وقيل هى الموضع من الشجرة وغيرها يقع عليه للمبيت وهى الوكن ووكن الطائر وكافهووا كن اذا احضن على فرخه فلزم وكنته (عجالة مكنتى) ما تعجل وأمكن من الطعام (محجوز) ممنوع وحجزت الشئ حزته ومنعته وحجزت بين الشيئين حجزا فانا حاجز اذا جعلت بينهما حائلا والمفعول محجوز ومنه الحجاز لانها أرض حجزت بين نجد والسراة (كريمتيه) عينيه وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من عبد أذهب الله كريمتيه الا كان ثوابه عند الله الجنة قالوا وما كريمتاه قال عيناه (رأرأ) قلبهما وأدارهما ادارة كثيرة و (توأمتاه) كريمتاه

وأهبت به الى قرصى فهش
لعارفتى وعرفانى ولبى
دعوة رغفانى وانطلق
ويدى زمامه وظلى امامه
والعجوز ثالثة الاثافى
والرقيب الذى لا يخفى عليه
خافى فلما استحلس وكنتى
وأحضرته عجالة مكنتى
قال لى ياحارث أمعنا ثالث
فقلت ليس الا العجوز قال
مادونها ستر محجوز ثم مسح
كريمتيه ورأرأ بتوأمتيه

وقوله (مسح كريمتيه) يريد أنه حكهما بكفه فانتفض عنهما ما كان الصق بهما حتى التحما وقيل رأر أدار العين وحدد نظرها وتوأمتاه عيناه وفى الغريب المصنف رأرأت المرأة بعينها ولا لأت اذا برقت عينها وأنشد ابن الاعرابى

عجبت من الحور الكريم نجارها * ترأرئ بالعينين للرجل الحبل

الحبل الداهية (الفرقدان) نجمان منيران فى بنات نعش (ابتهجت) فرحت (سيره) عاداته (يلقنى قرار) يحبسنى سكون وطمأنينة (التعامى) استعمال العمى (المعامى) الطرق المجهولة وقيل القفار البعيدة التى تعمى فيها الآثار فلا يهتدى فيها (المواعى) القفار واحدها موماة (ايغالك) ابعادك ومبالغة دخولك (المراعى) المقاصد والبلاد التى ترميه الى بلاد أخر يقول سألته ما الذى دعاك الى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق فى المشقات وجوب البلاد البعيدة فلم تجد لنفسك حيلة حتى تشبهت بالعميان (تظاهر) استعان و (اللكنة) احتباس اللسان يريد لما امتلأ فمه بالطعام لم يتسرح لسانه بالكلام فوجد بذلك علة لقطع الجواب فكان اللكنة أعانته على ذلك (اللهنة) الطعام المعجل للضيف قبل الغداء وكل ما تعجلته قبل ادراك الطعام لهنة ولهنت الضيف علمته بذلك (قضى وطره) أتم حاجته من الاكل والوطر المراد ولا فعل له (اتأر) تابع نظره وحدده (الورى) الخلق (انحائه) اغراضه (ومقاصده) والنحو كالقصد (لا غرو) لا عجب (يحذو حذوه) أى يفعل فعله وهذا الاعتذار عن التعامى حسن وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه ومما يعزى للعصرى فى ذلك

وقالوا قد عميت فقلت كلا * فانى اليوم أبصر من بصير
سواد العين زار سواد قلبى * ليجتمعا على فهم الامور

(أخذه من قول بشار)

اذا ولد المولود أعمى وجدته * وجدك أهدى من بصير وأجولا
عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم معقلا
وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى * بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاعمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقال بشار

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدى لكم يهون
تالله ما فى البلاد شئ * تأسى على فقده العيون

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل ما أشد ما عليك فى ذهاب بصرك قال ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك * ومما يستملح من هذا الباب نشأ أعمى بين أعورين فاذا مشيا أو قعدا فحاذى عور هذا عور هذا نشأ بينهما أعمى وقال المتنبى يمدح العور ويذمه فى بيت واحد

أيا ابن كروس يا نصف أعمى * وان تغفر فيا نصف البصير

فاذا انضم ابن كروس الى مثله نشأ بينهما أعمى قال الشاعر

وبيننا أبدا أعمى نؤانسه * قد يخلق الله عميانا من العور

وقال آخر

ألم ترنى وعمرا حين نغدو * الى الحاجات ليس لنا نظير

فاذا سرا جاوجهه يقدان كانهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلقنى قرار ولا طاوعنى اصطبار حتى سألته ما دعاك الى التعامى مع سيرك فى المعامى وجوبك المواعى وايغالك فى المراعى فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى اذا قضى وطره أتار الى نظره وأنشد ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد فى انحائه ومقاصده تعاميت حتى قيل انى أخو عمى ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

(ذكر العمى وما يتعلق به)

أسايره على يمنى يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

(وقال آخر في أعور وعوراء تعاشقا)

هي عوراء باليمين وهذا * أعور بالشمال وافق شنا

بين شخصيهما ضرير اذا ما * قعدت عن شماله تتغنى

(فأما قول جميل البشكري في صفة الذئب)

وأعور من يمناه ان شاء مرة * وان شاء من يسراه ما كان راقدا

لقد فزت دون العور أوس برتبة * وأعطيت نابا يفلق الصخر باردا

فانما وصفه بشدة الحذر وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد بن ثور

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * باخرى المنايا فهو يقظان نائم

وقال ابن المعدل اشتهي في المقلة القبلا * لا كثيرا يشبه الحولا

واحمرار الخد من خجل * انني استحسن الخجلا

وقال آخر وأحول ذي حركه * يملأ بيتي بركه

يريد انه يرى من الشيء اثنين كما قال الآخر

فقد جعلت أرى الشخصين أربعة * والواحد اثنين مما بورك البصر

لان هذا يصف الكبر واعتذر القاضي أبو محمد عبد الوهاب عن الحول فاحسن حيث يقول

حمدت الهي اذ بليت بحبها * وبي حول يغني عن النظر الشزر

نظرت اليها والرقيب يظنني * نظرت اليه فاسترحت من العذر

فجوله رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذي ذكر الآخر حين قال

ولما التقينا والعيون نواظر * وليس لنا رسل سوى الطرف للطرف

تنزهت في خديك من نظر خفي * ومازات أخفي الود ضعفا على ضعفي

فان غفل الواشون فزت بنظرة * وان نظروا نحوي نظرت الى كفي

فلذلك حمد الله على الحول وقال الناشي في هذا المعنى فأحسن

يتناقلان اللفظ من جفنيهما * فكأنما يتناسخان كتابا

واذا سهت عين الرقيب تخالست * كفاهما خلس السلام سلابا

وللقاضي أبي محمد أنشدنا بعض أشياخنا عبد الوهاب البيت الثاني والآخر من القطعة الثانية وكان كثيرا ما يحرضنا بها على الطلب ويسلينا عن الغربة

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظر * ولو برزت بالليل ماضل من يسري

أقول لها والدمع يغلب صبرها * أعدي لفقدي ما استطعت من الصبر

سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الاجر

أليس من الحرمان ان ليالنا * تمر بلا نفع وتحسب من عمري

ولم ينشدنا البيت الاول ولا الاوسط وهما من القطعة وأما كلام الحريري الذي فرغنا من شرحه فهو منقول من مقامة البديع يقول على لسان عيسى بن هشام ثم فارقهم وتبعته وعرفت انه لسرعة ما عرف الدينار فلما نظمتنا خلوة مددت يمناي الى يسرى عضديه فقلت والله لتريني سرك

أولاهتكن سترك ففتح عن نوأمتيه وحدر لثامه عن وجهه فاذا والله أبو الفتح الاسكندرى فقلت له أنت أبو الفتح فقال

أنا أبو قلمون * فى كل لون أكون * اخترمن الكسب دونا * فانه هرلئ دون

زج الزمان بحمق * ان الزمان زبون * لاتكذبن بعقل * ما العقل الا الجنون

وعتب الحريرى على العمى فائق فى النثر وشعره فى الاعتذار عنه رائق فى النظم وهو على انطباعه فى القصيد اذا أتى بالبيتين أتى بالعجب وهو فى ذلك كما قيل فى أبى منصور الفقيه اذا رمى برجيه قتل (قوله المخدع) هو بيت داخل بيت قال ابن الانبارى هو الخزانة فى جانب البيت وهو من خدع اذا توارى واستتر واخدعه اخداعا أخفاه فمن ضم ميم مخدع فهو من أخدع ومن فتح فهو من خدع وخدع الضب فى جحره خدعا دخله خوفا من صائده (الغسول) الاشنان وهو النقاوة ويقال أيضا الغاسول وكل ماغسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول (يروق) يعجب و (الطرف) العين و (ينقى) ينظف و (البشرة) ظاهر الجلد و (النكهة) رائحة الفم ونكهت الرجل أنكهه وأنكهه والفتح أقل واستنكهته كله شممت فاه قال الشاعر

نكهت مجالدا فشممت منه * كريح الكاب مات حديث عهد

و (اللثة) اللحم على الاسنان (نظيف الظرف) نقى الوعاء (أريج العرف) عطر الرائحة والارج فوح الطيب وأرج المسك فاح (فتى الدق) طرى الكسر (ناعم) حسن قد بولغ فى سحقه يريد انه فى الحال الذى يسحق يستعمل (الناشق) الشام (والذرور والكافور) من أنواع الطيب والذرور هو المعروف بالذريرة والذرور أيضا غبار يذر فى العين وكله مأخوذ من الذر وهو التفرق لان أجزاءه تفرقت عند سحقه وفعله ذر واصله ذرر والكافور مأخوذ من الكفر وهو التغطية فلشدة فوحه وحده يستر رائحة غيره من الطيب و (اللامس) الذى يمسه بيده (الخلالة) عود رقيق يخرج به الطعام من خلل الاسنان (انيقة الشكل) معجبة الهيئة وشكل الشئ هيئته التى هو عليها و (مدعاة) داعية والهاء للمبالغة (نحافة الصب) رقة العاشق و (العضب) السيف القاطع (آلة) عدة وأداة يريد انها محددة مصقولة مثل آلة الحرب ويروى آلة بالتشديد وهى الحربة (لدونة) لين (نحافة الصب) ليس هو تشبيها حقيقيا وانما أراد انها أخذت من العاشق نحافته ومن العضب صقالته ومن الغصن لدونته ولو شبه الخلالة فى الرقة بالعاشق ونحوله لكان جائزا وكان من التشبيه المقلوب وكلاهما بديع فى بابه والخلالة التى ذكر أصلها نبات لشجير فى الصيف وتطلع له رؤس يكون فى الواحد منها عدة من قضبان رقاق فيمسك الرجل منها فى جيبه رأسا فتى أكل طعاما نزع منها قضيبا فتخلل به ويعرف هذا النبات عندنا بالبستنج فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذى عندهم فى المشرق والا فصفته التى وصفت موجودة فى البستنج من الرقة والصفاء واللين والحدة وجاء فى الحديث النهى عن التخلل بعود الآس والرمان والقصب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نقوا أفواهكم بالخلال فانها مسكن الملكين الكاتبين الحافظين وان قلمهما اللسان ومدادهما الريق وليس عليهما شئ أشد من فضول الطعام * أبو أيوب قال صلى الله عليه وسلم حبذا المتخللون فى الوضوء والطعام * أبو هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم من أكل فليتخلل فما تخلل فليلفظ ومالاك بلسانه فليبتلع والخلالة

ثم قال انهض الى المخدع فاتنى بغسول يروق الطرف وينقى الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوى المعدة ولكن نظيف الظرف أريج العرف فتى الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الاصل محبوبة الوصل أنيقة الشكل مدعاة الى الاكل لها نحافة الصب وصقالة العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب

اذا بلغت من رقتها أن تقع بين الاسنان فالعاشق اذا بلغ الغاية فى النحول هو الذى يشبه بها كما قال فى التاسعة فى وصف الصبى الهزيل من الجوع ولى منه سلالة كانها خلالة وأخذه من قول ديك الجن ارحم اليوم ذلتى وخضوعى * فلقد صرت ناحلا كالخلال

وقال أبو الطيب روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فذكر أن ثوبه على بدن لم يتبين للناظر والتشبيه المقلوب عندهم شئ مستظرف ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

فقلب التشبيه لان العادة أن تشبه الاعجاز بكثبان الرمل كما قال الآخر

*مثل قضيب تحته كثيب * وكما قال الآخر

وبيض نضيرات الوجوه كأنما * تأزرن دون الازر رملات عالج

وأخذه وجود الصنعة حبيب حيث قال

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز من كثب

علق قوله من قضب تهتز بأحرزت يلح للك ببديع صنعته بسرعة فانه أراد كم أحرزت قضب الهند وهى السيوف اذا أصلتت من اغمادها وهززت من قضب أى قدود نساء تهتز من كثب أى أكفال شبه أكداس رمال وما أعذب وأظرف قول البحترى

أين الغزال المستعير من النقا * كفلا ومن نور الاقاحى مبسما

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه فقلب ذو الرمة العرف والعادة فشبه كثبان النقا باكفال النساء وتبعه خالد الكاتب وغيره حدث بحظة قال حدثنى خالد الكاتب قال جاءنى يوما رسول ابراهيم بن المهدى فسرت اليه فرأيت رجلا اسود على فرش قد غاص فيها فاستجلسنى وقال أنشدنى من شعرك فأنشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض

عشية حيانى بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض

ونازعنى كأسا كأن حبابها * دموعى لما صدت عن مقلتى غمضى

وراح وفعل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش وقال يا فتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فانشدته عاتبت نفسى فى هواك * لما فلم أجدها تقبل

وأطعت داعيها اليك ولم أطع من يعذل

لا والذى جعل الوجو * ه لحسن وجهك تمثل

لاقلت ان الصبر عنك من التصابى أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش ثم قال زدنى فأنشدته

عش فحبك سر يعاقا تلى * والضنا ان لم تصلنى واصلى

فانا بين اكتئاب وضنا * تركانى كالقضيب الذابل

فبكى العاذل لى من رحمة * فبكائى لبكاء العاذل

فاستخف طربا ثم قال يا بليق كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون دينارا قال اقسمها بيني وبين خالد فدفع الى نصفها وقد سبق الى قوله كأنه خدود قال المفضل دخلت على الرشيد وبين يديه طبق وردوعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت اليه فقال يا مفضل قل في هذا الورد شيا تشبهه به فأنشأت أقول

كأنه خد معشوق يقبله * فم الحبيب وقد أبقى به خجلا

وقالت الجارية كأنه لون خدى حين تدفعنى * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال يا مفضل قم فاخرج فان هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور ولقد أحسن ابن الرقاق في قوله ورياض من الشقائق أضحت * تتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زاهرات تروق لون الراح

قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال البحترى في طلعة الشمس شئ من ملاحتها * وللقضيب نصيب من تثنيها

وقال ابن المعتز سقتنى في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب

فاما سيت في ليلين في الشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

وأستطرد الى قلب التشبيه من مبالغة النحول الذى ذكرنا فأقول اذا صار جسم العاشق من النحول يوصف بمثل قول الشاعر

أنحلنى الحب فلو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

قد كان لى فيما مضى خاتم * والآن لو شئت تمنطقت به

وبمثل قول أبى بكر بن دريد

ان الذى أبقيت من جسمه * يامتلف الصب ولم يشعر

صبابة لو أنها قطرة * تحول فى جفنك لم تقطر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصب باضعاف فينقلب التشبيه وكذلك اذا بولغ فى وصف الاكفال بالعظم صغرت عندها الكثبان فينقلب التشبيه وقد ترجم ابن جنى فى خصائصه ترجمة فقال هذا باب من غلبة الاصول الفروع ثم أنشد بعض ما أنشدنا وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه الباب وللمتقدمين والمتاخرين فى النحول شعر كثير ويستحسن فى ذلك قول المجنون فأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح فى اعقاب نجم مغرب

ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

أخذه المؤتمل فقال قد صرت من ضعفى الى حالة * تجرى لها آماق حسادى

يكاد جسمى من نحول الضنا * تحمله أنفاس عوادى

وزاد خالد الكاتب فجعله لا يدرك الا بالوهم فقال

يا من تجاهل عما كان يعمله * عمدا وباح بسر كان يكتمه

غدا خليلك نضو الاحر الذ به * لم يبق من جسمه الا توهمه

فزاد ابن المعتز وجعله يخفى على الموت فقال

مسهد خانه التفريق فى أمله * أضناه سيده ظلما بمرتحله

فدق حتى لو أن الدهر قادله * حتفا لما أبصرته مقلتا أجله

فاعدمه المتنبي واستريح منه فقال

أرالك حسبت السلك جسمي فعقته * عليك بدرّ من لقاء الترائب

ولو قلم ألقيت في شق بريه * من السقم ماغيرت من خط كاتب

(قوله أدرأ) أي أزيل (الغمر) الودك (أهم) أظن ويذهب وهمي (تظنيت) حسبت وأبدل احدى نوني ظن ياء تخفيفا للتضعيف (سخر) هزأ (الملتمس) المطلوب (الجوّ) هنا داخل البيت (أجفلا) هربا وأسرعا (قوله استشطت) اشتد غضبي (مكره) خداعه (أوغلت) بالغت وباعدت (قمس) غمس (عرج به) طلع به (عنان) بفتح العين سحاب والعنانة السحابة وأعنت السماء صار لها عنان والله الموفق للصواب

(شرح المقامة الثامنة وهي المعرّية)

(معرّة النعمان) هي بلدة بالشأم والنعمان اسم جبل مطل عليها والمعرة اسم البلدة فأضيفت اليه ولها سبعة أبواب وعلى جبل منها دير سمعان فيه قبر عمر بن عبد العزيز وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها وداخلها قبر يوشع بن نون وله يوم حفيل في كل عام والى المعرة ينسب الشاعر المعري قال شيخنا ابن جبير انه خرج من قنسرين يريد حمص قال فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من أخصب البلاد وأكثرها أرزا قاوورا عها جبل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتد الطول متصل من البحر الى البحر وفي سفح الجبل حصون للملحدة الاسماعيلية فرقة مرقت من الاسلام وادّعت الالهية قيض لهم شيطان يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موّه عليهم باستعمالها وسحرهم بعمالها فاتخذوه الها يعبدونه ويبذلون الانفس دونه حصلوا من طاعته بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل فيتردى المأمور والله يضل من يشاء (قوله الاطيبان) أي الاكل والنكاح أي هو شيخ مسن وقيل الاطيبان النوم والنكاح وقيل طيب النكاح وطيب النكهة * أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الاطيبان التمر واللبن وسئل شيخ مسنّ من العرب عن حاله فقال ذهب مني الاطيبان السير والأير وبقي الارطبان الضراط والسعال و(البان) شجر تشبه به ضبانه القدود الناعمة (المتقاضي) أي المتحاكم اليه الذي يطلب من الحاكم قضاءه وعونه على خصمه وهذا الغرض الذي ذكره ضرب من الالغاز لانه مشى كلامه في وصف جارية وغلام وقد ضمن الكلام وصف ابرة ومرود (مملوكة) يعني الابرة جعلها مملوكة لانها مما يتمول (رشيقة القد) معتدلة القامة (أسيلة) ملساء خدّ الابرة شق فيه ثقبها وأصل الخدّ شق مستطيل في الارض والاسالة ملاسة مع طول (صبور على الكد) أي صابرة على المشقة والتعب وفعول بمعنى فاعل يمتنع من الحاق الهاء به اذا وقع صفة لمؤنث قال عنترة

انى امرؤ سهل الخليقة ماجد * لا اتبع النفس اللجوج هواها

ومنه امرأة شكور وصبور ولجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم شكورة ولجوجة وصبورة وقال ان هذه التاء انما تدخل في فعول اذا كانت بمعنى مفعول نحو ناقة ركوبة وشاة

قال فنهضت فيما أمر لا أدرأ عنه الغمر ولم أهم الى أنه قصد أن يخدع بادخالي الخدع ولا تظنيت أنه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت الجوّ قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في اثره طلبا فكان كمن قمس في الماء أو عرج به الى عنان السماء

(المقامة الثامنة المعرّية)

(أخبر الحرث بن همام) قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان الى قاضي معرّة النعمان أحدهما قد ذهب منه الاطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي انه كانت لي مملوكة رشيقة القدّ أسيلة الخدّ صبور على الكدّ

حلوبة قال وذكر النحويون فى امتناع الهاء من فعول بمعنى فاعل للمؤنث علة أجودها أن الصفات الموضوعة للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به فأسقطت الهاء من صبور وفتاة معطار ونظائره كما ألحقت بصفة المذكر فى رجل علامة ونسابة لتدل على تحقيق المبالغة وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة وامتناع الهاء المذكورة أصل مطرد الاعدوة فانهم ألحقوه بصديقة والشئ فى أصول العربية يحمل على ضده ونقيضه كما يحمل على نظيره ورسله (تخب) تثب فى الثوب بسرعة (النهد) الفرس الضخم (أطوارا) احيانا وهدها مئبر الخائط الذى يمسك فيه ابرته (تمور) أحد الشهور وهو يوليو و(البرد) أن يبردها الحداد بالمبرد ليقومها ويعدلها فالبرد هنا فعل صانعها قال ابن ظفر ذهب بالبرد الى ما طبع عليه الحديد من البرد فى الغمط (قوله ذات عقل وعنان) أراد بالعنان الخيط لانها ترسل فى الخياطة والعقل شدها بالخيط حين تمسك فى الثوب (سنان) طرفها المسنون أى المحدد (كف بنان) الكف والتضريب شئ آن معروفان فى الخياطة فيريد ان الخائط يقلب التضريب بأصابعه وهى البنان ويكفه بالابرة (فم) يريد ثقب الابرة (تلدغ) تضرب الاصبع و(اللسان النضناض) للحية والنضنضة قيل هى صوت الحية وقيل حركة لسانها وانما اختلف فيها الان الحية اذا ضيق عليها فتحت فاها وصفرت وحركت لسانها فيقال نضنضت وشبه طرف الابرة بلسان الحية لكثرة حركته فى الثوب وما أحسن قول الشاعر فى تشبيه لسان الافعى بنور السراج

وقنديل كان النور منه * محيا من أحب اذا تجلى
أشار على الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله فرقا وولى

وقال ابن الصباغ الصقلى فى شمعة

يطعن صدر الدجى بعالية * صنو برى لسان كوكبها
لحية باللسان لاحسة * ما أدركت من سواد غيهبها

وللبيتين الاولين حكاية مستظرفة حدثنى بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لامرين لشهرتها ولانى وجدت البيتين مثبتين فى بعض النسخ من القلائد لاحد رجالها ثم عزم على بعض الادباء أن أذكرها فذكرت على اختصار فائدتها وذلك ان الشاعر المعروف بالبكى الهجاء دخل عليه فى ليلة ماطرة ذات رعد وبرق فى بيت فندق دواب شخص فى الظلام لا يعرفه وعلى البكى بقية من سلهامه خلقة لا يوارى به غيرها وعلى الثانى بقية من قميص قد اسود من طول البلى وكثرة الاوساخ حتى لا يعرف رأيه من أى ثوب هو وقد بلل كل واحد منهما المطر وهما فى بلاء من الفقر والجوع والبرد فرق لهما خادم الفندق فدخل عليهما بقنديل فعند ما نظر كل واحد منهما صاحبه تأسى به ورأى أنه قد وجد نفسه نظيرا فى الشقاء فقال البكى لجليسه أى شئ أنت فقال شاعر وشؤم الادب بلغ بى ما ترى قال فأجز فقال * وقنديل كأن النور منه * فقال الآخر

* محيا من أحب اذا تجلى * فقال البكى * أشار على الدجى بلسان أفعى * فقال الآخر
* فشمر ذيله فرقا وولى * فقال له البكى وقد أعجب به بمن تعرف فقال بعنق البرة قال له وأنا البكى فجعلا يتناظران بقية ليلتهما فى أيهما أكثر حرمانا حتى أصبحا وكانا بتلمسان فقال عنق البرة للبكى هلم لنقترع أينا يقيم هنا وأينا يرتحل فانا ان بقينا فى موضع واحد أدرك الناس

تخب أحيانا كالنهد وترقد أطوارا فى المهد وتجد فى تمور من البرد ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف بنان وفم بلا أسنان تلدغ بلسان نضناض

قوله سلهامه فى نسخة سهامه وكلاهما غير مناسب ولعله محرف من مسهمة كمعظمة برد مخططة كما فى القاموس وحرر اه مصححه

من شؤمنا مايؤدى بهم الى الهلاك فاقترعا فخرجت قرعة البكى بالرحيل فارتحل ونزل بفاس فحل باهلها من بلائه ماقد شهر ولمن كان البيتان فلقد أجاد وأحسن ماشاء (قوله ترفل فى ذيل فضفاض) أى تمشى فى خيط طويل (تجلى فى سواد وبياض) أى تبرز فى خيط أسود لخياطة السواد وأبيض لخياطة البياض (تسقى) أراد سقى الحداد لها اذا أخرجها من النار ألقاها فى الماء لتصلب (ناصحة) خائطة والنصاح الخيط ونصحت الثوب خطته (خدعة) تخدع الخائط كثيرا فتخيط وجه الثوب الاعلى وتترك الاسفل والهاء فى هذه الصفات للمبالغة (خباة طلعة) يصف حالها فى الخياطة حين تختبئ فى الثوب ثم تطلع فى يد الخائط (مطبوعة) أى مصنوعة لينتفع بها (مطواعة فى الضيق والسعة) يريد اذا دفعتها فى الثوب دخلت فيه سواء اتسع موضع دخولها أو ضاق (اذا قطعت وصلت) يريد اذا قطعت الثوب وفصلته ألفته (فصلتها عنك) نحيتها وجعلتها فى مئبرها (خدمتك) أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك (جلت) ألفت قطع الثوب (جنت عليك فآلمت) أى ضربتك فأوجعتك وصيرتك ذا ألم (ملمت) أى جعلتك متقلبا لشدة الوجع (قوله استخدمنيها) أى طلب منى خدمتها (الغرض) حاجة وأصل الغرض ماقصدته سهام الرامى ثم سميت الحاجة غرضا لانها قصدت بالرغبة فيها (وسعها) طاقتها وقدر ما تحتمل مما تكلف (أولج فيها متاعه) أى أدخل فيها خيطه (أفضاها) خرق عينها وفى المرأة خلط مسلكيها من أفضيت الى الشئ وصلت الى متسعه ومنه القوم فوضى أى متسعون مختلطون (بذل) أعطى (القطا) طائر يصيح قطا قطا فسمى بصياحه وبما ينهم من صوته ولذلك تسميه العرب الصدوق ويقال أنسب من قطاة لانها اذا صاحت عرفت وقال الشاعر

تدعو القطا به تدعى اذا انتسبت * ياصدقها حين ندعوها فتنتسب

حمراء مقبلة سكاء مدبرة * للماء فى البحر نهانوطة عجب

(وقال الكميت)

لاتكذب القول ان قالت قطا صدقت * اذ كل ذى نسبة لابد ينتحل

وقال أبو زجرة

مازلن ينسبن وهنا كل صادقة * باتت تباشر عرما غير أزواج

يريد أن الحمير وردت الماء ليلا فأثارت القطا عن أفاحيصه فصاحت قطا قطا فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا والعرم بيضها لان فيها سوادا وبياضا وبيض القطا افراد ثلاثة أو خمسة قال مزاحم العقيلى فى القطا وفراخها

فلما دعته بالقطاة أجابها * بمثل الذى قالت له لم يبدل

وقال المعرى عرفت جدودك اذ نطقت وطالما * لفظ القطا فأبان عن أنسابها

وقال الاصمعى القطا لاتصيح الا اذا رأت الماء فاذا عدم الماء وسمعت العرب صياح القطا فرحوا به وعرفوا قرب الماء من بعده وقيل سمى قطا لثقل مشيه يقال قطا الرجل يقطو اذا ثقل مشيه (قوله فرط) أى سبق (عن خطا) أى عن غير تعمد (رهنته) أعطيته رهنا وأرهنتك أعطيتك ماترهنه و (الارش) قيمة العيب أى دية الجرح مأخوذ من أرش بين القوم لان الارش يختصم فى قدره (أوهنته) أفسدته ووهن الشئ يوهن ويهن ضعف وأوهنته أنا اذا أضعفته (مملوكا)

وترفل فى ذيل فضفاض
وتجلى فى سواد وبياض
وتسقى ولكن من غير
حياض ناصحة خدعة خباة
طلعة مطبوعة على المنفعة
ومطواعة فى الضيق والسعة
اذا قطعت وصلت ومتى
فصلتها عنك انفصلت
وطالما خدمتك فجملت
وربما جنت عليك فآلمت
وملمت وان هذا الفتى
استخدمنى الغرض فأخدمته
اياها بلا عوض على أن
يجتنى نفعها ولا يكلفها
الا وسعها فأولج فيها متاعه
وأطال بها استمتاعه ثم
أعادها الىّ وقد أفضاها
وبذل عنها قيمة لا أرضاها
فقال الحدث أما الشيخ
فاصدق من القطا وأما
الافضاء ففرط عن خطا
وقد رهنته عن أرش
ما أوهنته مملوكا لى

يعنى المرود (متناسب الطرفين) أى هذا الطرف مثل هذا الطرف تكتحل بايهما شئت (القين) الحداد الذى صنعه (الدرن) وسخ الحديد والشين العيب أى هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب (يقارن محله سواد العين) أى عند التكحل به (يغشى) يحدث ويظهر *واحسان الكحل فى العين لا يخفى (ينشى الاستحسان) أى ينشئ لناظر العين استحسان الكحل فى العين و (الانسان) انسان العين يغذيه بالكحل والانسان السواد الذى فى وسط العين اذا رأيته رأيت فيه شخصا والشخص هو الانسان فسمى السواد به (يتحامى) يبعد عنه يريد انه يكحل العين ولا يقرب من الفم (قوله سود) أى جعل فيه الكحل (جاد) أعطاه العين (وسم) العين بالكحل (أجاد) عمله فيها (قلما ينكح الامثى) أى لا ينكح عينا واحدة فى الغالب وقد نظم هذا النثر فى الثانية والاربعين (جوده) أى يجود بكحله للعين (ويسمو) يطلع للعين وجعل له الكحل غذاء لانه يأخذ ويرتفع به للعين (قرينته) مكحلته (من طينته) من جنسه (زينته) تزيينه للعين (يطمع فى لينته) أى لا يطمع أن يكون الحديد لينا وكل لفظة فسرها المرود والابرة لها لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به (تبينا) توضحا وتفسر احدينكما المبهم الملغز (فبينا) ابعدا وارتفعا (قوله أرفو) أى اخيط ويروى لأرفأ يقال رفأت الثوب ارفؤه ورفوته أرفوه والرفو من أدق أنواع الخياطة وهو نسج الخرق فى الثوب حتى يعود كأنه لم يكن فيه خرق وقال ابن القابلة السبتى فى غلام رفاء

يارافيا قطع كل ثوب * ويارشا حبه اعتمادى
عسى بخيط الوصال ترفو * ماقطع الهجر من فؤادى

(وقال الحلوانى فى خياط)

ربّ خياط فتنت به * فتنة أوهنت قوى جلدى
لاعب بالخيط ينتله * أتراه ظنه جسدى
ليت أنى كنته فارى * بين ذاك الدرّ والبرد
فعلت بالثوب ابرته * فعل سهم الشوق فى خلدى
وجرى المقراض فى يده * جرى عينيه على كبدى

ومن مجون أبى نواس انه كان يؤاكل اسمعيل بن أبى سهل فعرضت له على مائدة رقاقة فى جانبها خرق قد نضم فرفعها باحدى يديه ونثرها بالاخرى فانفرجت وقال وهو يضحك أخبزكم مرفوء فلما خرج قال

خبز اسمعيل كالوشـ * ـى اذا ما انشق يرفا
عجبا من أثر الصنـ * ـعة فيه كيف يخفى
انّ رفاءك هـذا * ألطف الأمة كفا
فاذا قابل بالنصـ * ـف من الخبزة نصفا
ألطف الصنعة حتى * لا ترى مغرزا شفى
مثل ما جاء من النسـ * ـور ما غادر حرفا

و (الاطمار) الثياب الخلقة واحدها طمر (عفاها البلى) غيرها القدم ودرسها (وسوّدها) بالاوساخ حتى صارت فى طبع الثوب فتى غسلت لم تزل ومما قالت الشعراء فى الاطمار البالية مما يستحسن قول الحمدونى فى طيلسان وهبه له أحمد بن حرب المهلبى

متناسب الطرفين منتسبا
الى القين نقيا من الدرن
والشين يقارن محله سواد
العين يغشى الاحسان
وينشى الاستحسان
ويغذى الانسان ويتحامى
اللسان ان سوّد جاد أو
وسم أجاد واذا زوّد وهب
الزاد وبتى استزيد زاد
لا يستقر بمغنى وقلما ينكح
الامثى يسخو بموجوده
ويسمو عند جوده وينقاد
مع قرينته وان لم تكن من
طينته ويستمتع بزينته
وان لم يطمع فى لينته فقال
لهما التقاضى اما أن تبينا
والافبينا فابتدر الغلام
وقال
أعارنى ابرة لأرفو أطمارا
عفاها البلى وسوّدها

يا ابن حرب أطلت همى برفوي * طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو في الرفو آل فرعون في العر * ض على النار بكرة وعشيا

وقال أيضا فيه طيلسان لابن حرب * يتداعى لامساسا
قد طوى قرنا فقرنا * وأتى سافا نا سا
لبس الايام حتى * لم تدع فيه لباسا
غاب تحت الحس حتى * لا يرى الا قياسا

وقال فيه أيضا قل لابن حرب مقالة العاتب * ولست فيما أقول بالكاذب
أما رأيت الرفاء يحرزني * برفوه طيلسانك الذاهب
أفناه جور البلى عليه كما * أفنى الهوى عمر خالد الكاتب

وقال فيه أيضا ان ابن حرب جادلى كاسيا * بطيلسان هرم قشعم
انظر الى كثرة تمزيقه * كأنما مزق فى مأتم
رفوى له وهو رميم كمن * يبنى بناء فوق مستهدم
يصدعه اللحظ بايماضه * صدع فؤاد العاشق المغرم
يذكرنى كثرة تمزيقه * تفرق الناس عن الموسم

وقال فيه أيضا يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا * ملّ من صحبة الزمان وصدّا
طال تردداه الى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدى
فحسبنا نسج العنا كب قد جنّ الى ضعف طيلسانك شدا

وقال أيضا فيه يا قاتل الله ابن حرب لقد * أطال اتعابى على عمد
بطيلسان خلت أنّ البلى * يطلبه بالوتر والحقد
أجدّ فى رفوى له والبلى * يلهو به فى الهزل والجدّ
ان أتهم الرافى فى رفوه * مضى به التمزيق فى نجد
غنيته لما مضى راحلا * تركتنى يا واحدى وحدى

والحمدونى هو اسمعيل بن ابراهيم بن حمدويه نسب الى جدّه وهو من أهل ميسان وكان حلو التصرّف مليح الافتنان وهو القائل

من كان فى الدنيا له شارة * فنحن من نظارة الدنا
نلحظها من كسب حسرة * كأنّا لفظ بلا معنى

(وقال ابن الرومى فى طيلسانه)

ولى طيلسان ناحل غير أنه * ثبوت لهبات الرياح الزعازع
وما ذاك الا انه متهتك * يخلى سبيل الريح غير منازع
أراه لضوء الشمس بالعين رؤية * ويمنعنى من لمسه بالاصابع
شكا ثقل اسم الطيلسان لضعفه * فسميته ساجا فهل ذاك نافعى

(وقال ابن سارة فى فروة)

أودت بذات يدى فروة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنا والرقة

يتجشم الرفاء فى ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أنّ ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت باسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وله فيها أيضا

لى فروة وصفى لحائكتى بها * يأتيك بين مقرّط ومشنف
عطلت كتب أبى عبيد بالذى * ألفت فيها من غريب مصنف
يسطو على الغرم فى ترقيعها * سطو الغرام على فؤاد المدنف
فاناوفروى خوف تزيق لها * أحكى معاوية لجنب الاحنف

وله فى طيلسانه

وطيلسان هرم يحتمى * عليه أكل الخلّ والبقل
كانّ كفّى اذا انضمتا * عليه خوف الريح فى غلّ

(ولبعض أصحابه فيه)

على منكب ابن على سمل * تقطعه لحظات المقل
اذا غيم الجوّ أبصرته * رهين الذبول بكف البلل
نسوا طيلسان ابن حرب به * وصاروا به يضربون المثل

وله فى غفارته

لاحمد بن علىّ * غفارة كالسراب
ان هبّ أدنى نسيم * تمرّ مرّ السحاب

والشعر فى هذا الباب كثير (قوله انخرمت) أى انكسرت (مقودها) خيطها (تاودها) انكسارها وأصله الاعوجاج (اعتاق ميلى) حبس مرودى (ناهيك) كافيك ومعناه المبالغة كأنه بلغ النهاية فى العيب الذى فعل (سبة) عيب يسب به (مرهى) خالية من الكحل وقد مرهه الرجل مرها اذا لم يتعهد الكحل والمرهى من النساء البيضاء البينة الزرق الذى يختص الكحل فى زرقها (اسبر) قس (غور) غاية وقدر (ارث) ارحم وتوجع (ايه) كلمة يستزاد بها الحديث (والتمويه) الكذب وهو فى الحديث كالتعمية وقد موّه عليه اذا خيل له انه على شئ وهو على ضده وأصل التمويه الصقل كأنّ على ألفاظه المموّهة صقالة وهو من لفظ الماء (المشعر) المزدلفة وهو جمع سمى مشعرا لانه من علامات الحج وكل علامات الحج مشاعر والمشعر والمنسك موضع ذبح الهدى بمكة المفضل سمى مشعرا لانه أشعر أنه حرام كالبيت (الناسكين) الحجاج الذين يشعرون الهدى وما ينحر نسك ونسك ينسك منسكا ونسكا ونسكا اذا ذبح النسك وأصلها ذبائح الجاهلية ثم سميت الاضاحى والهدى بمكة نسكا بها والناسك أيضا الزاهد (خيف) موضع بمنى (قوله ساعفتنى) ساعدتنى (تصدّيت) تعرضت (عالها) أهلكها (الخطوب) الامور الشداد (ترشقنى) تصيبنى (بصميات) بسهام قاتلة (بؤس) شدّة حال (ضنا) ضعف ومرض (وهو أنا) أى هو مثلى فى ضيق الحال (مجالى) موضع تصرّفى (ذات يدى) مالى وذات اليد ما يملك (العفو) الغفران (جنى) أذنب (قصتى) حديثى يقول فانظر الينا بعين الشفقة والرحمة وأصلح بيننا بما تنصرف به شاكرين لك وهب لنا ما نثنى به عليك وجعل انظر عاملا فى الجميع لان من وجوه النظر الاصلاح بينهم والتكرم عليهم (قصصهما) أى حديثهما وهو جمع قصة (خصاصتهما) فقرهما (تخصصهما) رفعتهما وانقباضهما وقد تخصص الرجل اذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة (أبرز) اخرج

فانخرمت فى يدى على خطا
منى لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحنى
بارشها اذ رأى تأودها
بل قال هات ابرة تماثلها
أو قيمة بعد أن تجوّدها
واعتاق ميلى رهنا لديه ونا
هيك بها سبة تزوّدها
فالعين مرهى لرهنه ويدى
تقصر عن أن تفك مرودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتى
وارث لمن لم يكن تعوّدها
فأقبل القاضى على الشيخ
وقال ايه بغير تمويه فقال
أقسمت بالمشعر الحرام ومن
ضمّ من الناسكين خيف منى
لو ساعفتنى الايام لم يرنى
مرتهنا مثله الذى رهنا
ولا تصدّيت أبتغى بدلا
من ابرة غالها ولا ثمنا
لكنّ قوس الخطوب ترشقنى
بصميات من ههنا وههنا
وخبر حالى كخبر حالته
ضرّا وبؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا فأنا
نظير فى الشقاء وهو أنا
لا هو يسطيع فك مرودة
لما غدا فى يدىّ مرتهنا
ولا مجالى لضيق ذات يدى
فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتى وقصته
فانظر الينا وبيننا ولنا
فلما وعى القاضى قصصهما
وتبين خصاصتهما
وتخصصهما أبرز له دينارا

(مصلاه) بساطه الذى يصلى عليه (افصلاه) اقطعاه وأزيلاه (استخلصه) حازه لنفسه خالصا (الجد) التحقيق والعبث) الهزل (سهم) نصيب (مبرتى) اكرامى الذى وصلنى به القاضى (أميل) أخرج وأعدل عنه (عرا) قصد ونزل به (حدث) ظهر (اكتئاب) حزن وهم (وجم) غضب والوجوم السكوت على غضب (هيج) حرك (أسفه) حزنه (بلباله) فكره (بلباله) حزنه ووسواسه (رضخ) كثر العطاء (اجتنبا) باعدا (المعاملات) المعاوضات والعوارى (ادرءا) ادفعا (كيس) وعاء الدراهم (رفده) عطاؤه (يخبو ضجره) يسكن غضبه (بض حجره) رشحت كفه قال الاخطل

كف اليدين من العطية ممسك * ما ان تبض صفاته بلال

(ينصل كمده) يزول حزنه و (الجلمد) الصخر الصلب كنى به عن كفه وأنه بخيل ويد البخيل تشبه بالحجر وقال جرير

كأنما خلقت كفاه من حجر * فليس بين يديه والندى عمل
يرى التيمم فى بر وفى بحر * مخافة أن يرى فى كفه بلل

(وقال ابن عبد ربه)

يراعة غرتنى منها وميض سنا * حتى مددت اليه الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذلك له روحا وذا نفسا

أين هذه الاكف من التى ذكر حجبة بن المضرب حين قال

اناس اذا ما الدهر أظلم وجهه * فأيديهم بيض وأوجههم غر
يصونون أحسابا ومجدا مؤثلا * ببذل أكف دونها المزن والبحر
فلو لامس الصخر الاصم أكفهم * أفاض ينابيع الندى ذلك الصخر

(وقال ابو الشيص)

ان الامان من الزمان وريبه * ياعقب شطا بحرك الفياض
بحر يلوذ المعتفون بسيله * فعم الجداول مترع الاعراض
لابى محمد المؤمل راحتا * ملك الى أعلى العلا نهاض
فيد تدفق بالغنى لصديقه * ويد على الاعداء سم قاض

وقال أبو تمام

تعود بسط الكف حتى لوانه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وقال البحترى

قد قلت للغيث الركام ولج فى * ابراقه وألح فى ارعاده
لا تعرضن لجعفر متشبها * بندى يديه فلست من أنداده
الله شرفه وأعلى ذكره * ورآه غيث بلاده وعباده

(وقال ابن الرومى)

مقبل ظاهر الكف وهاب بطنها * لراحة فيها الحطيم وزمزم
فظاهرها للناس ركن مقبل * وباطنها عين من الجود غيلم

(قوله غشيته) أى ذهاب عقله بأن يغمى عليه و (غاشيته) زواره ومن يغشى موضعه (أشرب) دوخل (حسى) ادراكى وفهمى (نبأنى) حدثنى وأخبرنى (حدسى) ظنى قال الفراء رحمه الله

من تحت مصلاه وقال لهما اقطعا به الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد لا العبث وقال للمحدث نصفه لى بسهم مبرتى وسهمك لى عن أرش ابرتى ولست عن الحق أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكاب واكفهر على سمائه سحاب وجمله القاضى وهيج أسفه على الدينار الماضى الا أنه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرا المخاصمات ولا تحضرانى فى المحاكمات فما عندى كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضى مايخبو ضجره مذ بض حجره ولا ينصل كمده مذ رشح جلمده حتى اذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسى ونبأنى حدسى

قوله غيلم بالغين المعجمة المفتوحة منبع الماء كما فى القاموس اه مصححه

حدست أحدس اذا قلت فى الشئ برأيك * غيره حدست ظننت ظنا بلغت منه غاية الشئ فى عدده أووزنه وأصله من قول العرب بلغت الحداس أى الشئ الذى تطلب لحاقه و (الدهاء) فى الرجل الحذق والتبصر فى الاشياء (لاخصما ادعاء) أى ليس بينهما ادعاء وعلى الحقيقة فيختصمان فيها (سبرهما) اختبارهما (استنباط) استخراج (تحرير) حاذق (زمرته) جماعته وجعله (شرارة) لنفوذ ذهنه واتقاده ولذلك يسمى تحريرا أى ماهرا بالاشياء كلها كأنه لادراكه وفهمه بالاشياء يحررها بظنه الصادق (خبئهما) خفى ما عندهما (قفاهما) أتبعهما (والعون) الشرطى لانه يعين من يتصرف له (مثلا) وقفا يقال مثل الشئ فهو مائل اذا قام وانتصب واذا طئ بالارض أوذهب وهو من الاضداد (سن بكرا) حقيقة خبرا والبكر الفتى من الابل وسنه مبلغ عمره لان بالسن يعرف كم بلغ من العمر وافظ المثل صدقنى سن بكره وروى البكرى عن ابن الاعرابى ان رجلا سام رجلا بكرا على ان يشتريه منه فقال البائع هذا جمل لبكر له وقال المشترى هذا بكر فقال البائع بل هو مسن فبينما هما يتنازعان اذ نفر البكر فقال صاحبه ليسكن نفاره هدع هدع وهى كلمة من العرب يسكن بها صغار الابل عند نفارها ولا تقال للكبار فقال المشترى عند ذلك صدقنى سن بكره (تبعة) شرحت فى الصدر (أجم) تأخر فزعا (أقدم) تقدم متشجعا (استقال) طلب الاقالة (الشبل) ولد الاسد (المخبر) التجربة والخبرة (تعدت) ظلمت والمتعدى الظالم المجاوز الحد فى الظلم (مال بنا) أى حطنا (نجتدى) نسأل الناس الجدا وهو العطاء (ندى الراحة) كريم الكف و (جعد الكف) ضده وأراد يسأل كل كريم سهل العطاء وكل لئيم صعبه وأصل الجعودة انقباض الشعر ثم استعيرت لقبض الكف من اللؤم ومثله مغلول اليد أى كأن يده محبوسة بغل اللؤم بها والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بغل اللؤم وفى الكتاب العزيز ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فهذا نهى عن البخل ولا تبسطها كل البسط فهذا نهى عن التبذير وقال حبيب فى قصيدة يمدح بها حنش بن عمر الازدى ويذكر الجعودة وهى

يرى الوعد احدى العار اذ هو لم تكن * مواهبه تأتى مقدمة الوعد
فلو كان ما يعطيه غيثا لأمطرت * سحائبه من غير برق ولا رعد
من القوم جعد أبيض الوجه والندى * وليس بنان يجتدى منه بالجعد

وقال البحترى

صنتنى عن معاشر لا أسمى * أولياهم الاعداة سبابى
من جعاد الاكف غير جعاد * وغضاب الوجوه غير غضاب
خطروا خطرة الجهام وساروا * فى نواحى الظنون سير السحاب

(وقال أيضا فى نحوه)

وخلفنى الزمان على أناس * وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حسن فهن بيض * وأخلاق قبحن فهن سود
اناس لو تأملهم لبيد * بكى الخلف الذى يشكى لبيد

(قوله الدد) ضد الجد وهو اللهو واللعب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لست من ددو لا الدد منى أى لست من باطل ولا الباطل منى (اجدى) نفع (الحظ) البخت والنصيب (والصدى) العطشان وأراد أن حظه فى الدنيا قليل فهو سعى له ليجلب رزقا يكثر به حظه (تنفد) تم (أنكد) مشؤم وكل

أنهما صاحبا دهاء لا خصما ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له تحرير زمرته وشرارة جرته انه لن يتم استخراج خبئهما الا بهما فقفاهما عونا برجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقانى سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فأجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال أنا السروجى وهذا ولدى والشبل فى المخبر مثل الاسد وما تعدت يده ولا يدى فى ابرة يوما ولا فى مرود وانما الدهر المسىء المعتدى مال بنا حتى غدونا نجتدى كل ندى الراحة عنب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد يكل فن وبكل مقصد بالجد ان أجدى والا بالدد لتجلب الرشح الى الحظ الصدى وتنفد العمر بعيش أنكد

ماجلب شرا فهو أنكد ونكدو (المرصد) الموضع الذى ترتقب فيه من تريد أخذه وقد رصدته رصدا ترقبته (يفاج) بات على غفلة وأصل فاجا بالهمز فسهله (قوله لله درك) أى ما أحسن كلامك والدر أصله اللبن وكأنه سمى بحكاية صوته عند الحلب ولله أصله القسم ولا تدخل اللام فى القسم الا على اسم الله تعالى والتعجب معها لازم فاذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب الناقة لله درك فكأنه قال والله ان درك هذا الكثير ثم استعير للفصيح فى كلامه ولكل من أحسن فى شئ فكأنه قيل ما أحسن ماجئت به وقيل معناه لله اللبن الذى شربته من أمك قال الفراء رحمه الله ربما قالوا در درك ولم يقولوا لله درك وأنشد

در در الشباب والشعر الاسـ * ـود والضامرات تحت الرجال

(قوله تنشات) أى كلمات (واغا) عبا و (المنذر) المعلم بما يخاف (تماكر) تخادع (سطوة) بطشة (المتحكم) الذى يتحكم بما شاء فيمتثل حكمه (مسيطر) أمير مسلط (يقيل) يغفر الزلة (أوان) وقت (عاهده) حالفه (مشورته) أخذ رأيه (الارتداع) الكف (تلبيس) تخليط (صورته) قصته (فصل) زال (الختر) الخداع (يلمع) يضئ يريد أنه انفصل عنه وعلى وجهه علامة الغدر وان يمينه التى حلف له كاذبة وأول من نظم هذا المعنى فى البين الشماخ حين قال

أتتنى تميم قضها بقضيضها * تمسح حولى بالبقيع سبالها
يقولون لى احلف ولست بحالف * أخادعهم عنها لكيما أنالها
فضرجت هم النفس عنى بحلفة * كما شقت الشقراء عفى جلالها

ومن الملح فى اليمين الفاجرة قول ابن الرومى

وانى لذو حلف كاذب * اذا ما استمحت وفى المال ضيق
وهل من جناح على معسر * يدافع بالله مالا يطيـــــق

وقال فيه أيضا

اذا حلت على ضيق ديونى * وباكرنى النجار وخوفونى
دفعتهم بمن لو شاء أدى * حقوقهم اليهم منذ حين

ولدعبل

سالونى اليمين فارتعت عنها * كى يغروا بذلك الارتياع
ثم أرسلتها كمنحدر السـ * ـيل تدلى من المكان اليفاع

(وأنشد أبو على)

لا شئ يدفع حق خصم شاغب * الا كلاف عبيدة بن سميذع
يمضى اليمين على اليمين لحاجة * غض الجموح على اللجام المقدع
فاذا يذكر حلفة أصغى لها * واذا يذكر بالتقى لم يسمع

(قوله تصاريف) أراد التصرف بالجولان فى البلدان و (الاسفار) الاول جمع السفر فى البلاد والثانى جمع سفر وهو الكتاب قال الفراء رحمه الله الاسفار الكتب العظام و (التصانيف) التآليف المنوعة والمصنف الذى فيه أنواع شتى

والموت من بعد لنا بالمرصد
ان لم يفاج اليوم فاجى فى غد
فقال له القاضى لله درك
فما أعذب نفثات فيك
وواها لك ولاخداع فيك
وانى لك لمن المنذرين
وعليك من الحذرين فلا
تماكر بعدها الحاكمين
واتق سطوة المتحكمين فما
كل مسيطر يقيل ولا كل
أوان يسمع القيل فعاهده
الشيخ على اتباع مشورته
والارتداع عن تلبيس صورته
وفصل عن جهته واختر
يلمع من جبهته (قال الحرث
ابن همام) فلم أر أعجب منها
فى تصاريف الاسفار ولا
تسرأت مثلها فى تصانيف
الاسفار

(المقامة التاسعة الاسكندرية)
(قال الحرث بن همام)
طعابى

(شرح المقامة التاسعة وهى الاسكندرية)

(طعا) بك قلبك ووهمك طعوا وطعيا ذهبا بك وطعا الله الارض ودحاها بسطها *ابن الانبارى

طحاقلبه فى الهوى واللهو اذا تطاول وتمادى قال طرفة * طحابك قلب فى الحسان طروب *
(مرح الشباب) نشاط الفتوة (جبت) قطعت ومشيت (فرغانة) مدينة فى أقصى خراسان وكان فيها بيت يسمى هيكل الشمس بناه فارس الملك وخربه المعتصم وبها قتل قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين وبينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخا قال اليعقوبى من سمرقند الى اسروشنة خمس مراحل شرقا ومن أسروشنة الى فرغانة مرحلتان ومدينة فرغانة التى ينزلها الملك يقال لها كاسان وهى مدينة جليلة القدر عظيمة الامر وكل هذه المدن مضافة الى عمل سمرقند وكان أنوشروان بنى فرغانة ونقل اليها من كل بيت قوما وسماها ازهر خانه أى من كل بيت (وغانة) بلد من بلاد السودان واليها ينتهى التجار والمدخل اليها من سجلماسة ومن سجلماسة اليها مسافة ثلاثة أشهر ومن غانة الى سجلماسة شهر ونصف ودون ذلك وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز اليها من سجلماسة بالامتاع والاثقال فتباع فى غانة بالتبر فمن سافر اليها بثلاثين حملا يرجع منها بثلاثة أحمال أو بحملين واحد لركوبه وثمان للماء بسبب المفازة التى فى طريقها حدثنى غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة فى ستة عشر يوما لا يرون فيها ماء الا على ظهور الابل فأثمان أحمال الثلاثين حملا يجتمع فيها من التبر ما يجعل فى مزود واحد فيطوون المراحل للخفة وغانة بلد مملكة السودان وانتشر الاسلام فى أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والامن وكثرة المتاجر فيشترون بها خدما للتسرى ويقيمون بها عند أميرها فى غاية الكرامة والخدم فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة فى خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الابدان وتنقى السواد وحسن العينين واعتدال الانوف وبياض الاسنان وطيب الروائح وكان ابن الرومى وصف واحدة منهن بقوله

تذكرك المسك والغوالى والندّ ذوات النسيم والعبق
ليست من العبس الا كف ولا الـ * ـمليح الشفاه الخبائث العرق
أكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق
يفترّ ذاك السواد عن يقق * من ثغرها كاللآلئ النسق
كأنها والمزاح يضحكها * ليل تعرّى دجاه عن فلق
لها حر يستعير وقدته * من قلب صب وصدر ذى حنق
يزداد ضيقا على المراس كما * تزداد ضيقا أنشوطة الوهق
غصن من الآنوس ركب فى * مؤزر معجب ومنتطق

(وقال الشريف الرضى)

أحبك يا لون السواد فانى * رأيتك فى العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبى ألمى فلا تلم * جنونى على الظبى الذى كله لمى

(وقال ابن مسلمة)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف بلام شغوف على من * يراها كلها فى العين خالا

مرح الشباب وهوى الاكساب الى أن جبت ما بين فرغانة وغانة

ولهأيضا
لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

ولابن رباح
وسوداء الاديم اذا تبدت * يرى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

ولابن رشيق
دعابك الحسن فاستجيبى * يامسك فى صبغة وطيب
تهوى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

قال ابن رشيق أخذته من قول الآخر أنشده الجاحظ

مشبهات الشباب والمسك تفديهن نفسى من الردى والخطوب
كيف يهوى الفتى اللبيب وصال * بيض والبيض مشبهات المشيب

وأخذ بيته الآخر من قول الآخر أنشده الجاحظ

وان سواد العين فى العين نورها * ومالبياض العين نور فيعلم

فاخذه أيضا أبو الطيب فقال فى كافور وأحسن

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت بياضا خافها وأماقيا

ولابن الجهم
وعائب المسك من جهله * مفضل للبيض ذى محك
قولوا له عن أماتستحى * من يجعل الكافور كالمسك

والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجى والناس تبع له حيث قال

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(على بن العباس بن الاحنف معاصره قال)

أحب النساء السود من أجل تكتم * ومن أجلها أحببت ما كان أسودا
فجئنى بمثل المسك أطيب نكهة * وجئنى بمثل الليل أطيب مرقدا

(أخذ بيته الاول من قول ابن الاعرابى)

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال ابن الرومى فى تفضيل السواد على البياض)

وبعض ما فضل السواد به * والحق ذو سلم وذو نفق
أن لا تعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الاقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على تحسين القبيح والامر المجمع عليه تفضيل البياض قال الجاحظ العرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه وأنشد

لهم ديباجة عرفت قديما * بياض فى الوجوه وفى الجلود

(وأحسن كشاجم فيما قصد اليه بقوله)

يامشبها فى فعله لونه * لم تعدما أوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(قوله جبت ما بين فرغانة وغانة) ما ههنا بمعنى الذى كأنه قال جبت الذى بين فرغانة التى هى أقصى المشرق وغانة التى هى أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال فما هى التى أوجبت لما بين البلدتين مما ذكر أن يعم بالمشى ولو سقطت ما لم يلزم العموم وكأنه يشير بهذا التبعيد الى قول حبيب

سلى هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعى من ركابى سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

(قوله أخوض الغمار) أى أدخل المياه الغزيرة فأجوزها (أقتحم الاخطار) أى أترامى فى المخاوف والخطر الغرر و(الاوطار) الحاجات وقال أبو عمرو القصطلى فيما يتعلق بهذا

أخوض الغمار لاجنى الثمار
وأقتحم الاخطار لكى أدرك
الاوطار

تخوفنى طول السفار وانى * لتقبيل كف العامرى سفير
دعينى ارد ماء المفاوز آجنا * الى حيث ماء المكرمات نمير
ألم تعلمى أن الثواء هو النوى * وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير

(وقال النابغة الجعدى)

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

(وقال ابن سارة)

سافر فان الفتى من بات مفتحما * قفل النجاح بمفتاح من السفر
ان شئت خضرتها يا ابن الرخاء فكن * فى طى غمر الفيافى نائى الحضر
ولا يصدنك عن أمر تصعبه * قد ينبع الكوثر السلسال من حجر
لابد أن يقع المطلوب فى شرك * ولو بنى وكره فى دارة القمر

{ذكر السفر والحض عليه وترك العجز}

ومما ينتظم فى باب الحض على السفر وترك العجز قولهم لا ينبغى للعاقل أن يكون الا فى احدى المنزلتين اما فى الغاية من طلب الدنيا واما فى الغاية من تركها ولا ينبغى للعاقل أن يرى الا فى أحد مكانين اما مع الملوك مكرما واما مع العباد متبتلا ولا يعد الغرم غرما اذا ساق غنما ولا الغنم غنما اذا ساق غرما ونظم هذا المعرى فقال

ذر الدنيا اذا لم تحظ فيها * وكن فيها كثيرا أو قليلا
وأصبح واحد الرجلين اما * ملكا فى العشائر أو أبيلا

الابيل الراهب وفى كتاب الهند من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وفى التوراة ابن آدم خلقت من الحركة الى الحركة فتحرك وأنا معك وفى بعض الكتب امدد يدك الى باب من العمل افتح لك بابا من الرزق وقالوا من ضعف عن عمله اتكل على رزق غيره وقال على رضى الله عنه الحرص مقدمة الكون وقال النبى صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس ما المروأة فيكم قالوا العفة والحرفة ورؤى عكرمة وراء نهر بلخ فقيل له ما جاء بك ههنا فقال بناتى وقال رجل لمعروف الكرخى يا أبا محفوظ

أتحرك لطلب الرزق أم أجلس قال لا بل تحرك فانه أصلح لك فقال أتقول هذا قال وما أناقلته ولكن الله عزوجل أمر به قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء لانزله عليها وأنشد الثعالبي

ألم تر أن الله أوحى لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقال موسى بن عمران عليه السلام لا تلوموا السفر فاني ادركت فيه مالم يدرك أحد يدان الله كله ونظم هذا المعنى حبيب فقال

فان موسى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس
صار نبيا وعظم بغيته * في جذوة للصلاء والقبس

قال المأمون لاشئ ألذ من السفر في كفاية لانك تحل كل يوم في محل لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم * الثعالبي من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار مايزيده علما بقدرة الله ويدعوه الى شكر نعمته وفي الاثر الصحيح سافروا تصحوا وتغنموا * آخر السفر يشد الابدان وينشط الكسلان ويشهي الطعام * آخر ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك قال ابن رشيق كتبت الى بعض اخواني مثل الرجل القاعد أعزك الله كمثل الماء الراكد ان ترك تغير وان تحرك تكدر ومثل المسافر كالسحاب الماطر هؤلاء يدعونه رحمة وهؤلاء يدعونه نقمة فاذا اتصلت أيامه ثقل مقامه وكثر لوامه فاجمع لنفسك فرحة الغيبة وفرحة الاوبة والسلام وقال ابن رشيق

غب عن بلادك وارج حسن مغبة * ان كنت حقا تشتكي الاقلالا
فالبدر لم يجف به ادباره * أن لا يسافر يطلب الاقبالا

وقال أبو الطيب وما بلد الانسان غير الموافق * ولا أهله الادنون غير الاصادق
وقال البحتري واذا ما تنكرت لي بلاد * أو صديق فانني بالخيار
وقال أبو الطيب اذا لم أجد في بلدة ما أريده * فعندي لاخرى غربة وركاب

(وقال ابراهيم بن العباس الصولي)

لا يمنعنك خفض العيش في دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران

أي لا يمنعنك الشوق الى الوطن في الغربة من الاستمتاع بلذة العيش فالارض واحدة والناس جنس واحد وفي غير الحماسة

لا يمنعنك خفض العيش في دعة * من أن تبدل أوطانا بأوطان

برفع خفض أي لا يمنعنك عيشك الهنيء في بلدك أن تجول في البلدان وترى الناس فتستفيد النزهة والتجربة قالوا المسافر يسمع العجائب ويكشف التجارب ويجلب المكاسب أوحش أهلك اذا كان انسك في ايحاشهم واهجر وطنك اذا ابت نفسك عنه قيل لاعشى بكر الى كم هذا الاغتراب أما ترضى بالدعة قال لو دامت الشمس علينا يومين لملتموها أخذه حبيب فقال

وطول مقام المرء في الحي مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

وقال الحكماء لا تنال الراحة الا بالتعب ولا تدرك الدعة الا بالنصب وقال حبيب

على أننى لم أحو وفرا مجمعا * ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطنى الايام يوما مسكا * ألذ به الا بنوم مشرد

وقال ابن عبد ربه هل يجول فى عقل أو يمثل فى وهم أو يصح فى قياس أن يحصد زرع بغير بذر أو يثمر مال بغير طلب أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح وقد يكون الاكداء مع الكدو الخيبة مع الغيبة وقال الشاعر

ومازلت أقطع عرض البلاد * من المشرقين الى المغربين

وأدرع الخوف تحت الدجى * وأستصحب الجدى والفرقدين

وأطوى وأنشر ثوب الهموم * الى أن رجعت بخفى حنين

(وقال ابن رشيق)

يعطى الفتى فينال فى دعة * مالم ينل بالكد والتعب

فاطلب لنفسك فضل راحتها * اذ ليست الاشياء بالطلب

ان كان لا رزق بلا سبب * فرجاء ربك أعظم السبب

(وقال محمد بن بشير)

قد يرزق الخافض المقيم وما * شد لعيس رحلا ولا قتبا

و يحرم المال ذو المطية والرحل ومن لا يزال مغتربا

(وقال آخر)

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله * و يحرم الرزق بالاسفار والتعب

انى وعمرك ما أحصى ذوى حمق * الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب

ولآخر ألا رب باغى حاجة لا ينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس

آخر قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى

ما مسنى من غنى يوم ولا عدم * الا وقولى فيه الحمد لله

آخر لو كان باللب يزداد اللبيب غنى * لكان كل لبيب مثل كافور

لكنه الرزق بالتقسيط اس من حكم * يقصى اللبيب و يعطى كل ماخور

ومثل هذا قليل فى كثير وانما يحكم بالاغلب والنجح مع الطلب أكثر والحرمان للعاجز أصحب وشرح حبيب هذا المعنى فقال

هم الفتى فى الارض أغصان المنى * غرست وليست كل حين تورق

أوصى بعض الحكماء ابنه وأراد سفرا فقال انك تدخل بلدا لا تعرفه ولا يعرفك أهله فتمسك بوصيتى تتفق بها عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية ونظافة البزة فانها تشهد بالنشء فى النعمة وطيب الرائحة فانها تظهر المروأة والادب الجميل فانه يكسب المحبة وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك . ولباسك دون تدرك والزم الحياء والانفة فانك ان استحييت من الفظاظة اجتنبت الخساسة وان أنفت من الغلبة

لم يتقدمك نظير في مرتبة (قوله لقفت) أخذت واللقف أخذ ما يرمى اليك بيدك (ثقفت) قيدت ويمدح الرجل الحازم بدفيقال فلان ثقف لقف و (الاريب) العاقل وقد أرب اربابة وأرباصار أريبا والاريب من أربت العقدة أرباشددتها (يستميل) يستنزل ويدعوه أن يميل اليه (يستخلص مراضيه) أي يحوزها لنفسه ومراضيه ما يرضى القاضي ويوافقه وهو جمع مرضاة ويقال صلة الرحم مرضاة للرب أي يرضيه برها يقول العاقل اذا دخل بلدة استعطف قاضيها لنفسه بحسن لتخدمه حتى يخف عليه (ليشتد) ليتقوى (جور) ظلم (اماما) قدوة (زماما) حبلا أقودها به (ولجت) دخلت (عرينة) بلدة وأصلها بيت الاسد (الراح) اسم الخمر وأبهم على بن الرومي مم اشتق اسمها حين قال

والله ما أدري لأية علة * يدعونها في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا * أم لارتياح نديها المرتاح

وانظر الامتزاج الذي ذكر في الخامسة والاربعين (عنايته) اعتناؤه به واهتمامه (الاسكندرية) مدينة عظيمة من بلاد مصر بناها الاسكندر ذو القرنين وهو الذي مشى مشارق الارض ومغاربها قال السدي لما سال أهل الكتاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين قال سأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم ان أول أمره أنه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عندها مدينة يقال لها الاسكندرية وقال الهمداني ذو القرنين ينسب اليه التاريخ قبل الاسلام ومؤدبه ارسطاطاليس الحكيم وكان ملكه الذي بلغ فيه أقصى المشرق والمغرب خمسة عشر عاما والاسكندرية لما بناها رخمها بالرخام الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام واذا كانت ليلة مقمرة يدخل الخياط الخيط في خرق الابرة من بياض رخامها وقيل انها مكثت سبعين عاما لا يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها ورخامها ولم يحتج لها في تلك المدة الى سراج بالليل من ضيائها وقيل كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور قال ابن جبير ما شهدنا بلدا أوسع مسالك ولا أعلى بناء ولا أعتق ولا أحفل من الاسكندرية وأسواقها في نهاية الاحتفال ومن أعجب ما في وضعها ان بناءها تحت الارض كبنائها فوق وأعتق لان الماء اذا جاء من النيل يخترق جميع ابارها وأزقتها تحت الارض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا وعاينا فيها من سواري الرخام وألواحه كبرا وعلوا واتساقا وحسنا ما لا يتخيل الا بالوهم حتى انك تلقى بعض سواريها يغص بها الجو صعودا لا يدرى معناها ولا لاي شيء وضعت الا ما يتحدث أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنارة آية للمتوسمين وهداية للمسافرين لولاها وما اهتدوا في البحر الى بر الاسكندرية يظهر على أزيد من سبعين ميلا ومبناه في نهاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا يزاحم الجو سموا وارتفاعا ينحصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع ذرعنا أحد جوانبه الاربع فألفيناه نيفا وخمسين باعا ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة وأما داخله فرأى هائل اتساع معارج ودواخل وكثرة مساكن حتى ان الواجل في مسالكه ربما ضل وفي أعلاه مسجد موصوف بالبركة فيتبرك الناس بالصلاة فيه طلعنا اليه وشهدنا من شأن مبناه عجبا لا يستوفيه

وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي زماما فلما دخلت مدينة ولاولجت عرينة الاوامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوى الاجساد بالارواح فبينما أنا عند حاكم الاسكندرية

وصف واصف والله تعالى لا يخليه من عزة الاسلام (قوله عشية عرية) أى باردة (يفضه) يفرقه (ذوى الفاقات) أهل الفقر والحاجات (عفرية) يقال رجل عفرية وعفرو وعفير اذا كان صحيحا شديدا موثق الخلق أخذ من عفر الارض وهو التراب أى من علق به عفره بالارض ومنه ليث عفرين أى ليث ليوث معفر لفريسته قال الخليل رجل عفار بين العفارة اذا وصف بالشيطنة والعفير أيضا الظريف الكيس ويقال للشيطان عفريت وعفرية وعفارية وقرئ قال عفرية من الجن وفى الحديث ان الله ليبغض العفريت النفريت قيل هو الجموع المنوع وقال أبو عثمان النهدى دخل رجل عظيم الجسم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما أعرفها قال فبالصداع قال ما أدرى ما هو قال أفاصبت بمالك قال لا قال أفرزئت بولدك قال لا فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض العفريت النفريت وهو الذى لا يرزأ فى بدنه ولا يصاب فى ماله وقوله (تعتله) أى تسوقه بعنف وكذلك تدعه (مصبية) لها صبى (جرثومة) أصل وكذلك (أرومة ميسمى) علامتى (الصون) الصيانة والانقباض (شيمتى) طبيعتى (الهون) الرفق (بون) بعد (بناة) جمع بان و (المجد) الشرف الفخم وأصله من الابل المواجد وهى التى امتلأت بطونها من الرعى وعظمت وأمجدها راعيها اذا رعاها بحيث تمجد ومجدت هى تمجدرعت فامتلأت وحكى الاصمعى قال أتيت شعبة يوما وعنده حماد بن سلمة وهما يتكلمان فى حديث فقال شعبة يا أبا سلمة هذا الفتى الذى ذكرت لك فقال حماد يا بنى كيف تشديت الحطيئة أول قوم فابتدأت القصيدة من أولها

الا طرقتنا بعد ما هجعت هند * وقد سرن خمسا وائلات بها الجد

الى ان بلغت قوله

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

فقال لى حماد يا بنى ان العرب تقول بنى يبنى بناء فى العمران ويقولون فى الشرف نبا ينبو نبا فانشد هذا البيت أحسنوا النبا فعرفت قدر حماد من ذلك فما كنت أنشد الا كما لقننى (قوله أرباب الجد) أى أصحاب السعد والمال والعرب تقول لفلان جد فى الدنيا أى حظ وبخت قال امرؤ القيس * وقاهم جدهم ببنى أبيهم * وقال آخر

عش مجدودا لا يضرك نوك * انما عيش من ترى بالجدود

وجد الرجل صار له جد وأجده الله جعل له جدا وما كنت ذا جد ولقد جددت تجدد ورجل جديد حظيظ من الجد والحظ أبو عبيد قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى ولا ينفع ذا الغنى منك غناه انما تنفعه طاعته يعقوب أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه ذلك فى الآخرة (بكتهم) قطع كلامهم واهانتهم (عاف) كره (وصلتهم) اتصالهم به والوصلة سبب التواصل وهى فى الآدميين ما يصل واحدا بآخر من حب وغيره والوصلة بالفتح ما جعلته بين عود وعود أو حبل وحبل فوصلتهم ابه (صلتهم) عطيتهم (حلفة) يمين (يصاهر) يخاتن (حرفة) صنعة ومكسب وهى فعلة من الحرف وهو الحرمان والمحارف المحروم كأن صاحبها منع الرزق فصار يعالج كسبه أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الكسب كسب يد العامل اذا نصح سهل بن سعد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة

فى عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوى الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت أيد الله القاضى وأدام به التراضى انى امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤلة وعمومة ميسمى الصون وشيمتى الهون وخلقى نعم العون وبينى وبين جارتى بون وكان أبى اذا خطبنى بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة أن لا يصاهر غير ذى حرفة

ومن النساء الغزل (قوله قيض) أى قدّر وساق (نصبى) تعبى (ووصبى) مرضى ونصب الرجل نصبا أعيا من التعب ووصب وصبا أتعبه المرض فهو نصب ووصب (الخدعة) الكثير الخداع لغيره وبسكون الدال الذى يخدعه غيره كثيرا التحريك للفاعل والسكون للمفعول فيما يأتى على فعلة من الصفات (نادى) مجلس (رهطه) قومه وهو اسم لجماعة من ثلاثة الى عشرة ويجمع أرهط وأراهط (وفق شرطه) أى موافق ما اشترط (نظم درة) يريد أنه جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ (بدرة) عشرة آلاف درهم وأراد بالدرّة هنا الكلمة ويعبر بها عن الحكمة قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تدعوا الدرّة فى أفواه الكلاب يعنى العلم (اغترّ) انخدع وهو افتعل من الغرور (زخرفة محاله) تزيين باطله وأصل زخرف زين الشئ بالزخرف وهو الذهب (كناسى) بيتى وأصله للظبى وهو من قوله تعالى الجوار الكنس تشبيها لها بالظباء على ما ذكره ابن قتيبة ويقال له كناس ومكنس من الكنس كأن الظبية قد كنست مرقدها ووطأته (رحلنى) نقلنى وحملنى على الرحل (كسره) بيته وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء لان جانب الخباء قد انكسر عن يمينه (أسره) حبسه (قعدة) كثير القعود (جثمة) كثير الجثوم وهو ملازمة الموضع (ضجعة) كثير الاضطجاع وهو الامتداد على الارض للنوم (نومة) كثير النوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم المقت من الله فذكر الذى يكثر النوم بالنهار ولم يأخذ من الليل شيأ وفى حديث آخر خير أهل شر الزمان مؤمن نومة أبو عبيدة هو الخامل الذكر الذى لا يعرف الشر وأهله فتريد أنه عاجز قد لازم بيته فان تصرفت فيه اعترضها ممتدا فلا تجد معه راحة (رياش) ثياب فعال من الريش لانها تكسو البدن كما يكسو الريش الطائر (زىّ) هيئة حسنة من اللباس (أثاث) متاع (رى) حالة حسنة وأصله الهمز فسهل وأدغم ليوافق زيا قال ابن الانبارى الاثاث المتاع والرؤى والرؤاء المنظر وماله رؤاء أى ماله منظر ولا لسان والحرفان من رأيت أرى (مابرح) مازال (الهضم) النقصان (الخضم) الاكل بالفم كله و (القضم) الاكل باطراف الاسنان (مزق) قطع وأفسد (حالى) غناى ويروى مالى مكان حالى وما فيه بمعنى الذى كأنه قال فرق الذى لى وروايه ابن ظفر بالى بالباء وقال والبال الخاطر وما لهذا الشئ بال اذا حقرته والبال كالخلد تقول خطر ببالى كما تقول خطر بخلدى ونفسى وكان هذا هو الاصل والبال الحال أيضا ومنه قوله * وخالف بال أهل الدار بالى * (عسره) أى فقره (الراحة) القرار والعيش الهنىء وأراد (بأنقى من الراحة) خلوا الكف من الشعر (مخبا) ستر (بؤس) شدة وفقر (عطر) طيب (ولا عطر بعد عروس) مثل يضرب لتأخير الشئ عن وقت الحاجة اليه وأصله ان رجلا تزوج امرأة فوجدها ثفلة فقال لها أين عطرك قالت خبأته لغير هذا الوقت فقال لها لا مخبأ لعطر بعد عروس وبهذا اللفظ روى أبو زيد الانصارى المثل * البكرى عروس رجل كانت عنده ابنة عم له فمات عنها فتزوجها بعده ابن عم لها آخر وهى كارهة وانطلق بها الى أهله وقد زودها طيبا فى سفط فمر بها بقبر عروس فأقبلت تبكيه وترفع صوتها وتقول يا عروس الاعراس ويا شديد الباس مع أشياء لا يعلمها الناس فانتهرها زوجها وقال ما تلك الاشياء فقالت كان عن المكارم غير نعاس يعمل السيف صبيحة الباس ثم قالت يا عروس الاعراس الازهر الكريم المحضر مع أشياء كانت تذكر فازداد زوجها غضبا وقال ما تلك الاشياء

فقيض القدر لنصبى ووصبى أن حضر هذا الخدعة نادى أبى فأقسم بين رهطه انه وفق شرطه وادّعى أنه طالما نظم درّة الى درّة فباعها ما بيدرة فاغتر أبى بزخرفة محاله وزوّجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجنى من كناسى ورحلنى عن أناسى ونقلنى الى كسره وحملنى تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزىّ وأثاث ورى فما برح يبعه فى سوق الهضم ويتلف ثمنه فى الخضم والقضم الى أن مزق حالى باسره وأنفق مالى فى عسره فلما أنسانى طعم الراحة وغادر بيتى أنقى من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس

فقالت كان عيوفا للغنا والمنكر طيب النكهة غير أبخر ثم أخذت السفط وكسرته على قبر عروس ثم قالت لاعطر بعد عروس فذهب مثلا فقال زوجها ارجعي الى أهلك أنت طالق فقالت اذا انصرفت مغتبطة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عروسا هذا رجل من هذيل وامرأته هذلية اسمها اسماء (قوله براعتك) أي جودة تدبيرك (سلالة) ولد صغير كما سل من بطن أمه ولهذا سمي ولد الناقة عند النتاج قبل ان يعلم أذكر هو أم أنثى سليل ثم اتسعوا في السلالة فقالوا فلان كريم السلالة و (الخلالة) عود ينقى به الاضراس من الطعام شبهت ولدها به في رقته (ترقأ) تنقطع (الطوى) الجوع وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت (تجم) تختبر (دعواه) ما ادعاه من الصنعة وعجمت العود عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه (وعيت) حفظت (قصص عرسك) حديث زوجتك (برهن) أظهر حجتك والبرهان الحجة (لبسك) تخليطك والتباس أمرك (أطرق) امال رأسه الى الارض ساكتا (الافعوان) ذكر الافاعي وهذا منقول من قول المتلمس

فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى * مساغا لنابيه الشجاع لصمما

ووقع لنا في رواية لناباه وهي لغة (ثمر) احتزم (العوان) التي قوتل فيها مرة بعد أخرى وهي أشد والمرأة العوان التي علت في السن ولم تهرم والعوان الثيب كانت ذات زوج أو لم تكن وعونت المرأة تعوينا والجمع عون (قوله ينتحب) أي يبكي ونحب نحيبا أعلن بالبكاء (خصائصه) فضائله ومايختص به من الافعال المحمودة (ريب) شكوك (التبحر) التوسع (طلابي) أي طلبي انما هو للعلم وذكر التبحر واللآلي والغوص وغير ذلك مجازا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انتعل رجل قط ولا تخفف ولا لبس ثوبا يغدو في طلب علم يتعلمه الا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انتعل ليتعلم خيرا غفر الله له قبل ان يخطو * ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الغدو والرواح في تعليم العلم خير عند الله من الجهاد في سبيله * ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من خرج يطلب بابا من العلم ليرد به ضلالا الى هدى أو باطلا الى حق كان كعبادة متعبد أربعين سنة (قوله يصاغ) أي يصنع (القريض) الشعر (اغوص) أغيب في الماء الى قعره (واللجة) معظم الماء جعله للبيان مجازا (اللآلي) جمع لؤلؤة (انتخب) اختار وقال المسيب بن علي في وصف الغائص وانتخابه الدرة وتشبيه المرأة بها

كمانة البحري جاءبها * غواصها من لجة البحر
نصف النهار الماء غامره * وشريكه بالغيب مايدري
فأصاب منيته فجاءبها * صدفية كضئة الجمر
يعطى بها ثمنا فيمنعها * ويقول صاحبه ألا تشري
وترى الصراري يسجدون لها * ويضمها بيديه للنحر

(وقال عبد الرحمن بن حسان)

وهي بيضاء مثل جوهرة الغواص ميزت من جوهر مكنون

(وقال النابغة)

فانهض للاكتساب بصناعتك وأجتني ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الارض من الفساد ولي منه سلالة كأنه خلالة وكلانا مما ينال معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى دمعة وقد قدته اليك واحضرته لديك لتجم عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك فبرهن الآن عن نفسك والا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق اطراق الافعوان ثم ثمر للحرب العوان وقال اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب سروج داري التي ولدت بها والاصل غسان حين أنتسب وشغلي الدرس والتبحر في * علم طلابي وحبذا الطلب ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب أغوص في لجة البيان فاخ * تار اللآلي منها وانتخب

أودرة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل ويسجد

(قوله اليانع) أى الناعم (الجنى) الطرى (أمترى نشبا) أى استخرج مالا ومريت ضرع الناقة مسحته وحلبته لبدر اللبن والنشب قيل هو العقار ومالا ينقل وكان مالكه قد نشب اليه حيث لا ينتقل به كالذى ماله الماشية أو الذهب والفضة (المنتقى) المختار ويروى المقتنى وهو المكتسب * ويقال احتلب وحلب حلبا والحليب اللبن وهو الحلاب والحلاب أيضا الاناء يحلب فيه وأصله السيلان وتحلب الضرع سال وانحلبت عينه سال دمعها (يمتطى) يركب (أخمصى) باطن قدمى وهو ماضمر منها وارتفع عن الارض (لحرمته) أى لرفعته وشرفه (مراتبا) منازلا والمرتبة منزلة الشرف من الرتب وهو ما أشرف من الارض (والرتب) جمع رتبة وهى بمعنى المرتبة وأصل الرتب الدرج تقطع فى الحجر ليصعد بها الى أعلى الجبل ومنه رتب كلامه اذا أتبع بعضه بعضا على نظام واعتدال (زفت) حملت من زففت العروس الى زوجها اذا أهديتها له (الصلات) العطايا (ربعى) منزلى (لم أرض كل من يهب) أى لا أرضى أن أكون تحت منة كل أحد (من يعلق) معنى من استفهام ٣ (يرقب) يرعى (ال) قرابة وال بقاء عهد و (سبب) معرفة وصحبة والسبب العلم ومنه وآتيناه من كل شئ سببا وأصله الحبل ثم يستعمل فى كل ما يربط شيأ بشئ من كلام أو غيره (عراصهم) مواضعهم وأصل العرصة فناء الدار * يقال لب الرجل يلب لبابة ورجل ملبوب موصوف باللبابة ولب كل شئ من الثمار ولبابه داخله ولب كل شئ خالصه (منيت) ابتليت وقدر لى (صرفها) تقلبها وتصرفها بما يكره (ذرعى) كناية عن صدرى وخلقى وأصل الذرع كيل الشئ بالذراع ثم صار مثلا يقال ضاق ذرعى بكذا اذا لم تحتمله وضاق تصرفك فيه (ذات يدى) أى مالى (ساورتنى) واثبتنى (الكرب) الهموم وكررها لاختلاف اللفظ (المليم) الذى أتى بما يلام عليه (سلولك) دخول (يستشينه) يستعيبه والشين العيب (لبد) شئ لا قليل ولا كثير وأصله الصوف وأكثر ما يستعمل مزدوجا مع سبد يقال ما عنده سبد ولا لبد أى لا شعر ولا صوف ويراد بهما نفى الابل والغنم ثم صار نفيا لكل شئ من المال (بتات) زاد (أنقلب) أرجع (ادنت) أخذت بالدين رفى حديث عمر فادان معرضا (والسالفة) صفحة العنق يريد ان هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العطب و (العطب) الذى هو الهلاك دونه فى الشدة * عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله فى عنقه وقال أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار وروى جابر رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين (الحشى) اسقاط الجوف (سغب) جوع (أمضنى) أحرقنى (جهازها) متاعها الذى جاءتنى به والجهاز متاع البيت يريد شوارها (عرضا) أراد عرضا فحركه ضرورة والعرض الامتعة هنا اخبرنى بهذا من يوثق به فى اللغة والعرض خلاف النقد مشهور فى اللغة وفى العين العرض بفتح الراء كثرة المال فيقول لما لم يبق لى مال لم أر مالا الا جهازها فيكون على هذا أتم معنى ويخرج عن الضرورة التى ألزمته ذلك التحريك (أجول) أتصرف (أضطرب) أكثر التردد والتصرف (عبرى) باكية (مكتئب) حزين (عبئت) لعبت وتحكمت فيه يقول ما تصرفت فى بيعه الا برضا منها ومنى ٤ (قوله توهمها) أى ظنها (خطبتها) مراسلتها فى النكاح (لينجح الارب)

وكنت من قبل أمترى نشبا
بالادب المنتقى وأحتلب
ويمتطى أخمصى لحرمته
مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى
ربعى فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به
اكسد شئ فى سوقه الادب
لا عرض ابنائه يصان ولا
يرقب فيهم الا ولا سبب
كأنهم فى عراصهم جيف
يبعد من تنتها ويجتنب
فحار لبى لما منيت به
من الليالى وصرفها عجب
وضاق ذرعى لضيق ذات يدى
وساورتنى الهموم والكرب
وقادنى دهرى المليم الى
سلولك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لى لبد
ولا بتات اليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت سالفتى
بحمل دين من دونه العطب *
ثم طويت الحشى على سغب
خمسا فلما أمضنى السغب
لم أر الا جهازها عرضا
أجول فى بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة
والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبئت به
حد التراضى فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها
أن بنانى بالنظم تكتسب
أو أننى اذ عزمت خطبتها
زخرفت قولى لينجح الارب

٣ قوله معنى من استفهام الظاهر ان من موصولة وعبارة غيره أى ان من يتعلق به الامل ويرجى منه النوال لا يستعمل الادب والمعارف حتى ضار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده اه بالحرف اه مصححه ٤ قوله ومنى لا حاجة اليه اه مصححه

لتقضى الحاجة (تستحثها) تستعجلها (النجب) الابل الكرام (المكر) الخداع (المحصنات) العفائف (شيمى) طبائعى (شعارى) علامتى (التمويه) تقدم فى الثامنة (نيط) علق وناط الشئ نوطا علقه (اليراع) الاقلام و (المواضى) المسرعة فى الكتابة يريد انه فصيح لا يتوقف قلمه (السخب) جمع سخاب وهى قلادة قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ قال ابن ظفر السخب العقود من اللؤلؤ وغيره ومن الطيب أيضا (أحوى) أحور وأجمع (فأذن) اسمع (لاتراقب) لاترع منا أحدا ولا تؤثره على صاحبه (واحكم) بيننا (بما يجب) وأخذ معنى الابيات المتقدمة من قول ابن هرمة انى امرؤ لا أصوغ الحلى تعمله * كفاى لكن لسانى صائغ الكلم

(وقال آخر)

وانى لنظام القلائد للعلا * واست بنظام القلائد للنحر

(قوله أحكم) أى اتقن (شاده) بناه وزينه وشاد البناء أطاله وعمله بالشيد وهو الجص ويقال فيه أشاد ويقال شاد عمله بالشيد وأشاد أطاله وهو الاول وأشاد الحديث رفعه و (عطف) ثنى عنقه وردها وكل ما تثنيه من عنق أو جارحة أو عود فقد عطفته (شغف) أعجب (انقراض) انقطاع وهلاك (جيل) صنف وجيلك أهل عصرك (بعلك) زوجك وبعل الرجل بعولة تزوج و (القرض) السلف أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلفا (صرح) بين (وصرح عن المحض) مثل يضرب لبيان الامر اذا انكشف وقالوا أمر صراح أى منكشف ظاهر والصريح من اللبن المحض الخالص الذى لا رغوة فيه قال الشاعر * وتحت الرغوة اللبن الصريح * ثم قالوا لكل شئ خالص صريح وقوله (بين مصداق النظم) يريد ان نظمه انما هو للشعر لا للجوهر (معروق) لا لحم على عظمه أى هو فقير (اعنات) مشقة (المعذر) الذى يجهد نفسه فى الشئ ثم لا يستطيعه يقال قد أعذر أى قد بين عذره انه لا يقدر عليه وعذر فهو معذر اذا قصر فى طلب الشئ وقال تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقال ابن دريد * حكم المعذر غير حكم المعذر * (الملائمة والمأثمة) اللوم والاثم و (المعسر) الفقير و (الزهادة) قلة الرغبة قال ابو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله كان حقا على الله ان يفتح عليه رزق سنة من حلال وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثا الا أتاهم الله عز وجل برزق (خدرك) بيتك وأصله الستر يكون خلفه الجارية المحجوبة (أباعذرك) زوجك المفتض لك (نهنهى) كفى (غربك) حد لسانك وقيل معنى نهنهى من غربك أى غيضى من دموعك والغرب فيض الدمع والاول أشبه (سلمى) انقادى (فرض) أى أوجب (حصة) نصيب (ناولهما) اعطاهما (قبصة) ما أخذت باطراف أصابعك (العلالة) الشئ القليل (تعللا) خذا منه شيأ بعد شئ وكذلك (تنديا) وأصل العلالة بقية الماء فى الاناء وبقية اللبن فى الضرع بعد الحلب قال الراجز * يرضعها الدرة والعلاله * و (البلالة) الندى القليل يبل وجه الارض (كيد) مكر (كده) جهده وأنشد أبو محجن الثقفى

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
عسى ما ترى أن لا يدوم وأن ترى * له فرجا مما ألح به الدهر

فوالذى سارت الرفاق الى
كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من شيمى
ولا شعارى التمويه والكذب
ولا يدى مذ نشأت نيط بها
الا مواضى اليراع والكتب
بل فكرتى تنظم القلائدلا
كفى وشعرى المنظوم لا السخب
فهذه الحرفة المشار الى
ما كنت أحوى بها واجتلب
فاذن لشرحى كما أذنت لها
ولا تراقب واحكم بما يجب
(قال) فلما أحكم ما شاده
وأكمل انشاده عطف القاضى
الى الفتاة بعد أن شغف
بالابيات وقال أما انه قد ثبت
عند جميع الحكام وولاة
الاحكام انقراض جيل
الكرام وميل الايام الى
اللئام وانى لاخال بعلك
صدوقا فى الكلام بريا من
الملام وها هو قد اعترف لك
بالقرض وصرح عن المحض
وبين مصداق النظم وتبين
انه معروق العظم واعنات
المعذر ملائمة وحبس المعسر
مأثمة وكتمان الفقر زهادة
وانتظار الفرج بالصبر عبادة
فارجعى الى خدرك واعذرى
أباعذرك ونهنهى عن غربك
وسلمى لقضاء ربك ثم انه
فرض لهما فى الصدقات
حصة وناولهما من دراهمها
قبصة وقال لهما تعللا بهذه
العلالة وتنديا بهذه البلالة
واصبرا على كيد الزمان وكده

اذا اشتد عسر فارج يسر افانه * قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

(الاسار) الحبل يشد به الاسير (هزة) طرب (الموسر) الغنى (الاعسار) الفقر وسئل حكيم أى الاشياء أحلى قال النصرة على العدو بعد الهزيمة والاستغناء بعد الحاجة والغلبة للمتكالم (قوله بزغت) أى طلعت (ونزغت) نشزت وقابلته بالشر والذكر القبيح وأراد انه عرفه حين سافته زوجته الى القاضى (أفصح) أبين (افتنانه) تنوعه (اثمار) اخراج الثمر وهو حمل كل شجرة (أفنانه) أغصانه (أشفقت) خفت (عشور) ظهور وعثر على الامر اطلع عليه (بهتانه) باطله وكذبه (تزويق) تزيين وهو من الزاووق الذى يعرفه العامة بالزواق أى انه تزين فى الظاهر وليس له ثبات (عرفانه) تقدم معرفته (يرشحه) يهيئه وفلان يرشح لكذا أى يؤهل له من رشحت الام ولدها باللبن اذا جعلته فى فيه شيأ بعد شئ حتى يقوى وقيل الترشيح التربية وقيل هو تحنن الام على ولدها من الشدة (أحجمت) تأخرت (المرتاب) صاحب الريبة (طويت) سترت (السجل) الورق و(الكتاب) المكتوب فيها وقوله تعالى كطى السجل للكتاب قيل السجل اسم كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل ملك فى السماء الثالثة ترفع اليه الحفظة أعمال العباد كل خميس واثنين (فصل) زال وانفصل (بفص خبره) بحقيقة أمره (ينشر) يظهر (حبره) حسن كلامه وأصله ثياب يمانية مزينة ونشرها حلها من طيها (التجسس) البحث (أنبائه) أخباره (مالبث) أى ما أقام والمعنى ما أبطأ شيأ حتى رجع (متدهدها) متحركا والتدهده قذف الحجر من أعلى الى أسفل (قهقر) رجع الى خلف (مقهقها) مبالغا فى الضحك والقهقهة حكاية صوت الضاحك (مهيم) كلمة استفهام معناها ما الامر (عاينت) رأيت (أنشأ) أحدث وتقديره سمعت شيأ أحدث لى ذلك الشئ المسموع الطرب ولا يكون أنشأ فعلا لابى زيد انما هو فعل لما من قوله ما أنشأ (وعيت) حفظت (يصفق بيديه) يضرب بكفيه (يخالف بين رجليه) يعبث بهما فى مشيه فيضع كل رجل موضع الاخرى وهى من أنواع الرقص أراد أنه يضرب بكفيه ويرقص (يغرد) يغنى (بمل شدقيه) أى بصوت شديد يمتلئ به أشداقه وملء القدح قدر ما يملؤه * أبو يعقوب يقال أعطنى ملء القدح ماء وأعطنى ملأيه وأعطنى ثلاثة أملائه (أصلى ببلية) أى قربت أن أحترق بها وأتصلى بها والبلية المصيبة يبتلى بها (وقاح) جمع وقاحة وهى صلابة الوجه وأصلها من الحافر الصلب وقال بعضهم فى صلابة الوجه

لا يعمل المبرد فى وجهه * بل وجهه يعمل فى المبرد

فجعل وجهه لصلابته يؤثر فى الحديد (شمرية) أى شديدة القعة قال الاصمعى سألت اعرابيا وقد خرج من الصلاة ما قرأ الامام قال ما أدرى الا انه وقع بين موسى وفرعون شمرية (هوت) سقطت (دنيته) قلنسوته وهذه اللفظة انما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ودنيته بنونين لتوافق سكينته والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الاولى وهى قلنسوة محددة الطرف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب انما هى من الالفاظ المستعملة فى العراق وقد استعملها شعراؤهم قال ابن لنكك

نفسى تقيك أبا الهند ام يا أملى * انى بكل الذى ترضاه لى راضى
ما كان أيسرنى فيها اذ ظفرت به * فكيف ألبسته دنية القاضى

فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار وهزة الموسر بعد الاعسار (قال الراوى) وكنت عرفت انه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن افتنانه واثمار أفنانه ثم أشفقت من عثور القاضى على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يرشحه لاحسانه فأحجمت عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطى السجل للكتاب الا أنى قلت بعد ما فصل ووصل الى ما وصل لو أن لنا من ينطلق فى أثره لاتانا بنص خبره وبما ينشر من حبره فأتبعه القاضى أحد أعوانه وأمره بالتجسس عن أنبائه فما لبث أن رجع متدهدها وقهقر مقهقها فقال له القاضى مهيم يا أبا هريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ الى طربا فقال له ماذا رأيت وما الذى وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بمل شدقيه ويقول

كدت أصلى ببليه
من وقاح شمريه
وأزور السجن لولا
حاكم الاسكندريه

فضحك القاضى حتى هوت دنيته

وقال الصابى وفوقه دنيـة * تذهب طورا وتجى

(زوت) زالت وخفيت (سكينته) وقاره وأصل زوى فى الشئ الذى فيه بلل وندوة فيجف بلله فاستعاره للسكينة (فاء) رجع (وعقب) اتبع (الاستغراب) كثرة الضحك حتى تدمع العينان أراد انه اتبع ضحكه (الاستغفار) ليكون كفارة له وهذا الذى حكى عن القاضى يحكى مثاله عن الحجاج يقال انه كان استغرب ضحكا فوالى من الاستغفار وقال عبد الله بن مسعود فى كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الا غفر له الاولى قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الآية والثانية قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه الآية قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه من قال أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه خمس مرات غفر له ولو فر من الزحف * شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى وأنا عبدك (٢) أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وذنوبى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وأصل غفر واستغفر غطى قال قطرب اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى غطها من قول العرب غفرت المتاع فى الوعاء اغفره غفرا أى غطيته ثعلب غفر الرجل فى مرضه يغفر غفرا أى نكس فكأن المرض غطى عليه وقال الاصمعى رحمه الله اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى استرها علينا ومنه اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ أى أستر وهذه معان متقاربة (قوله على آبه) أى جئنى به (مجدا) مجتهدا فى طلبه (لآيه) ابطائه (نأيه) بعده (الحذر) الخوف (أوليته) بمعنى وليته وأعطيته (أولى) أحق يريد انه لو رجع اليه كان يصله فى المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أول مرة (قوله صغو) أى ميل (فوت) ذهاب (التنبيه) الاعلام (غشيتنى) غطتنى ولحقتنى (أبان) طلق (النوار) بنت عم الفرزدق وزوجه (استبان) تبين وقال الشاعر

لو أن صدور الامر يبرز للفتى * كما عقبا به لم تلفه يتندم

والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صعصعة دارمى من أشراف تميم والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه والفرزدق قطع العجين وقيل الرغيف الضخم * وخبره مع النوار بنت أعين المحاسبى أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم فبعثت الى الفرزدق أن يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشأم من هو أقرب اليك منى ولاء وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك على فأشهدى انك جعلت أمرك الى فجعلت له أمرها أن يزوجها ممن يرى وأشهدت له بذلك فقال لها أرسلى الى القوم أزوجك من خطبك فلما غص مسجد بنى مجاشع ببنى تميم جاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار ولتنى أمرها وأشهدكم انى قد زوجتها من نفسى فنشزت عليه ونافرته من البصرة الى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعياها أمراء البصرة أن يطلقوها منه وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره فلم يقدر أحد على حملها حتى تحمل قوم من بنى عدى يقال لهم بنو بشير الى مكة فصحبتهم النوار فقال الفرزدق

وقد سخطت منى النوار الذى ارتضى * به قبلها الازواج خاب رحيلها
أطاعت بنى أم البشير فأصبحت * على شارف ورقاء صعب ذلولها
وان امرأ يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستقيلها

وزوت سكينته فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسى على المتأدبين ثم قال لذلك الامين على به فانطلق مجدا فى طلبه ثم عاد بعد لأيه مخبرا بنأيه فقال له القاضى أما انه لو حضر لكفى الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الاولى (قال الحرث بن همام) فلما رأيت صغو القاضى اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتنى ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعى لما استبان النهار

(ترجمة الفرزدق)

(٢) قوله اصبحت على عهدك الخ كذا بالاصل ولعله رواية ولا تخفى الرواية المشهورة اه مصححه

ومن دون أخوال الاسود بسالة * وبسطة أيد يمنع الضيم طولها
وان أمير المؤمنين لعالم * بنا وبما وصى العباد رسولها

ثم ارتحل فى اثرها حتى وصلا مكة فنزلت النوار على بنت منظور بن زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ونزل الفرزدق على ابنه حمزة وقال

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتى * ان المنوه باسمه الموثوق
بأبى عمارة خير من وطئ الحصا * وجرت له فى الصالحين عروق
بين الحوارى الاغر وهاشم * ثم الخليفة بعد والصديق

فكان كل ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهارا أفسدته بنت منظور ليلا حتى غلبت النوار وقضى ابن الزبير عليه فقال

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره توقف فى أمره فلقيه يوما بباب المسجد فضمه الى الحائط حتى كادت تزهق نفس الفرزدق وكان ابن الزبير فى غاية من القوة ثم هزه وتركه خائفا ثم دخل على النوار فقال لها اما أن تتمى زواج ابن عمك والا قتلته وأرحت المسلمين من شر لسانه فقالت له ولا بد أن تقتله قال ولا بد فعطفها عليه رحم القرابة وقالت لا والله لا أدعه للقتل قد رضيته فتزوجها فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم فسأل هل بمكة أحد يعينه فدل على سلم بن زياد وكان ابن الزبير قد حبسه فقال

دعى مغلق الابواب دون فعالهم * ومرّى بمسرى فى هبيب الى سلم
الى من يرى المعروف سهلا سبيله * ويفعل أفعال الكرام التى تنمى

ثم دخل على سلم وأنشده القصيدة فقال هى لك ومثلها لنفقتك فقبض عشرين ألفا فدفع مهرها فدخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان فى محمل وكانت أبدا تخالفه وتسبه لانها كانت صالحة الدين وكان هو ردىء الدين زانيا قاذفا للمحصنات فكانت تكرهه * ومن ملح أخبارها أنه راودا مرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه فتهددها بالهجاء فاستعانت بالنوار فقالت واعديه ليلة ثم اعلميني ففعلت وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المرأة فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية فأطفأت السراج وبادرت الحجلة والنوار فيها وهو لا يشك انها صاحبة الدار فواقعها فلما فرغ قالت له يا عدو الله يا فاسق فعرفها وعلم انه قد خدع فقال لها وأنت هى يا سبحان الله ما أطيبك حراما وأبردك حلالا فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها فحدث أبو معقل راويته قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت انى أخاف ان تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه قال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد قال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال لتعلمن أن النوار طالق منى ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا فقال الفرزدق يا هذا ان فى قلبى من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى * لاصبح لى على القدر اختيار
وكنت كفاقئ عينيه عمدا * فأصبح مايضىء له نهار

وتوفى سنة عشر ومائة وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن فقالت امرأة بصرية كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه وأضافت جريرا الى البصرة لكثرة قدومه اليها ومسكنه باليمامة واخباره تطول وانما ذكرنا منها ماتعلق بالنوار معه * وأما الكسعى فرجل منسوب الى كسع قبيلة باليمن واسمه محارب بن قيس وبندامته يضرب المثل يقال اندم من الكسعى وقيل انه من بنى سعد بن ذبيان وقيل اسمه عامر بن الحرث ومن حديثه أنه كان يرعى ابلا بوادكثير العشب والخمط فبينما هو يرعاها بصر بنبعة على صخرة فقال ينبغى أن تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويقومها حتى أدركت فقطعها فلما جفت اتخذ منها قوسا وأنشأ يقول

(*ترجمة الكسعى*)

يارب وفقنى لنحت قوسى * فانها من لذتى لنفسى
وانفع بقوسى ولدى وعرسى * انحتها صفراء مثل الورس
* صلداء ليست كالقسى النكس *

ثم دهنها وخطمها بوتر واتخذ من برايتها خمسة أسهم وجعل يقلبها فى كفه وينشد

هن وربى أسهم حسان * يلذ للرامى بها البنان
كأنما قومهن ميزان * فابشروا بالخصب ياصبيان
* ان لم يعقنى الشؤم والحرمان *

ثم أتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمر به قطيع فرمى عيرا منها بسهم فأخطأه أى نفذه وجازه وأصاب الجبل فأورى نارا فظن أنه أخطأه فأنشأ يقول

أعوذ بالله العزيز الرحمن * من نكد الجد معا والحرمان
مالى رأيت السهم بين الصوان * يورى شرارا مثل لون العقيان
* فأخلف اليوم رجاء الصبيان *

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأخطأه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

لابارك الرحمن فى رمى القتر * أعوذ بالخالق من شر القدر
أأخطأ السهم لارهاق الضرر * أم ذاك من سوء احتيال ونظر
* أم ليس يغنى حذر عند قدر *

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأخطأه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

مابال سهمى يوقد الحباحبا * قد كنت أرجو أن يكون صائبا
فأخطأ العير وولى جانبا * فصار رأيى فيه رأيا خائبا

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فأخطأه السهم وصنع ماصنع أولا فأنشأ يقول

ياأسفا للشؤم والجد النكد * فى قوس صدق لم تزين بأود
أخلف ماأرجو لأهل وولد * فيها ولم يغن الحذار والجلد
* نجاب ظن الاهل جمعا والولد *

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فاخطه السهم وصنع كما صنع أولا فأنشأ يقول

أبعد خمس قد حفظت عدّها * احمل قوسى وأريد ردّها
أخزى الاله لينها وشدّها * والله لا تسلم منى بعدها
* ولا أرجى ما حييت رفدها *

ثم أخذ القوس فكسرها على حجر وبات فلما أصبح أبصر الاعيار الخمسة مطروحة حوله فأسف وندم على كسر القوس وعض على ابهامه فقطعها تلهفا وأنشأ يقول

ندمت ندامة لو أنّ نفسى * تطاوعنى اذا لقطعت خمسى
تبين لى سفاه الرأى منى * لعمر أبيك حين كسرت قوسى

(شرح المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية)

(هتف بى) أى دعانى يقال هتف بى هتفا وهتافا دعاه وهتفت الحمامة مدّت صوتها و (الشوق) تحرك الحب يريد أنّ شوقه الى الرحبة هيج عليه حتى سار اليها وجعل له داعيا مجازا (والرحبة) مدينة شهيرة من عمالة الفرات بناها مالك بن طوق ولها نسبت اليه واليها تنسب الثياب الرحبية وتعرف برحبة الشأم وهى على يسار الطريق هى والرقة فى استقبال الفرات جائيا من حران وهى فى آخر ديار ربيعة وأول بلاد الشأم والفرات بين ديار ربيعة والشأم فاذا عبرته صرت فى حد الشام و (مالك) كنيته أبو كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب وقال حبيب يمدحه ويذكر الرحبة

يا مال قد علمت ربيعة أنه * ما كان مثلك فى الاراقم أرقم
طالت يدى لما رأيتك سالما * وأنيخ عن خدّى ذا الذّ العظلم
وشممت ترب الرحبة العبق الثرا * وشفى صداى البحر منها الخضرم
كم حلّ فى اكنافها من معدم * أمسى بها يأوى اليه المعدم

وقال فيه رآه فى النوم عتاب فقال لها * ذوو الفراسة هذا صفوة الكرم
فجاء والنسب الوضاح جاءبه * كأنه بهمة فيه من البهم
طعان عمرو بن كلثوم ونابله * انّ السيور التى قدّت من الادم
لو كان يأمل عمرو مثله خلفا * من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا فى اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم وأين هذا من قول دعبل يهجوه

الناس كلهم يعدو لحاجته * ما بين ذى فرح منه ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته * يروم منها بناء غير مهدوم
يبنى بيوتا خرابا لا أنيس بها * ما بين طوق الى عمرو بن كلثوم

وكان ملكا شجاعا جوادا ممدوحا أميرا على الجزيرة مسكن قومه بنى ثعلب (قوله لبيته) أى أجبته (ممتطيا) راكبا (شملة) ناقة سريعة (منتضيا) مجردا (عزمة مشمعلة) أى عزمة سريعة لا توانى فيها (المراسى) هى محابس السفينة (امراسى) حبالى يريد أنه استعد للاقامة وترك السفر وضرب لذلك المثل بالقاء المراسى وشدة الامراس (برزت) خرجت وظهرت (سبت) حلق وقى

(المقامة العاشرة الرحبية) (حكى الحرث بن همام) قال هتف بى داعى الشوق الى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسى وشددت أمراسى وبرزت من الحمام بعد سبت راسى

دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤسهم (أفرغ) وضع ليصنع و (القالب) الذى تطبع فيه الدراهم ودرهم مفرغ اذا أذيبت فضته وصبت فى قالبه فيريد أن هذا الغلام لافراط حسنه أفرغ فى قالب الجمال * ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ونضيف الى ذلك ما قيل فى الغلمان من الاشعار الحسان مما يليق بهذا المكان وندعها من كل مقامة يقع فيها ذكر الغلمان قال ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتصمغ بالطيب كما تضرب فى بيضة الادحى وقال أعرابى

وما تطيبت من صفراء خالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب

وقال آخر

كان لون البيض فى الادحى * لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تصمغ بالجادى وهو الزعفران وصفرة النعمة لا تبلغ صفرته وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراره

العرار البهار وقال الحريرى فى الدرة فأما قولهم فى الحسن أحمر فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا السنة الحمراء للمجدبة وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر وأما قوله

هيجان عليها احمرة فى بياضها * تروق لها العينان والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجميل وهو الشحم والمليحة البيضاء من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا تخجل يحمر واذا افرق يصفر ومنه قولهم دياج الوجه يريدون تلونه من رقته وقال عدى بن زيد فى تلون الوجه

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حال حائك ديباجا

(وقال ابن عبد ربه فى ذلك)

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا يقطع القلوب رقيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأعاد معنى *درا يعود من الحياء عقيقا* فى بيت آخر فقال وأحسن

كم سوسن لطف الحياء بلونه * فأصاره ورداً على وجناته

قالت امرأة خالد بن صفوان لخالد لقد أصبحت جميلا قال وكيف دالك وما فى رداء الحسن ولا عموده ولا برنسه قالت وما ذاك قال عموده الشطاط ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وقالوا الحلاوة فى العينين والجمال فى الانف والحسن فى الوجه والملاحة فى الفم وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام والمدار على العقل

ذكر الحسن والجمال وما قيل فى الغلمان الحسان

رأيت غلاما أفرغ فى قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال

الشطاط كسحاب وكتاب الطول وحسن القوام أو اعتداله قاله المجد اه مصححه

وقال علي بن عبيدة الريحاني الحسن تناسب الصورة وزينته اعتدال الحركة ثم ما لا يحسن اللسان الترجمة عنه من خفة الروح والقبول وسئل عن اختياره من الحسن فقال أما ما يمكن نعته فخلتان وثلاثة بينهما ليست من صفة اللسان تعجبني صورة أكثر نعتها الملاحة وبراعة بفصاحة والخلة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس وملهبة الشوق وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل فهذه زبدة هذا الباب وأحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وتضييق وتحلية وترويق وأطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة ومزاج معتدل وثغر رقيق قال امرؤ القيس ألم تريا نى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

ويحكى ان سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقبا لئلا يشغله بحسنه عن تعليمه ومعنى سيبويه بالفارسية رائحة التفاح وكان يقال انه أطيب الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه فكان اذا استأذن عليه سيبويه يقول مرحبا بزائر لا يمل وكان أبو حاتم السجستاني يختم القرآن في كل أسبوع ويتصدق كل يوم بدينار ومع هذا الفضل كان يميل بحبه الى أبي العباس المبرد وكان أبو العباس يلزم حلقته وهو غلام وسيم فقال فيه

ماذا لقيت اليوم من * متمجن خنث الكلام
وقف الجمال بوجهه * فسمت له حدق الانام
حركاته وسكونه * يجنى بها ثمر الاثام
فاذا خلوت بمثله * وعزمت فيه على اغترام
لم أعد أفعال العفا * ف وذاك أكد للغرام
نفسي فداؤك يا أبا * العباس يا جلّ اعتصام
فارحم أخاك فانه * نزر الكرى بادي السقام
وأنله مادون الخنا * م فليس يرغب في الحرام

والولوع في الجمال سجية ركبها الله في الاولياء وأكابر العلماء فمن دونهم من السوقة والغوغاء وعلى قدر ذكاء الارض يطيب زرعها وعلى قدر طيب التربة يطيب نبعها فنها العذب والاجاج وما بينهما وعلى قدر شرف النفس يكون حبها فمنه المستحسن ومنه المستقبح

وكل اناء بالذي فيه ينضح وفي كتاب الوشاح العشق اذا تزين بالعفاف فهو معنى شريف ويتلو قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فمن اتقى الله فهو خليل وذهبت طائفة من المتكلمين البغداديين الى أن الله تعالى انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهونه وليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله تعالى لانه لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج اليهم ورازقهم مبتدئ المنن عليهم فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة لسواه كان هو تعالى أولى ان يتبع رضاه قالوا ولا ينبغي للعاقل ولا للجاهل أن ينكر علاقة شخص بشخص وحنين شكل الى شكل ومؤالفة الف الى الف فالقلوب صافية قابلة والعيون اليها ناقلة وقالوا لا عاشق على الاغلب الا موفور النعماء مكفي كد المعيشة لانه من فراغ نفسه ورقة حاشيته وقد قيل ان جميلا وبثينة لو قعدا يلتمسان دون غداء وعشاء لبرق كل واحد منهما في وجه صاحبه *ومن شرط المعشوق أن يكون ممن يؤيس ويطمع ويستتر ويلمع ويبدو ويحجب

ويلين ويصعب ويرضى ويسخط ويقرب ويشحط كما قال أبو الطيب

وأحلى الهوى ماشك في الوصل ربه * وفي الهجر فيه والدهر يرجو ويتقى

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى * مجال لدمع المقلة المترقرق

والحسن أول سعادة المرء ورائد اليمن وسائق النجح لان الله تعالى بلطف الحكمة وبشرف الابداع والصنعة لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الا عن فضل الاحتفاء ولم يطابقها من الاخلاق الا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء وقلما تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا يطرد وأصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله بياقط الا وقد بهر أهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته لاول وهلة رأيته أحسنهم صورة وأتقنهم بنية فهو أولى مرتبة وأعلى منقبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق وورد عليه وفد عبد القيس وفيه غلام وضيء الوجه فأقعده وراء ظهره وقال انما أتى أخي داود من النظر وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام وكانه يصف الفتى الذي ذكره الحريري

يامن تسربل بالملاحة وارتدى . فعليه تعتكف العيون اذا بدا

فيرى هلالا زاهرا ويرى قضيبا ناضرا ويرى كثيبا أملدا

فاذا نهضت ترجرجا واذا سفر * ت تبلجا واذا مشيت تأودا

فترى الجبين كتاج ملك زانه * درّ تراه مذ رقا ومنضدا

ويجول ذاك الرشح في أقطاره * كاليا قوت جرى به قطر الندا

الوجه فضي أحاط بوجنتي . ذهب فأنبت عارضين زبرجدا

وفم عقيق تضمن لؤلؤا . رطبا ونظم فوق ذاك زمردا

(ولابي اسحق الخفاجي)

وأغيد أهدى نرجسا من محاجر . وثنى فأبدى سوسنا من سوالف

وقد ماج في عطفيه ماء شبيبة . يعب ولا أمواج غير الروادف

تطلع مثل الرمح بسطة قامة . وفتكة الحاظ وان معاطف

ولابن وكيع يامن اذا لاحت محاسن وجهه * غفرت بدائعها جميع ذنوبه

ان كان في تعذيب قلبي راحة . لك فاجتهد بالله في تعذيبه

(ولابي اسحق الخفاجي)

يارب وضاح الجبين كأنما * رسم العذار بصفحتيه كتاب

تغرى بطلعته العيون ملاحة * وتبيت تعشق عقله الالباب

جعلت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السحاب نقاب

ولابي نواس أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان فهو حبيب

يعد علي الواشيان ذنوبه * ومن أين للوجه الجميل ذنوب

(ولابي اسحق الخفاجي)

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دوني ولي دونها السكر

ترقرق ماء مقلتاى ووجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر
أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر أياقبلها منهما السحر
وطبنا معا ثغرا وشعرا كانما * له منطق ثغر ولى ثغره شعر

(قوله وقد اعتلق شيخ بردنه) أى تعلق بكمه واطراف ثوبه (فتك) قتل والفتك ان تأتى رجلا آمنا منك وتقتله أو تمكن له فى موضع لا يعرف بك فاذا أتاك قتلته ثم سمى من هجم على الامور العظام فاتكا فاذا أدخلت رجلا منزلك أو وضعا لا مغيث له فيه فقتلته فذلك الغيلة فان كان رجلا يخافك فأمنته وآنسته حتى امنك ثم قتلته فذلك الغدر (عرفته) معرفته (يكبر) يراه أمرا كبيرا (قرفته) تهمته وقد قرفته بذنب اذا حملته عليه واتهمته به وشبه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار (اشتطاط اللدد) اشتداد الخصام (التنافر) التحاكم (يزن بالهنات) يتهم بالقبائح والهنات الدواهى والهن والهنة من الكنايات العامة التى يكنى بها عن كل شئ ولا يقتصر بها على شئ دون شئ (قوله ويغلب حب البنين على البنات) * نذكر هنا من الولاة المتهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع قال أهل الاخبار ان القاضى يحيى بن أكثم كان مشتهرا بحب الغلمان وان أهل البصرة رفعوا بأمره الى المأمون قبل اتصاله به وقالوا فيه انه قد أفسد أولادهم وظهرت منه الفواحش وانه القائل فى صفة الغلمان

أربعة تعشق ألحاظهم * فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنياه فى وجهه * منافق ليست له آخره
وآخر دنياه منقوصة * من خلفه آخرة وافره
وثالث فاز بكلتيهما * قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم * ليست له دنيا ولا آخره

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ونادمه فخرج معه فى يوم عيد وقد ركب الجند أملامه ويحيى يحادثه ويضاحكه فنظر الى غلام أمرد من أولاد الجند فى غاية الفراهة عليه ثوب حرير أخضر ودرع موشاة مزررة بالذهب فالتفت الى يحيى وقال له ما تقول فى هذه البضاعة فقال يا أمير المؤمنين ان هذا القبيح من امام مثلك مع فقيه مثلى قال فمن الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناة ولا * يرى على من يلوط من باس
قال من عليه لعنة الله وغضبه ابن أبى نعيم الذى يقول
أمير نا يرتشى وحاكمنا * يلوط والشر بيننا راسى

قاض يرى الحد البيت وبعده

لا أحسب الموت ينقضى وعلى * لا مة وال لآل عباس

قال وصحيح هذا قال نعم قال ينتفى الى السند وانما مازحناك ثم قال المأمون فى الغلام

أيها الراكب ثوبا * من حرير وحديد
جئت للعيد وفى وجهك للاعين عيد
أنت جندى ولكن * فيك للحسن جنود

وقد اعتلق شيخ بردنه يدعى أنه قتل ابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخبار والاشرار الى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والى البلد وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى

(وفى يحيى يقول ابن أبى نعيم)

باليت يحيى لم تلده أكمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاضى البلاد نعله * أى دواة لم يلقها قلمه
وأى بحر لم يلجه أرقه

وهذا كقول الآخر * يدخل الافعى الى جحر الاسد * ويحيى خراسانى من مرو وبلغ من تحكمه على المأمون ان فرض لاربعمائة غلام مرد واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه فقال راشد بن اسحق

خليلى انظرا متعجبين * لاظرف منظرا تقلاه عينى
لفرض ليس يقبل فيه الا * أسيل الخد حلو المقلتين
يقودهم الى الهيجاء قاض * شديد الطعن بالرمح الرديني
اذا شهد الوغى منهم غلام * تجدل للجبين وللیدين
وبات الشيخ منحنيا عليه * وصدغاه تحاذى الركبتين

وقال فيه

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وكان القاضى أبو القاسم على بن محمد التنوخى مولعا بالغلمان وكان له غلام اسمه نسيم فى نهاية من الحسن وكان يؤثره على سائر غلمانه ويخصه بتقريبه واستخدانه فكتب اليه بعض من يأنس به

هل على لامه مدغمة * لاضطرار الشعر فى ميم نسيم

فوقع تحت البيت نعم ولم لا وسنذكر من شعره فى هذه المقامة ما يستملح وممن كان يميل الى الغلمان من الامراء أبو العشائر الهمذانى الذى يقول فيه المتنبى

فيا بحر البحور ولا أورى * ويا ملك الملوك ولا أحاشى
كأنك ناظر فى كل قلب * فما يخفى عليك محل غاش

(قال بعض الرواة) دخلت على أبى العشائر أعوده من علة فقلت ما يجد الامير فاشار الى غلام قائم بين يديه كأن رضوان قد غفل عنه فأبق من الجنة ثم أنشأ يقول

أسقم هذا الغلام جسمى * بما بعينيه من سقام
فتور عينيه من دلال * أهدى فتورا الى عظامى
وامتزجت روحه بروحى * كما تزاج الماء بالمدام

(ولابى العشائر)

سطا علينا رشا حاز الجمال سطا * ظبى من الجنة الفردوس قد هبطا
له عذار ان قد خطا بوجنته * فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فقال الكل من شغف * يا ليته فى سواد الناظرين خطا

ومع هذا الميل كان نزيه النفس رفيع الهمة سليم الناحية وكان فى الجود غاية وفى الشجاعة نهاية وفى الشعر آية واذا كان المتنبى الذى هو أشعر الناس عند الاكثر يقول جبن عوتب فى آخر أيامه على فتور شعره قد تجوزت فى شعرى وأعفيت طبعى واغتنمت الراحة مذ فارقت آل حمدان

ومنهم الذى يقول يعنى أبا العشائر

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفى * والخيل من تحت الاسنة تنحط
لم رأت منها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

فهكذا تستعار المعانى البديعة فى الالفاظ الرفيعة فما ظنك بمن يثنى عليه المتنبى هذا الثناء

*وممن وصف غلاما فأحسن الامير تميم بن المعز صاحب مصر حيث قال

وبات ضجيعى منه أهيف ناعم * وأدعج وسنان وألعس أشنب
كان الدجى من لون صدغيه طالع * وشمس الضحى فى صحن خديه تغرب

وقال أيضا ياليلة بات فيها البدر معتنق * وكانت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

وقال أيضا

ورد الخدود أرق من * ورد الرياض وأنعم
هذا تشققه الانو * ف وذا يقبله الفم
فاذا عدلت فأفضل الـ ـورد ين ورد يلثم

(قوله ندوته) أى مجلسه و(السليك) هو ابن السلكة معروف بامه وكانت أمه سوداء شديدة السواد وكان هو اسود وأبو عمرو بن سنان بن عمير بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم السعدى التميمى وكان يسبق الخيل على رجليه وكان من العدائين ومن رجلى العرب وهم الذين يسعون على أقدامهم و يسبقون الخيل فيستغنون بأرجلهم عنها وكان من أشجع الناس وكان لا يغير الا وحده وكان يقال له الربال وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معديكرب فقال أى العرب كان أبغض لك أن تلقاه فقال أما من معد فعدى بن فزارة ومرة بن ذبيان وكلاب ابن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والاراقم من تغلب ثم لو جلت بفرسى على مياه سعد ما خفت هيبة أحد مالم يلقنى حراها أو عبداها فقال اما حراها فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث ابن شهاب وأما عبداها فعنترة الفوارس وسليك المقانب وأما عدوته المذكورة فيقال انه أحاط به عدوه فنازلوه عدة فيها أربع وعشرون خطوة وعدة أيضا فى نزوة للشنفرى احدى وعشرون خطوة و يقال فى المثل أعدى من الشنفرى وأعدى من السليك فأما الشنفرى فانه أغار على بجيلة مع تأبط شرا وعمرو بن براق فرصدتهم بجيلة على الماء فقال تأبط شرا ان بالماء رصدا فقالا ليس عليه أحد ولا بد من وروده فوردا الشنفرى ثم عمرو فقال تأبط شرا القوم انما يريدوننى فلذلك لم يعرضوا لكما واذا وردت أنا الماء فسيشدون على و يأسرونى فاذهب ياشنفرى كأنك تهرب وكن فى أصل ذلك القرن فاذا سمعتنى أقول خذوا خذوا فتعال فاطلقنى وقال لعمرو انى سآمر لك ان تستأسر لهم فلا تبعد ولا تمكنهم من نفسك ثم ورد الماء فشدوا عليه وكتفوه وفعلا ما أمرهما فقال تأبط شرا يامعشر بجيلة هل لكم فى أن تيسروا فداءنا ونستأسر لكم ابن براق قالوا نعم فقال ياعمرو هل لك أن تستأسر و يأسرونا فى الفداء قال حتى أروض نفسى شوطا أو شوطين فجرى الاول كالريح والثانى كالخيل ثم أراد أن يجرى ثالثا فجعل يقع و يقوم فشلا يطمعهم بذلك فقال لهم تأبط شرا خذوا خذوا فاسرعوا اليه بأجمعهم وهوى الشنفرى كالريح فقطع وثاقه ثم أحضر وا ثلاثتهم فنجوا فقال تأبط شرا من قصيدة

ندوته كالسليك

(ترجمة السليك بن السلكة)

ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم * بالعيكتين لدى عمرو بن براق
لاشئ أسرع منى غير ذى عذر * أوذى جناح بجنب البرد خفاق

فالثلاثة عداؤن والمثل مقصور على الشنفرى وأما السليك فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤا مجردين ليغيروا على تميم فقالوا ان علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما صاحفاه خرج يعص كأنه ظبى فطارداه يوما أجمع ثم قالا اذا كان الليل أعيا فنأخذه ووجدا أثر بوله قد خد فى الارض فقالا قاتله الله ما أشد متنه فتبعاه ليلتهما فلما أصبحا وجداه قد عثر باصل شجرة فندر منها كمكان قدمه وسقطت قوسه فى جريه فانحطمت فوجدا قطعة منها قد ارتزت بالارض فقالا ما بعد هذا شئ والله لا تبعناه بعد هذا ومر السليك الى أهله فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال

يكذبنى العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحى موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله * فوارس هماموا متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه آخرون فورد عليهم الجيش فاكتسحهم ومن شعر السليك يرثى فرسه وكان يقال لها النحام وأنشده المبرد فى باب التشبيه من الكامل

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتى أصلا خفاروا
علا قرماء غالية شواه * كان بياض غرته خمار
وما يدريك ما فقرى اليه * اذا ما القوم ولوا أو أغاروا
ويحضر فوق جهد الحصر نصا * يصيد لك نافلا والمخ زار

أى يصيد لك ونافلا ثانيا وارزاب من الهزال وحكاية السليك عن أبى عبيدة وحكاية الشنفرى عنه وعن الشيبانى وكلتاهما على اختصار ونزل على جماعة من كنانة ضيفا فأكرموه وجمعوا له ابلا كثيرة وأعطوه اياها وكان قد كبر وشاخ وذهبت قوته وانتقص عدوه فقالوا له ان رأيت أن ترينا ما بقى من عدوك قال نعم ابغونى أربعين شابا وأتونى بدرع ثقيلة عظيمة فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء عداتين فلبس سليك الدرع ثم قال للشبان الحقونى ثم عدا عدوا وسطا وعدا الشبان وراءه جهدهم فلم يلحقوه حتى غاب عنهم ثم كر راجعا حتى عاد الى القوم وحده يخطر والدرع عليه وسبق الشبان وخرج فى ليلة مقمرة يطلب الاغارة فغلب عليه النوم آخر الليل فبينما هو نائم ملتف بكساء جثم عليه رجل مثله شديد البأس عظيم القوة وأمسك على يديه ومنعه التحرك وجعل يلزه ويؤذيه ويقول له اسستأسر يا خبيث فاجتهد سليك حتى خلص احدى يديه فضم الرجل اليه ضمة وعصره عصرة فضرط فقال له أضرطا وأنت الاعلى فارسلها مثلا فلما تخلص منه قال له من أنت قال أنا رجل افتقرت فقلت لا خرجن ولا أرجع الى أهلى حتى آتيهم وأنا غنى فقال له السليك انطلق معى فانطلقا فوجدا ثالثا قصته قصتهما فاصطحبوا حتى أتوا واديا المراد فلما أشرفوا عليه اذا فيه نعم قد ملأ نواحيه من كثرته فقال لهما السليك كونا قريبا منى حتى آتى الرعاء فاعلم علم الحى أهو قريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت وان كان بعيدا أوحيت اليكما بقولى فأغيرا فاتى الرعاء فاستخبرهم عن الحى فاخبروه ببعد الحى وانهم ان طلبوا

لم يدركوا فقال للرعاء ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته فغنى

ياصاحبى ألا لاحى فى الوادى * سوى عبيد وآم بين أذواد
أتنظران قريبا ريث غفلتهم * أم تغدوان فان الريح للغادى

فلما سمع ذلك أتياه وطردوا الابل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحى حتى فاتوا بالابل قال ابن الاعرابى آم مقلوب أيم وهم العزاب جمع أمة وكان السليك من أدل الناس بالارض واعلمهم بمسالكها وكان يستودع الماء بيض النعام فى الشتاء ويدفنه فى المفاوز العظيمة فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار على ربيعة وشرب من ذلك الماء وكان يقول اللهم انى أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة (قوله عدوته) العدوة بالكسر الحالة وبالفتح المرة الواحدة فيريد الحريرى أن اسراعهما الى الوالى كان كعدوة السليك (واستدعى عدواه) أى طلب اغاثته وأعداه الحاكم اغاثه (استنطق) أمره أن ينطق وقد بين سر هذا الاستنطاق فى الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام قال ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة فى علمه بل لأنظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته وكذلك لم يرد الوالى أن يستنطقه ليقول حجته بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته وقد ذكرنا ان فائدة الحسن انما تدور على اللسان وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب بابراهيم بن سيار النظام الذى هو امام فى علم الكلام الى علاقة غلام وذلك أنه لقى غلاما جميل الوجه مقبول الصورة فاستحسنه وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة فقال له ياغلام انه لولا ماسبق من قول الحكماء لما جعلوا السبيل لمثلى الى مثلك بقولهم لا ينبغى لاحد أن يصغر عن أن يقول ولا أن يكبر عن أن يقال له لما أنست الى مخاطبتك ولا انشرح صدرى الى محادثتك لكنه سبب الاخاء وعقد المودة ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان فقال له الغلام وهو لا يعرفه ائن قلت ذلك أيها الرجل لقد قال استاذنا ابراهيم بن سيار النظام الطباع تجاذب ماشاكلها بالمجانسة وتميل الى ما قارنها بالموافقة وكيانى مائل الى كيانك بكليتى ولو كان الذى أنطوى عليه لك عرضا لم أعتد به ودا ولكنه جوهر جسمى فبقاؤه ببقاء النفس وعدمه بعدمها وأقول كما قال الهذلى

فتبينى أنى بكم كلف * ثم اصنعى ماشئت عن علم

فقال له النظام انما كلمتك بما سمعت وأنت عندى حسن الصورة غلام ولولا أن محلك محل مقيم وأصحابه فى الجدل ما تعرضت لك ثم اعتلقه النظام بعد وقال فيه جريا على عمله

توهمه طرفى فآلم خده * فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه كفى فآلم كفه * فمن لمس كفى فى أنامله عقر
ومر بفكرى خاطرا فجرحته * ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

وقال فيه أيضا

واذا تأمل فى الزجاجة ظله * جرحته لحظة مقلة الظل

وقال فيه أيضا

أفرغ من نور سماوى * مصور فى جسم انسى
وافتقر الحسن الى حسنه * فجل عن تحديد كيفى

وقال فيه

يامشرقا ملأ العيو * ن فلحظها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى * حتى كأن الشمس ظل

فى عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بحماسن

أتريد قتلى عامدا * وكقتل مثلى مايحل

فصرف فى شعره من صناعته وأبدع فى تخيله ببراعته (قوله غرته) أى وجهه (طرّ) أى قطع وأذهب (تصفيف طرته) شعره المعتدل على جبهته (أفيكة أفالك) كذبة كذاب (سفلك) قتال (عضيهة) بهتان باطل (مغتال) قاتل الغيلة (استوف) استكمل (جدله) صرعه والقاه على الجدالة وهى الارض (خاسيا) متباعدا ممنوع الكلام كأنه قهره ومنعه أن يصيح عند قتله ولذلك لم يجد عليه شاهدا وأصله الهمز فسهله ليوافق (خاليا) ان أخذته من خسأت الكلب وان أخذته من خسى البصر اذا كل فلا تسهيل فيه ومعناه قريب من الاول أى انه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله (افاح دمه) بجاء مهملة أراقه قال أبو زيد فى نوادره أفحت دمه ففاح فيجا وفيحانا وأنشد

نحن قتلنا الملك الجحجاحا * ولم ندع لسارح مراحا * ولا ديارا أودما مفاحا

*وقال أبو حاتم أراد ودما مفاحا أى مهراقا (خاليا) بمعنى منفردا (أنى) بمعنى كيف (مشاهد) من شاهد حاله وحضر عليها (ولنى) مكنى (تلقينه) تفهيمه والقاءه عليه (يمين) يكذب (وجدلك) حزنك (المتهالك) الكثير النفاوت وتهالكت المرأة عليه تراخت عليه وتكاسلت قال الاعشى

تهالك حتى ينكر المرء عقله * وتسبى الحكيم ذا الحجى بالتغزل

(قوله والذى زين الجباه بالطرر) الى آخره انما ذكر صفات الحسن شيأ بعد شئ ليرى هذا الوالى كمال الغلام فيشتد حبه فيه فاذا ذكر صفة من صفاته نبه الوالى بذكرها على النظر اليها فوجدها كما يصف فهو الآن فى هذه اليمين يجلو بحاسن الغلام عليه (الطرر) جمع طرة وهو اعتدال الشعر على الجبهة والطرة عندهم أن يقطع للجارية من مقدم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها فيبقى ما بين شعر ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقيا والشعر عليها معتدل كطرة الثوب ثم تسمى الشعور الحسان طررا، أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن وعائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء يسبحون بذوائب النساء ويلعن الرجال فيقولون سبحان الذى زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها وقالوا الشعر الحسن يزيد الوجه حسنا وجمالا وقال ابن صارمة وكأنه وصف طرة هذا الغلام يصف بها أبا الفضل بن الاعلم وكان من أجمل الناس وأذكرهم فى علم النحو والادب وقرأ النحو قبل أن يلتحى فقال فيه

أكرم بجعفر النبيب شانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراح
لله راء زبرجدى عسجد * فى جوهرى كوثرى راح
ذى طرة سجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأله خد الثرى ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

*ونذكر بعد هذا الحور فى العينين وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل وكل ذلك عندهم

غرته وطر عقله تصفيف طرته فقال انها أفيكة أفالك على غير سفالك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالى للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين والا فاستوف منه اليمين فقال الشيخ انه جدله خاسيا وأفاح دمه خاليا فأنى لى شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولنى تلقينه اليمين ليمين لك أيصدق أم مين فقال له أنت المالك لذلك مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذى زين الجباه بالطرر والعيون بالحور

ممدوح وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر على انا لم نبعض ماقيل فى ذلك وأما مايزهد فيه من ذلك و يقل ذكره فى أشعارهم فالزرق على انه قد جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الزرق فى العينين يمن وقال معاوية لصفارى العبدى انك أحمر قال والذهب أحمر قال انك لازرق قال والبازى أزرق ولبعض أصحابنا

احبك أن قالوا بعينيك زرقة * كذلك عتاق الطير زرق عيونها

(وقال الصنوبرى)

قالوا به زرقة فقلت لهم * بذاك نعت خصاله البهجة
ما كحل العين مثل زرقتها * كم بين ياقوتة الى سبجه

وقال آخر

ما مثل ذا الظبى فى الطباء * الا أزرق الازرق القباء
يجول فى مقلتيه طرفى * فى زرقة الماء والسماء
يا آبى الشتر ما عليهم * من ذلك النور والبهاء
شقرة شعر على بياض * شعاع شمس على هواء

والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف

وكل هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الالوان ولسواد الالوان فى التاسعة فصل مستظرف فقف عليه واختلفوا فى الحور فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض بياض العين فى شدة سواد سوادها وقال أبو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التى ليس فى عينها بياض ولا يكون هذا فى الانس انما يكون فى الوحوش وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين أم كبرت واشتقاق حور يدل على صحة قول يعقوب وأبى عبيدة لانهم انما يوقعونه فى الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض ونحوه وقلما يتفق شدة بياض العين الا مع شدة سوادها الا ترى أن بياضها مع الزرق ليس هنالك فى النقاء وقال التنوخى التنوخى فى أحور

حور بعينيه أطال تحيرى * ترك الدموع بخدى المتعصفر
غصن تأود فوق غصن من نقا * ليل تبلج عن نهار مسفر
كالشمس الا أنه متنفس * عن مسكة متبسم عن جوهر

(والبلج) أن يكون ما بين الحاجبين نقيا من الشعر وهو من علامات السيادة عند العرب و يتمدح به و يتيمن بصاحبه و يتطير بمقترن الحاجبين و يقال أبلج وأبلد وهى البلجة والبلدة قال كثير

جميل المحيا أبلج الوجه واضح * حليم اذا مازلزلته الزلازل

(الفلج) أن يكون بين منابت الاسنان تباعد وقد فلج ثغره فلجا وهو مستحب فى الثغر قال وجيه الدولة وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافا ذكرها الحريرى رحمه الله هنا

اذا عدم الروض المنور ناظرى * أرانيه ظبى فاتر الطرف أدعج
فصدغاه ريحانى وعيناه نرجسى * ومن ثغره لى الحوان مفلج
و واحر بامن حسن ورد بخده * يطيف به من عارضيه بنفسج

(الجفون) اغطية العيون ثم تسمى العين جفنا مجازا و (السقم) فتور العين ومن حسن التشبيه

فى ذلك قول أبى نواس

فطب بحديث من نديم مساعد * وساقية بين المراهق والحلم
ضعيفة كرّ الطرف تحسب انها * قريبة عهد بالافاقة من سقم

وقال أيضا وشادن قال لى لما رأى سقمى * وضعف جسمى والدمع الذى انسجما
أخذت دمعك من لفظى وجسمك من * خصرى وسقمك من طرفى الذى سقما

(وقال ابن الرومى)

قلبى من الطرف السقيم سقيم * لو أنّ من أشكو اليه رحيم

(وقال ابن الرقاق)

ومقلة شادن أودت بجسمى * كان السقم لى ولها لباس
يسلّ اللحظ منها مشرفيا * لقتلى ثم يغمده النعاس

(ولابى العلاء بن زهر فى مثل ذلك)

ياراشقى بسهام مالها غرض * الا فؤادى ومامنها له عوض
وممرضى بجفون كلها سقم * صحت وفى طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يؤنسنى * فقد يسدّ مسدّ الجوهر العرض

بالشمم والخدود باللهب

(الشمم) ارتفاع فى لين الانف وهو من علامات الجمال والسودد قال الفرزدق

بكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

وقال آخر فى باعه طول وفى وجهه * نور وفى العرنين منه شمم

وقال النابغة * شمّ العرانين ضرّابون للهام * (اللهب) اشتعال النار بغير دخان فشبه الحمرة فى الخدّ وضياءه بحمرة النار وكنى به أو لهب لجماله وقال ابن وكيع جمع السقم واللهب

واحزنى من جفون ظبى * أقام عذرى بها عذاره
أسقم جسمى بسقم طرف * حيرنى فى الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه * يحرقنى دونه استعاره
هو اختيارى فابصروه * شاهد عقل الفتى اختياره

وله قريب منه كان صدغاله تراه * وهو على خده مدار
بيت من الحسن لى اليه * حج مدى الدهر واعتمار

ولابن الرقاق بابى من لم يدع لى لحظه * فى الهوى من رمق منذ رمق
جعلت نكهته فى ثغره * عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت خلته فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق

وقال الخفاجى يابانة تهتز فينانة * وروضة تنفح معطارا
كم دمع عين فيك قد أجريت * وقلب صبّ فيك قد طارا
كنى فسمى قوسه حاجبا * رمزا وسمى النبل أشفارا
فان رمى يجرحنى طرفه * لحظته أجرحه ثارا

فيصبغ الدر عقيقا به * وأصبغ الالوان أزهارا
يلوح للاعين من وجهه * كعبة حسن حيثما دارا
قد طبع الحسن به درهما * تسبك منه العين دينارا
قلبي به عين مجوسية * تعبد من وجنته نارا

غيره وأغيد تدمى وجنتاه من اللمح * تخلق الامن صدودى بالشح
غدا قاتلى ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(الثغور) جمع ثغر وهو السن * وتقدم الشنب فى الثانية وقال أبو العباس بن الاحنف فى طيب الفم

ذكرتك بالتفاح لما شممته * وبالراح لما أقبلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سوالفا * وبالراح طعما من مقبلك العذب

(وقال ديك الجن واسمه عبد السلام)

بابى فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادة لله خالصة * قبل العيان بأنه الرب

(وقال أحمد بن محمد الغسانى)

له مبسم برقه خاطف * عقول الرجال اذا ما ابتسم
أقول له اذ بدا درّه * شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدر تثقبه الناظمون * وما ثقبوا ذا فكيف انتظم

والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف انى ما قلت ابنك

(وقال أبو بكر البلوفى)

تقطف من ثغره ووجنته * أنامل الطرف زهرة بجما
شقيقها مذهبا يرى خجلا * والحوانا مفضضا شنبا

(وقال ابن بشر الكاتب)

ولم نزل والظلام حارسنا * جسمين مستودعين فى جسم
ألثمه فى الدجى وبرقنا * يريني مواقع اللثم
ثم افترقنا عند الصباح وقد * أثر فيه كهيئة الختم

(وقال الشريف الرضى)

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرق الى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يومض لى * مواقع اللثم فى داج من الظلم

وقال المتنبي حسان التثنى ينقش الوشى مثله * اذا مس فى أثوابهن النواعم
ويبسم عن درّ تقلدن مثله * كان التراقى وشحت بالمباسم

فهذه معان مختلفة فى أوصاف الثغر كلها احسان قوله (والبنان بالترف) أى الاصابع باللين والنعمة وأحسن ما قيل فى ذلك قول النابغة

بمخضب رخص كان بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

فهذا تشبيه بديع وقال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كانه * أساريع ظبى أو مساويك اسحل

وقال غيره
ياقبرا ابصرت فى مأتم * يندب شجوا بين أتراب
أبرزه المأتم لى كارها * من بين دايات رجحاب
تبكى فتلقى الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وقال عكاشة
سقيا لمنزلنا الذى كنا به * يوم الخميس عشية أصحابا
اذ نحن نسقاها شمولا قرقفا * تدع الصحيح بعقله مرتابا
من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طرفت عنابا
وكأن يمناها اذا ضربت بها * تلقى على يدها الشمال حسابا

وقال آخر
وحوراء اللواحظ بين قلبى * وبين جفونها حرب البسوس
ترى ماء النعيم يجول فيها * كمثل الخمر فى صافى الكؤس
كأن بنانها أقلام عاج * مرصعة الرؤس بالآبنوس

* ووصف الخصور بالهيف وهو الضمر والرقة وسنذكر معها ما يستظرف وقد تقدم قول ابن عبد ربه
يامن تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وقال ابن الرومى
وهبت له عينى النجوعا * فأثابها منه الدموعا
ظبى كأن بخصره * من ضمره ظمأ رجوعا

(وقال عبد الله بن عبد الله)
سلمى وما سلمى تفوق المنى * والحسن أوصافا وألوانا
وشاحها يحسد خلخالها * كجائع يحسد شبعانا

(وقال كشاجم فى دقلوبه)
مسلولة الكل غير بطن * مثقل فهى عنكبوت
حولها الدهر فى اضطراب * ووشحها كاظم صموت

وقال حبيب
مها الوحش الا أن هاتى أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل
من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

(أخذه القاضى بن ليال فقال)
جلوت لنا شمسا من الدرع عاطلا * بعيشك لم جنبته الجيد والنحرا
فقالت ولم تكذب خشيت سقوطه * وأومت الى فيها فنظمته ثغرا
كذلك ان عض السوار بمعصمى * وحاذرت أن يدميه حلته الخصرا

وأكثر ما يذكرون الخصر بالرقة مع ذكر الكفل بالعظم كما قال ديك الجن
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها * وردية ومدامة من ثغرها

(وقال القاضى أبو حفص بن عمر)
مشت كالغصن يثنيه النسيم * ويعدوه النسيم فيستقيم
لها ردف تعلق من ضعيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبنى اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وماحبى لها الاعذاب * عليه من نضارتها نعيم

(قوله سهوا) أى خطأ و(الهامة) الرأس (والافرمى الله جفنى بالعمش) انما ذكر العمش والنمش وما بعده لانها اضداد لما تقدم وعند الاشارة لها يتبين من الغلام عند الوالى اضدادها فيزداد حسنا * وبضدها تتبين الاشياء * والعمش انتشار شعر العينين و(النمش) أخفى من البرش (الجلح) الصلع وهو انحسار المشعر من النزعتين وفعله جلح الرجل واجلح كاسود و(الطلع) قد تقدم فى الثانية واذا علته خضرة سمى بلحاء (البهار) نرجس المغرب وهو أصفر والورد أحمر فدعاله بعلة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده و(البخار) كالبخر النتن و(المسكة) أطيب العطر فدعاله بتغير الرائحة وتقدم أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة وتقدم فى الثانية معنى قوله ووردتى بالبهار منظوما وقال الصابى فى أبخر

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة * فى العالمين لنتن فيه الفاسد
فكأن أهل الارض كلهم فسوا * متواطئين على اتفاق واحد

(وقالت جنان فى أبى نواس)

فاذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولا لا شكرا
فليكن ذا لك بالضمير فمن سبح بالنسو نال اثما ووزرا

وقال آخر

أهدى زريق قطه لقمة * قد لاكها فى فمه الابخر
فبادر القط الى دفنها * يحسبها من بعض ما قد خرى

(قوله وبدرى بالمحاق) المحاق أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شئ * واحتراق الفضة اسوادها (وشعاعى بالظلام) أى صباحة وجهه ووضاءته بسواد اللحية أى عاجانى الله بالالتحاء وير يد بهذا كله أن يكسو بياض وجهه سواد الشعر فيكسد ولا يلتفت اليه وقال ابن المعتز فى مثل هذا الدعاء

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * وليس لى فرج من طول هجرته
فاشف السقام الذى فى طرف مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسن الثغرى وهو من شعراء اليتيمة

لى حبيب يزهى بحسن عجيب * ويقد مثل القضيب الرطيب
أحدقت بالسواد فضة خديه فقد أحرقت سواد القلوب

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح به وذم قال ابن عبد ربه

(ذكر العذار والالتحاء)

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن ان سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(وقال ابن صارمة)

ومعذر رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال عبد المحسن الصورى)

ومعتذر العذار الى فؤادى * لجرم سابق من مقلتيه
وكم أعرضت عنه فأعرضت بى * عن الاعراض خضرة عارضيه

سهوا ولا عمدا ولا جعلت
ها تة لسيفى غمدا والافرمى
الله جفنى بالعمش وخدى
بالنمش وطرتى بالجلح وطلعى
بالبلج ووردتى بالبهار
ومسكتى بالبخار وبدرى
بالمحاق وفضتى بالاحتراق
وشعاعى بالاظلام

ولما قلت ان الشعر يسعى * لقلبي في الخلاص سعى عليه

(وقال أبو القاسم الزاهي)

لولا عذارك ما خلعت عذاري * ولكنت في وزر من الاوزار
ما كنت أحسب ان أعين أوأري * تخطيط ليل في بياض نهار
حتى نظرت الى عذارك فاغتدى * سقم القلوب ونزهة الابصار

وللمعتمد بن عباد تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
اخضر في أبيض تبدى * ذلك آسي وذا بهاري
اقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

(وقال ابن حمدون)

ظل على خده العذار * فافتضح الآس والبهار
وابيض هذا واسود هذا * واجتمع الليل والنهار
أغض عيني عنه لاني * عليه من مقلتي اغار

فهذا كله حسن في مدح العذار وان كان النذير بموت الجمال فاذا تقوى العذار واسود صاروا الى نعيه كما قال أبو بكر البلوى

انظر الى ميت ولكنه * خلو من الاكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده * بالشعر هذا آخر الباطل

وله في ضده لما التحى من قد هويت * وقلت رسم قد دثر
عاينت من طلابه * زهرا مواصله زمر
وكذلك أصحاب الحديث * نفاقهم عند الكبر

(وكما قال أبو الحسن بن الحاج)

أبا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت زهر الرياض * فاصبح ينبت شوك القتاد
أبن لي متى كان بدر السما * عيدك بالكون أو بالفساد
وهل كنت في الملك من عبد شمس * فاخفى عليك ظهور السواد

(وقال سعيد بن حميد في غلام التحى)

هلا وأنت بماء وجهك يستقي * روض الشباب قليل شعر العارض
فالآن حين بدت بخدك لحية * ذهبت بحسنك ملء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها * بعد اللذاذة مثل خل الحامض

(وقال علي بن بسام في أخيه جعفر)

يا من نعته الى الاخوان لحيته * ادبرت والدهر اقبال وادبار
قد كنت ممن يهش الناظرون له * تغض دونك أسماع وأبصار
أيام وجهك مصقول عوارضه * وللرياض على خديك أنوار
فيا لدهر مضى ما كان أحسنه * اذ أنت ممتنع والشرط دينار

حانت منيته فاسود عارضه * كما تسود بعد الميت الدار

(وفيه يقول أيضا)

حانت وفاتك ياأبا العباس * فدع المكاس فلات حين مكاس
مابال وجهك بعد كثرة نوره * قد سودوه بحالك الانفاس
أين الدنانير التي عودتها * هيهات جاء الشعر بالافلاس
كانت بخدشبابه ديباجة * فاستبدلت حلسا من الاحلاس
وكذا البناء فغير مرتفع اذا * كانت بليته من الاساس

(وقال مصعب الماجن)

قد صالحت أقطار خدك لحية * تركته وهو مسود الاقطار
فكأن خط الشعر في جنباته * ليل أقام على نجوم نهار

وكان لمحمد بن بشر بابان يدخل من الاكبر أصحابه ومن الاصغر أحبابه فجاء يوما غلام مليح وأراد الدخول من الاصغر على عادته فمنع فجعل يخاصم البواب لادلاله فبلغ ذلك ابن بشر فكتب اليه

قل لمن رام بجهل * مدخل الظبي الغرير
بعد أن علق في خديه مخلاة الشعير
ليته يدخل ان جا * ء من الباب الكبير

وقال ابن الابار

لست بصاب الى معذر * بل أنا في حبه معذر
لاأعشق الظبي ذا الجام * لانه في الظبا منكر
أحسن مافيه ان تراه * بين مهاة و بين جؤذر

ينظر قوله لانه في الظبا منكر الى قول حبيب

تعشقك الكاريدل عندي * على أن الرجى قلبت تفالا

وقال آخر

لي في أبي يحيى ومعشوقه * شغل على ذي شغل شاغل
ياليت شعري قول ذي حيرة * من منهما المفعول والفاعل

(وقال ابن حصين في محبوب صغير)

بأبي ظبي صغير السن حازت ثلث سني
سرني أن ليس يدري * مذهبي فيه وفني
فهو يدعوني عما * وأنا أدعوه بابني

(وللخابرزي)

قالوا عشقت صغيرا قلت أرتع في * روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعاني لاتباع هوى * لما تفتح فيه النور والزهر

(وقال النوخي في جسيم)

من أين استروجدي وهو منهتك * ما للمتيم في نيل الهوى درك
قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم * الشمس أعظم جسم ضمه الفلك

(وللفقيه ابن حزم)

وذى عذل فيمن سبانى حسنه * يطيل ملامى فى الهوى و يقول
أفى حسن وجه لاح لم ترغيره * ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت فى اللوم ظاهرا * وعندى ردّلو أردت طويل
ألم تر أنى ظاهرىّ وأننى * على مابدا حتى يقوم دليل

(وأحسن حبيب حين قال)

قال الوشاء بدا فى الخدّ عارضه * فقلت لا تنكروا ماذا لذ عائبه
الحسن منه على ما كنت أعهده * والشعر حرزله ممن يطالبه
أحلى وأعذب ما كانت شمائله * اذ لاح عارضه واخضرّ شاربه
وصار من كان يلحى فى مودّته * ان سيل عنى وعنه قال صاحبه

(وقال الحلوانى)

قالوا التحى فامتحت بالشعر بهجته * فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر
خطت يد الحسن فيه فوق وجنته * هذى محاسن يا أهل الهوى أخر

وله أيضا

لى حبيب اذا شكوت اليه * سامنى بالهوى عذابا شديدا
لست أدعو بالشعر غيظا عليه * خيفة أن يكون حسنا جديدا
غير أنى أدعو بقلب قريح * أن أراه مثلى محبا عميدا

ودواتى بالاقلام

وقال غيره

قد حلّ فى سوقة الكساد * مذلاح فى خدّه السواد
كأنما الشعر فيه زرع * والنقف منه له حصاد

وقوله (ودواتى بالاقلام) أى ابتلاه الله أن يلاط به قال الفنجديهى أنشدنى بعض الشعراء بمرو روزلبعضهم

دوادار الامير له دواة * كمثل الياسمين بغير صوف
يرى قلم الامير يغوص فيها * مغاص عصيدة فى حلق صوفى

ونقل لفظ الدواة والاقلام من قول ديك الجن وكان يهوى غلاما من حمص اسمه بكر فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر فقام بكر ليمشى فقال

دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر * اذا ما تجلى عن محاسنك الشعر
اذا ما انقضى سحر الذين ببابل * فأنت لنا سحر وريقك لى خمر
ولو قيل لى قم فادع أحسن من ترى * لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمنع فاحتال عليه قوم من حمص فاخرجوه الى متنزه فاسكروه وفسقوا به فبلغ ذلك ديك الجن فقال

يا بكر ما فعلت بك الارطام * يا دار ما فعلت بك الايام
فى الدار بعد بقية مستامة * أم ليس فيك بقية تستام
شغل الظلام كرائك فى أبوابهم * فتفرّعت لدواتك الاقلام

(وله فيه أيضا)

قولا لبكر بن مهدىّ اذا اعتكرت * عساكر الليل بين الطاس والجام

ألم أقل لك ان الكبر مهلكة * والبغى والعجب افساد لاقوام
قد كنت تفرق من سهم تعاينه * فصرت غير ذميم وقصة الرامى
قد كنت تفزع من لمس ومن قبل * وقد ذللت لاسراج والجام
ان تدم فخذانك من ركض فربما * أمسى وقلبى منك الموجع الدامى

قال أبو على بن رشيق كنت أوصى غلاما وضيئا كان يختلف الىّ واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه فأوقع به فأخبرت بذلك فقلت

ياسوء ماجاءت به الحال * ان كان ما قالوا كما قالوا
ماأحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

(وهذا من قول ابن المعتز)

مضى خالدوا لمال تسعون درهما * وآب ورأس المال ثلث الدراهم

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعقد التسعين والثلاثين فى اليد وقال ابن رشيق

سقطت ثنيته فاوجع قلبه * لسقوطها وجرى عليه عظيم
فاذا مررت به فسل فؤاده * عنها وقل صبرا كذلك الريم
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها * والسلك لاواه ولا مفصوم
أتعد يا خطب وهو مصوّن * أبدا بخاتم ربه مختوم

ويستحب لمن وسم بوسمة الجمال أن يكون شديد التصاون قليل التبذل فذلك أدعى للسلامة وقد قال ابن وكيع فى ذلك

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان وقلت الجود عادته * وانما عزّ لما عزّ مطلبه

فاذا تبذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ونبت عن محاسنه العيون لان النفس الحرة لاتنفك من غيرة وقد قال العباس بن الاحنف

ياقوم لم أهجركم لملالة * منى ولا لمقال واش حاسدا
لكننى جرّبتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحد

(وقال الوليد بن حزم)

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داويت دونك مهجتى فتماسكت * من بعد ما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وله أيضا

يقول وقد لمتنه فى الهوى * فلان وعرّضت شيأ قليلا
أتحسدنى قلت لا والذى * أحلك فى الحبّ مرعى وبيلا
وكيف وقد حلّ ذاك الازار * وقد سلك الناس تلك السبيلا

(وقال محمد بن السرى)

قايست بين جماله وفعاله * فاذا الملاحة بالخيانة لاتفى
والله لاكلمته ولو أنه * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

(وقال آخر)

أيا حسنا أزرت قبائح فعله * عليه كما أزرى الكسوف على البدر
لقد فقت كل الناس حسنا وزينة * ولكنما قبحت ذلك بالغدر

(وقال ابن عيينة)

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ * في حفظه عجب وفي تضييعك
ان تقتليه وتذهبي بفؤاده * فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

(قوله الاصطلاء) اى الاتصال والتلبس و(البلية) أراد دعوة الباطل التى ادّعى عليه الشيخ و(الايلاء) الحلف و(الالية) اليمين و(القود) قتل النفس بالنفس فيقول الصبر على الضرب او القتل أهون من هذه اليمين التى لم يحلف بها أحد (اخترعها) استنبطها (أمقر) أمرّ من المقر وهو الصبر وهذه اليمين المخترعة حكى الاصمعى شبهها فقال اختصم اعرابيان عند بعض الولاة فى دين فجعل المدّعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال المدّعى دعنى من هذه الأيمان واحلف بما أقول لك فقال وما قولك قال قل لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا وحتك من أهلك وولدك كما تحات الورق من الشجر ان كان بقى لى هذا الحق قبلك فأعطاه حقه ولم يحلفه وحكى المسعودى أنّ الفضل بن الربيع قال سار الى عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما أرادنى على بيعته فأخبرت الرشيد بذلك فجمع بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض بيعتنا ودولتنا فقال له موسى ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف لئلا يظهر منه الضحك ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا المشنع على خرج مع أخى محمد على جدك المنصور وهو القائل

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يا بنى الحسن

وليست سعايته حبالك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لناجميعا أهل البيت وأنا أستحلفه بيمين فان حلف بها انى قلت ذلك فدمى حلال لأمير المؤمنين فقال له الرشيد احلف له فامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت أنه قال ذلك قال فانى أحلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولى وقوتى ان لم يكن ما قلته حقا فحلف فقال موسى الله أكبر حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة وها أنا ذا بين يدى أمير المؤمنين فى قبضته فان مضت ثلاث ولم يحدث له حادث فدمى حلال لأمير المؤمنين قال الفضل فوالله ما صليت العصر فى ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من داره فدخلت عليه فوالله ما كدت أعرفه لانه صار كالزنج العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فعرفت الرشيد فى الحين فما انقضى كلامنا حتى عرفنا انه قد مات فبادرت بتجهيله وتوليت الصلاة عليه فلما وورى فى قبره انخسف به وخرجت رائحة مفرطة النتن ومرت احمال شول على الطريق فأمرت بها فطرحت فى قبره فانخسف ثانية فأمرت بألواح ساج فطرحت على قبره وألقى التراب عليها وانصرفت وأعلمت الرشيد فأكثر التعجب وأحضر موسى فأعطاه ألف دينار وقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس فقال أخبرت بالسند المتقدّم عن النبى صلى

فقال الغلام الاصطلاء بالبلية والايلاء بهذه الالية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد وأبى الشيخ الا تجريعه اليمين التى اخترعها وأمقر له جرعها

الله عليه وسلم أنه قال من حلف بيمين كاذبة مجدا الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته عجل الله له العقوبة قبل ثلاث (قوله التلاحى) السباب والتشاتم *على رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من لاحى الرجال سقطت مروأته وذهبت كرامته ومازال جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال كما ينهانى عن عبادة الاوثان وفى المثل من لاحالك فقد عادالك (يستعر) يتقد (محجة التراضى) أى طريق الرضا (تعر) تصعب و (فى ضمن تأبيه) أى فى أثناء كلامه وامتناعه (يخلب) يخدع ويأخذ قلبه (تلويه) انعطافه (يطمعه) يدعوه للطمع (يلبيه) يجيبه لمراده و (ران) غلب وغطى *أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب صقلت وان عاد زادت حتى تعظم فى قلبه فذلك الران قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم (ألب) أقام (لبه) عقله (سول) زين (الوجد) حرقة القلب (تيمه) عبده وذلله والمتيم المستعبد لهواه (توهمه) ظنه (يستخلصه) يختصه لنفسه (حبالة) آلة الصيد (يقتنصه) يصيده يقول ان هذا الغلام فى أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يطمع الوالى فى الانقياد له وانه اذا دعاه لما يريده منه أجابه وانما فعل هذا حين رأى ادامة نظر الوالى فى وجهه واستحسانه كلامه ولو فسر الوالى حال الغلام بمنظوم لانشد

يهدى لك الدر من لفظ ومبتسم * ضربان منتثر منه ومنظوم
يجنى الذنوب وأحنو أن أؤاخذه * من أجل ذلك قيل الحسن مرحوم

(ولا تنشد اذا غلب عليه هواه)

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محالك من قلبى لما أسفت * نفسى عليك فرفقا أيها القمر

هذه الابيات للوليد بن حزم وقد كرر معنى البيت الاخير فقال

أذكيت من قلبى بنأيك لوعة * حتى خشيت على محالك فيه

(ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر)

ولما رمانى بالسهام تعمدا * وفيها نصال الهجر حتى امتلا صدرى
فقلت له لا ترم قلبى فانه * مكانك والمرمى أنت ولا تدرى

وقال آخر

جعلتك فى قلبى فهل أنت عالم * بانك محمول وأنت مقيم
ألا ان شخصا فى فؤادى محله * وأشتاقه شخص على كريم

وقال التهامى

قلبى فداؤك وهو قلب لم يزل * تذكى شهاب الشوق فى أثنائه
جاورته شر الجوار وزرته * لما حللت فناءه بفنائه
حرق سوى قلبى ودعه فانى * أخشى عليك وأنت فى سودائه

وقال آخر

أودع فؤادى حرقا أودع * نفسك توذى أنت فى أضلعى
أمسك سهام اللحظ أو فارمها * أنت بما ترمى مصاب معى
موقعها القلب وأنت الذى * مسكنه فى ذلك الموضع

ولم يزل التلاحى بينهما يستعر ومحجة التراضى تعر والغلام فى ضمن تأبيه يخلب قلب الوالى بتلويه ويطمعه فى أن يلبيه الى أن ران هواه على قلبه وألب بلبه فسول له الوجد الذى تيمه والطمع الذى توهمه أن يخلص الغلام ويستخلصه وان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه

(قوله أليق) أى أشكل وأصقل (بالاقوى) بصاحب القوة *والذى هو أقرب للتقوى هو العفو لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى (أقتفيه) أتبعه (لا أقف لك فيه) أى لا أتوقف فيما تشير به (تقصر) تكف (عن القيل والقال) أى عن كل كلام (أجتبى) أجمع (عرضا) كل ما ليس فيه روح من الامتعة غير العين وهو ما ليس بنقد من السلع التى يتجر فيها من متاع ورقيق وغير ذلك (أتحمل) أضمن وفلان حميل بكذا أى ضامن له (اخلاف) كذب وعد (نقده) أعطاه نقدا (وزع) فرق (وزعته) شرطته الذين يكفون عنه الناس واحدهم وازع مثل كافر وكفرة وقد وزعته وزعا كففته وأيضا دفعته وقال الحسن البصرى رحمه الله لابد للسلطان من وزعة (الاصيل) العشى *وثوبه ضوء الشمس وهو فى ذلك الوقت رقيق (صوب) وقع وصاب السهم صوبا وصيبا وقع بالرمية وصاب السحاب الموضع أمطره و (التحصيل) ان يحصل بقية المال (راج) حضر وتيسر و يقال راج الشئ روجا فهو رائج اذا جاء سريعا (قرله انسان مقلتى) أى سواد عينى (يرعاه) يحفظه و ينظره (أعفى) أتى بالبقية والعفاوة بقية المرق فى القدر (تخلصت) انفصلت و (القائبة) البيضة (والقوب) الفرخ وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصحبة وجاء مقلوبا لان الذى ينفصل و يخرج انما هو الفرخ من البيضة والقوب من تقوب الشئ اذا انتشر ومنه القوباء لداء الحزازو (ابن يعقوب) هو يوسف عليهما السلام وبراءة الذئب من دمه هو ما يحكى أن اخوته لما جاؤا الى أبيهم يبكون على يوسف علموا أنه لا يصدقهم فاصطادوا ذئبا فلطخوه بدم وأتوه يبكون وقالوا انه هذا الذئب قد ضرى أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا قال لهم أطلقوه ودعا الله يعقوب أن ينطقه له فقال للذئب ادن منى فجعل يعبص بذنبه ويدنو منه حتى وضع خده على فخذ يعقوب فقال له لم أكلت ابنى وفجعتنى فيه فقال لا والله يا نبى الله ما رأيته ولا أكلته وانى لغريب فى أرضكم اليوم وصلت من مصر فى طلب أخ لى فقدته فأوثقنى هؤلاء وساقونى اليك فقال لهم يعقوب عليه السلام الذئب مع أخيه أوفى منكم مع أخيكم (قوله سمت) أى كلفت (شططا) شيأ بعيدا والشطط مجاوزة القدر (ورمت فرطا) طلبت شيأ متفاوتا وكيف لم يسمه شططا وقد حرمه لذة ليلة مع هذا الغلام أحسن من ليلة الخفاجى حيث يقول

وليلة طلقة قضتنى * من موعد للحبيب دينا
بتنا نجر الذيول فيها * والخمر تشى بنا الهوينا
أرسل فى روضة وجنتيه * لحظة عين تفيض عينا
كأنما اللحظ كيمياء * تذهب من وجهه لجينا
وما توهمت أن طرفا * يقلب عين اللجين عينا

(أو ليلة الآخر حين يقول)

لما رأى من ظلت فيه متيما * جسمى ضئيلا والفؤاد مولها
جادت شمائله على بليلة * أهدت الى الصب المعنى ما اشتهى
عانقت فيها البدر ليلة تمه * يا من رأى بدرا يعانقه السها

(قوله الحجج السريجية) منسوبة الى أحمد بن سريج وهو من كبار أصحاب الشافعى وكان حسن الاحتجاج مليح المناظرة وقال الفنجديهى السريجية منسوبة الى الامام أبى العباس أحمد بن

فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالاقوى وأقرب للتقوى فقال الام تشير لأقتفيه ولا أقف لك فيه فقال أرى ان تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة مثقال لأتحمل منها بعضا وأجتبى الباقى لك عرضا فقال الشيخ ما منى خلاف فلا يكن لوعدك اخلاف فنقده الوالى عشرين ووزع على وزعته تكملة خمسين ورق ثوب الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع عنك اللجاج وعلى فى غد أن أتوصل الى أن ينضض لك الباقى و يتحصل فقال الشيخ أقبل منك على أن ألازمه ليلتى و يرعاه انسان مقلتى حتى اذا أعفى بعد اسفار الصبح بما بقى من مال الصلح تخلصت قائبة من قوب و برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالى ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا

(قال الحرث بن همام) *فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية

(ترجمة ابن سريج)

عمر بن سريج امام أصحاب الشافعي على الاطلاق ومن لا نفست ذات درّ مثله في الآفاق حجه في أحكام الشرع أوضح الحجج وأقواها وأمتنها على مرور الايام والحجج وكان يلقب بالبازي الاشهب وبالشافعي الثاني لتبحره في استنباط المعاني من غوامض الاخبار والمثاني دلائله في فنون العلم متينة وبراهينه مبينة وقال رأيت في المنام كأنا أمطرنا كبريتا أحمر فلأت كمي وحجري وجيبي منه فعبر لي انى أرزق علما غزيرا كعزة الكبريت الاحمر وسمع يتمثل بهذه الابيات

فلا تحسد الكلب أكل العظام * فعند الخراءة ما ترحمه
تراه وشيكا شكا استه * كلوما جناها عليه فمه
اذا ما أهان امرؤ نفسه * فلا أكرم الله من يكرمه

وكان يناظر محمد بن داود فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه السؤال أبلغني ريق فقال له قد أبلعتك الدجلة والفرات وقال له مرة أمهلني ساعة فقال قد أمهلتك من الساعة الى أن تقوم الساعة وقال له ابن داود يوما أكلمك من الرجل وتجيبني من الرأس فقال له كذلك البقر اذا حفيت أظلافها دهنت قرونها واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الاصبهاني في مجلس عيسى بن الجراح الوزير فتناظرا في الايلاء فقال ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أبصر منك بالكلام في الايلاء فقال له ابن داود لئن قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال محرما
وأجعل من ثقل الهوى مالو أنه * يصب على الصخر الاصم تهدما
ويخطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي ردّه لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما

وقال له ابن سريج مم تفتخر لو شئت قلت

ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
أصبو لحسن كلامه وحديثه * وأكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولي بخاتم ربه وبراته

فقال له أبو بكر أصلح الله الوزير يحفظ عليه ما قال حتى يقيم عليه شاهدين عدلين أنه ولي بخاتم ربه وبراءته فقال له ابن سريج فيلزمني في هذا ما يلزمك في قولك * وأمنع نفسي أن تنال محرما * فضحك الوزير وقال لقد جمعتما ظرفا ولطفا وعلما وفهما * اشتملت هذه الحكاية على أن هذين الرجلين العالمين على اشتهارهما بالعلم والفضل والدين كانا يرتاحان الى التعشق على سبيل التظارف والتزام التعفف على ما يليق ويشكل بمنصبهما واذا كان التعشق بشرط العفاف فانما يزيد الرجل الفاضل رقة طبع وحلاوة شمايل وقال ابن سريج في مرضه الذي مات فيه أريت في المنام البارحة كأن قائلا يقول هذا ربك يخاطبك فسمعته يقول ماذا أجبتم المرسلين فقلت بالايمان والتصديق قال فقيل ماذا أجبتم المرسلين فوقع في نفسي انه يراد مني زيادة في الجواب فقلت بالايمان والتصديق غيرانا قد أصبنا من هذه الذنوب فقال اما انى سأغفرها لك وتوفي لخمس مضين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وبلغ سنه سبعا وخمسين سنة وستة أشهر ودفن في حجرة بسويقة غالب ببغداد رحمة الله عليه ونذكر الآن من نفيس الشعر المضمن من ظفر من محبوبه

المودة فى هذه الليلة ويكون ذلك عوضا من طول الفراق فقد عزمت على ان أنسل بالسحر وأفر والانسلال الخروج مستخفيا (أصلى قلب الوالى) أجعله متحرقا بالتحسر والتفجع (قضيت) أتممت (سمر) حديث بالليل يسمر عليه (آنق) أحسن (حديقة) بستان ولا تكون الا تحت حائط أو زرب (زهر) نور (خميلة) روضة فيها شجر (الألأ) لمع واضاء (الافق) جهات السماء (ذنب السرحان) هو الفجر الكاذب وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد الى السماء والسرحان الذئب شبه ضوءه بذنبه (آن) حان وقرب (انبلاج الفجر) ظهور ضوئه (متن) ظهر (الحريق) النار (سلم) ترك (محكمة الالصاق) متقنة الطى (القرار) السكينة يريد أن الوالى اذا أخبر بهر بناذهب عقله فجعل يتململ ولا يقر (فضضتها) كسرت ختامها و (المتلمس) شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح وسمى المتلمس بقوله

فهذا أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

وهو مأخوذ من تلمس الرجل الحاجة اذا طلبها سرا من غيره وأصل ذلك من اللمس باليد كالذى يلمس بيده فى الظلام مواضع خفية يطلب منها شيأ ضاع منه أو كلمس الاعمى شيأ بيده ومن كلام عامتنا فلان يتلمس بسكون التاء أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يشعر به والمتلمس أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر المقلين فى الجاهلية وهم المتلمس والمسيب بن عبس وحصين بن الحمام و (المتلمس) بالميم قبل اللام هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة وقد أملس اذا خرج من بين القوم هاربا وهم لا يشعرون وقد أملس الشئ اذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته و (الصحيفة) الكتاب * وقصتها أن المتلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيئ الخلق شديده وهو الذى حرق من تميم مائة رجل فهجوه فقال فيه المتلمس وكان طرده لشئ بلغه عنه

أطردتنى حذر الهجاء ولا * واللات والانصاب لا تئل

أى لا تنجو وقال فيه أيضا

ان الخيانة والمقالة والخنا * والغدر تتركه ببلدة مفسد
ملك يلاعب أمه وقطينها * رخو المفاصل أيره كالمبرد
فاذا حللت ودون بيتى غارة * فابرق بارضك ما بدا لك وارعد

وقال طرفة

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور
لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير

فى أبيات شهرتها تنبى وتغنى عن ذكرها فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينهما ادلال المنادمة فكتب لهما بصحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا الى عاملى بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بجوائز فذهبا فرابطر يقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال الشيخ ما رأيت من حمق أخرج الداء وآكل الدواء وأقتل الاعداء ويروى أقتل عدوا وأدخل طبيبا وأخرج خبيثا أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس أتقرأ يا غلام قال نعم ففك الصحيفة

وأصلى قلب الوالى نار حسرة قال فقضيت الليلة معه فى سمر آنق من حديقة زهر وخميلة شجر حتى اذا لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالى عذاب الحريق وسلم الى ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق وقال ادفعها الى الوالى اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب

(قصة المتلمس)

فاذا فيها فاذا اتاك المتلمس فاقطع يديه و رجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ علي وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال قذفت بها في اليم من جنب كافر * كذلك أقفو كل فظ مضلل
رضيت لها الما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول
وأخذ نحو الشأم وقال ألق الصحيفة كي يخف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها
أراد أنه تخفف للفرار فالقى ما لا يثقل وما لا بد للسفر منه وقال حين نجا
من مبلغ الشعراء عن اخويهم * خبرا فتصدقهم بذاك الانفس
اودى الذي علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حياته المتلمس
ألق الصحيفة لا ابالك انما * يخشى عليك من الحباء النقرس

وأما طرفة فوصل الى البحرين فلما قرأ العامل صحيفته وسأله عن المتلمس فاخبره بفراره عفا عنه لصدقه و رعايته لطابع الملك حيث لم ينكه وقيل انه سجنه و بعث الى عمرو بن هند وقال له ما كنت لاقتل طرفة وأعادى قبيلته فاذا أردت قتله فابعث اليه من يقتله ففعل وخير في قتله فاختار أن يسقى الخمر و يفصد أكحلاه ففعل به ذلك حتى مات نزفا ودفن بهجر وقيل في قتله غير ذلك وقال البحتري يصدق ما تقدم

٣ ولقد سكنت الى الصدود من النوى * والشرى أرى عند طعم الحنظل
وكذاك طرفة حين أوجس ضربة * في الرأس هان عليه فصد الاكحل

وقال وهو في السجن يخاطب قومه

أسلمني قومي ولم يغضبوا * لسوأة حلت بهم فادحه
كل خليل كنت خاللته * لا ترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحه

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن

أنا منذر كانت غرورا صحيفتي * ولم أعطكم بالطوع مالي ولا عرضي
أنا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقتل وهو ابن عشرين سنة والعرب تقول أشعر الناس ابن العشرين وتعنيه الا أن أبا العباس أنشد لاخيه يرثيه

عددنا له ستا وعشرين حجة * فلما توفى واستوى سيد اضخما
فجعنا به لما رجونا ايابه * على غير حال لا ولدا ولا لقما

وهلك المتلمس في الجاهلية ببصرى (قوله غادرته) أي تركته (بعض اليدين) تندما (سادما) متغيرا والسادم المتغير العقل من الغم من قولهم ماء سدم ومياه سدم وأسدام أي متغيرة وقيل السديم الحزين الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيأ من قولهم بعير مسدم اذا منع من الضراب فكان الحزين منع من الذهاب والمجيء فيقول تركته بعض يديه تندما وتلهفا (اللظى) لهب النار وقد لظت النار علا لهبها فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله فاحترق بنار فجعتين (جاد) سمح (العين) الذهب (هواه) تعشقه وميله (اثنى) رجع (بلا عينين) أي بغير مال ولا بصر (خفض) سكن

قل لوال غادرته بعد بيني
سادما نادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه
ابنه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه
عينه فاثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما
يجدي * طلاب الاثار من بعد عين

٣ قوله ولقد سكنت الخ هكذا في بعض النسخ وفي بعضها ولقد سكنت من الصدود الى النوى الخ اه مصححه

(معنى) معذب (يجدى) ينفع و (العين) ههنا الشخص * وقولهم طلب أثرا بعد عين كان رجلا يمكن من عدو أو من صيد ليرميه فتراخى عنه حتى فاته ثم شد فى طلبه بعد الفوت وأول من قال ذلك مالك بن عمرو العامرى وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكا بسبب قتيل كان له فى عمالته فحبسهما زمانا ثم قال لهما انى قاتل أحدكما فجعل كل واحد منهما يقول اقتلنى مكان أخى فقتل سماكا وخلى مالكا فقال سمالك حين ظن أنه مقتول

وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده
برأس سبيل على مرقب * ويوما على طرق وارده
أأم سمالك فلا تجزعى * فللموت ما تلد الوالده

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان ركابا مروا بهم وأخذهم يغنى بهذا البيت

وأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعت بذلك أم سمالك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سمالك اخرج فى طلب ثار أخيك فخرج فلقى قاتل أخيه فى ناس من قومه فقال من أحس لى الجمل الاحمر فعرفوه فقالوا له لك مائة من الابل وكف عنه فقال لا أطلب أثرا بعد عين فذهبت مثلا ثم جعل على قاتل أخيه فقتله (قوله جعل) أى عظم (عراك) قصدك (رزء الحسين) المصاب بقتله حين قتل بكربلاء * وحديثه ان معاوية لما مات أرسل اليه أهل الكوفة ان قد حبسنا أنفسنا على بيعتك وطولب بالمدينة أن يبايع يزيد فخرج الى مكة وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وقال له ان كان حقا ما كتبوا به فعرفنى ألحق بك فخرج من مكة للنصف من رمضان وقدم لخمس خلون من شوال وأميرها النعمان بن بشير فدخل مستترا فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفا فكاتبه بذلك فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضى الله عنهما فقال له يا ابن عم أهل العراق أهل غدر وانما يدعونك للحرب فقال له يا ابن عم كتب الى مسلم باجتماع أهل الكوفة على فقال له قد جربتهم وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم اذا بلغ ابن زياد خبرك استفزهم فكان الذين كتبوا اليك أشد عليك من عدوك فان أبيت الا الخروج فلا تخرجن بنسائك وولدك معك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فرد عليه لان أقتل بموضع كذا أحب الى من ان أستحل بمكة وتصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة فخرج مسرعا فدخلها فى حشمه وهو ملثم والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ويقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر فحسر اللثام ففتح له النعمان الباب وتنادى الناس ابن مرجانة فحصبوه بالحصباء ففاتهم ووضع الرصد فى طلب مسلم فصاح مسلم يا منصور وكان شعارهم فاجتمع لهم فى ساعة واحدة ثمانية عشر ألفا فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد فلم يمس المساء ومعه مائة رجل فلما رأى تفرقهم سار نحو أبواب كندة فبلغ الباب ومعه ثلاثة تخرج وليس معه أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يتوجه فنزل من علا فرسه ودخل أزقة الكوفة فانتهى الى باب مولاة لمحمد بن الاشعث فاستسقاها فسقته وأعلمها حاله فرقت له فآوته وأعلمت محمد بن الاشعث بمكانه فمشى الى ابن زياد فأعلمه فوجه معه سبعين رجلا فاقتحموا عليه فقاتلهم مسلم فاثنه محمد بن الاشعث وحمله الى ابن زياد فضرب عنقه وبعث برأسه الى يزيد بن معاوية فصلب جثته وانتهى الامر الى الحسين وقد بلغ القادسية فهم

ولئن جل ما عراك لقد جل لدى المسلمين رزء الحسين

(حديث رزء الحسين)

بالرجوع فقال له اخوة مسلم لا نرجع أو نقتل أو نأخذ ثارنا فقال الحسين لا خير في العيش بعدكم فسار حتى لقي خيلا لابن زياد وعليها عمرو بن سعد بن أبي وقاص فعدل الى كربلاء وهو في نحو خمسمائة فارس فلما كثرت العساكر أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصروا ثم هم يقاتلونا ثم خطب قومه فقال يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد أو بقي عليها أحد لكانت الانبياء أحق بها وأبقى غير أن الله خلقها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والدار قلعة والمنزل تلعة فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم قاتل حتى قتل رضي الله تعالى عنه وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وتولى قتله سنان بن أنس النخعي واحتز رأسه وانطلق به مسرعا الى ابن زياد وهو يقول

أوقر ركابي فضة وذهبا * اني قتلت الملك المحببا

* قتلت خير الناس أما وأبا *

وبعث معه الرأس الى يزيد بن معاوية وعنده أبو برزة فجعل ينكت بالقضيب على فيه وهو يقول

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه وقتل يوم عاشوراء سنة احدى وستين وقتل معه سبعة وثمانون منهم على ابنه الاكبر ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ومن اخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو علي ومن بني عمه جعفر ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم وقتلوا هم من أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين (قوله اعتضت) افتعلت من العوض (يبغي ذين) يطلب هذين (الظباء) الغزلان (يلج) يدخل (محدقا باللجين) أي محلقا بالفضة والصائد يفرق حول الفخ حب القمح وشبهه فيلقطه الطائر حتى يتوصل الى ما نصب له فيقع فقال ما كل طائر يخدع ولو حلق له الفخ بحب اللجين بدلا من القمح وانى من هذا الصنف (قوله ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد) من قول الصابي

يا قمرا كالخشف في نظرته * وكالقضيب اللدن في نضرته

خلتك صيدا كان في قبضتي * فصرت من صيدي في قبضته

(والسابق له كعب بن زهير في قوله)

طاف الرماة بصيدراعهم فاذا * بعض الرماة بنبل الصيد مقتول

(وخفا حنين) يضرب بهما المثل للخائب الخاسر * واختلف في حنين فقال يعقوب انه كان رجلا مدعيا فجاء الى عبد المطلب وعليه خفان فقال يا عم انى من ولدهاشم فأنعم النظر فيه وقال لا وعظام هاشم ما أرى فيك شمائل هاشم فارجع فرجع خائبا خاسرا وقيل كان رجلا مغنيا فدعاه قوم من أهل الكوفة ليطربهم في نزهة فخرجوا به الى الصحراء فضربوه وسلبوا ثيابه وتركوا عليه خفيه فلما رجع الى زوجته وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها رجع حنين بخفيه وقيل انه كان صانعا فساومه أعرابي بخفين وما كسه حتى أخرجه فلما ارتحل الاعرابي أخذ حنين احدى الخفين. فوضعها

فقد اعتضت منه فهما وحزما
واللبيب الاريب يبغي ذين
فاعص من بعدها المطامع واعلم
ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ
خ ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد
* * *
ولم يلق غير خفي حنين

على الطريق ثم مشى وألقى الاخرى فى موضع آخر على الطريق وكمن له فلما مرّ الاعرابى بالخف قال ما أشبه هذه بخف حنين ولو كان معها الاخرى لاخذتها فلما انتهى الى الاخرى ندم على ترك الاولى فأناخ راحلته وأخذها ورجع الى الاولى فلما غيب عمد حنين الى راحلته بما عليها فركبها ومضى بها ورجع الاعرابى الى قومه بالخفين فكان اذا سئل عن حاله قال رجعت بخفى حنين فصار مثلا وقيل كان حنين لصا حقيرا فأخذ صلب فخاءته أمه وعليه خفان فانتزعتهما ورجعت فقيل رجعت بخفى حنين أى رضيت منه بذلك (قوله تبصر) اى أحسن النظر (حين) هلالك (والصاعقة) نار ترسل مع الرعد والبرق وجمعها صواعق وصعق الرجل اذا أصابته وصعق اذا مات وقيس تقول صاعقة وبنو تميم صاقعة وقد صقع (غرام) عذاب الحب (شين) عيب و (البذر) زرع الحب فى الارض (طموح) ارتفاع يريد ان أصل العشق مداومة النظر * ألم فيه بقول عيسى عليه السلام لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك وقد تقدم من كثرت لحظاته دامت حسراته وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة * وطول الهوى رين على القلب رائن
فكن دافنا للشر بالخير تسترح * من الشر ان الخير للشر دافن

(وقال آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(وقال المتنبى)

عزيز أسى من داؤه الاعين النجل * عناءه مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الىّ فنظرى * نذير الى من ظن ان الهوى سهل
وما هى الا لحظة بعد لحظة * اذا نزلت فى قلبه رحل العقل

(وقال ابن زيدون)

من يسأل الناس عن حالى فشاهده * محض العيان الذى يغنى عن الخبر
أما الضنى فجنته نظرة علق * كأنها والردى جار على قدر
فهمت طرق الهوى من وحى طرفك لى * ان الحوار لمفهوم من الحور

(وقال العباس بن الاحنف)

الحب أول ما يكون لجاجة * تأتى به وتسوقه الاقدار
حتى اذا اقتحم الفتى لجج الهوى * جاءت أمور لا تطاق كبار

فهذا كله بين بيت الحريرى (قوله مزقت) قطعت (شذر مذر) قطعا متفرقة فى كل جهة وأصل الشذر قطع الذهب ومذر اتباع لها (لم أبل) أى لم أبال (عذل) لام (عذر) قبل العذر

فتبصر ولا تشم كل برق
رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح
من غرام
تكتسى فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى
النفس
وبذر الهوى طموح العين
(قال الراوى) فمزقت رقعته
شذر مذر ولم أبل أعذل
أم عذر

(المقامة الحادية عشرة الساوية)

(حدث الحرث بن همام)
قال آنست من قلبى القساوة

(شرح المقامة الحادية عشرة وهى الساوية)

الحادية عشرة تبنى على الفتح كبناء احد عشر (آنست) أدركت وأحسست (القساوة) غلظ القلب وقلب قاس وقسى أى صلب وقلوب قاسية وقسية وهما عند الكسائى والفراء لغتان بمعنى واحد * أبو عبيدة القاسية مأخوذة من القسوة والقسية التى ليست بخالصة الايمان

كالدرهم القسى وهو الذى خالطه غش من نحاس أو غيره وقد قسا القلب يقسو قساوة وقساء صلب (ساوة) بلد بينه و بين الرى اثنان وعشرون فرسخا وهى فى الطريق ما بين همذان والرى (الخبر المأثور) اى المحدث به وهو قوله صلى الله عليه وسلم عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة وسأل رجل عائشة رضى الله عنها فقال يا أم المؤمنين ان لى داء فهل عندك دواؤه قالت وما داؤك قال القسوة قالت بئس الداء داؤك عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت وقيل لعلى رضى الله عنه ما شأنك تجاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وكانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فاذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب فاذا جاء النهار خرجت الى المقبرة فعوتبت فى اتيان القبور فقالت ان القلب القاسى اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى وانى لآتى القبور فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر الى تلك الوجوه المتغيرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القوم بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد خلت من قبلهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهموم فى أبدانهم مقيلا ثم بكى وقال والله لا أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله * استنشد المتوكل أبا الحسن على بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقال انى لقليل الرواية فى الشعر فقال لابد فأنشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سيل بهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

كان عمر لو أنشد شعرا فى أوصاف آبائه و بنى عمه مماليك بنى أمية وانحطاطهم من عز المملكة الى ذل المقبرة لم يكن الا هذا الشعر وأبو الحسن القلوى كان قد سعى به الى المتوكل وقيل له ان فى بيته سلاحا وكتبا وغير ذلك فوجه اليه بعدة من الاتراك فهجموا عليه على غفلة ممن فى داره فوجدوه فى بيت مغلق عليه وحده وعليه مسح شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة صوف متوجه الى ربه يترنم بالقرآن فمثل بين يدى المتوكل على حاله والمتوكل يشرب وفى يده كأس فلما رآه عظمه وأجلسه الى جنبه وعلم أنه لم يوجد عنده شئ مما قيل فناوله الكأس فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ولا دمى قط فاعفنى عنه فأعفاه ثم قال انشدنى شعرا أستحسنه فأنشده الابيات المتقدمة فأشفق من حضر عليه من المتوكل فوالله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا وبكى من حضر وقال يا أبا الحسن أعليك دين قال أربعة آلاف درهم فدفعت

حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور فى مداواتها بزيارة القبور .

اليه ورد الى منزله مكرما وقال له ما يقول ولدأبيك فى العباس بن عبد المطلب قال وما يقولون يا أمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعة نبيه على خلقه وافترض طاعته على نبيه فأمر له بمائة ألف درهم وانما أراد طاعة الله على نبيه فعرّض * وقال سابق البربرى فى المعاريض

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن * على الاثم والعدوان ممن يعاون
وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا * عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولا تك ذا لونين يبدى بشاشة * وفى صدره ضب بمن الغل كامن

رجعت الى عرض المقامة * عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا البكائك قال هذا قبر أمى آمنة استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد والمقصود من زيارة القبور الاعتبار للزائر والانتفاع بدعائه للمزور ولا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت وكان رجل يشهد الجنائز فاذا أدنى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذا شيأ قال فأمسيت ليلة ولم أدع فبينما أنا نائم اذا خلق كثير قد جاؤنى فقلت من أنتم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك كنت عودتنا هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وما هى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك (قوله محلة الاموات) هى المقابر التى يحلون بها (كفات) قبور وأوعية وكفت الشئ ضممته وقبضته وكفات الشئ ما ضمه وستره وقوله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا قيل كفات الاحياء بيوتهم وكفات الاموات قبورهم و (الرفات) العظام البالية وقال ابن المعتز فى مقبرة

وسكان دار لا تزاور بينهم * على قرب بعض فى التجاور من بعض
كان خوابيا من الطين فوقهم * فليس لها حتى القيامة من فض

* (وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه) *

انظر لنفسك يا مسكين فى مهل * ما دام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها * لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة * وفيهم لك يا مغتر معتبر

وقال مالك بن دينار مررت بالمقابر فانشأت أقول

أين القبور فنادتها * فاين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر
فنوديت من بينهم لا أرى * شخوصا لهم ولا من أثر
تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا وماتت الخبر
فيا سائلى عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

فلما صرت الى محلة الاموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر

تروح وتغدو بنات الثرى * وتمحى محاسن تلك الصور

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

تناجيك أجداث وهن سكوت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
لا يرحم الموت ذا جاه لعزته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس

(ووجد على قبر مكتوبا)

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

قال اعرابى من خاف الموت بادر الفوت ومن لم يقمع النفس عن الشهوات بادرت به الى الهلكات والجنة والنار أمامك * مرض اعرابى فقيل له انك تموت قال واذا مت فالى أين أذهب قالوا الى الله قال فما كراهتى ان أذهب الى من لم أر الا خيرا منه وقال اعرابى ما بقاء عمر تقطعه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات ولقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله الى الثواب الذى أحياله ليله وأظمأ له نهاره وقال آخر من كانت مطيتاه الليل والنهار سار به وان لم يسر وبلغا به وان لم يبلغ * آخر تصرف الليل والنهار لا تبقى معه الاعمار ولا لاحد فيه الخيار (قوله مجنوز) أى ميت وحكى ابن سيده قول بعضهم جنزت الميت اذا سترته بالكفن وقال الحسن لما أتى بجنازة النوار امرأة الفرزدق للمنذر بها اذا جنزتموها فآذنونى بالجنازة والجنازة من جنزت وهى بالفتح الميت وبالكسر النعش وقيل معناهما واحد وهو الميت والمختار الكسر (يقبر) يدفن (انجزت) ملت (الما آل) المرجع (مذكرا) متذكرا (درج) هلك (الآل) الاهل (ألحدوا) دفنوا وألقوه فى اللحد وهو حفير فى جانب القبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المقبرة يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وكان على رضى الله عنه اذا دخلها يقول السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمنازل المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لنا ولهم واعف عنا وعنهم ثم يقول الحمد لله الذى جعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا منها خلقنا واليها معادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف ورضى عن الله وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا دخل قال اللهم رب الاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منا (قوله أشرف) أى طلع و(الرباوة) الكدية و(متخصر) أى جاعلها مما يلى خصره (هراوة) عصا (لفع) غطى (نكر) غير هيئته (لدهائه) لمكره * ويقال قصر فهو مقصر اذا ترك الشئ وهو قادر عليه وشمر اجتهد (والمتبصر) الناظر فى الشئ على وجه التفهم فقد يصيب وقد يخطئ ولذلك قالوا أحسنوا النظر (الاتراب) الاصحاب المتقاربون فى الموالد كانهم قطعوا من تربة واحدة وأكثر ما يقع للنساء واذا مات للانسان صاحب على سنه كان

ومجنوز يقبر فانجزت اليهم متفكرا فى الما آل متذكرا
من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول
لت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع
وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا
فليعمل العاملون فاذكروا أيها الغافلون وشمروا أيها
المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ما لكم
لا يحزنكم دفن الاتراب

أوقع لحزنه فلذا نبه بالترب قال الالبيرى

فان الردى غل أغل التقى * فلم يبق الا الغشوم العتيد
وأردى بكل خليل ودود * فاين ولا أين خل ودود
وكم من أخى ثقة قد لحدت * فلله ما غيبته اللحود *
وأثكلنى الانس ثكل اللدات * فصرت كأنى غريب وحيد
وكم من شقى يوارى التراب * وكم من سعيد يوارى الصعيد

(قوله يهول لكم) أى يفزعكم (الهيل) الصب الكثير من أعلى الى أسفل فى مثل كدس الرمل وعند صب التراب على الميت تطير القلوب اشفاقا وتسيل العيون رحمة قال أبو العتاهية

بكيتك يا أخى بدموع عينى * فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

ولا يهول لكم هيل التراب ولا تعبؤن بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعى يسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد موراة نسيبه وفكره فى استخلاص نصيبه ويخلى بين ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما

أبو على الرازى مررت بصبيان فى طريق الشأم يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار فقلت مهلا قد غبرتم فقال صبى منهم يا شيخ أين تفر اذا هيل علينا التراب فى القبر فغشى على فافقت والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يكون فقلت له أعندك حيلة فى الفرار من التراب قال أنا لا أعلم ولكن سل غيرى فقلت رمن غيرك قال عقلك (تعبؤن) تبالون وتهتمون و (النوازل) جمع نازلة وهى المصيبة (الاحداث) ما يحدث على الانسان من الخير والشر و (الاجداث) بالجيم القبور واحدها جدث وجدف (تستعبرون) تبكون (تعتبرون) تتعظون وترونه عبرة (والنعى) ذكر موت الانسان وكانت العرب اذا مات منها سيد ركب رجل فرسه ومشى فى الاحياء فيقول نعاء فلانا والناعى المخبر بموت الرجل وقد نعاه نعيا (ترتاعون) تخافون (الف) صاحب وهو فى الاصل مصدر ألفت الشئ الفا فسمى به ويقال فى معناه ألف (تلتاعون) تحترقون من الحزن واللوعة حرقة من الهم (المناحة) اجتماع النساء للبكاء على الميت (تعقد) تجمع وتؤلف (وقلبه تلقاء البيت) أى وقلبه مستقبل لبيت الميت يفكر فيما ترك ليرثه (موراة) دفن رقد وراه اذا ستره (استخلاص) تحصيل (ودره) الاول محبوبه الذى يوده (ودوده) الثانى جمع ودودة والواو للعطف *وقال سابق البربرى فى معنى ما تقدم

نلهو وناهل أياما تعد لنا * سريعة المرتطوينا وتطويها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته * ذلا وضاحكة يوما ستبكيها
وللحتوف تربى كل مرضعة * وللحساب برى الارواح باريها
لا تبرح النفس تنعى وهى سالمة * حتى يقوم بنادى القوم ناعيها
ولن تزال طوال الدهر ظاعنة * حتى تقيم بوادغير واديها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(وقال آخر)

اعمل وأنت من الدنيا على حذر * واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل * يحصى عليك وما خلفت موروث

وقال الحسن ابن آدم أنت أسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضي ومن نعيمها بما يفنى ومن ملكها بما ينفد تجمع لنفسك الاوزار ولاهلك الاموال فاذا مت حملت أوزارك الى قبرك وتركت أموالك لاهلك أخذه أبو العتاهية فقال

أبقيت مالك ميراثا لوارثه * ياليت شعري ما أبقى لك المال
القوم بعدك في حال تسرهم * فكيف بعدهم دارت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد * واستحكم القيل في الميراث والقال

(وقال ابن عبد ربه)

أيا من عنده أمل طويل * يؤديه الى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فان سرتك يوما * فان الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت فيها * كعارية ترد الى المعير

(وقال جبلة بن حرب)

ياقلب انك في الاحياء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
تريد أمرا ولا تدري أعاجله * خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط * اذ صار في الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور
حتى كأن لم يكن الا تذكره * والدهر رأية ماحين دهارير
وذاك آخر عهد من أخيك اذا * بالموت ضمنه اللحد الحياصير

(قوله أسيتم) أي حزنتم (الثلام) انكسار ونقصان (اخترام) هلاك يقول اذا انتقص لكم من المال أدنى شئ حزنتم عليه ولا تحزنون على نقص أحبابكم * أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله (قوله استكنتم) ذللتم واستكان استفعل من لفظ الكين وهو لحم باطن الفرج (اعتراض العسرة) ظهور الفقر (انقراض الاسرة) موت القرابة (الزفن) الرقص (ضحكتم عند الدفن) جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك في الجنائز ورأى ابن مسعود رضي الله عنه رجلا يضحك في جنازة فقال تضحك وأنت في جنازة والله لا أكلمك أبدا ونظر عبد الله بن ثعلبة الى رجل يضحك في جنازة مستغربا فقال أتضحك ولعلك قد أخذت أكفانك من القصار وفي الحديث كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بهاء المؤمن (قوله تبخترتم) أي تعظمتم وأظهرتم الاعجاب في مشيكم (الجوائز) الصلات وهم يظهرون في أحسن الثياب عند الملوك لكثر لهم العطاء (أعرضتم) تنحيتم وهو من العرض كأنك اذا لقيت من تكره استقبلته بعرضك أي بجانبك (النوادب) النوائح اللواتي يندبن الميت أي يبكينه فيقول أعرضتم عن الباكيات حين عددن خصال الميت المحمودة ولم تفكروا في تلك الحال (اعداد) أي استعداد (المآدب) المطاعم للاعراس (تحترق) توجع (الثواكل) الناقدات لاحبابهن و (التأنق) التحسين وقد

اسيتم على الثلام الحبة وتناسيتم اختراع الاحبة واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبخترتم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحترق الثواكل الى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو

تأنق فى الشئ اذا احتفل فيه فأعجب به كل من رآه (بال) دارس متغير يريد الميت (ببال) بفكر وخاطر (الحمام) الموت وأصله القدر وهو من حم أى قدر وذات الشئ نفسه وحقيقته (مسالمة) متاركة ومصالحة * أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات قالوا وما هاذم اللذات قال الموت وقال الابيرى فى معنى ماتقدم

كم آمن للمنون لاه * عن الردى بات مطمئنا
صبحه وافد المنايا * فعاين الموت حين عنا
حتى اذا ماقضى بكاه * حميمه معولا مرنا *
واروه فى لحده وسنوا * عليه قيد التراب سنا
وانتهبوا ماله وشنوا الـ * غارات فيما حواه شنا
لمثل هذا فكن معدا * ماقد أعد الهداة منا
وارتقب الموت فهو حتم * يخترم الطفل والمسنا

(قوله كلا) زجر أى ليس الامر كما ظننتم وقوله (أيامن يدعى الفهم * الى كم ياأخا الوهم) يسمى هذا من أنواع الشعر المسمط أى المفصل مأخوذ من السمط وهو سلك الجوهر المفصل بالزمرد والذهب وغير ذلك (الوهم) الغلط (الجم) الكثير وعلى قوله * وتخطى الخطأ الجم ذكر الحريرى فى الدرة ان قول الخواص أخطأ لمن يأتى بالذنب متعمدا تحريف للفظ والمعنى ولا يقال أخطأ الا لمن لم يتعمد الفعل ولمن اجتهد ولم يوافق الصواب لقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر واحد وان أصاب فله أجران وأوجب له الاجر على اجتهاده اصابة الحق الذى هو نوع من انواع العبادة لا على الخطا الذى يكفى صاحبه أن يعذر فيه ويرفع اثمه عنه والفاعل من أخطأ مخطئ والاسم الخطأ قال الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ وأما المتعمد فيقال فيه خطئ فهو خاطئ والمصدر الخطء قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا والاسم منه الخطيئة ويقع على الصغيرة قال الله تعالى أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين اخبارا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى الكبيرة كقوله تعالى وأحاطت به خطيئته الآية قال أبو محمد الحريرى ولى فى تضمين هاتين اللفظتين وتخصيص معنييهما المتنافيين

لا تخطون الى خطء ولا خطا * من بعدما الشيب فى فوديك قد وخطا
فأى عذر لمن شابت مفارقه * اذا جرى فى ميادين الهوى وخطا

وهذه التفرقة منه مستحسنة وكذا يقع فى أكثر كلامهم وأما على القطع فلا لانه قد حكى الزجاج وقطرب وابن دريد فى الجمهرة ان العرب تقول خطئت الشئ أخطؤه خطأ وخطئنى وأخطأته خطأ فى معنى واحد قال

والناس يلحون الامير اذا هموا * خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

(أما) حرف استفتاح واخبار (بان) ظهر (أما أندرك الشيب) سيأتى مستوفيا وقال فى الشيب الفقيه الزاهد أبو عمران رحمه الله

ذهب الشباب بجهله وبعاره * وأتى المشيب بحلمه ووقاره
شتان بين مبعد من ربه * بغروره ومبشر بجواره

بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هاذم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون

ثم أنشد

أيامن يدعى الفهم
الى كم ياأخا الوهم

تعيى الذنب والذم
وتخطى الخطأ الجم

أما بان لك العيب
أما أندرك الشيب

مازلت أمرح بالشباب جهالة * كالطرف يمرح معجبا بعذاره
وسحبت أثواب البطالة لاهيا * وجررت من بطر فضول ازاره
حتى تقلص ظله فتكشفت * عوراته وبداقبيح عواره
لم أحظ منه بطائل غير الاسى * وتندم مني على أوزاره
والآن قد خط المشيب بمفرقي * بمواعظ والحق في تذكاره
والنفس تركب غيها لاترعوى * عنه ولاتصغي الى انذاره
لهفي على عمر يمر مضيعا * محصى على بليله ونهاره

* كان شاب في بني اسرائيل عبدالله عشرين سنة وعصاه عشرين سنة فنظر يوما في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع صوتا من زاوية البيت أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فان رجعت الينا قبلناك قال ابن وضاح اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح ابليس على وجهه وقال بأبي وجه لايفلح أبدا وأنشدوا

واذا مضى للمرء من أعوامه * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
ركدت عليه المخزيات وقلن قد * أرضيتنا فأقم لذا الا تبرح.
واذا رأى ابليس غرة وجهه * حيا وقال فديت من لم يفلح

وقال آخر

تلاحظني المنية من قريب * وتلحظني ملاحظة الرقيب
وتنشرلي كتابا فيه طيي * بخط الدهر أسطره مشيبي
كتاب في معانيه غموض * تلوح لكل أواب منيب
أزال الله ياصاحي شبابي * فعوضت البغيض من الحبيب
وبدلت التكاسل من نشاطي * ومن حسن النضارة بالشحوب
كذلك الشمس يعلوها اصفرار * اذا جنحت ومالت للغروب

وهذا القدر كاف هنا في ذكر الشيب (قوله ريب) شك (أما أسمعك الصوت) الصوت هنا النباحة على الميت و (الفوت) بعد الشيء * الاحتياط من الحوطة وهي الوقاية (تسبدر) تتبختر (تختال) تتكبر (الزهو) الكبر (عم) شمل ولابي العتاهية في معناه

حتى متى ذوالتيه في تيهه * أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم * وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليبقى به * فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه * من ليس يرجوه ويخشاه

(ولمحمد بن حازم)

فياشاما أقصر عنانك مقصرا * فان مطايا الدهر تكبو وتعثر
ستقرع سنا أو تعض ندامة * يديك اذا خان الزمان وتبصر
ويلقاك رشدبعد غيك واعظ * ولكنه يلقاك والامر مدبر

(قوله تجافيك) أي تباعدك من فعل الخير (ابطاء) تأخر (تلافيك) تداركك (طباعا) أخلاقا

وما في نصحه ريب
ولاسمعك قد صم
أما نادى بك الموت
أما أسمعك الصوت
أما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو
وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو
كأن الموت ماعم
وحتام تجافيك
وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك
عيوبا تملها النضم
اذا أسخطت مولاك
فما تتقي من ذاك

يريد أن اخلاقك قد جمعت فلا تعمد الى ان تضم عليك شملها (أخفق) خاب (مسعاك) طلبك ومشيك فى اكتساب الورق (تلطيت) احترقت واشتعلت وهو تفعلت من اللظى (الاصفر) الدينار ونقشه الكتاب الذى فيه (تهتش) تخف وتهتز طربا (تغاممت) أظهرت الغم (ولا غم) أى ليس عندك غم على الحقيقة كان أبو الدرداء رضى الله عنه اذا رأى جنازة قال اغدى فانا رائحون أو روحى فانا غادون * أبو عمرو بن العلاء قال جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه * ودع أمامة ان منك رحيل * ثم طلعت جنازة فامسك وقال شيبتنى هذه الجنازة قلت فلم تساب الناس قال يدؤننى ثم لا أعفو وأعتدى ولا أبتدى

ثم أنشأ يقول

ترؤعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة هجمة لغارذئب * فلما غاب عادت راتعات

(وقال آخر)

وتعدد كثرة من يموت تعجبا * عما قريب سوف تدخل فى العدد
وأراك تحملهم ولست تردهم * وكأننى بك قد حملت ولا ترد

(قوله تعاصى الناصح البر) أى تعاصى من ينصحك و يبرك (تعتاص) تتصعب وهو تفتعل من العصيان على القلب (تزور) تنقبض (غر) خدع (مان) كذب و (نم) مشى بالنميمة (الرمس) القبر (لاحظك الحظ) نظرك السعد (طاح بك) أذهبك وأهلكك واللحظ النظر بمؤخر العين وقد لحظه لحظا ولاحظه ملاحظة وكله من اللحاظ وهو طرف العين مما يلى الصدغ و (جلا) كشف (تذرى) تصب وترسل متفرقا عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فلو أن السفن أجريت فى دموعهم لجرت (لاجمع) أى لا قبيل ولا عشير يحميك ولا يمنعك يوم القيامة (بقى) يمنع (عرصة الجمع) موضع اجتماع الناس فى الحشر (تنحط) تنزل (اللحد) حفير فى جانب القبر (وتنغط) تنضم وتنقبض يقال غطغطته فى الماء اذا أغرقته فيه ونغمته (أسلمك الرهط) تركك قومك (سم) عين الابرة يريد ضيق القبر على الميت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ وعن أنس رضى الله عنه قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخل التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه قلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا فم ذلك قال ذكرت ضغطة بنتى وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين (قوله ينخر) أى يبلى و (العود) تابوت الميت و (رم) بلى قال الفنجديهى الى ان ينخر العود أى الى ان يبلى الجسم الناعم الذى هو مثل القضيب وقال الابيرى

كأنى بنفسى وهى فى السكرات * تعالج ان ترقى الى اللهوات
وقد رم رحلى واستقلت ركائبى * وقد آذنتنى بالرحيل حداتى
الى منزل فيه عذاب ورحمة * وكم فيه من زجر لنا وعظات
ومن أعين سالت على وجناتها * ومن أوجه فى الترب منعفرات

وان أخفق مسعاك
تلطيت من الهم
وان لاح لك النقش
من الاصفر تهتش
وان مر بك النعش
تغاممت ولا غم
تعاصى الناصح البر
وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر
ومن مان ومن نم
وتسعى فى هوى النفس
وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس
ولا تذكر ما ثم
ولولا حظك الحظ
لما طاح بك اللحظ
ولولا كنت اذا الوعظ
جلا الاحزان تغتم
ستذرى الدمع لا الدمع
اذا عاينت لا جمع
بقى فى عرصة الجمع
ولا خال ولا عم
كأنى بك تنحط
الى اللحد وتنغط
وقد أسلمك الرهط
الى أضيق من سم
هنالك الجسم ممدود
ليستأكله الدود
الى ان ينخر العود
ويمسى العظم قد رم

وكم واردفيه على مايسره * وكم واردفيه على الحسرات

(قوله اعتد) أى استعد روى أبو بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش فى النار فينجى الله برحمته من يشاء التقادع التهافت كان كل واحد منهم يقدع صاحبه كى يسبقه (والجسر) بناء على النار يجاز عليه من جهة الى أخرى و (أم) قصد (مرشد) هاد (ضل) تحير (الخطب) الامر الشديد (طم) عظم (الغمر) الجاهل بالامور (والذى يحلو به المر) هو التوبة والاعمال الصالحة التى يصلح بها ما فسد (يهى) يضعف (أقلعت عن ذم) أى رجعت عن أمر مذموم وقال ابن عبدربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لابد لله من انجاز ماوعدا

(قوله لاتركن) تقول ركنت الى فلان اذا اتخذته ركنا تلجأ اليه (تلفى) توجد (اغتر) انخدع (تنفث) تبصق عند لدغها (خفض) سكن (تراقيك) ارتفاعك وتكبرك (سار) ماش (والتراقى) العظمان المعوجان على الصدر (ينكل) يضعف وينقطع (ان هم) ان أرادك وهم بك وفى معنى هذا قول أبى نواس قال غائم الوراق دخلت عليه قبل وفاته بيوم فقال لى أمعك ألواحك قلت نعم قال اكتب

دب فى السقام سفلا وعلوا * وأرانى أموت عضوا فعضوا
ليس تمضى من لحظة لى الا * نقصتنى بمرها بى جزوا
ذهبت حدتى بطاعة نفسى * وتذكرت طاعة الله نضوا
لهف نفسى على ليال وأيا * م تجاوزتهن لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الاساءة فاللهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

(قوله نفس) أى وسع نفسه كأنه خنق فضاق نفسه فأمر بحله (أخى البث) صاحب الحزن (نث) نطق وكشف له سره (رم) أصلح وقد رممت الشئ رما أصلحته (الرث) الخلق (رش) اجعل له ريشا (انحص) انتف ريشه تقول رشت الرجل أى أعنته وأغنيته (بماعم وماخص) أى بما كثر من العطية وقل (تأس) تحزن (على النقص) أى على النقصان فى الصدقة والمعروف ولاتكن أيضا حريصا على جمعه ومنعه ممن احتاج اليه و (اللم) جمع المال ولممت الشئ لما (الرذل) الردئ يريد عادا خلاق البخل أو الخلق السوء * عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسئ الا وله توبة الا صاحب سوء الخلق لانه لايتوب من ذنب الا عاد فى شر منه و (البذل) العطاء وبذلت الشئ بذلا أى أبحته عن طيب نفس و (العذل) اللوم أى من لامك على العطاء لاتسمعه وأعط واحسن ماقيل فى رد العذل على كثرته قول زهير

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ماتغب فواضله
بكرت اليه غدوة فرأيته * قعودا اليه بالصريم عواذله
يفديه طورا وطورا يلمه * وأعيى فما يدرين أين محاله
فأقصرن فيه عن كريم مرزأ * صبور على الامر الذى هو فاعله

(قوله نزهها) أى باعدها (عن الضم) أى عن ضم الاصابع على ما فى الكف يقول ابسط كفك

ومن بعد فلابد

من العرض اذا اعتد
صراط جسره مد
على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل
ومن ذى عزة ذل
وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر
لما يحلو به المر
فقد كاد يهى العمر
وما أقلعت عن ذم
ولا تركن الى الدهر
وان لان وان سر
فتلفى كمن اغتر
بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك
فان الموت لاقيك
وسار فى تراقيك
وما ينكل ان هم
وجانب صعر الخد
اذا ساعدك الجد
وزم اللفظ ان ند
فما أسعد من زم
ونفس عن أخى البث
وصدقه اذا نث
ورم العمل الرث
فقد أفلح من رم
ورش من ريشه انحص
بماعم وماخص
ولا تاس عن النقص
* ولا تحرض على اللم
وعاد الخلق الرذل
وعوذ كفك البذل
ولا تسمع العذل
* ونزهها عن الضم

بالعطية ولاتقبضها على مافيها شحا قال ابن عبدربه

يا قابض الكف لازالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لاترى أبدا * فما لفقدك فى الاحشاء احراق

كانه قلب بيت ابن دريد فى رجل من أهل البصرة

يا من يقبل كف كل ممزق * هذا ابن يحيى ليس بالخراق
قبل أناملها ولست أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

أخذه ابن دريد من ابراهيم بن العباس الصولى يمدح الفضل بن سهل

الفضل بن سهل يد * تقاصر عنها المثل
فبسطتها للغنى * وسطوتها للاجل
وباطنها للندى * وظاهرها للقبل

(وسرقه ابن الرومى فقال)

أصبحت بين خصاصة ومذلة * والحر بينهما يموت ذليلا
فامددت الى يدا تعود بطنها * بذل النوال وظهرها التقبيلا

(وقال ابن عبدربه)

وما خلقت كفاه الا لاربع * عقائل لم يعقل لهن ثوانى
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

وزود نفسك الخير ودع مايعقب الضير وهيء مركب السير * وخف من لجة اليم * بذا أوصيت ياصاح وقد بحت كمن باح فطوبى لفتى راح * بآدابى يأتم * ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الاسر قد شدت عليه جبائر المكر لا الكسر متعرضا للاستماحة فى معرض الوقاحة فاختلب به أولئك الملأ حتى أترع كمه وملأ ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة (قال الراوى) فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت الى مستسلما وواجهنى مسلما فاذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه فقلت له

الى كم ياأبازيد أفانينك فى الكيد لينحاش لك الصيد

(قوله ودع مايعقب الضير) أى دع عنك شيأ يجيئك فى اثره ضرر (المركب) السفينة هنا و(اليم) البحر (واللجة) معظم الماء وجعل الميت كالمسافر وضرب له بالبحر مثلا لكثرة مايرى من الاهوال فأمره بالاستعداد لذلك (ياصاح) ياصاحب (بحت) نطقت يريد أن كل ماقدم من الوصية انما هو على وجه النصح كما وصى هو بها قبل ذلك وأراد بقوله صاح كل من يسمع وصيته لاصاحبا معينا (طوبى) نجرة فى الجنة وهى عندهم فعلى من الطيب (يأتم) يقتدى بها فى الظاهر يريد أنه من اقتدى بهذه الوصية طوبى له وهو يريد من حصل آداب المقامات كلها رأس (قوله حسر) أى كشف (ردنه) كمه (الاسر) الخلقة ومنه قوله تعالى وشددنا أسرهم أى خلقهم وهو من الاسار وهو القد الذى يشد به الاسير فشرك الجلد هى الاسار ويراد بها فى الخلقة العصب التى يشتد بها الجسد وتلتئم بها الاعضاء واليها حكم حركة البدن من القيام والقعود فسبحان الذى أنشأ الخليقة كيف شاء (الاستماحة) الطلب استفعالة من ماح الرجل يميحه اذا أعطاه وأصل ذلك من المائح وهو النازل فى قعر البئر ليغرف ماءها ويفرقه على دلاء المستقين وقد ماح البئر يميحا (الوقاحة) ترك الحياء وصلابة الوجه من الحافر الوقاح وهو الصلب ومعرضها موضع عرضها ونشرها وان كسرت الميم وفتحت الراء فهو ثوب الوقاحة لبسه لان المعرض الثوب الذى تعرض فيه الجارية للبيع والوقاحة اظهار ذراعه صحيحا مشدودا عليه بخرق ليوهم من رآه أنه مكسور (اختلب) خدع واحتلب بالحاء حلب ماعندهم كما تحلب الشاة (الملأ) الجماعة (اترع) ملأ (انحدر) هبط والربوة لغة فى الرباوة التى تقدمت (جذلا) مسرورا (الحبوة) العطية (جاذبته) نازعته (مينه) كذبه (أفانينك) أنواع كذبك وحيلك (ينحاش) ينضم ويجتمع وحشت

الصيد أحوشه اذا جئته من حواليه لتصرفه الى الحبالة (لا تعبأ) أى لا تبالى من عبأت الحلم للجهل والخيل للحرب اذا استعددته واذا لم يبال بالشئ لم يستعد له (ارتياء) ابطاء وهو افتعال من رؤية القلب التى معناها التدبر والتفكر وأصل بابه الهمز فنقلها لمكان همزة اللام يقول أجاب من غير فكرة (يقمر) يغلب وتقول قامرت الرجل قمارا فقمرته أقمره أى غلبته (دسته) أى حيلته والدست الذى يكون لك فيه الغلب فى الشطرنج تقول الدست لى والدست على ومن ألفاظ عامة المشرق أن يقول الرجل لصاحبه هل نأخذ دستا (تم) كمل (قوله زاملة) أى حاملة والزاملة الدابة يحمل عليها (طلاوة علانيتك) أى حسن ظاهرك (خبث نيتك) فساد باطنك وفى معنى هذا قال لقمان لابنه احذر واحدة وهى أهل للحذر اياك أن ترى انك تخشى الله وقلبك فاجر يحذر من الرياء وفى الحديث من أصلح سريرته أصلح الله علانيته وقيل لرجل مراء ما أحسن صلاتك قال ومع هذا فانى صائم قال الشاعر

واذا أظهرت شيأ حسنا * فليكن أحسن منه ما يسر
فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

(وقال محمود الورّاق لابن أخيه)

تصوّف كى يقال له أمين * وما معنى التصوّف والامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به الطريق الى الخيانه

(وقال فيه أيضا)

تمرثيابك واستعدّ لقائل * واحكك جبينك للقضاء بشوم
وعليك بالفتوى فاجلس عنده * حتى تصيب وديعة ليتيم

(وقال الابيض الاليبرى)

أهل الرياء لبستم نامو سكم * كالذئب يصبح فى الظلام العاتم
فلكم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال اخر لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرّق دينه أيدى سبا * ويديك حرصا لجمع المال
لاخير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب الحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه أى سؤال

(قوله مفضض) مطلى بالفضة (والكنيف) المستراح (ذات) جهة وناحية (ناوحت) قابلت (مهب) ناحية هبوبها (الجنوب) الريح القبلية و(الشمال) ٣ الجنوبية

(شرح المقامة الثانية عشرة وهى الدمشقية)

(شخصت) أى خرجت (الغوطة) موضع بالشأم خصيب بخارج دمشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم الشأم فعليكم بمدينة يقال لها دمشق هى خير مدائن الشأم وفسطاط المؤمنين بارض منها يقال لها الغوطة قال الاصمعى أحسن أنهار الدنيا ثلاثة أنهار الغوطة

ولا تعبا بمن ذم
فاجاب من غير استحياء
ولا ارتياء وقال
تبصر ودع اللوم
وقل لى هل ترى اليوم
فتى لا يقمر القوم
متى ما دسته تم
فقلت له بعد الك يا شيخ النار
وزاملة العار فما مثلك فى
طلاوة علانيتك وخبث
نيتك الا مثل روث
مفضض أو كنيف مبيض
ثم تفرقنا فانطلقت ذات
اليمين وانطلق ذات الشمال
وناوحت مهب الجنوب
وناوح مهب الشمال
(المقامة الثانية عشرة
الدمشقية)
حكى الحرث بن همام قال
شخصت من العراق الى
الغوطة

٣ قوله الجنوبية كذا بالاصل ولعل الصواب مقابل الجنوب أو مقابل الجنوبية اه مصححه

وسمر قند ونهر الابلة وهو قريب من البصرة وحشوشها ثلاثة عمان وأردبيل وهيت وسميت دمشق باسم صاحبها الذى بناها وهى ارم ذات العماد وقال اليعقوبى مدينة دمشق جليلة المقدار قديمة وهى مدينة الشأم فى الجاهلية والاسلام وليس لها نظير فى جميع بلاد الشأم فى أنهارها وبساتينها ومبانيها وكثرة عمارتها وافتتحت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة أربع عشرة وقال شيخنا ابن جبير مدينة دمشق هى جنة المشرق ومطلع حسنه المونق وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين وتجلت فى حلل سندسية من البساتين وحلت من وضع الحسن بمكان مكين وتجلت فى منصتها بأجل تزيين وتشرفت بأن آوى الله المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل ينساب انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض تحيى النفوس بنسيمها العليل تبرز لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم ألا هلموا الى معرس للحسن ومقيل وقد سمت أرضها كثرة المياه حتى اشتاقت الى الظماء فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الاكمام للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظته بجهاتها الاربع نضرته اليانعة قيد النظر ولقد صدق القائلون عنها ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لاشك منها وان كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها وقال فيها البحترى

اذا أردت ملأت الطرف من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على اجبالها فرقا * ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا كنافا خضلا * ويانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد وقدته * أو الربيع دنا من بعده ما بعدا

(قوله جرد) أى خيل قصيرة شعر الجسد (جدة) غنى (مغبوطة) محسودة أراد مغبوط عليها مالكها فقلب (يلهينى) يدعونى الى اللهو (خلو الذرع) فراغ البال والصدر من الهم (يزدهينى) يحملنى على الزهو (حفول الضرع) كثرة اللبن والضرع للبقرة والشاة بمنزلة الثدى للمرأة وحفوله امتلاؤه باللبن (شق) مشقة (انضاء) اهزال و (العنس) الناقة القوية (الفتها) وجدتها (النوى) البعد والانتقال من بلد الى بلد وأراد أنه شكر سفره (ويد النوى) النعمة التى أنعم بها عليه بأن أوصله الى الغوطة (الهوى) ما تهواه النفس وتشتهيه (طفقت) أخذت (أفض) أكسر (ختوم) ربوط يريد ان شهوته التى كانت قد شدت وربطت أخذ يكسر ختومها ويسرحها فى المآكل والمشارب واللذات (اجتنى) أجمع جناه (قطوف) ما يجنى من الثمار وجعله للذات اتساعا (شرع) أخذوا ابتدأ من شرعت الدابة فى الماء اذا دخلته لتشرب (سفر) مسافرون (الاعراق) المشى الى العراق (أشفقت) خفت (الاعراق) الفقر من أجل الزاد والمأكل وكأنه غرق فى ذلك فهو يرجع الى الغرق والاغراق المبالغة فى الشئ يقال أغرق الرجل فى القول والرمى بالقوس اذا بالغ فيهما (عادنى) زارنى (عيد) شوق وكل ما تذكرته واشتقت اليه عيد كأنه عاد الى قلبه بعد نسيانه ونقل لفظ الشاعر

عاد قلبى من الطويلة عيد * واعترانى من حيها تسهيد

وأنا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهينى خلو الذرع ويزدهينى حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس ألفيتها كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا مع الهوى وطفقت أفض فيها ختوم الشهوات وأجتنى قطوف اللذات الى أن شرع سفر فى الاعراق وقد أشفقت من الاغراق فعادنى عيد من تذكار الوطن

*ابن الانبارى العيد هنا الوقت الذى يعود فيه الحزن والشوق وقال تأبط شرا

ياعيد يالك من شوق وابراق * ومرّ طيف على الاهوال طراق

العيد ما يعتاد من الحزن والشوق ومعنى يالك من شوق ما أعظمك من شوق (الحنين) الشوق (العطن) مبارك الابل حول الماء وأراد به بلده (قوضت) هدمت (خيام) بيوت (الاوبة) الرجوع وأراد قطعت أسباب الاقامة (استتب) تهيأ وأقام (الحنا) خفنا (الخفير) المجير وهو الذى تمشى الرفاق فى ذمته وتسميه العامة الغفير (ردناه) طلبناه (أعوز) عدم الاحياء الاول القبائل والثانى ضدّ الموتى (حالت) تغيرت (لعوزه) لفقده (عزوم) جمع عزم وهو الجدّ (السيارة) الرفقة وهى فعالة من السير (انتدوا) اجتمعوا (باب جيرون) من أبواب جامع دمشق وجيرون هذا هو جيرون بن سعد بن عاد وهو الذى بنى دمشق ونقل اليها الرخام وسماها ارم وعلى هذا نقلة الاخبار ان ارم ذات العماد هى دمشق يقال انه كان فيها أربعمائة ألف عمود وقد تقدّم أيضا ان دمشق سميت باسم بانيها وهو دماشق بن نمر وذبن كنعان وقيل بانيها دمشق بن عابر بن لمك بن أرفخشذ بن سام بن نوح قال اليعقوبى جامع دمشق ليس فى الاسلام أحسن منه بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين مفروش بالرخام الابيض المختم بالازرق وسقفه لا خشب فيه مذهب كله وسائره ثلاث الواحدة فى مؤخر المسجد مذهب كلها من أعلاها الى أسفلها وذكر شيخنا ابن جبير فى وصف هذا الجامع ووصف دمشق غرائب لا يتسع لها هذا الكتاب فلنلمّ هنا ببعض ما وصف فى هذا الجامع لنفى بشرطنا قال هذا الجامع من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين ومن عجيب شأنه أنه لا يلم به نسج العنكبوت ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف انتدب لبنائه الوليد ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمر باشخاص اثنى عشر ألف صانع من بلاده وتقدّم اليه بالوعيد فى ذلك ان توقف فامتثل أمره مذعنا فشرع فى بنائه وبلغت الغاية فى التانق فيه وأنزلت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت أشجارا وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص بديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشى العيون وميضا وبصيصا وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار وكان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه صالح النصارى لما دخلها بأن أخذ نصف الكنيسة الشرقى فصيره مسجدا وبقى النصف الغربى للنصارى فأخذه الوليد وأدخله فى الجامع بعد أن رغب اليهم أن يعوّضهم عنه فابوا فأخذه قهرا وكانوا يزعمون أنّ من يهدم كنيستهم يجن فبادر الوليد وقال أنا أوّل من يجن فى الله وبدأ الهدم بيده فبادر المسلمون فأكملوا هدمها ثم أرضاهم عمر بن عبد العزيز فى خلافته عن الكنيسة بمال عظيم وطول هذا الجامع من الغرب الى الشرق ذرعه مائتا خطوة وهى ثلثمائة ذراع وذرعه فى السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وتكسيره بالمرجع المغربى أربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم غير انّ طوله من القبلة الى الشمال وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامة البلاطات على ثمانية وستين عمودا منها ثمانية أرجل تتخللها

والحنين الى العطن
فقوضت خيام الغيبة
وأسرجت جواد الاوبة
ولما أهبت الرفاق واستتب
الاتفاق ألحنا من المسير
دون استصحاب الخفير
فردناه من كل قبيلة وأعملنا
فى تحصيله ألف حيلة
فأعوز وجدانه فى الاحياء
حتى خلنا أنه ليس من
الاحياء فحالت لعوزه
عزوم السيارة وانتدوا
بباب جيرون

والثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذى يلى الصخرة وأربعة أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالا غريبة قائمة فى البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبرا ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته سعته عشر خطا عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلا والباقى سوار وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص وأعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهى سامية فى الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد أغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلا ومن أى جهة استقبلت البلد ترى القبة فى الهواء كأنها معلقة فى الجو وعدد شماساتها الزجاجية المذهبة الملونة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلى ويتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقدذهبا كله قد قامت فى وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سوريات مفتولات فتل الاسورة فانها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان لم يرشئ أجل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهى أول مقصورة وضعت فى الاسلام طولها أربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها بجهة الغرب المقصورة التى أحدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهى أكبر والثالثة بالجانب الغربى يجتمع الحنفية فيها للتدريس وله أربعة أبواب باب قبلى يعرف بباب الزيادة وباب شمالى يعرف بباب الناظمين وباب غربى يعرف بباب البريد وباب شرقى يعرف بباب جيرون وهو أعظمها وله وللغربى دهاليز متسعة يفضى كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها ثم ذكر فى الصحن عجائب من الابنية والقباب والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه واختصاره أنه قال هذا الصحن من أجل المناظر وأحسنها وفيه مجتمع أهل البلد ومفترجهم ومنتزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من باب جيرون الى باب البريد لا يزالون على هذه الحالة الى انقضاء صلاة العشاء الاخيرة منهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ فهذا أبهم أبدا بالعشى والغداة والاحفل بالعشى وأهل البطالة يسدونهم الحراثين *وللجامع أربع سقايات فى كل جهة سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون وذكر أن حول باب جيرون من الابنية الغريبة ما يطول وصفه وذكر باب جيرون فقال يخرج من دهليزه الى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة فى جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهى كالخندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سموا قد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبى الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكراء مشرفة على الدهاليز وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت وفى وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام وفى وسط الحوض أنبوب صفر تزعج الماء بقوة فيرتفع فى الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمى الماء علوا فتخرج

منها كقضبان اللبين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أبدع من أن يوصف وعن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه شبه غرفة بها هيئة طاق كبير تستدير فيه طيقان من صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فى بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان أعناقهما للصنجتين الى الطاستين و يقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا فعند وقوعهما يسمع لهما دوى فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة و ينغلق الباب تلك الساعة بلوح أصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضى الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان فى القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنى عشرة دائرة من النحاس مخرمة فى كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعا فلاح تحت دائرة مخرمة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضى ساعات الليل وقد وكل بهما من يدير شأنها فيعيد فتح الابواب و يسرح الصنج الى موضعه وهى التى تسمى المقاتة ثم ذكر فى باب جيرون وفى الجامع وفى خارج البلد عجائب ليست من شرطنا وانما ذكرنا منها ما دعت اليه الحاجة من ذكر باب جيرون (قوله الاستخارة) أى طلب الخيرة واستخرت الله سألته أن يهب لى الخيرة (تنزر) عقد (سحل) حل وشنزرت الحبل شنزرا شددت فتله وسحلت النسج سحلا أفردت سداه ولم تفتله (نقد) تم وفرغ (التناجى) التحدث سرا (قنط) يئس (الراجى) الطامع (حذتهم) قريبا منهم تقول دارى حذوه وحذوته وحذته أى حذاءه (ميسمه) علامته وأصل الميسم الموسم لانه من وسمت الشئ فقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها (لبوسه) ثيابه (الرهبان) العباد والترهب ترك النساء (سبحة) خيط ينظم فيه خرز يعد به التسبيح وكانت لابى هريرة رضى الله عنه سبحة من النوى المجزع وهو الذى حك حتى اختلف لونه وفرغ من سبحته أى من صلاته وما يتبعها من الذكر (ترجمة) علامة (النشوان) السكران (قيد لحظه) ربط نظره أى شخص فيهم (أرهف) أحد (آن) حان وقرب و يروى ناء مقلوب آن (انكفأوهم) انقلابهم ورجوعهم (برح) انكشف (خفأوهم) سرهم (ليفرخ كربكم) ليزل و يسكن ومثل العرب أفرخ روعك ومعناه انجلى وانكشف كما ينكشف ما فى البيضة اذا انشق عن الفرخ وقيل معنى أفرخ ذهب وقال الفارسى فى التذكرة معنى أفرخ روعك صار له فرخ واذا أفرخ الطائر طار لانه فارق الحضن وهذا قول حسن وقال عروة بن مضرس أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بجمع قبل أن يصلى الصبح فقلت يا رسول الله طويت الجبلين ولقيت شدة فقال أفرخ روعك من أدرك افاضتنا هذه فقد أدرك الحج وقال الاخطل يصف الثور والكلاب

حتى اذا اما الثور أفرخ روعه * وأفاق أقبل نحوها يتذمر

أضما وهز لهن روقى رأسه * أن قد أتيح لهن موت أحمر

فقوله أفاق بعد أفرخ روعه يدل على أنه أراد ذهب فزعه وزال و يتذمر يحض نفسه على الاقدام يقال ذمرته اذا حضضته وأضما أى غضبان والموت الاحمر مذكور فى المقامة بعد هذه (قوله كربكم) أى همكم (سربكم) أى جمعكم أى تأمنوا فى نفوسكم (سأخفركم) سأجيركم

للاستخارة فاز الوابين عقد
وحل وشنزر وسحل الى أن
نقد التناجى وقنط الراجى
وكان حذتهم شخص ميسمه
ميسم الشبان ولبوسه
لبوس الرهبان و بيده
سبحة النسوان وفى عينه
ترجمة النشوان وقد قيد
لحظه بالجمع وأرهف أذنه
لاستراق السمع فلما آن
انكفأوهم وقد برح له
خفأوهم قال لهم ياقوم
ليفرخ كربكم ولتأمن
سربكم فسأخفركم بما

(يسرو) يكشف ويزيل (روعكم) فزعكم (يبدو) يظهر (طوعكم) منقادا لكم وأراد سأجيركم بشئ يزيل عنكم الفزع ويكون منقادا لكم وذلك الشئ هو الكلمات التي يأتي بها (استطلعنا منه طلع الخفارة) أي استخبرناه عن خبر الاجارة قال ابن الانباري معنى السفارة في كلامهم الاصلاح والسفير المصلح قال الشاعر

وما أدع السفارة بين قومي * وما أمشي بغش ان مشيت

(وأسنينا له الجعالة عن السفارة) أي كثرنا له العطاء لندلنا على المجير وان يكون رسولا بيننا وبينه ويمكن ان تكون السفارة فعالة من لفظ السفير فيكون اسما للحرفة كالتجارة والخياطة (لقنها) حفظها (ليحترس) ليمتنع (يومض) يشير (لحظ) نظر بطرف عينيه (غض) كسر النظر أي جعلوا يتغامزون عليه استضعافا لخبره (استشعرنا الخور) أي ظهر علينا الفزع والضعف من كلامه (العبث) اللعب (تبرى) ذهبي والتبر كل مالم يصنع من الجواهر من نحاس وغيره (خبثا) فاسدا (جبت) قطعت (مخاوف) مواضع الخوف (الاقطار) نواحي الارض (ولجت) دخلت (مقاحم) مهالك والقحمة الامر العظيم لا يركبه أحد لهوله (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (جفير) جعبة السهام (رابكم) ثبككم (استسل) أزيل (الحذر) الخوف (نابكم) قصدكم (أوافقكم) أساعدكم وأمشي معكم مصاحبا لكم (أرافقكم) أسافر معكم والرفيق الصاحب في السفر (السماوة) مفازة بين الشأم والعراق وسماوة كل شئ شخصه وبذلك سميت السماوة لانها منازل ثمود وفيها الى الآن أشخاص منازلهم وآثارهم (أجدوه) ردوه ذا جد وهو السعد والحظ والمعنى أنه يقول ان كان سعدي قليلا فاجدوه أي كثروا حظه بعطيتكم حتى يعود صاحبه كثير السعد وكذلك يقدر (أسعد واجدي) فيريد ان صدقتكم وعدي وسلمتم فهبوا لي من أموالكم ما يتقوى به سعدي الضعيف ويكثر حظي القليل ويقال أيضا أجد الشئ اذا صيره جديدا (مزقوا) قطعوا (أدمي) جلدي (اريقوا) صبوا (ألهمنا) أي ألقى في قلوبنا (نزعنا) أقلعنا (مجادلته) مخالفته (استهمنا) ضربنا السهام وتخاطرنا على من يركب معه رفيقا و(معادلته) الركوب معه في المحمل وهو ان يركب هذا في الايمن وهذا في الايسر مأخوذة من العدل * وتذكر هنا حكاية مضحكة تزيد المعادلة بيانا كان المعتصم يأنس بعلي بن الجهم الاسكاف وكان نجيب الصورة والحديث فقال المعتصم لابن حماد اذهب الى ابن الجهم وقل له يتهيأ ليزاملني فأتاه فقال له تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين فان مزاملة الخلفاء كبيرة فقال كيف أتهيأ لها أصيب رأسا غير رأسي اشتري لحية غير لحيتي قال ابن حماد شروطها الامتاع بالحديث والمذاكرة والمنادمة وأن لا تسبق ولا تسعل ولا تمخط ولا تتنحنح وأن تتقدم في الركوب اشفاقا عليه من الميل وأن يتقدمك في النزول فتى لم يفعل هذا المعادل كان ومنقلة الرصاص التي يعدل بها القبة واحدا فقال لابن حماد اذهب قل له ما يزاملك الا من أمه زانية فرجع الى المعتصم وأعلمه فضحك وقال علي به فلما جاء قال يا علي أبعث اليك أن تزاملني فلا تفعل فقال له ان رسولك هذا الا رعن جاءني بشروط حسان السامي وخالويه الحاكي فقال لا تبصق ولا تعطس وجعل يترقع بصادانه وهذا الا أقدر عليه فان رضيت أن أزاملك فاذا جاءني الفساء والضراط فصوت وضرطت والافليس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم حتى غص برجليه وقال نعم زاملني على هذه الشروط فسارا ساعة

يسرو روعكم ويبدو طوعكم (قال الراوي) فاستطلعنا منه طلع الخفارة وأسنينا له الجعالة عن السفارة فزعم أنها كلمات لقنها في المنام ليحترس بها من كيد الانام فجعل بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض وتبين له أنا استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال ما بالكم اتخذتم جدي عبثا وجعلتم تبري خبثا ولطالما والله جبت مخاوف الاقطار وولجت مقاحم الاخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم اني سأنفي ما رابكم واستل الحذر الذي نابكم بأن أوافقكم في البداوة وارافقكم في السماوة فان صدقكم وعدي فاجدوا سعدي وأسعدوا جدي وان كذبكم في فمزقوا أدمي وأريقوا دمي (قال الحرث ابن همام) فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته

فلما توسط البر قال يا أمير المؤمنين قد حضر ذلك المتسامح قال ذلك البث قال يحضر ابن حماد فحضر فناوله كمه فقال أجد في كمي دبيب شيء فانظر ما هو فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ ولكني أعلم أن في جوف ثيابك كنيفا والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب وابن الجنيد يفسو فساء متصلا ويقول لابن حماد قلت لي لا تسعل أو لا تمخط فخربت علينا ثم قال قد نفجت القدر وأريد أخرأ فأخرج المعتصم رأسه من العمارية حين كثر عليه الضحك وصاح ويلك يا غلام الارض الساعة أموت (قوله فصمنا) أي قطعنا وحللنا و (العرا) عيون من شريط أو غيره يشد بها فم الخرج أو العدل واحدها عروة و (الربائث) العلق واحدها ربثة وهو ما يثبط الانسان ويحبسه عن أمر يريده وقد ربثتك عن الامر ربثا وتربثت أتاربثا اذا تثبطت (ألغينا) اطرحنا (اتقاء) خوف (العابث) الذي يعبث بأموالهم من أهل الشر فيفسدها والعابث المفسد ويقال عبث بفتح الباء عبثا خلط وبكسرها عبثا لعب واستخف * وعاث عيثا أفسد (عكمت الرحال) أي شدت الاحمال بالعكام والعكام ما يشد به فم العكم وهو العدل وقيل ان أصل العكام كمامة تربط على فم البعير ومثله اللجام يستعار لما يشد به المتاع و يقال عكمت المتاع عكما شددته في العكم أو شددته بالعكام وعكمت البعير شددت عليه العكم أو ربطت العكام على فمه وأعكمتك أعنتك (أزف) دنا وقرب (استنزلنا) طلبنا منه انزالها أي تلطفنا به ليذكرها (الراقية) الرفيعة من رقى في الدرجة أو المعوذة لنا من رقيت المريض وهو أشبه لموافقتها لمعنى (الواقية) وهي الكافية لما يخاف من الشر (أظل) الامر قرب ودنا كأنه ألقى عليك ظله (الملوان) الليل والنهار و (الخاضع) الذليل وخضع خضوعا أقر بالذل و (الخاشع) المتواضع وخشع خشوعا خفض صوته ورمى ببصره الى الارض والخضوع قريب منه الا أن أكثر ما يستعمل الخشوع في الصوت والخضوع في الاعناق (الرفات) العظام البالية (الآفات) المضرات (المكافاة) المجازاة (موئل) ملجأ (العفاة) جمع عاف وهو سائل العفو (ولي العفو) صاحب المغفرة و (المعافاة) المباعدة من الضرر وقد عافاه مما يكره وأعفاه (أنبائك) أخبارك والنبأ الخبر (أسرته) رهطه وأراد بالمصابيح المهاجرين وبالمفاتيح الانصار (أعذني) أجرني (النزغات) الافساد نزغ الشيطان بين القوم أي أفسد ذات بينهم والشيطان البعيد من الخير من قولهم دار شطون أي بعيدة ونوى شطون قال النابغة * نأت بسعاد عنك نوى شطون *

وقال نابغة بني شيبان فاضحت بعدما وصلت بدار * شطون لا تعاد ولا تعود

(نزوات) وثوب وقد نزا نزوا ونزوا اذا وثب ونزا على الشيء ارتفع (اعنات) مشقة الباغين (المتعدين) وقد بغى عليه بغيا تعدى عليه (معاناة) معالجة ومقاساة (الطاغين) المسرفين في الظلم والمعاصي و (العادين) المتجاوزين الحد في الظلم (غيل) جمع غيلة وهي الهلاك (والمغتال) المهلك (أجرني) أمني (سطوة) بطش وتهديد (الضائمين) المذلين (قوله اللهم حطني في تربتي) أي احفظني في بلدتي (أوبتي) رجعتي (نجعتي) سفري في طلب الرزق (نفائسي) كرائم مالي (عرضي) نفسي (وعرضي) مالي (عددي) أهلي (عددي) آلاتي وما أستعده (سكني) أهلي (حولي) قوتي (حالي) بالي (ما لي) مرجعي (منك) احسانك (تولني) كن لي وليا (تكلني) تحوجني (كلاءة) حفظ وحراسة و (عافية) عيش سالم من الآفات * أبو الدرداء

وفصمنا بقوله عرا الربائث والغينا اتقاء العابث والعائث ولما عكمت الرحال وأزف الترحال استنزلنا كلمانه الراقية لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما أظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافات ويا موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين واعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرني اللهم من جور الجائرين ومجاورة الجائرين وسطوة الجبارين وكف عني أكف الضائمين وأخرجني من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهم حطني في تربتي وغربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعددي وعددي وسكني ومسكني وحولي وحالي ومالي وما لي ولا تلحق بي تغييرا ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعوتك واخصصني بامنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني الى كلاءة غيرك وهب لي عافية

رضى الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاء وما أعد الله لصاحبه من الثواب اذا صبر وذكر العافية وما أعد الله لصاحبها من الثواب اذا شكر فقلت يارسول الله أعافى فأشكر أحب الى من ان أبتلى فاصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحب معك العافية (غير عافية) أى غير دارسة (رفاهية) غنى متسع (واهية) ناقصة ضعيفة (مخاشى) مايخشى ويخاف (اللأواء) الشدة (اكنفنى) استرنى (غواشى) أى مايتغشى به أى يتغطى (الآلاء) النعم (أطرق) أى نظر الى الارض ساكتا وقد فسر قوله أطرق بقوله (لايديم لحظا ولايحير لفظا) فيديم لحظا يجيل نظره فى الجهات الاربع ويحير لفظا يرد كلاما و (الغشية) أن يغشى على عقله (أقنع) رفع (صعد) جعلها تصعد أى ترتفع (الابراج) أى منازل القمر (الفجاج) أى المسالك واحدها فج والفج الطريق الواسع فى الجبل وقيل هو المتسع بين مرتفعين وقيل هو الفتح بين الشيئين (الثجاج) السيال الكثير الصب (السراج) الشمس (الوهاج) الوقاد المتلألئ وهو من وهج النار وهو اتقادها وحرها (العجاج) المصوت لاضطراب أمواجه (الهواء) مابين السماء والارض (والعجاج) الغبار (والعوذ) الرقى (أغنى) أجزأ وأكفى والغنى الكفاية وأغنى فلان مغنى فلان أى كفاه الحضور وقام مقامه (والخوذ) بالخاء المهملة الدرع وبنقط الخاء بيض السلاح (ابتسام الفلق) ظهور الفجر (يشفق) يخاف (خطب) أمر شديد (الشفق) الحمرة بعد غروب الشمس (ناجى) تكلم بها سرا (طلعة الغسق) أول طلوع الظلام (تلقناها) أى فهمناها (أتقناها) أحكمناها (تدارسناها) الدرس فى كلامهم الرياضة والتذليل وطريق مدروس كثر مشى الناس فيه فذللوه وأثروا فيه فمعنى درس القرآن أو الدعاء ذلل لسانه وراضه وتصل هذا الدعاء الذى ذكر أنه مستجاب وصدق اذا صحب الدعاء به الاخلاص والتضرع بأدعية ينتفع بها ان شاء الله تعالى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا قال اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الحضر اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن سوء المنظر فى الاهل والمال والولد وقالت أم سلمة رضى الله عنها من خرج فى طاعة الله تعالى فقال اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكنى خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثر مما أرجو وتصرف عنى من الشر أكثر مما أخاف استجيب له باذن الله تعالى وقالوا كلمات الفرج عند الكرب لا اله الا الله الحليم الكريم وسبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وقال جعفر بن محمد لسفيان الثورى اذا كثرت همومك فاكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واذا درت عليك النعم فاكثر من الحمد لله رب العالمين واذا أبطأ عليك الرزق فاكثر من الاستغفار ومن قال فى ليل أو نهار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن اعلم أن الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم لم يضره شئ ومن قال بسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ليلا أو نهارا أمن مما يخاف ومن قال سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله ثلاث مرات بعد صلاة الصبح أمن من كل غم وجذام وبرص وفالج ومن قال باسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء

غير عافية وارزقنى رفاهية
غير واهية واكفنى
مخاشى اللأواء واكفنى
بغواشى الآلاء ولا
تظفر بى أظفار الاعداء
انك سميع الدعاء ثم أطرق
لايديم لحظا ولايحير لفظا
حتى قلنا قد أبلسته خشية
أو أخرسته غشية ثم
أقنع رأسه وصعد أنفاسه
وقال اقسم بالسماء ذات
الابراج والارض ذات
الفجاج والماء الثجاج
والسراج الوهاج والبحر
العجاج والهواء والعجاج
انها لمن أيمن العوذ وأغنى
عنكم من لابسى الخوذ من
درعها عند ابتسام الفلق
لم يشفق من خطب الى
الشفق ومن ناجى بها طلعة
الغسق أمن ليلته من
السرق قال فتلقناها حتى
أتقناها وتدارسناها لكى
لانساها ثم سرنا

الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله من قالها اذا أصبح أمن من الحرق والغرق ومن دخل على سلطان يخاف سطوته فقال الله أعز وأكبر مما أخاف واحذر اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارا من عبدك فلان وجوره وأشياعه وأتباعه تبارك اسمك وجل ثناؤك وعز جارك ولا اله غيرك ثلاث مرات أمن من شره وقال المنصور للربيع على بجعفر قتانى الله ان لم أقتله فلما مثل بين يديه حرك شفتيه ثم قرب وسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تعمل على الغوائل فى ملكى قتلنى الله ان لم أقتلك فقال يا أمير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان أيوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر عليهم السلام وأنت على أثرهم وأحق من تأسى بهم فنكس المنصور رأسه مليا ثم رفع رأسه وقال الى أبا عبد الله فأنت القريب القرابة وأنت ذو الرحم الواشجة والسليم الناحية القليل الغائلة ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله وأجلسه معه على فراشه وأقبل يسائله ويحادثه ثم قال بحملوا الابل عبد الله اذنه وجائزته وكسوته فلما خرج أمسكه الربيع وقال له رأيتك قد حركت شفتيك فانجلى الامر وأنا خادم السلطان ولا غنى لى عنه فعلمنى اياه فقال نعم قلت اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بحفظك الذى لا يرام لا أهلك وأنت رجائى فكم من نعمة أنعمتها على قل عندها شكرى فلم تحرمنى وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى اللهم بك أدرأ فى نحره وأعوذ بك من شره * ومن قال اذا سمع المؤذن رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا غفرت له ذنوبه * ومن دعاء الأعراب قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما من قوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم وقال غيلان اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الاعراب وقال الاصمعى سمعت أعرابيا بفلاة من الارض يقول اللهم ان استغفارى اياك مع كثرة ذنوبى للؤم وان تركى الاستغفار مع معرفتى سعة رحمتك لعجز الهى كم تتحبب الى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنا فقير اليك يا من اذا وعد وفى واذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين قال وسمعت آخر يقول فى دعائه اللهم انى أسألك عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أتنعم بتركك النعيم طمعا فيما وعدت وخوفا مما أوعدت اللهم اعدنى من سطواتك وأجرنى من نقماتك قال ودعت أعرابية لابن لها خرج مسافرا فقالت كان الله صاحبك فى السفر وخليفتك فى أهلك وأنجح طلبتك وامش مصاحبا مكلوءا لا أشمت الله بك عدوا ولا أرى فيك لمحبك سوءا وهذا الباب كثير وانما ذكرنا من الادعية ما جرب واستحسن والله ينفع بها آمين * قال أعرابى يصف ناقة

وسارية لم تسر فى الليل تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط * بأوراقد فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لوفدها * اذا قرع الابواب منهن قارع
اذا وفدت لم يرد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
وانى لارجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

(قوله نزجى) أى نسوق (الحمولات) بفتح الحاء الابل وبضمها الاحمال (الحداة) خدمة الابل

نزجى الحمولات بالدعوات لا بالحداة

بمنزلة المكابرين للدواب (نحمى) نمنع (الكماة) الشجعان (يتعهدنا) يتفقدنا (يستنجز) يطلب احضار ما وعد به (عانة) بعين غير منقوطة قرية بالجزيرة كثيرة الاعناب وقال امرؤ القيس

من خمر عانة أو كروم شآم (واطلالها) آثارها يريد أنه لما أشرف على عانة قال لهم اعطونى ما أستعين به (المعلوم) الظاهر (والمكتوم) المستور (والمعكوم) المجعول فى عكم قال يعقوب العكم نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها أو يكون المعكوم المشدود بالعكام وقد تقدم آنفا (والمختوم) المطبوع عليه يريد أريناه أنواع أموالنا (استخف) استحقر (الخف) الخفيف (الهين) الهين (حلى) حسن (الحلى) ما يتحلى به النساء (والعين) الذهب والفضة يريد أنه استقر الخفيف القدر الهين القيمة مثل الامتاع وشبهها فتركها واعجبه الحلى والذهب فحملهما أو يكون معنى استخف وجده خفيفا والخف والهين يريد الخفيف عليه حمله الهين عليه نقله يريد الذهب والجوهر ويكون قوله حلى بعينه وما بعده مفسرا ومؤكدا لاستخف وما بعده وهذا أشبه من الاول (وقره) حمله (ناء) نهض بثقل (خالسنا) سارقنا وتسلل عنا (الطرار) الذى يشق الجيوب ويستخرج ما فيها والطر القطع وقد طرطر وطرة الشعر منه لانها مقطوعة من جملته مفصولة عنه والمنتهز الذى يخطف من يدك الشئ بسرعة (انفلت) انسل ولم يشعر به (والانصلات) سقوط السيف من الغمد و (الفرار) هو الزاووق ويسمى الزئبق سمى فرارا لانه سريع السيلان لا يستقر فى موضع والفرار من كثر فراره (أوحشنا) اذهب انسنا (أدهشنا) حيرنا (امتراقه) خروجه مسرعا ومرق السهم خرج من القوس ومن الرمية (ننشده) نطلبه (مغووهاد) مضل ومرشد (الحانة) بغير نقط بيت الخمار أو حانوته والحان والحانة هى الدسكرة التى ذكر وقال ابن شهيد فيه

يارب حان قد أدرت بديره * خمر الصبا مزجت بصفو خموره
فى فتية جعلوا الزقاق تكأهم * متصارعين تخشعا لكثيره
يهدى اليها الراح كل مصفق * كالخشف خره المنا بخفيره
والى على بطرفه وبكفه * فأمال من رأسى لعب كبيره
وترنم الناقوس عند صلاتهم * ففتحت من عينى لرجع هديره

(زايل) فارق (أغرانى) حثنى (سبكه) تحريبه (الانسلال) الدخول (سلكه) شكله وانسلكت حبة اللؤلؤ جرت فى السلك وهو خيط النظام (أدلجت) مشيت بالليل (الدسكرة) بناء كالقصر حوله بيوت يسكنها الخمار والحشم قال الجعدى

ودسكرة صوت أبوابها * كصوت المراتج بالحوأب
سبقت صياح فراريجها * وصوت نواقيس لم تضرب
برنة ذى عتب شارف * وصهباء كالمسك لم تثقب

المراتج البكرات والحوأب اسم ماء الفراريج الديوك عتب أوتار وشارف اسم العود شبهه بالشارف من الابل لانها أغن صوتا وأطرب قال متمم

اذا شارف منهن قامت فرجعت * حنينا فابكى شجوها البرك أجمعا

(ممصرة) مصبوغة بالمصرة وهى العصفر قبل ان يوضع فيه الخل فاذا وضع فيها الخل

ونحمى الحولات بالكلمات
لانا بالكماة وصاحبنا
يتعهدنا بالعشى والغداة
ولا يستنجز منا العدات
حتى اذا عاينا أطلال عانة
قال لنا الاعانة الاعانة
فأحضرناه المعلوم والمكتوم
وأريناه المعكوم والمختوم
وقلنا له اقض ما أنت قاض
فما تجد فينا غير راض فما
استخف سوى الخف والهين
ولا حلى بعينه غير الحلى
والعين فاحتمل منهما وقره
وناء بما يستقره ثم خالسنا
مخالسة الطرار وانصلت
منا انصلات الفرار فأوحشنا
فراقه وادهشنا امتراقه
ولم نزل ننشده بكل ناد
ونستخبر عنه كل مغو
وهاد الى أن قيل انه مذ
دخل عانة ما زايل الحانة
فأغرانى خبث هذا القول
بسبكه والانسلاك فيما
انست من سلكه فأدلجت
الى الدسكرة فى هيئة منكرة
فاذا الشيخ فى حلة ممصرة

أحمر مايصبغ به وسمى معصفرا (والحلة) ثوبان ازار ورداء وسميت حلة لانها تحل على لابسها كما يحل الرجل على الارض (دنان) جمع دن وهو نوع من الخوابى طويل الاسفل ضيقه ويسمى الراقود وهذه الحالة التى وجد عليها الحريرى السروجى بعد ذلك الترهب الذى كان عليه فى أول المقامة لها نظائر لرجال مشاهير بالعلم والفضل حكى الثعالبى فى يتيمته وقد ذكر القاضى التنوخى فقال هو أبو القاسم على بن محمد بن داود بن فهم من أعيان أهل العلم والادب وأفراد ذوى الكرم وحسن الشيم وكان كما قرأت فى فصل للصاحب ان أردت فانى سبحة ناسك أو أحببت فانى تفاحة فاتك أو اقترحت فانى مدرعة راهب أو اخترت فانى نخبة شارب وكان تقلد قضاء البصرة والاهواز بضع سنين وكان المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جدا و يعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء يعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره وتسير اشعاره ناظم حاشيتى البر والبحر وناحيتى الشرق والغرب وكان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى و يجتمعون اليه فى الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة منهم ابن فريعة وابن معروف والقاضى الارجانى وغيرهم ومامنهم الا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى واذا تكمل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب فيهم مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع بين يدى كل واحد منهم طست من ذهب من ألف مثقال مملوءة شرابا فيغمس فيه لحيته بل ينقعها حتى تشرب أكثره و يرش بعضهم بعضا و يرقصون باجمعهم وعليهم مصبغات الشباب ومخانق البرم و يقولون بكرا أسرهم هو هر وفيهم يقول السرى

مجالس ترقص القضاة بها * اذا ابتشوا فى مخانق البرم

واذا أصبحوا عاد والعادتهم فى الترهب والتوقر والتحفظ وأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء وقال فى ابن معروف كان كما قرأته فى فصل للصاحب شجرة فضل عودها أدب وأغصانها علم وثمرها عقل وعروقها شرف تسقيها سماء الحرية وتغذوها أرض المروءة وفيه يقول الصابى

أقسمت بالله مايرجى لمعروف * فى الحادثات سوى القاضى ابن معروف

(ومن شعر ابن معروف)

لو كنت تدرى ما الذى صنع الهوى * والشوق فى الجسم النحيل البالى
لهجرت هجرى واجتنبت تجنبى * و وصلت من بعد النعيم وصالى

(وقال القاضى التنوخى فى غلام جسيم)

له فى كل عضو عص رمل * ثقيل الجسم ذو روح خفيف
أأعشق لا عشقت أخا نحول * كأنى لست ذا الخلق الظريف
اذا لمسته كفى لم تلامس * سوى جلد على عظم ضعيف

*شرب المأمون وعبد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم القاضى فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى فغمز ابه الساقى فاسكره وكان بين أيديهم ردم من ورد وريحان فامر المأمون فشق له قبر فى الردم وصير فيه وغمل بيتى شعر ودعا قينة فجلست عند رأسه وغنت بهما وهما

ناديته وهو حى لاحراك به * مكفن فى ثياب من رياحين

بين دنان ومعصرة وحوله سقاة

فقلت قم قال رجلى لاتطاوعنى * فقلت خذ قال كفى لاتواتينى

(فانتبه يجيى لرنة العود فقال)

ياسيدى وأمير الناس كلهم * قد جار فى حكمه من كان يسقينى
انى غفلت عن الساقى فصيرنى * كما ترانى سليب العقل والدين
لاأستطيع نهوضا قد وهى قدمى * ولاأجيب لداع حين يدعونى
فانظر لنفسك فى قاض يكون لكم * انى غدوت دفينا فى الرياحين

والحالة التى وصف بها أبو زيد خلعت الامين عن الملك ونقلته الى المأمون قال الربيع فعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع على ثمانمائة قصة فلقد أصاب فما أخطأ وأسرع فما أبطأ ثم قال يا ربيع أترانى لاأحسن التدبير والسياسة ولكنى وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الىّ وكذلك خلعت قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة (قوله تبهر) أى تسقيه بالبهار وهو شبه الابريق وقيل تبهر تغلب العقول بحسنها يقال بهرته بهرا اذا غلبته وبهر القمر السماء ملأها بنوره (تزهر) تضىء (شموع) مصابيح الشمع (آس) ريحان (عبهر) نرجس وقيل ياسمين قال على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شموا النرجس ولو فى اليوم مرة واحدة ولو فى الشهر مرة واحدة ولو فى الدهر مرة واحدة فان فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لايقلعها الا شم النرجس وقال على رضى الله عنه حبانى النبى صلى الله عليه وسلم بالورد وقال أما انه سيد ريحان الجنة بعد الآس وقال أردشير بن بابك الورد درة أبيض وياقوت أحمر على كراسى زبرجد أخضر وسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر *ونذكر هنا طرفا من المنظوم فى الازهار يليق بالموضع بحول الله تعالى قال محمد بن عبد الله بن طاهر مما بقول أردشير

كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستظرف حسن * من خمرة مزجت كالجمر فى اللهب

(ولبعض المعتمد بن عباد)

كأنما ياسميننا الغض * كواكب فى السماء تبيض
والطرق الحمر فى جوانبه * كنهد عذراء مسه عض

(ولابى الفضل الميكالى)

وماضم شمل الانس يوما كنرجس * يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فأحداقه أحداق تبر وساقه * كقامة ساق فى غلائله الخضر

(ولعضد الدولة)

ياطيب رائحة من نفحة الخمر * اذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماورد واعتبقت * به دواخن ند عند تبخير
كأن أوراقه فى القد اجنحة * حمر وصفر وبيض من زنابير

(ولعلى بن بسام)

تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار

أماترى الورد يدعو للورود على * حمراء صافية فى لونها صهب
مداهن من يواقيت مركبة * على الزبرجد فى أفواهها ذهب
(وقال آخر) نرجسة عينها محبرة * لم تكتحل قط آفة الغمض
باكرها الطل فهى باهتة * تنظر فعل السماء فى الارض

(وللاسعد بن بليط)

بنفسج باتت أكف الصبا * تنشره فى زرقة لاتحد
كأنما قط بمنثوره * رؤس أقلام من اللازورد

(وقال آخر فى نوار الباقلا)

نوارة الباقلا اذراق منظرها * تحكى الفراشة تنقيطا وترييشا
كأنما هى ماحول الذبالة اذ * مدت جناحا مكان الكف مرقوشا

والباب كثير (قوله مزهر) عود الغناء (يستبزل) يستسق منها شرابا والمبزل الثقب فى جانب الخابية تجرى منه الخمر صافية ويبقى العكر فى قعرها قال الاخطل

لما أتوها بمصباح ومبزلهم * شارت اليهم شراء الابجل الضارى
تدمى اذا طعنوا فيها بجائفة * وفى الزجاج عقيق غير مسطار

أراد أن الخمر خرجت خروج الدم من الابجل وهو عرق وقال ابن حصين

فجيت عنها الدن فاستعبرت * جريا كما قوس احليل
كأنها فى الكأس منصبة * خيط من الفضة مفتول

(وقال آخر فى قمع الشراب)

ولما رأى الناس فضل المدام * وخافوا على جرمها أن يسيلا
تواخوا الى شربها بينهم * سبيل حفاظ فكنت السبيلا

(قوله يستنطق) يأمر بضربها ليسمع صوتها (يستنشق) يشم (يغازل) يلاعب (عثرت) اطلعت واعثرت فى معناه (لبسه) تخليطه (تفاوت) تباعد (أولى لك) كلمة تهديد معناها قد ولك الشر فاحذر و (الملعون) المطرود ولعنه الله طرده و (الاستغراب) الضحك الكثير وعما يوافق شعره وحاله قول النبغا

غادنى بالصبوح قبل الصباح * واجر فى حلبة الصبا والمراح
عاطنيها كالجلنار اذاما * كلمت من حبابها بالاقاح
فى اختصاص التفاح بالطيب والحـ * ـمرة لافى كثافة التفاح
خادمتها الاجسام بالطبع لما * شاهدت قربها من الارواح
فتدارك بها حشاشة نفسى * أوفرتك بها سكون ارتياحى
بين وردين من نبات وخد * وشرابين من رضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث * وغناء يغنى عن الاقتراح
فألذ الحياة ماخالط العا * قل فيها فساده بالصلاح

(وله أيضا فى مثله)

ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أأنسيت يوم حيرون فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا

زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خيرأوان
أشرف الزهر زارفى أشرف الدهر فصل فيه أشرف الاخوان
وأدرها عذراء وانتهز الامـ * ـكان من قبل عائق الامكان
فى كؤس كأنها زهر الخشـ * ـخاش ضمت شقائق النعمان
واجترعها عند البزال بالفا * ظ المثانى ومطربات الاغانى

(وقال وكيع فى الخشخاش)

وخشخاش كأنا منه نفرى * قميص زبرجدعن جسم در
كاقداح من البلور صينت * بأغشية من الديباج خضر

(وقال آخر فى شقائق النعمان)

كان الشقائق اذبرزت * غلالة دروثوبا أحم
قصاع من الجرمشبوبة * باوساطها لمع من حمم

لزمت السفار وجبت القفار
وعفت النفار * لاجنى الفرح *
وخضت السيول ورضت الخيول
لجرذيول * الصباوالمرح *
وسطت الوقار وبعت العقار
لحسو العقار * ورشف القدح *
ولولا الطماح الى شرب راح
لما كان باح * فى بالملح *
ولاكان ساق

(قوله السفار) مصدر سافرت (جبت) قطعت (عفت) كرهت (خضت) جزت ومشيت فيها (رضت) ذللت وركبت (المرح) النشاط والعجب (مطت) نحيت وأزلت ويقال ماط وأماط باعد وأيضا باعد غيره والاصمعى يقول ماط هو وأماط غيره (العقار) المال النابت الذى لا ينقل (حسو) شرب (العقار) الخمر (رشف) مص (الطماح) ارتفاع النظر (باح) تكلم و(الملح) الكلام الحلو يريد أنه فعل ماذكر ليرتاح ويشرب الخمر ذكر أبو محمد الحريرى فى هذا الموضع من المقامات أوصاف الخمر وفضلها ومنافعها وذهابها بالهموم والاسقام وذكر أنها من أفضل الاشياء وأن بيع أشرف الاعلاق فيها سداد وان ترك الاصغاء فيها الى العذل رشاد وأن كمال لذتها مع السقاة الحسان والتطريب بأنواع الغناء والالحان الى غير ذلك مما أشار اليه ونبه عليه وأنا أسوق هنا فى وصف الخمر فصلا من كلام الحكماء والادباء وسائر الافاضل من الملوك ومهرة الشعراء جريا معه فى أغراضه حسبما فعلنا فى العاشرة فى أوصاف الغلمان وفى الحادية عشرة فى فضائل أهل الاديان وأكثر اعتمادى فى هذا الفصل على اختيارات انتقيتها من كتاب قطب السرور وضممت اليها مايلائمها من غيره وهو فصل بديع فى بابه ذكر مؤلفه فى منافع الخمر وفضائلها قول الله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وقال تعالى فى الجنة فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى فلم يذكر الماء واللبن الا بالسلامة من التغير والعسل الا بانه مصفى وجعل الخمر لذة للشاربين فكان هذا من التفضيل وقال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون فنفى عنها عيوب خمر الدنيا وهى ذهاب العقل بالسكر والصداع بالخمار وذهاب المال كما قال تعالى فى فاكهتها لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى عنها عيوب فاكهة الدنيا التى تأتى فى وقت وتنقطع فى آخر وتمنع الا بالثمن وقال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وأما ماذكره تعالى من أن فيها منافع للناس فان منافعها لا تحصى كثرة فمن منافعها ما يصيب الناس من أثمانها ولو لم تعصر الاعناب لبارت على أهلها ومنها صلاح الجسم لانها ترقق الدم وتفتق اللسان وتزيد فى الهمة وتهون الرزية وتمد فى الامنية قال جالينوس

الخمر تدر الدم وتصفي اللون وتقوى المنعة وتبعث النشاط قال افلاطون انما كان النبيذ يثمر السرور ويولد الضحك ويطيب النفس لشبهه بالدم وانه يفعل فى الجسد اذا اعتدل فعله لانه أحمر حار رطب والدم أحمر حار رطب فاذا صح جوهره وتمت اجزاؤه ولد فى النفس السرور والضحك والنشاط * الحرث بن كلدة طبيب العرب الطلاء مصلحة للبدن ومطيبة للنفس تفتح له العروق أفواهها كما تفتح الفراخ أفواهها للطعام * بعث قيصر الى قس بن ساعدة فسأله أى الاشربة أفضل فقال ما صفا فى العين ولذ على الذوق وطاب فى الانف من شراب الخمر قال ما تقول فى مطبوخه قال مرعى ولا كالسعدان قال فما تقول فى نبيذ الزبيب قال ميت أحيى وفيه بعض المنفعة وما يكاد يحيا من مات قال ما تقول فى نبيذ العسل قال نعم شراب الشيخ للبردة والمعدة الفاسدة قال فنبيذ التمر قال أوساخ تدعو اليها ضرورات تذم عاقبتها فى الابدان قال فما الذى يذهب بالهموم عند الشراب قال جوهر فيه لا تبلغه عقول العباد قال فما أصلح أوقات الشراب قال أول النهار ألا ترى ان الدواء يكر به والمسافر يدلج لحاجته لان العقول أول النهار أذكى والفطن أصح قال فمن أى شئ يكون الخمار قال من ضعف قوة الجوارح عن جذب ما يصعد الى الدماغ من البخار حتى يفشيه الهواء قليلا قليلا قال فالصرف أفضل أم الممزوج قال الصرف سلطان جائر والممزوج سلطان عادل والعادل مصلح والجائر مفسد قال أفتشير به أنت قال نعم ولا أبلغ ما يغير عقلى قال ولم قال أصونه لسؤال مثلك * أمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة فلما قدم عليه قال يا ابن شراعة والله ما أرسلت اليك أسألك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه قال يا أمير المؤمنين لو سألتنى عنهما لوجدتنى حمارا قال أرسلت اليك أسألك عن القهوة قال دهقانها الحكيم وطبيبها الرفيق العليم فاسأل عما بدا لك قال فاخبرنى عن الماء قال لا بد لى منه والكلب والحمار شركائى فيه قال فما تقول فى اللبن قال ما رأيته الا استحييت من أمى لطول ما أرضعتنى اياه قال فالسويق قال شراب المحرور والعجلان والمسافر قال فنبيذ التمر قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش ضراط كله قال فما تقول فى نبيذ الزبيب قال حومة حاموها حول الحق فلم يصيبوه قال فما تقول فى الخمر قال تلك صديقة روحى جلت عن المثل تلك التى تزيد النفس اشراقا قال فأنت يا ابن شراعة صديقى اجلس أى الطعام أحب اليك قال يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم غير ان أنفعه أدسمه وأشهاه أعرؤه قال فأى المجالس أحب اليك أن يكون شربك فيه قال ما لم تخف الشمس أن تحرقه أو السماء أن تغرقه ولا تشرب الا على وجه السماء فوالله يا أمير المؤمنين ما نادم الناس أصبح دن وجهها قال فابرز بنا فلم ير بعد ذلك يشرب الا تحت السماء * كان أبو السائب فقيها ورعا ظريفا فسأله بعض المجان فقال يا أبا السائب ما تقول فى نبيذ الجر قال اشربه حتى تجر قال فنبيذ الدن قال أشربه حتى تجن قال فالراذى قال أحلى من العسل الماذى قال فنبيذ الزبيب والغسل فرفع يديه وقال العظمة لله قال فما تقول فى الخمر قال لا أشربها قال ولم قال أخاف ان لا أؤدى شكرها فتنزع منى * قيل لابى نواس صف لنا الاشربة قال أما الماء فيعظم خطره بقدر تعززه وأما السويق فبلغة العجلان وزى الظمآن وأما العسل فنبيل المنظر سخيف المخبر وأما الخمر فهى شقيقة الروح وصديقة النفس ما ارتضعت ممزوجة وصرفها غير مأمون على نهك البدن وغرس السقم المؤدى

الى العطب * قالت الهنداذا الشراب مبارك يزيد فى الدم بحرارته ويكسر البلغم بحدته ويشهى الطعام بلطافته واما السكر فمحرم فى كل ملة وسبيل من سبل الضلالة واسم من أسماء الوسوسة قبيح الأفعال مذموم الاحوال * وقالت الحكماء من فضائل الشراب ان كل مشروب وان راق وصفا وحلا وعذب فأوله طيب ثم يعود فى نقصان حتى يعود مكروها الا الشراب فانك كلما ازددت منه ازددت فيه رغبة وحبا وكان أوسطه اليك أعجب وآخره أطرب حتى اذا سرا فى العروق برقته وعم البدن بلطافته ودب فى الاعضاء والمفاصل دبيب النمل فى نقى الرمل وخادع عقلك فامتلأت بهجة وسرورا وعدت ملكا محبورا تضرب فى الخلافة بأوفر سهم ثم أسلمك الى النوم الذى هو حياتك وصحتك فاجتذبت النفس ماشاكلها من لطيفه وأخذ كل عضو قوته من كثيفه ثم لا يزال الهواء يخرج بالانفاس متصعدا بخاره ويجذب ما تحت الدماغ من استاره فحينئذ تهب بجذل ونشاط كأنما أنشطت من رباط وذلك تقدير العزيز العليم * وقالوا الشراب مصباح الظلام وشفاء الاسقام واذا تمشى فى عظامك جعلك خالى الذرع فسيح الباع رخى البال قليل الاشتغال رحب الهمة واسع النعمة فهو أخو الصبوة وقسيم الشهوة ولو لم يكن من مننه عليك الا انه اذا مزج به روحك وخلطته بدمك بغض اليك الحرص ونصبه والشره وتعبه وحبب اليك المروأة والسماح وحسن لك الفكاهة والمزاح * وقالوا الشراب يلذ لك فى السفر كلذته فى الحضر ويطيب استعماله فى الصحو كما يطيب فى المطر فهو أصل اللذات الذى عليه تتفرع وعنصرها الذى عنه تنبع وبه تتصل واليه ترجع يرد الشيوخ فى طبع الشبان ويدعو الشبان الى نشاط النشوان وقال أبو نواس فى ذلك

ما العيش الا فى جنون الصبا * فان تولى فجنون المدام
راح اذا ما الشيخ والى بها * خمسا تردى برداء الغلام

فلله در من استنبطه ودل عليه وسقانا من بحث عنه واهتدى اليه ماذا أثار وأى شئ أظهر * قالوا ومدار قوامه على اثنى عشر شيأ المواد الثلاث والقوى الاربع والحواس الخمس فالثلاث هى نسيم الهواء وعذوبة الماء ومألوف الاهواء والاربع هى القوة الجاذبة التى تطيب الطعام وتبرده والماسكة التى تمسكه وتجذبه والهاضمة التى تهديه وتنضجه والدافعة التى تدفع الى كل عضو سهمه من جوهره فتخرج عنه ثفله والحواس الخمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس وكل شئ من ذلك تدخله الزيادة والنقص فلا يستغنى عما يقويه فى حال ضعفه ويصفيه من أوساخه فلم يجد اهل التجارب الماضون لذلك سببا أبين أثرا ولا أخف محملا ولا ألطف دبيبا فى الابدان من ماء الكرم فاستعملوه لذلك استعمالا دائما فهو ريحانة النفس وترياقها فيشرب فى كل حين وينفع كل حاسة وتحمد عنه النوازل والاحزان وحق للنفس أن تألفه وللطبيعة أن تلائمه اذ كان حبيبها وشقيق روحها فتراه يحدث فى النفس الشجاعة والتكرم والاناة والتحلم ومن علامات الكريم اذا أخذ فيه الشراب الاستحياء والتودد واللهو والسرور والبذل لما فى يديه وكسوة جليسه من أنفس ثيابه واذا بلغ المدى فى شربها توسد يساره ونام جيدا كريما ومن علامات اللئيم المماراة والسفه وقتل الشارب والتلفت الى العربدة وشدة الغضب وربما بكى وعوى عواء الذئاب ونبح نباح الكلاب فشرب الماء محرم مع مثل هذا

فكيف الشراب * ومن فضائله أنه يلائم الطبائع المعتادة في كل زمان من فصول السنة يشربه المحرور ممزوجا فيبرده والمقرور صرفا فيسخنه واليابس معتدلا فيرطبه والمرطوب صرفا فيجففه فمن شربه في الصيف فيستحب له أن يشربه على خضرة الجنان وتحت الظلال وعلى المياه وعلى الورد والياسمين والبنفسج والآس والسفرجل والتفاح وان كان في الشتاء فبخلاف ذلك من الجلوس في الأكنان واستعمال الكوانين ولبس الاحمر والممثل وشم فتيت المسك والعنبر والمرزنجوش واما الربيع والخريف فبين ذلك لاخذهما من رطوبة الشتاء وحرارة الصيف واذا اجتمع مع الشراب نغم وألحان على صنوف الملاهي والعيدان تعاونا على اذهاب الغموم والاحزان فلله در من استنبطه ماذا آثار وعلى أي شئ دل ولو لم يكن الشراب أغلب شئ على العقول وأقربه للقلوب وألطف محلا في النفوس وأشد ملائمة للاجسام وأجمعه لمحمود الخلال حتى لا تقاربه لذة ولا تساويه شهوة ولا تعدله خصلة من خصال المسرات لما حملت الاشراف وذو والعقول أنفسهم على معاقرته لا يردهم ما ينالهم فيه عن معاودته من شنيع الاقوال ولوم العذال فيما أنفقوا عليه من الذخائر وبذلوا من الاموال * كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله في الشراب فباع ضيعته فلما تم البيع قال له المشتري تأتيني بالعشي أدفع لك المال وأشاهدك فقال لو كنت ممن يرى بالعشي ما بعت الضيعة قال محمود بن الحسن الكاتب بعت داري فأصابني مثل هذا فقلت

اتلفت مالي في العقار * وخرجت فيها عن عقاري
حتى اذا كتب الكتا * ب وجاءني رسل التجاري
قالوا الشهادة بالعشي ونحن في صدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتا * ب ولا تعنوا باستظاري
لو كنت أظهر بالعشي لما سمعت ببيع داري

(وقال ابن الرومي)

أنا أهوى ذات الخمار على الجيـ * ـب وذات الوشاح والدملجين
وأرى في النبيذ رأي صواب * لشيوخ العراق والكوفتين
واذا ما الغناء خاض ذوو الالـ * ـباب فيه اعتصمت بالخرمين
كلما جاءت الرخائص فيه * كان أخذي له بكلتا اليدين

(وقال العطوي)

جارة لي أجارها الله من كل عائب
فهي بين النساء كالـ * ـبدر بين الكواكب
سألتني هل النبيـ * ـذ حلال لشارب
قلت اي والذي يريـ * ـنك دون الرقائب
فاشربيه فان فيـ * ـه لاحدى العجائب
ينبت الورد في رياض خدود الكواعب

(ولبعض المتقدمين)

قوله والممثل هكذا في النسخ التي بأيدينا ولم نر له معنى مناسبا عندنا ولعله الممشق أو الممسك فتأمل وحرر اه مصححه

من ذا يحرم ماء المزن خالطه * في جوف خابية ماء العناقيد
اني لاكره تشديد الرواة لنا * فيها ويعجبني قول ابن مسعود

(وقال ابن الرومي)

أحل العراقي النبيذ وشربه * وقال الحرام ان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد * فخلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما * وأشربها حلا ولا وازر الوزر

*خرج الحسن بن هانئ ومعه مطيط صاحبه حتى أتيا دير خمار فقال الحسن لمطيط ادخل بنا نتماجن على هذا الخمار فدخلا فسلما فرد عليهما السلام فقال له الحسن أعندك خمر عتيق قال عندي منها أجناس فأي جنس تريد قال التي يقول فيها الشاعر

حجبت حقبة وصينت فجاءت * كجلاء العروس بعد الصيان
وكأن الاكف تصبغ من ضو * عسناها بالورس والزعفران

فملأ له الخمار قدحا من خمرة صفراء كأنها ذهب سلول فشربه الحسن وقال أحسن من هذا أريد فقال له الخمار من أي جنس تريد قال التي يقول فيها الشاعر

رققتها أيدي الهواجر حتى * صيرت جسمها كجسم الهواء
فهي كالنور في الاناء وكالنا * ر اذا ما تصير في الاحشاء

فملأ له الخمار قدحا من خمرة كأنها العقيق فشربه وقال ارفع من هذا أريد قال أي نوع تريد قال التي يقول فيها الشاعر

فاذا حسا منها الوضيع ثلاثة * سمع الوضيع كفعل ذي القدر
في لون ماء المزن الا انها * بين الضلوع كواقد الجمر

فملأ له الخمار قدحا من خمرة بيضاء كأنها ماء المزن فشرب الحسن وقال للخمار أتعرفني قال اي والله ياسيدي أنا أعرف الناس بك قال فمن أنا قال أنت الذي سكر من غير وزن فضحك الحسن وقال لمطيط ادفع اليه ما معك من النفقة فأعطاه ما تدرهم وانصرف *وقال أبو عثمان الناجم دخلت على أبي العباس عبد الله بن المعتز وهو مخمور طيب النفس فقال يا أبا عثمان أنشدني ما شئت حتى اعارضك باحسن منه أو مثله فأنشدته لابي نواس

وعاشق دنف نهبته سحرا * فقام للراح والتذكار مصطبحا
ودارت الخمر من صهباء صافية * فما احتسى قدحا حتى بكى قدحا

(فتذكر ساعة وضحك وقال)

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب ترى في قعره شبحا
اذا تعاطيتها لم تدر من لطف * راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا

وقالوا ما دار ربيع الخز والسمور بأدفأ من الشراب للمصرور والمتر ور وقال بعضهم كنت في منتزه لي واذا شيخ منيخ على علوة معه صبي في يوم بارد فكنت أسمع الصبي يقول للشيخ اعطني فروتي فيناوله شيأ لا أتبينه فبعثت غلامي ينظر اليه فاذا عند الشيخ قنينة كلما طلب الصبي فروته سقاه قدحا قال وأنشدوا للهدهد الاصبهاني

انا أناس حسن دیننا * لبیعنا الآجل بالعاجل
اذا شربنا خمسة خمسة * فقد لبسنا الفرو من داخل

وقال عمرو الضبابی

أعددت لليل اذا الليل برد * خابيتين من طلاء قد ركد
فتطرد الهم وتكفيك الصرد

وقال آخر اذا هبت الارواح فاجعل دثارها * اذا التحف الاقوام دكن المطارف
ثلاثة أرطال شرابا معتقا * تكن آمنا منها ولست بخائف
فان دثار المرء من تحت جلده * أخف وأدفا من دثار الملاحف

قال الجاحظ جلست عجوز من العرب الى فتيان يشربون فسقوها قدحا فطابت نفسها ثم سقوها آخر فاحمرّ وجهها وضحكت ثم سقوها قدحا ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب قالوا نعم قالت يزنين ورب الكعبة والله لا يدري أحدكم من أبوه *وسقى اعرابی قدحا من شراب ولم يكن يعرفه فخرکته الاريحية فسألوه عنها فقال والله ما أدري ما هي غير أني أراكم تحببون الىّ وأراني أسرّ بكم وما وهب الىّ أحد منكم شيأ *ومر أعرابیّ بقوم يشربون فدعوه فنزل وعقل بعيره وشرب معهم فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره وشوى لهم من كبده وسنامه ثم رفع عقيرته يتغنى

عللانی انما الدنيا علل * واسقيانی علللا بعد نهل
بادرا باللهو يوما صالحا * ودعانی من عتاب وعذل
وانشلا ما اغبرّ من قدريكما * واسقيانی أبعد الله الجمل

وقال اسحق الموصلی سقيت اعرابيا نبيذا فقال ما على هذا شيء يطيب النفس ويطرد الحزن ويمني الخير ويعد الغنى ثم أنشأ يقول

ألا خذها كماء الزعفران * رمتها بالنحول يد الزمان
تصوغ اذا علاها الماء طوقا * من الياقوت فصل بالجمان
وتترك من أراد الشرب منها * صحيح الجسم منكسر اللسان
كأن الشمس طالعة بكفی * اذا أخذت زجاجتها بنانی

ومر الفرزدق بالحكم بن المنذر بن الجارود فاستسقاه ماء فقال هلا لبنا يا أبا فراس قال ذلك اليك فلما له عسا من خمر وأمر فحلبت عليه لقحة فصعدت الرغوة فوق الشراب وأتاه به فشربه حتى صك بالعس جبهته وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه فمسح سباله وقال جزاك الله خيرا فانك مازلت تحفى الصدقات ونعماهي * ودخل الاخطل على عبد الملك فقال ليت شعري ما يعجبك من ادمان الخمر وأولها التقطب والكراهة وآخرها السكر والسفاهة فقال ولكن بينهما حالة ما يسرني بها ملك هذا نظمه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها * ويكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هناة * وصفها بالسرور لن يستطاعا

(وأنشد ابن قتيبة لابی محجن الثقفی)

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنى بالفلاة فانى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال فأخبرنى من رأى قبره بارمينية أنه بين شجرات الكروم والقسيان يشربون عندها وينشدون شعره واذا جاء قدحه صبوه على قبره * ومنع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل الشأم شرب الخمر فقال شاعرهم

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى * ولا يملك الانسان صرف المقادر
صبرت ولم أجزع وقدمات اخوتى * وما أنا عن شرب المدام بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها * فخلانها يبكون حول المعاصر

(ورأى ذؤيب السلمى خمرا اهراقها السلطان فقال)

* يا لقومى لما أتى السلطان * لا يكن للذى أهانوا هوان
سكبوا فى التراب من حلب الكر * م عقارا كأنها الزعفران
سكبت فى مكان نحس لقد صا * ر دف سعد السعود ذا المكان
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يص * بر عن بعض نفسه انسان

ولما انهمك الوليد بن يزيد فى الشراب والتبذل مع الندماء اجتمع وجوه بنى أمية فلاموه وعنفوه فقال لهم اسمعوا ما عندى

أشهد الله والملائكة الابـ * ـرار والعابدين أهل الصلاح
انى أشتهى السماع وشرب الـ * ـراح والعض فى الخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا * رة يسعى على بالاقداح
وظريف الحديث والكاعب الطفـ * ـلة ترتج فى سموط الوشاح

انصرفوا فيئسوا منه فدبروا فى افساد دولته * ودخل على المأمون عمرو بن مسعدة ورجل من الفقهاء وبين يديه جام زجاج فيه رطل شراب فدبه يده المأمون الى الرجل فقال يا أمير المؤمنين والله ما شربتها ناشئا فلا تسقنيها شيخا فرد يده الى عمرو فأخذها منه وقال الله الله يا أمير المؤمنين انى آليت فى الكعبة أن لا أشربها ففكر طويلا والكأس فى يد عمرو ثم قال

ردا على الكأس انكما * لا تعلمان الكأس ما تجدى
لو ذقتما ما ذقت ما مزجت * الا بدمعكما من الوجد
ما مثل نعماها اذا اشتملت * الا اشتمال فم على خد
خوفتمانى الله ربكما * وكخفتيه رجاؤه عندى
ان كنتما لا تشربان معى * خوف العقاب شربتها وحدى

(وقال الحسن بن هانئ وهو الامام فى الخمريات)

ساع بكأس الى ناس على طرب * كلاهما عجب فى منظر عجب
قامت تريك وأمر الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب
كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء درّ على أرض من الذهب

وله أيضا قال ابتغى المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوءها مصباحا

فسكبت منها فى الزجاجة شربة * كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فألبسها المزاج وشاحا
شق البزال فؤادها فكأنها * أهدت اليك بريحها تفاحا
فأتتك فى صور تداولها البلى * فأزالهن وأثبت الارواحا

وقال ابن المعتز ونار قدحناها سراعا بسحرة * متى مايرق ماء عليها يوقد
يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

وقال ابن وكيع وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواعب در فى سماء عقيق

الطوق حاشية الكأس وقال ابن المعتز فى الحباب وتشبيهه له أحسن من تشبيهه بجميعه

أسقى مخدرة الدنا * ن سلاف خمر قرقفا
راحا تخال حبابها * درا يجول مجوفا

وقال الحسن بنت عشر لم تعاين * غير نار الشمس نارا
ثم سجت فأدارت * فوقها طوقا فدارا
كاقتران الدر بالدر * صغارا وكبارا
فاذا ما اعترضته الـ * ـعين من حيث استدارا
خلته فى جنبات الـ * ـكأس واوات صغارا

(وله أيضا فى مثل ذلك)

والكأس أهوا هاوان رزئت * بلغ المعاش وقلت فضلى
ذخرت لآدم قبل خلقته * فتقدمته بخطوة القبل
فأتاك شئ لا تلا مسه * الا بحسن غريزة العقل
فاذا علاها الماء ألبسها * غشا كمثل خلاخل الحجل
حتى اذا سكنت جوانحها * كنبت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع * غفل من الاعجام والشكل

(وقال ابن المعتز)

كان فى كأسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم

(وقال حبيب)

ضعفت وراض المزج سيئ خلقها * فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلاعب الافعال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء
وكأن بهجتها وبهجة كأسها * نار ونور قيدا بوعاء
أو درة بيضاء بكر أطبقت * حبلا على ياقوته حمراء

(وقال ابن لبال)

ومدامة لبست غلالة نرجس * وتنفست فى الكأس أى تنفس

باكرتها والورد يوقظه الندى * وتبل خدّيه عيون النرجس
والشمس تنظر من وراء غمامة * لبست من الكافور أحسن ملبس
نبهتها بيد المزاج فأصبحت * ترنو الىّ بأعين لم تنعس
وتوردت حتى توقد كأسها * فحسبتها فى الكف جذوة قبس

(قوله دهائى) أى تشيطنى وذكرى (السبح) جمع سبحة وقد تقدمت (تعجبن) ترفعن صوتك بالصياح (تعتبن) تلومن (وضح) ظهر (أبن) أقام (مغنى) منزل (أغن) كثير الاشجار فاذا هبت الريح فيها سمعت لها غنة ومن هذا قولهم روضة غناء لان صوت الريح يخرج من بين أشجارها وعشبها أغن ومن فسرها بأن الذباب يغنى فيها فهو صحيح فى المعنى فاسد فى التصريف لان يغنى أصله غ ن ى وأغن أصله غ ن ن فيريد بالمعنى الاغن منزلا كثير الاشجار وفسره بعضهم كثير الاهل والاول أولى (طفح) امتلأ خمرا و(المدام) الخمر (وقوله تقوى العظام * وتشفى السقام قد تجاوزها قوم حتى جعلوها تشفى من العاهات قال الاقيشر ويروى لابى نواس

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصرا
كميت كأن العنبر الورد ريحها * اذا ثمها الحانى من الدن كبرا
توقد فى أيدى السقاة كؤسها * اذا مارآها صائم القوم أفطرا

وقال آخر

أبا هاشم هل لى سبيل الى التى * أرى شربة منها تقوى الاحدب

(قوله وتنفى الترح) أى تزيل الحزن وقال الحسن بن هانئ فى أن الخمر تزيل الحزن والهم

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى هى الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكر * فظل من وجهها فى البيت لألاء
وأرسلت من فم الابريق صافية * كأنما أخذها بالعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى لا يلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها * حتى تولد أنوار وأضواء

(وقال البحترى)

فاشرب على زهر الرياض يشوبه * زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشوق الذى قد طل فى الاحشاء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكأس قائمة بغير اناء

(وقال حبيب)

بدامة يغدو الفتى لكؤسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق فى الاحشاء
عنبية ذهبية سبكت لها * ذهب المعانى صاغة الشعراء

(قوله أماط) أى أزال (اطرح) رمى بها وهذا منتزع من قول على بن الخليل

لا تكمل اللذات الا بالقيان وبالحبور
هتك الستور فانما اللذات فى هتك الستور

دهائى الرفاق
لارض العراق
بحمل السبح
فلا تغضبن
ولا تصخبن
ولا تعتبن
فعذرى وضح
ولا تعجبن
لشيخ أبن
بمغنى أغن
ودن طفح
فان المدام
تقوى العظام
وتشفى السقام
وتنفى الترح
وأصفى السرور
اذا ما الوقور
أماط ستور
الحيا واطرح

فدع العواذل لا يقفـ*ـن عليك من دون الصدور
واعلم بأنك راجع * حقا الى رب غفور

(قوله الغرام) شدة الحب (المستهام) الذى حمله الحب على أن يهيم أى يذهب ولا يدرى أين يتوجه (افتضح) اشتهر يقول أصفى ما يكون السرور اذا أزال الوقور ثياب الحياء واطرحها عنه وأحلى ما يكون العشق اذا ازال العاشق الكتم وشهر نفسه به ومن هذا قول أبى نواس

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر
ويح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(قوله زند أسالك) الزند الذى يقدح به النار والاسى الحزن يقول برد قلبك بذكر من تهوى فانك ان رمت كتمه قدح به زند حزنك ونحو هذا مايحكى أن أبا الفضل الدارمى كان له هوى بغلام فاذا رآه أنكر حبه والغلام يعرف شدة وجده به فدمعت يوما عينا أبى الفضل فقال له الغلام دمعك شاهد عليك فقال

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

(وقال المتنبى)

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

والشعر فى هذا كثير وكله تبع لقول العباس بن الاحنف

لا جزى الله دمع عينى خيرا * وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيأ * ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى * فاستدلوا عليه بالعنوان

أما الاشتهار الذى ذكر فانما يأخذ به أهل التماجن ومن لا بال له واما أهل المروآت والتصاون فغايتهم اعلام المحبوب بشأنهم وكتمه عن الناس وذلك شديد ولا يقوم به الا من كمل عقله وأما أن يكتمه عن محبوبه كحكاية أبى الفضل فاشد أحوال هذا الباب ان يكون لمحبوبك أصحاب يألفهم ويألفونه فيعلمون بشأنك كما فعل أبو الاصبغ بن رشيد المرتكى أنشد نيه الفقيه أبو الحسن بن زرقون

أيا قاسم ان قسمت الهوى * كؤوسا فحظى أوفى الكؤس
وبين جفونك يا قاتلى * وبين فؤادى حرب البسوس
وبين الجوانح نار الجوى * كما قد سمعت بنار المجوس
أسارقك اللحظ فى خفية * كما يتناول قيد الشموس
فهما بدوت ومهما رنوت * فشغل العيون وشغل النفوس
مررت به بين أصحابه * فحدوا اللحاظ وهزوا الرؤس
وهذا على خطرة فذة * فكيف لو أنى نويت الجلوس

(قوله داوا الكلوم) يريد جراح قلبه من أنكاد الدهر ولذلك اتبعه (سل الهموم) لانه فى معنى داوا الكلوم وهذا كقول العطوى

وأحلى الغرام
اذا المستهام
أزال اكتتام
الهوى وافتضح
فبح بهوالك
وبرد حشالك
فزند أسالك
به قدقدح
وداوا الكلوم
وسل الهموم
بينت الكروم

أعجبتن أن أناخ بى الدهـ ـر فخاصمته الى الاقداح
لاتذاد الهموم أنشبن أظفا * رحدادا بشرب ماء قراح
أحمد الله صارت الكأس تأسو * دون اخوانى الثقات جراحى

(قوله تقترح) تتمنى (الغبوق) شرب العشى و (المشوق) المحب (وطمح) ارتفع بالنظر يقول خص شرابك بالعشى مع غلام حسن يسقيك ويبيت معك على شرابك ويكون لافراط حسنه يجلب عذاب العاشق اذا نظره * ومما قيل فى السقاة ووصف الخمر من الشعر المستحسن قول أبى نواس

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل فى داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا * ومالم تكن فيه من البيت مغربا
يدور بها ساق أغن ترى له * على مستدار الخد صدغا معقربا
سقانى ومنانى بعينيه منية * فكانت الى نفسى ألذ وأعجبا

التى تقترح
وخص الغبوق بساق يسوق بلاء المشوق
اذا ما طمح

(وقال ابن الرومى فأحسن)

ومهفهف كملت محاسنه * حتى تجاوز مسية النفس
تصبو الكؤس الى مراشفه * وتضج فى يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأن شاربها * قمر يقبل عارض الشمس

(وقال ابن المعتز)

ظبى خلى من الاحزان أودعنى * مايعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكأن الكاس فى يده * هلال أول شهر غاب فى شفق

وقال أيضا

ياحسن أحمد غادا بأمس * بمدامة صفراء كالورس
وكأن كفيه تقسم فى * اقداحنا قطعا من الشمس

ولابى طالب الرفاء فى معنى آخر

لها فى كف شاربها شعاع * تطرف منه مبيض البنان

(ولابى بكر الخالدى)

توحى اليك بأطراف مطرفة * فيها خضاب للعناب والعنب

فهذا فى انتقال حمرتها الاصابع حابسها فاذا انتقلت لخد شاربها حدث للشعراء فى ذلك معنى بديع من صنع البديع يسمى المطابقة وهو الوصف بالغروب والطلوع وقال فى ذلك الطليق المروانى

أصبحت تمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
فاذا ما غربت فى فمه * أطلعت فى الخد منه شفقا

(ولابى مطروح بن فتوح)

صهباء تغرب ان بدت من كفه * فى فيه ثم تلوح فى وجناته

وقال غيره

بدر بدا يشرب شمسا بدت * وجدها فى الحسن من جده
تغرب فى فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع فى خده

وقال آخر

أقول والكأس على فيه وقد * صوبها كالكوكب الصائب

ذا كوكب يغرب فى كوكب * ويلى على الطالع والغارب

(رجعنا الى ذكر السقاة قال ابن المعتز)

تدور علينا الكأس من كف شادن * له لحظ عين يشتكى السقم مدنف
كأن سلاف الخمر من ماء خده * وعنقودها من شعره الجعد يقطف

(وقال أبو بكر الخالدى)

أهلا بشمس مدام من يدى قمر * تكامل الحسن فيه فهو تياه
كأن حمرتها اذ قام يمزجها * من خده اعتصرت أو من ثناياه
فى وجهه كل ريحان تراح له * منا قلوب وأبصار وتهواه
النرجس الغض عيناه وطرته * بنفسج وجنى الورد خداه

(ولابن الرقاق)

وساق يحث الكأس وهى كأنما * تلألأ منها مثل ضوء جبينه
سقانى بها صرف الحياء عشية * وثنى بأخرى من رحيق جفونه
هضيم الحشا ذو وجنة عندمية * تريك قطاف الورد فى غير حينه
فأشرب من يمناه ما فوق خده * وألثم من خديه ما بيمينه

(وقال الخوارزمى)

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم
بدور بها ظبى تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن أكثم

وقال ابن المعتز

ونداماى فى شباب وشيب * أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث نضير * وهو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالرا * ح كما ناح فى الغصون الحمام
وكأن السقاة بين الندامى * ألفات بين السطور رقيام

(قوله شاد) أى مغن (يشيد) يتقن غناءه ويحكمه (تميد) تميل (صدح) رفع صوته بالغناء والصداح الصوت الشديد يقول وأحضر الخمر مغنيا تميل الجبال لحسن غنائه وهذا مثل ماحكى المنجم قال حكى لى ان ابراهيم بن المهدى كان أحسن الناس غناء ببرهان وذلك أنى كنت أراه فى مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغنى المغنون فاذا ابتدأ هو لم يبق أحد من الغلمان والمتصرفين وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار الا وقد ترك ما فى يده وصار بأقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغيا اليه لاهيا عما كان فيه مادام يغنى فاذا أمسك وغنى غيره رجعوا الى اشغالهم ولا برهان أقوى من شهادة الفطرة واتفاق الطبائع على الميل اليه مع اختلافها فى غير ذلك وقال منصور بن المهدى غنى أخى ابراهيم الامين يوما فقال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس أنى امرؤ * أتيت الفتوة من بابها

وكان الامين مشرفا على حجر الوحش وهو مخمور وكان من عادته أن لا يشرب وهو مخمور فاستوى

تميد
بصوت تميد
جبال الحديد
له ان صدح

جالسا وطرب وقال أحسنت والله يا عم وأحييت لى طربا وغنى يومئذ على أشد طبقة ينتهى اليها وما سمعت مثل غنائه قط وقد رأيت منه شيا عجيبا لو حدثت به ما صدقته كان اذا ابتدأ يغنى أصغت الوحش ومدت أعناقها ولم تزل تدنو منه حتى تضع رؤسها على لدكان الذى كنا عليه فاذا سكت نفرت عناحتى تنتهى الى أبعد غاية يمكنها الذهاب اعدفهم اعناوجعل الاثنين يعجب من ذلك (قوله يبيح) أى يجعله مباحا يقول اعص من يعذلك فى وصل المليح متى سمح بوصله وكان أعرابى قد طال تعشقه بجارية فقيل له ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يراكم غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين لكنى كنت أفعل بها ما كنت أفعله بحضرة أهلى ما شكوى وحديث عذب واعراض عما يسخط الرب ويقطع الحب فان تلقى وصال المليح اذا سمح بمثل هذا فعصيان النصيح واجب وأكثر الناس يرى ان الظفر بالمعشوق يسقط نصف عشقه وأن النكاح يفسد الحب وقال المأمون

ما الحب الا قبلة * وغمزكف وعضد
وكتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبغى الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

وعاص النصيح الذى لا يبيح
وصال المليح اذا ما سمح

(وقال حبيب فى نقيضه وأجاد)

وقالت نكاح الحب يفسد شكله * وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

(وقالت أم الضحاك الحمارية)

شفاء الحب تقبيل وضم * وعض بالبطون على البطون
ورهز مثل عين الديك دنه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقال الحسن

اذا هجع النيام خل عينى * وغمض كان يصبا للدبيب
فانى عالم فطن أريب * ولم يخبرك مثل فتى أريب
ألذ الفعل تأخذه سرورا * بمنع الحب أو منع الرقيب

وبعد هذا ما يقبح ذكره وشعر الحسن يكثر فى هذا الباب وقال ابن الابار رحمه الله وذكر أنه فعل بمحبوبه وبرقيبه

فوثبنا على الغزال وثوبا * ورمينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وقال ابن بسام لقد ظرف ابن الابار واستظرف ما شاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى له هذا المذهب لدب عليه وابن المعتز كنى ولم يصرح فقال

فكان ما كان مما الست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أين ما قدمناه لابن الابار من قول الآخر فى ضده

ومنعم غض القطاف * عذب لماه للارتشاف
فوردت جنة نحره * ونعيمها دون اقتطاف
وعصيت سلطان الهوى * وأطعت سلطان العفاف

(وقال ابن الأبار أيضا)

ومعرض بالغصن فى حركاته * تسل القلوب العفو من لحظاته
عاطيته كاساً كان سلافها * من ريقه المعسول أو وجناته
وأطعت سلطان العفاف تكرما * والمرء مجبول على عاداته

(وقال الشريف الرضى فأحسن)

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرق الى قدم
وبات بارد ذاك الثغر يوضح لى * مواقع اللثم فى دامى من الظلم
وباتت الريح كالعذرى تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهى غافلة * حتى تكلم عصفور على علم
فقمت أنفض برداً ما تعلقه * غير العفاف وراء العيب والكرم

(وقال ابن فرج الجيانى)

وطائعة الوصال صددت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت بالليل سافرة فبتت * دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لنا دواعى
فلكب الهوى جمحات شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى
كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذا الرياض من المراعى

(وقال أبنا فأحسن)

بأيهما أنا فى الشكر بادى * أشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى لى فازدهى أملى ولكن * عففت فلم أنل منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتياد

كأنه لما عف فى اليقظة جرى على عادته فى النوم وهذا من قول أبى الطيب

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

وهذا أملك شهوة من التهامى وان كان قد أحسن حيث يقول

انى لأصرف طرفى عن محاسنها * تكرماً وأكف الكف عن لمم
ولا أهم ولى نفس تنازعنى * أستغفر الله الا ساعة الحلم

وقال ابن طباطبا يقظانه ومنامه شرع * كل بكل منه مشتبه
ان هم فى حلم بفاحشة * زجرته عفته فينتبه

أخذه السرى فكتب الى صديق له وكان اتهمه بغلام بعثه اليه

أبا بكر أسأت الظن فيمن * سجيته التمنع والخلاف
وخفت عليه فى الخلوات منى * ولم يك بيننا حال يخاف
جنوت من الصبا ما ليس يخفى * وعنت من الهوى ما لا يعاف
فلو أنى هممت بقبح فعل * لدى الاغناء أيقظنى العفاف

وجل فى المحال * ولذ بالمحال

(قوله جل) تصرف (المحال) المكر (لذ) تعلق وتستر (المحال) الباطل وما لا يمكن ثبوته

(ودع مايقال) أى لاتلتفت الى من ينقصك باتباع لذاتك وخذما يوافقك ويصلح بك وهذا رأى من اشتهر بالمجون كالحسن فى قوله

دع عنك ماجدوابه وتبطل * واذا لقيت أخا الحقيقة فاهزل
لاتركبن من الذنوب خسيسها * واعمد اذا قاربتها للأنبل
وخطيئة تغلو على مستامها * يأتيك آخرها بطعم الاول
حللت لاحرج على حرامها * ولربما حللت غير محلل

(وقال ابن وكيع)

لاتقبلن من الرشيد كلامه * واذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع الترهب والتجمل للورى * فالعيش ليس يطيب للمتجمل

وقال أيضا

فارقت بعدك عفتى ووقارى * وخلعت فى طرق الجنون عذارى
لاتأمرنى بالتستر فى الهوى * فالعيش أجمع فى ركوب العار
لاتكثرن على أخا الحجى * برم بقرب الصاحب المكثار

(قوله أبالك) اى تمنع منك (سنح) تيسر يقال سنح الشئ سنوحا اذا تيسر (صاف الخليل) أى أخلص الود للصاحب (ناف) باعد (أول الجميل) أصدق المعروف بمن يستحقه وقد أولانى فلان المعروف ألصقه بى وجعله بينه وبينى وقيل معنى أولانى ملكنى من قولهم هذا ولى المرأة أى مالك أمرها وقيل معناه عضدنى به وقوانى من قولهم بنو فلان ولاة على بنى فلان أى يعينونهم ويعضدونهم وقيل أولانى أنعم على من الآلاء وهى النعم واحدها الى وألى والاصل ولى وولى أبدل من الواو المكسورة همزة على حد اسادة وأبدل من الواو المفتوحة همزة على حد أحد وامرأة أناة (وال المنح) تابع العطايا (أمام الذهاب) قدام الموت يقول اذا شخت وأيقنت الموت فاضرب باب التوبة فانه يفتح لك اذ كل كريم بابه يفتح * ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصلى يقرع باب الملك وانه من يداوم قرع الباب يوشك أن يفتح له والله تعالى أكرم الكرماء وبابه باب التوبة وقال الالبيرى

فلازم قرع باب التوب دأبا * فان لزومه سبب الدخول

(قوله بخ بخ) أى عجب عجب وتثقل وتخفف وهى كلمة تقال عند الاعجاب بالشئ (أف وتف) الاصمعى الاف وسخ الاذان والتف وسخ الاظفار ثم استعمل ذلك عند كل شئ يضجر منه وقال غيره الأف القلة ماخوذ من الافف وهو القلة ثم نسق التف عليه ومعناه كمعناه ويقال لمن يدعى عليه بالخيبة أف وتفا لك وقال ابن الانبارى اذا أفردت أف ففيها عشرة أوجه فتح الفاء وكسرها وضمها على قياس مدوثلاثتها بالتنوين على قياس ويل فنصبه على الدعاء ورفعه بالابتداء وخفضه على التشبيه بالاصوات كمه وصه وأف كقد وأفى بضم الهمزة منصوب على الدعاء وأفى باضافته الى نفسه وأف بضم الهمزة وسكون الفاء تشبيها بالادوات نحو هل وبل (غوايتك) ضلالتك (الاعياص) الاصول والعيص بيت الاسد يريد من أى القبائل والبلاد (أعضلنى) صعب على (عويصك) صعب أمرك ومشكله (أفصح) أبين (أكنى) أورى أى أدل على نفسى بكلام خفى (اطروفة) غريبة (الحول) الكثيرا لحيلة (هاضه) كسره (اهتضم) ظلم ونقص (الوضم)

ودع مايقال * وخذ ماصلح
وفارق أبالك * اذا ما أبالك
ومد الشمالك * وصد من سنح
وصاف الخليل وناف البخيل
وأول الجميل * ووال المنح
ولذ بالمتاب * أمام الذهاب
فمن دق باب * كريم فتح
فقلت له بخ بخ لروايتك
وأف وتف لغوايتك فبالله
من أى الاعياص عيصك
فقد أعضلنى عويصك
فقال ماأحب أن أفصح
عنى ولكن سأكنى
أنا أطروفة الزما
ن وأعجوبة الامم
وأنا الحول الذى احـ * ـتال
فى العرب والعجم
غير أنى ابن حاجة
هاضه الدهر فاهتضم
وأبو صبية بدوا
مثل لحم على وضم

قوله وأفى بضم الهمزة منصوب على الدعاء كذا فى النسخ والمناسب مقصور وقد ذكر فى القاموس فيها أربعين لغة اه

خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم و (العيلة) الفقر وعال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة وقال الشاعر

ومايدرى الفقير متى غناه * ومايدرى الغنى متى يعيل

والمعيل الكثير العيال وقد أعال يعيل (قوله الريب) اى الريبة (مسود وجه الشيب) نبه به على قوله فى اول المقامة ميسمه ميسم الشبان يريد أنه خضب شيبه وتشبه بالفتيان والخضاب مباح والتدليس مكروه قال النبى صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب وكان ابو بكر رضى الله عنه يخضب بالحناء والكتم وجاء النهى عن الخضاب بالسواد وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لايريحون رائحة الجنة ومن كلام المولدين الخضاب تذكرة الشباب الخضاب أحد الشابين وقال مالك بن اسماء بن خارجة لجارية له قومى اخضبى رأسى ولحيتى فقالت دعنى فقد عيبت مما أرقعك فقال

عيرتنى خلقا أبليت جدته * وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

وقال آخر أليس عندك شكر للتى جعلت * ما بيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ماقد كان أخلقه * طول الزمان وصرف الدهر والقدم

وقال آخر وقائلة تقول وقد رأتنى * ترقع عارضاى من القتير
عليك الخضب علك أن تدانى * الى بيض ترى منهن حور
فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسودا وجه النذير

(وقال عبدان الاصبهانى)

فى مشيبى شمامة لعداتى * وهو ناع منغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه * لى أنس الى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر منى * ماتطلبت خلة الغانيات
انما رمت أن يغيب عنى * ماترينيه كل يوم مراتى
وهو ناع الى نفسى ومن ذا * سره أن يرى وجوه المنعاة

وقال آخر بكرت تحسن لى سواد خضابى * لو كان ذاك يعيدنى لشبابى
واذا أديم الوجه أخلقه البلى * لم ينتفع فيه بحسن خضاب
ماذا الذى يبدى عليك خضابه * وخلاف مايرضيك فى الاثواب

(وقال ابن عبدربه)

اذا فصل الخضاب بكى عليه * ويفرح كلما وصل الخضابا
كأن جمامة بيضا أطلت * تقاتل فى مفارقه غرابا

(وقال ابن الرومى)

ياأيها الرجل المسود شعره * كيما يعد به من الشبان
أقصر فلو سودت كل جمامة * بيضاء ماعدت من الغربان

(وأملح منه قول الآخر)

وأخو العيلة المعيل اذا احتال لم يلم

(قال الراوى) فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب ومسود وجه الشيب

قالت خضبت الشيب ثم أتيتنا * تبغي لدينا بالخضاب وداد
فأجبتها لم أختضب لك انما * شيبي صبغت على الشباب حداد

(وما أحسن ما قال ابن هانئ الاندلسي)

بنتم فلولا أن أغـــــيرلمتي * عبثا وألقاكم على غضابا
لخضبت شيبا في مفارق لمتي * ومحوت محو النفس منه كتابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أنني أجد البياض خضابا
واذا أزدت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان جماعة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

(قوله تمرده) تشيطنه وتمرد اذا كثر شره والمريد الخبيث الذي لا يطاق مكره (توردة) اتيانه بما لا يحل وأصل التورد قصد الماء (الأنفة) الغضب (يأن) يحين ويقرب (الخنى) الفساد (تفجر) اشتد غضبه (زمجر) تكلم بما لا يفهم (تنكر) تغير على وأنكر نفسه كأنه لا يعرفني (مراح) طرب ونشاط (تلاح) مشاتمة (نهزة) فرصة وغنيمة (كفاح) قتال (فعد) انصرف واترك (فرقا) فزعا (عربدته) شره وشغبه (الحداد) ثياب الحزن (الخطا) جمع خطوة وهي ما بين القدمين (نباذ) خمار (عصر) زمان (رحلنا العيس) جعلنا على الابل رحالها (التغليس) الخروج في الغلس وهي الظلمة التي بين طلوع الفجر والشمس وأظن أنه بنى هذه المقامة على حكاية لابي دلامة * حكى الاصبهاني أن موسى بن داود الهاشمي عزم على الحج فقال لابي دلامة احجج معي ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعها اليه فأخذها وهرب الى السواد وجعل ينفقها هنالك في شرب الخمر فطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشي فوت الحج وخرج فلما شارف القادسية اذا هو بأبي دلامة خارج من قرية الى أخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرح في محمل بين يديه فلما سار غير بعيد أقبل على موسى ونادى

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا * صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خديه من ذهب * اذا بدا لك في أثوابه السود
اني أعوذ بداود وأعظمه * من أن أكلف حجابا ابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربي بتصريد
والله ما فيّ من أجر فتطلبه * ولا الثناء على دين بمحمود

فقال موسى ألقوه عن المحمل لعنه الله فألقي وعاد الى موضعه بالسواد حتى أنفق المال وقال آخر

ألم ترني وبشارا حججنا * وكان الحج من خير النجاره
خرجنا طالبي سفر بعيد * فمال بنا الطريق الى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا * وأبنا موقرين من الخساره

(وقال أبو نواس في الحج)

وقائل هل تريد الحج قلت له * نعم اذا فنيت لذات بغداذ
وكيف بالحج لي ما دمت منغمسا * في بيت قوادة أو بيت نباذ

(قوله وخلينا بين الشيخين أبي زيد وابليس) من قول الحسن

وساءني عظم تمرده وقبح توردة فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنى فتفجر وتزمجر وتتنكر وفكر ثم قال انها ليلة مراح لا تلاح ونهزة شرب راح لا كفاح فعد عما بدا الى أن تلاقي غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبت ليلتي لا بساحداد الندم على نقلي خطا القدم الى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله سبحانه وتعالى أن لا أحضر بعدها حانة نباذ ولو أعطيت ملك بغداذ وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو ردّ علي عصر الشباب ثم اننا رحلنا العيس وقت التغليس وخلينا بين الشيخين أبي زيد وابليس

بت وابليس الى الصبح فى * كل الذى يؤثمنى خصمى

وانظر هذا فى الثامنة والاربعين والله أعلم

(شرح المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالبغدادية)

(المقامة الثالثة عشرة البغدادية)

(ندوت) أى خرجت ويقال ندت الابل تندو اذا خرجت من المشرب ترعى فيما قرب منه وهو الذى قصد لانه أراد أنه خرج مع أصحابه خارج البلد يستريحون ثم يرجعون و(الضواحى) المواضع البارزة للشمس و(الزوراء) هى فى الجانب الشرقى من بغداد وسميت زوراء لازورار قبلتها أى لانحرافها وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بنى العباس وهى الزوراء يكون فيها حرب مفظعة تسبى فيها النساء وتذبح فيها الرجال كما يذبح الغنم والزوراء هى بغداد ويقال لها الزوراء ومدينة السلام ومدينة المنصور وبغداد وبغدان وبغذان وبغدام وبغذام وبغداذ عن الفراء وبعضهم يقول تفسيره بستان رجل فبغ بستان وداد رجل وقيل بغ صنم وداد عطية وانما اختلفت العرب فى لفظها اذ لم تكن من كلامها ولا اشتقاق لها من لغتها وأشهر لغاتها بغداد بدالين وبغدان بالنون وكان الاصمعى رحمه الله لا يقول بغداد وانما يقول مدينة السلام لان بغ عندهم اسم صنم وداد عطية بالفارسية فكأنها عطية الصنم وبناها المنصور وبعث رجالا يطلبون له موضعا يبنى فيه مدينة فطلبوا فلم يجدوا حتى جاء ينزل فنزل على البر الذى فى الصراة فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة فوجه حينئذ الصناع من الشأم والموصل والكوفة وواسط والبصرة فابتدئت سنة خمس وأربعين ومائة وقال محمد بن أبى سهل لما أراد المنصور بناء بغداد أمرنى أن آخذ الطالع فأخذت طالعها فكان المشترى فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول بنائها وكثرة عمارتها ثم قلت وخلة أخرى يا أمير المؤمنين نجدها على ما تدل عليه النجوم لا يموت فيها خليفة فرأيته يتبسم وقال الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل لرجل كيف رأيت بغداد فقال الارض كلها بادية وبغداد حاضرتها. ابن جبير بغداد هى المدينة العتيقة ولم تزل حضرة الخلافة العباسية وقد ذهب رسمها ووسمها وهى بالاضافة الى ما كانت عليه قبل ايجاد الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالطلل الدارس والاثر الطامس وتمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر الا دجلتها التى بين الشرقية والغربية منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين والعقد المنتظم بلبتين فهى تردها فلا تظمأ وتطلع فى مرآة صقيلة فلا تصدأ والهواء المنتظم يتولد بين هوائها ومائها فهى معروفة بنتن الهوى الا أن يعصم الله منها وكما سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور فى النفس ويبعث دائما على الانبساط والانس فلا تكاد تجد فيها الاجذلان طربا وان كان نازح الدار مغتربا حتى حللت بقرية وزيران وهى على مرحلة منها فلما نفحتنا نوافح هوائها ونقعنا الغلة ببرد مائها أحسسنا من أنفسنا على حال وحشة الانفراد دواعى من الاطراب واستشعرنا بواعث فرح كانه فرحة الغياب بالاياب وهفت بنا محركات من الانس ذكرتنا معاهد الاحباب فى عصر الشباب هذا للغريب النازح الوطن فكيف الوافد فيها على أهل وسكن

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * وردّ الى الاوطان كل غريب

(روى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء

(ذكر بغداد)

وبغداد جانبان شرقي وغربي ودجلة بينهما فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه وهو كان المعمور أولا ولكنه مع خرابه يحتوى على سبع عشرة محلة كل واحدة منها مدينة مستقلة لها الحمامان والثلاثة وصلاة الجمعة في ثمان منها وأكبرها القرية وهي على شط دجلة ومقربة من الجسر ثم الكرخ وهي مدينة مشهورة ثم محلة باب البصرة وهي مدينة بها جامع المنصور وهو كبير عتيق البنيان ثم الشارع وهي مدينة وهذه الاربع أكبر المحلات والوسيطة بين دجلة وبين نهر يتفرع من الفرات وينصب في دجلة يجيء فيها جميع المدائن التي يسقيها الفرات وعلى بابها نهر آخر منه ينصب في دجلة ومنها العتابية وهي مدينة يصنع فيها الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الالوان وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها وأما الشرقية فهي محدثة وهي حفيلة الاسوار عظيمة الترتيب تشتمل من الخلق على بشر كثير لا يحصيهم الا الذي أحصى كل شيء عددا وبالشرقي محلة الرصافة وبها كان باب الطاق المشهور على الشط وبازائها محلة كبيرة تعرف بقبر أبي حنيفة رحمه الله فيها قبة سامية في الهواء بيضاء فيها قبر الامام أبي حنيفة وبالقرب منها قبر الامام احمد بن حنبل رحمه الله وحمامات بغداد لا تحصى أخبرني بعض أشياخها ان فيها اليوم ألفي حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر فيها أنها رخام أسود صقيل وأكثر حمامات هذه الجهة على هذه الصفة لكثرة القار عندهم وشأنه عجيب لانه منبع عين بين البصرة والكوفة يمير القار في جوانبها كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالقه وبغداد من المدارس نحو الثلاثين ما منها مدرسة الا كالقصر العظيم وأعظمها النظامية وبساتين بغداد وحدائقها بالغربية ومنها تجلب الفواكه للشرقية والعادة أبدا أن يكون بين الشرقية والغربية جسران لجواز الناس ومع ذلك فمن يعبر بينهما من الناس في الزوارق لا يحصى وذلك لكثرة الناس وزوارقها لا تحصى والناس ليلا ونهارا من معاينة العبور فيها في نزهة متصلة رجالا ونساء وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف وأين هي اليوم مما كانت عليه هي اليوم داخلة تحت قول حبيب * لا أنت أنت ولا الديار ديار * ثم ذكر ابن جبير أهلها فذمهم بكل عيب من الكبر والرياء وبيع الربا ثم استثنى فقهاءها وعلماءها (قوله مع مشيخة من الشعراء) قال الخليل في مدح الشعراء هم أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤا وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته وسئل غيره عنهم فقال ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم الا بينهم وقال آخر اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بأدنى كلمة وقال بعض الظرفاء يذمهم

مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم

(مدح الشعراء وذمهم)

الكلب والشاعر في رتبة * ياليت أني لم أكن شاعرا
هل هو الا باسط كفه * يستمطر الوارد والصادرا
والله لولا خرفات الهوى * ما كنت الا رجلا تاجرا

(وقال ابن الرومي)

يقولون ما لا يفعلون مسبة * من الله مسبوب بها الشعراء

وقال أيضا

للناس فيما يكلفون مغارم * عند الكرام لها قضاء زمام

ومغارم الشعراء فى أشعارهم * انفاق أعمار وهجر منام
وجفاء لذات وهجر مكاسب * لو خولفت حرست من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل * حسن الصنائع سابغ الانعام

(قوله مبار) أى معارض (مضمار) طلق (عمار) مجادل (أفضنا) اندفعنا (ينفضح) يكشف عيوبها شبه الجماعات فى الآداب بالخيل الجياد فى الطلق لا يلحق غبارها من يجاريها. وجعل حديثهم بحسن تفننه ينفضح الازهار متى قرن بها ونجعل تفسير الهذا المجلس الموصوف باجتماع الشعراء ماحدث به دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص وأبو نواس وهؤلاء مشيخة شعراء عصرهم فقال لهم أبو نواس ان مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم مابعده فليأت كل امرئ منكم بأحسن ماقال فلينشده فأنشد أبو الشيص

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم * اذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا * ما من يهون عليك ممن أكرم

فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عجبه ثم أنشد مسلم أبياتا منها

مبار بغبار و... ممار فى مضمار فأفضنا فى حديث ينفضح الازهار

فأقسم أنسى الداعيات الى الصبا * فقد فجأتها العين والستر واقع
فغطت بأيديها نمار نحورها * كايدى الاسارى أثقلتها الجوامع

قال دعبل فقال لى أبو نواس هات أبا على وكانى بك قد جئت بأم القلادة * لا تعجبى يا سلم فأنشدته

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضل أم هلكا
لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
يا ليت شعرى كيف صبركما * يا صاحبى اذا دمى سفكا
لا تطلبا بظلامتى أحدا * قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

(ثم سألناه أن ينشدنا فأنشد)

لا تبك ليلى ولا تركن الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أجدته حمرتها فى العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة * من كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها سحرا ومن يدها * خمرا فعالك من سكرين من بد
لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى

فلما بلغ هذا البيت قاموا فسجدوا له فقال أفعلتموها والله لأكلمكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا ثم قال تسعة فى هجر الاخوان كثير وفى بعضها استصلاح للفاسد وعقوبة على الهفوة ثم التفت الينا وقال اعلموا ان حكيما عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب يا أخى ان أيام العمر أقل من تحمل الهجر نظم ذلك الشاعر فقال

العمر أقصر مدة * من أن يمحق بالعتاب
أو ان يكدر ماصفا * منه بهجر واجتناب

(وقال ابن طاهر)

الى كم يكون الصد فى كل ساعة * ولم لا تملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه بقية * لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا

وقال آخر

ولقد علمت فلا تكن متجنبا * ان الصدود هو الفراق الاول
حسب الاحبة أن يفرق بينهم * ريب الزمان فما لنا نستعجل

(وقال القاضى عبد الوهاب)

لا تستعجل قطيعتى فكفى * يوما بذا الدهر بيننا مقطع
عما قريب تجىء فرقتنا * ثم لا ملتقى ولا مجمع

(وأخذه الكل من قول جميل)

ولعل أيام الحياة قليلة * فعلام يكثر عتبنا ويطول

(قوله نصفنا) أى بلغنا نصفه (غاض) جف (درّ الافكار) كلامها والدر اللبن استعاره لما يتولد من الذهن (صبت) مالت (الاوكار) البيوت هنا (لمحنا) أبصرنا (تحضر) تجرى (الجرد) الخيل القصيرة الشعر (استتلت) جعلتهم تلوها يتبعونها (أنحف) أقل لحما (الجوازل) فراخ الحمام واحدها جوزل (عرتنا) قصدتنا (المعارف) الاول الوجوه واحدها معروف قال الشاعر

متلثمين على معارفنا * تثنى لهن حواشى العصب

(وان لم يكن معارف) أى وان كنت لا أعرفهم (ما آل) مرجع وقد آل يؤل أولا وما آلا اذا رجع و(الآمل) الراجى (وئمال) غياث وملجأ (الارامل) المساكين *يعقوب هن جماعة الرجال والنساء ويقال لهم أرامل وان لم يكن فيهم نساء ويقال جاءت أرملة من رجال ونساء محتاجين ويقال للرجال الضعفاء المحتاجين أرملة وان لم يكن فيهم نساء وأرمل القوم فنى زادهم وواحد الارامل أرمل وأرملة وانما قيل للفاقدة زوجها أرملة لان أمرها يؤل الى الضيعة والحاجة (سروات) سادات واحدها سراة والسرى السيد الكبير ذو المروأة والسرو والمروأة وقد سرى سروا وسروسراوة جمع السخاء والفضل قال امرؤ القيس *ولها عليه سراوة الفضل*
وأنشد يعقوب

ان السرى هو السرى بنفسه * وابن السرى اذا سرى أسراهما

قال ثعلب السرى فى كلامهم الرفيع ماخوذ من السراة وسراة كل شئ أعلاه و (سريات) سيدات (العقائل) كرائم النساء تريد أن أباها وأمها من السادات (البعل) الزوج وبعل الرجل بعولة تزوج (الصدر) مقدم المجلس (القلب) قلب العسكر والعسكر خمسة أقسام مقدمة وساقة وميمنة وميسرة وقلب وهو محل الملوك أراد ت أن قرابتها منهم (يمطون) يهبون و (الظهر) الابل بأوقارها وأمطاه أعطاه دابة يركب مطاها أى ظهرها (يولون اليد) يهبون النعمة (أردى) أهلك (الاعضاد) جمع عضد وهو غليظ الذراع الذى بين المرفق والمنكب (فجع) أحزن وجاء بفجيعة وهى الرزية يتفجع عليها (الجوارح) عوامل الجسد كاليد والرجل والعين تريد أن الدهر اذا أهلك أهلها فكأنه قطع جوارحها فتعطلت منفعتها (انقلب) تحول (ظهر البطن) كناية عن الخلاف أى بعد ان كان مستقيما انقلب (نبا) ارتفع ولم يستقر (الناظر) من ينظر عليها

الى ان نصفنا النهار فلما غاض درّ الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا ان عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا ما آل الآمل وئمال الارامل أنى من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا

(الحاجب) من يحجبها ويسترها و(العين) الذهب (الراحة) الدعة والسكون (صلد) لم يورنارا وأرادت انقطاع الخبر عنها (وهنت) استرخت (اليمين) القوة (بانت) ذهبت وبعدت (المرافق) من كان يرتفق بحياته ومنفعته والمرافق كل ما ارتفقت به من مال وغيره (ثنية) صغيرة من الابل و(ناب) مسنة وهذا الكلام كله استعارة كما تقدم في الابرة والمرود لكنه كنى هنا بالجوارح والاعضاء عمن كان يستعين به من القرابة على الدهر ومعاني الاعضاء بينة الا الراحة فانها بطن الكف والزند طرف عظم الساعد والثنية والناب صريحتان ونبا الناظر لم يثم وجفا الحاجب لم يرسل الجفن على العين فتنام كما قال بشار

نبت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

(وقال التهامي)

قصرت جفوني أم تباعد بينها * أم صورت عيني بلا أشفار

(قوله اغبر) أي علته غبرة و (الاخضر) الناعم (ازور) انقبض (الاصفر) هو الدينار (الفود) ناحية الرأس بين الاذن والجبهة وهذا من قول أعرابي ذكر مصيبته فقال: صيبة والله تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وهوّنت المصائب بعدها

(وقال عبد الله بن الزبير الاسدي)

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا

فردّ شعورهنّ السود بيضا * وردّ وجوههنّ البيض سودا

(وقال التهامي)

تسوّد الشمس منا بيض أوجهنا * ولا تسوّد بيض العذر واللمم

وكان حالهما في الحكم واحدة * لو احتكمنا من الدنيا الى حكم

(قوله ربئ) بكى وأشفق (العدو الازرق) أراد الروم وهم أعداء العرب (والموت الاحمر) الشديد ومنه الحسن أحمر أي من أحب الحسن احتمل المشقة وفي الحديث كنا اذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد أقرب الى العدو منه فمعناه اشتدّ وقيل معنى الموت الاحمر القتل وقد قال الاخطل *أن قد أتيح لهنّ موت أحمر *يريد قتل الثور الكلاب وتقدم في المقامة قبل هذه فلما فيه من الدم سمي أحمر وهو الاظهر من مقصد الحريري لانه علق غيره من الصفات باللون مثل العدو الازرق والروم زرق العيون فكذلك الموت الاحمر *أبو عبيدة الموت الاحمر أن يتغير بصر الرجل من الهول فيرى الدنيا في عينيه حمراء ورداء والموت الاغبر هو الموت جوعا لانه يغبرّ في عينيه كل شئ والموت الاسود هو الموت في غمة الماء والموت الابيض هو موت العافية قال الخطابي الموت الابيض أي فجأة لانه يأخذ الانسان بياض لونه (قوله تلوى) أي خلفي والى جانبي (عينه) شخصه (فراره) معرفته أي شخصه يعرفكم بحاله والعرب تقول عينه فراره للشئ تعرفه اذا أبصرته والغرّ في البهائم كشف اسنانها حتى يعرف ما لها من السن ووقع في المقامات فراره بضم الفاء وكذا في نوادر أبي علي ووقع في النسخ العتاق من الامثال لابي عبيد فراره بكسر الفاء وأنشد أبو علي *هو الحبيب عينه فراره * وفسره فقال نظر لك اليه يغنيك عن فرّه أن تخبره وهما لغتان فراره وفراره (قوله ترجمانه) المتكلم عنه يريد أن صفرة لونه تخبرك أنه

الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند وهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فذا غبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فهذا الموت الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره

جائع (قصوى) غاية (بغية) طلب (وقصارى أمنيته) أى منتهى ما يتمناه وغايته (بردة) ثوب أى أقصى ما يطلب ما يأكل وغاية ما يتمنى ما يلبس (آليت) حلفت (أبذل الحر) أهين الحر (الحر) الكثير المروأة (ناجتنى) حدثتنى (القرونة) النفس (المعونة) ما يستعان به (آذنتنى) أعلمتنى (فراسة الحوباء) فطنة النفس (الينابيع) جمع ينبوع وهو ما يخرج من الماء وينبع (الحباء) العطاء (أبر) راعى وأكرم (توسمى) نظرى وظنى (يقذيها) يجعل فيها القذى (الجمود) الشح وقال بعضهم فى ذم التشكى الى المخلوق

لا اشتكى ضرى الى الناس وهم من أعلم
ان إلهامى بالضر جواد منعم
أشكو الذى يرحمنى * الى الذى لا يرحم

الكسنجى قال أملقت حتى لم يبق فى منزلى الا جارية فدخلت دار المتوكل فلم أزل متفكرا فحضرنى بيتان فاخذت قصبة وكتبت على الحائط الذى كنت الى جانبه

الرزق مقسوم فأجمل فى الطلب * يأتى بأسباب ومن غير سبب
فاسترزق الله فى الله غنى * الله خير لك من أب وحدب

فركب المتوكل فى ذلك اليوم وجعل يطوف على الحجر ومعه الفتح بن خاقان حتى وقف على البيتين وقال من كتب هذا وقرأهما الفتح له فاستحسنهما وقال من كان فى هذه الحجرة فقيل الكسنجى فقال أغفلناه وأسأنا اليه فأمر لى بيدرتين وقال محمد بن مخلد الكاتب لزمت أبا الحسن على بن محمد بن الفرات أغدو وأروح الى بابه لأحظى بطائل ولا أصل الى تصريف ولا نائل حتى كرهت نفسى فرأيت هاتفا فى المنام يقول لى

يا أيها المكثر فى المطالب * اهجر تصاريف المنى الكواذب
اذا أتى وقت القضاء الغالب * بادرت الحاجة كف الطالب

فتركت المسير اليه فلم يمض لى أسبوع حتى تقلد حامد بن العباس الوزارة فقلدنى كتابته فثابت حالى (قوله همنا) أى تحيرنا (البراعة) الفصاحة (عبارتها) سياق كلامها (ملح استعارتها) يريد ما استعارته من تسمية الاشخاص بأسماء الاعضاء (إلحاحك) تسجيل الشعر (ينجر الصخر) أى يخرج من الحجر الماء ومن البخيل العطاء (مواساتك) صلتك وأصلها أن تجعل صاحبك اسوة نفسك (شعارى) ثوبى اللاصق بجسمى سمى شعارا لانه يلى شعر الجسد والظهار الثوب الذى يظهر للعيون والدثار الثوب الذى بينهما (ردن) كم (درع) قميص (دريس) خلق (برزت) ظهرت (دردبيس) داهية (ريب) جور (غنوا) أقاموا (غضيض) منكسر (صيتهم) ذكرهم الحسن وهو من الصوت فلما كسرت الصاد أصير على وزن الذكر ومعناه وانقلبت واوه ياء (مستفيض) متحدث به مشهور (نجعة) مرعى (أعوزت) فقدت (الشهباء) التى أجدبت فلا مطر فيها ولا عشب (والروض) الموضع الكثير العشب (أريض) متسع (تشب) توقد (للسارين) للماشين بالليل (غريض) طرى (ساغبا) جائعا (لروع) الفزع (الجريض) الغص بالريق عند الموت (حال) منع أى لا يقول جارهم حال الموت دون الامن ووفد عبيد بن الابرص على النعمان الاكبر وهو ابن الشقيقة وبانى الخورنق فامتدحه فوصله وأكرمه وكان له يوم نعيم ويوم بؤس

ناجتنى القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتنى فراسة الحوباء بانكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمى وصدق توسمى ونظر الى بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجمود (قال الحرث بن همام) فهمنا البراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلحاحك فقالت يفجر الصخر ولا نفجر فقلنا ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لارينكم أولا شعارى ثم لأرينكم اشعارى فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز دردبيس وأنشأت تقول

شكوا الى الله اشتكاء المريض
ريب الزمان المتعدى البغيض
ياقوم انى من أناس غنوا
دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
نخارهم ليس له دافع
وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت
فى السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم
ويطعمون الضيف لحما غريض
ماتات جار لهم ساغبا
ولا لروع قال حال الجريض

فى السنة فورد عليه فى يوم بؤسه فقال له ما أخرجك ثكلتك أمك فقال حضور أجلى وانقطاع أملى وكان من لقيه يوم بؤسه لم يخلصه من الموت شئ فاستنشده * أقفر من أهيله محبوب * فقال له حال الجريض دون القريض فعزم عليه أن ينشده فأنشده

أقفر من أهيله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد

ثم قال له اختر ان شئت أخرجت نفسك من الاكحل وان شئت من الابجل وان شئت من الوريد فقال عبيد خيرتنى بين سحابات عاد * فردت دون بؤسك شر المراد

وكان قتل النعمان لعبيد بسبب قطعه يوم بؤسه فلم يفعله بعد (قوله غيضت) أى أذهبت والصروف الطوارى تصرف من حال الى حال (لم أخلها) لم أحسبها (أودعت) ضمنت (الثرى) التراب (التحامى) الحماية والمنعة وتحاميته تباعدت منه وتمنعت عليه (أساة) أطباء (المطايا) الابل (المطا) الظهر (محملى) ما أحمل عليه أثقالى تقول صرت أحمل على ظهرى بعدان كان محملى ظهور الابل (اليفاع) الارتفاع من الارض (الحضيض) أسفل الجبل (ماتأتلى) تقصر (بؤسا) ضرا (وميض) لمعان (القانت) العابد والقنوت طول القيام (يفيض) يملأ العين حتى تفيض بالدمع (النعاب) فرخ الغراب اختصه من الطير لانهم يزعمون أنه يخرج من بيضته أبيض الزغب فيراه الذكر فيستريب فيضرب أنثاه وينقرها حتى تفر طائرة فيطير خلفها ويتركانه فيقيض الله له ذبابا يطير حول عينيه فيفتح منقاره ليشردها فتدخل فى حلقه فيتغذى بها حتى يسود ريشه فحينئذ يرجع اليه أبواه فيكملان تربيته ويارازق النعاب من دعاء داود عليه السلام (المهيض) الذى انكسر بعد الجبر (أتح) قدر (رحيض) مغسول (مذقة) جرعة (حازر) لبن حامض شديد الحموضة و (المخيض) اللبن يمزج بالماء ويحرك والمخض التحريك ليخرج زبده واذا طال مكث المخيض واشتدت حموضته سمى حازرا (نابهم) نزل بهم (العريض) الواسع العرض (تعنو) تذل (النواصى) شعر مقدم الرأس (صفعة) ناحية العنق (تصديت) تعرضت (القريض) الشعر (قوله صدعت) شقت (اعشار) قطع (خبايا) ماخبئ فيها من الدراهم (ماحها) أعطاها (دينه) عادته (الامتياح) طلب المعروف يريد مشيخة الشعراء الذين قدم ذكرهم وعيش الشعراء انما هو من الاستجداء والطلب ومعلوم أنه من كانت عادته أن يأخذ لا يعطى فى الغالب شيأ ولذلك قال (من لم تخله يرتاح) أى من لم تحسب أنه يهتز للعطاء وقد ارتاح اذا اهتز للكرم والعطاء ولذلك قال حبيب

لم يخلق الرحمن أحمق لحية * من سائل يرجو الندى من سائل

وقال آخر

لموت الفتى خير من الفقر للفتى * وللموت خير من سؤال بخيل

لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تاق مخلوقا بوجه ذليل

ولا تسألن من كان يسأل مرة * فللموت خير من سؤال سؤل

وحدث عيسى بن عمر النحوى قال قدمت من سفر فدخل على ذو الرمة الشاعر فعرضت عليه أن أعطيه شيأ فقال أنا وأنت نأخذ ولا نعطى ومدح أبو الشمقمق مروان بن أبى حفصة فقال له يا أبا الشمقمق أنت شاعر وأنا شاعر وغايتنا جميعا السؤال وكان بشار يعطيه فى كل سنة مائتى درهم فأتاه مرة فقال علم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أجزية هى قال هو ما تسمع فقال له بشار

فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم اخلها تغيض

وأودعت منهم بطون الثرى * أسد التحامى وأساة المريض

فحملى بعد المطايا المطا * وموطنى بعد اليفاع الحضيض

وأفرخى ما تأتلى تشتكى * بؤساله فى كل يوم وميض

اذا دعا القانت فى ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض

يارازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض

أتح لنا اللهم من عرضه * من دنس الذم نقى رحيض

يطفئ نار الجوع عنا ولو * بمذقة من حازر أو مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذى تعنو النواصى له * يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولاهم لم تبد لى صفعة * ولا تصديت لنظم القريض

(قال الراوى) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح

يمازحه أنت أفصح منى قال لا قال فأعلم قال لا قال فاشعر قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك قال ان هجوتنى هجوتك قال أبو الشمقمق أوكذا هو اسمع

انى اذا ما شاعر هجانيه * أدخلت فى است امه علانيه

بشار يا بشار وأراد أن يقول يا ابن الزانية فأمسك بشار بفمه وقال أراد والله أن يشتمنى ثم دفع اليه مائتى درهم وقال لا تسمعن منك هذا الصبيان ولقيت بسحلماسة شاعرها وعينها الحاج امدحثر وكان له شعر رائق فحدثت عنه انه قصده يوما فتى شاعر يستجديه بشعر فوقع الحاج تحت شعره

نحن بزاة الناس لانصاد * من كان ذا فهم بنا يصطاد

ثم كتب له قطعة من شعره وقال له اقصد بها فلانا فانه يصلك بما يرضيك فعلم المقصود بالشعر بنية الحاج فوصله بما أرضاه وعد أبو نواس أبا الطفيل الشاعر وعدا فألح عليه فقال

واخرس ولاج وغاد ورائح * رجاء نوال لو يعان بجود

وانى واياد كعربان يصطلى * من الطل نارا غير ذات وقود

زويت له وجها قطوبا عن الندى * وألبسته من وعده بوعيد

فان كنت لا عن سوء فعلك مقلعا * فدونك فاستظهر بنعل حديد

فعندى مطل لا يطير غرابه * مطير ولا يدعى له بوليد

(قوله افعوعم) امتلأ وافعوعل بنيت للمبالغة (تبرا) ذهبا (أولاها) أعطاها (البر) الاكرام (فاغر) منفتح (اشرأبت) تطلعت وتقول اشرأب الرجل اذا مد عنقه لينظر (سبرها) اختبارها (تبلو) تختبر يريد ان الجماعة أرادت ان تعرف هل أوقعت اكرامها فيمن يستحقه أم لا (كفلت) ضمنت (استنباط) استخراج (المرموز) المخفى (نهضت) تقدمت للمشى (اقفو) أتبع (مغتصة) ممتلئة (انغمست) غابت ودخلت (الغمار) كثرة الخلق وجماعتهم التى تغمر الارض أى تغطيها ورده ابن الانبارى وجعله من خطإ العامة وقال انما تقول العرب دخل فى خمار الناس بالخاء وهو جمعهم اذا استتر بهم ومنه الخمار لتغطية الرأس ومنه الخمر وقال يعقوب هو كل ما استتر به الانسان من شجر أو غيره فان كان من شجر خاصة فهو الضراء وحكى بعضهم غمارا جعله من غمر الماء الشئ اذا غطاه (قوله امتلست) انفلتت بسهولة والامتلاس ان يسقط الشئ من يدك ولا تشعر به (الاغمار) الجهال (عاجت) مالت (بخلوبال) أى خالية منفردة (أماطت) أزالت (الجلباب) ثوب أوسع من الخمار يتجلبب به أى يلتف فيه والجلباب كالملحفة للمرأة والرداء للرجل (نضت) نحت وجردت (النقاب) ما يغطى به الوجه (ألمحها) انظرها (خصاص) فرج يريد به من شقوق الباب (انسرت) زالت ويروى بفصل سرت عن أن ومعناه أن أزالت بالهمزة والمنفصل فعل المجزوم والمتصل فعل الاهبة وهى العدة يريد لما ان أزالت عنها هيئة لباسها التى استترت بها عنا كان الخفر وهو الحياء يمنعها أن تكشف وجهها حتى نعرفها (محيا) وجه (سفر) انكشف (اهجم) آخذه على غفلة (أعنفه) اقبح فعله (اسلنقى) صار على ظهره (المتمردين) الشياطين ومن لا يرجى صلاحه (عقيرة) صوت (المغردين) المطربين بالغناء والعقيرة بمعنى معقورة أى جارحة مقطوعة كان رجل قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى ورفع صوته فقيل

فلما افعوعم جيبها تبرا
وأولاها كل منا برا
تولت تبلوها الاصاغر وفوها
بالشكر فاغر فاشرأبت
الجماعة بعد ممرها الى سبرها
تبلو مواقع برها فكفلت
لهم باستنباط السر المرموز
ونهضت أقفو أثر العجوز
حتى انتهت الى سوق مغتصة
بالانام مختصة بالزحام
فانغمست فى الغمار
وامتلست من الصبية الاغمار
ثم عاجت بخلوبال الى
مسجد خال فاماطت
الجلباب ونضت النقاب
وأنا ألمحها من خصاص
الباب وأرقب ماستبدى
من العجاب فلما انسرت
أهبة الخفر رأيت محيا أبى
زيد قد سفر فهممت بأن
اهجم عليه لاعنفه على
ما أجرى اليه فاسلنقى
اسلنقاء المتمردين ثم رفع
عقيرة المغردين واندفع
ينشد

لکل من رفع صوته قدر رفع عقیرته (قوله یالیت شعری) معناه لیت دراتی وفطنتی ومعنی الشاعر فی کلامهم الفطن العالم وسمی شاعرا لانه یفطن لما لا یفطن له غیره وأجاز الفراء لیت شعری أبالغ ماصنع علی معنی لیتنی أعلم أبالغ ماصنع وأنشد

لیت شعری مسافر بن أبی عمـ * ـرو ولیت یقولها المحزون

ومعناه لیتنی أعلم مسافرا وقال آخر

خمر الشیب لمتی تخمیرا * وحدانی الی القبور البعیرا
لیت شعری اذا القیامة قامت * ودعی بالحساب أین المصیرا

قال ثعلب المصیر منصوب بشعری أی لیتنی أعلم المصیر أین هو والبعیر منصوب بحدا أی وحدا الشیب البعیر الی القبور ویـ (کنه) حقیقة (غوری) آخر أمری وأصل الغور قعر الجرحة والمنخفض من الارض (قرت) غلبت وخدعت (مکری) خداعی (أستفز) أستخف وأخدع واستفزه من کذا أخرجه منه والخل کنایة عن الشر والخمر کنایة عن الخیر هذا علی مذهب العرب وکانت الخمر أجل ماعندهم ویقولون ماعنده خل ولا خمر أی ماعنده شر ولا خیر واذا فسدت الخمر عندهم صارت خلا وقد قال فی ألغازه

وماشیء اذا فسدا * تحول عینه رشدا

یرید أن الخمر اذا فسدت صارت خلا فبعد أن کانت حراما رجعت حلالا وزال تأثیرها فی العقول (صخر) هو ابن الشرید و(أخته) الخنساء فأراد أنه مرة رجل ومرة أخری امرأة * ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم أربعة لعنوا فی السماء رجل خلقه الله ذکرا فتأنث وامرأة خلقها الله أنثی فتذکرت تتشبه بالرجال والذی یضل الاعمی ورجل حصور ولم یجعل الله حصورا الا یحیی بن زکریا علیهما السلام * وأما صخر فهو ابن عمرو بن الحرث بن الشرید بن رباح من بنی سلیم بن منصور بن عکرمة بن خصفة بن قیس بن عیلان وکان فی جماله أجمل رجل فی العرب وسنذکر لمعة من أخبار صخر وأخته الخنساء فی المقامة الاربعین ان شاء الله تعالی (سلکت سبیلا) دخلت طریقا (مألوفة) مرکوبة ملتزمة (قدحی) سهمی (قدحی) ضربی بالزند (عسری) فقری (خسری) ضرر یجی والخسر النقص یرید لو مشیت علی طریقة واحدة أبدا لخسرت وخبت (دونک) أی خذ (جلیة) ظاهرة (بدیعة) غریبة (إمره) دهائه وعجبه (زخرف) زین (المرید) العاری من الخیر انما هو شر کله (التفنید) اللوم وفندت فعله اذا عبته (ثنیت) عطفت وتقول جاء ثانیا عنانه اذا بلغ مراده ولم یجهد نفسه (أبثتهم) أخبرتهم (أثبته) حققه (عیانی) معاینتی (وجوا) غضبوا (الجوائز) العطایا (تعاهدوا) تحالفوا (محرمة) منع وحرمان

(شرح المقامة الرابعة عشرة وهی المکیة)

(نهضت) أی تقدمت وسمی النهوض تقدما لسرعة الحرکة * وسمی المنصور بغداد مدینة السلام لان دجلة یقال لها وادی السلام ونهر السلام * وأضاف الحجة الی الاسلام لانها أحد أرکانه قال النبی صلی الله علیه وسلم بنی الاسلام علی خمس والحج أحدها (النفث) مایلزم الحاج

بحیلتی وبمکری
وکم برزت بعرف
علیهم وبنکر
اصطاد قوما بوعظ
وآخرین بشعر
وأستفز بخل
عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر
وتارة أخت صخر
ولو سلکت سبیلا
مألوفة طول عمری
لخاب قدحی وقدحی
ودام عسری وخسری
فقل لمن لام هـ ـذا
عذری فدونک عذری

(قال الحرث بن همام) فلما ظهرت علی جلیة أمره وبدیعة إمره ومازخرف فی شعره من عذره علمت ان شیطانه المرید لایسمع التفنید ولا یفعل الا مایرید فثنیت الی أصحابی عنانی وأبثتهم ماأثبته عیانی فوجوا لضیعة الجوائز وتعاهدوا علی محرمة المجائز

(المقامة الرابعة عشرة المکیة)

(حکی الحرث بن همام) قال نهضت من مدینة السلام لحجة الاسلام فلما قضیت بعون الله النفث واستحت

من ترك الطيب وحلاق الشعر (والرفث) النكاح (استبحت) استحللت (الموسم) الموضع الذى يجتمع فيه الناس من عيد أوسوق (الخيف) موضع بمكة (معمعان) شدة الحر (استظهرت) استعددت تقول قد استظهر للشئ بكذا اذا استعد له وقد تقدم آنفا للحسن

فدونك فاستظهر بنعل حديد (بقى) بمنع (الظهيرة) حر نصف النهار فيقول بسبب ضرورة الحر جعلت على نفسى ستارا يمنع عنى حر الشمس (ظراف) قبة من جلد (ظراف) جمع ظريف وهو النبيل المهذب (حمى وطيس الحصباء) اشتد حر الجنادل لان وطئها وأصل الوطيس التنور يحمى فيطبخ فيه (أعشى) أعمى (الهجير) حر نصف النهار (الحرباء) دويبة تستقبل الشمس وتدور معها وانظرها فى المقامة السادسة والثلاثين وقال المعرى

وهجيرة كالهجر دوج سرابها * كالبحر ليس لمائه من طحلب
أوفى بها الحرباء عودى منبر * للظهر الا أنه لم يخطب
فكأنه رام الكلام ومسه * عى فاسعده لسان الجندب

(وقال أيضا فى نحوه)

وساحرة الاقطار يحنى سرابها * فيصلب حرباء بريا على جذع

(قوله هجم) أى دخل على غفلة (متسعسع) هرم متقارب الخطو (مترعرع) شباب متزايد وترعرع الغلام أى أخذ فى الزيادة فى طوله وخلقته والرعرع الشباب (أريب) عاقل (حاور) راجع الكلام (نثر من سمطه) أبدى من كلامه وأصل السمط خيط الجوهر (انبساطه) دالته وهذا الكلام أصله فى البساط تقول بسطته فانبسط فلا يكون الانبساط مطاوعا الا بعد الشروع فى البسط يقول فهذا الشيخ انبسط علينا قبل ان نبسطه أى دل علينا قبل أن نجعل له السبيل فى ذلك ومما يحسن من المنظوم هنا قول ابن كناسة

فى انقباض وحشمة فاذا * لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها * فقلت ماقلت غير محتشم

قال اسحق الموصلى أنشدنى ابن كناسة هذين البيتين فقلت له وددت أنى سبقتك اليهما وينقص من عمرى سنتان (ولجت) دخلت (عاف) طالب معروف (اسعاف) قضاء حاجتى (الشفيع) الطالب لغيره يقول لست أحتاج اليكم مع ظهور سرى لشفيع لان نظركم الى يغنى عن الشفيع (كاف) مغن عن غيره (الانسياب) الدخول بسهولة وقد تقدم أصله فى الاولى (الارتياب) الشك والانكار (عجاب) مبالغة فى عجب (أنى) كيف (نشرا تنم به نفحاته) طيبا تفوح روائحه وأنفاسه (ترشد) تدل وتهدى (فوحاته) روائحه العطرة و(العرف) الرائحة الطيبة و(تأرجها) تحركها وتأرج الطيب فاح (تبلج) ظهور (عرفكم) معروفكم ولاحظ الحريرى فى هذا قول العرجى

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قالوا ويستدل بالطيب على الملوكية فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين فمن ذلك الحمام ومعرك الحرب ومثل هذا الموطن الذى ذكر الحريرى فى الحج اذا حل قالوا والطيب

الطيب والرفث صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما بقى حر الظهيرة فبينما أنا تحت ظراف مع رفقة ظراف وقد حمى وطيس الحصباء وأعشى الهجير عين الحرباء اذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لاغريب فأعجبنا بما نثر من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب اسعاف وسر ضرى غير خاف والنظر الى تشفيع لى كاف وأما الانسياب الذى علق به الارتياب فياهو بعجاب اذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى اهتدى الينا وبم استدل علينا فقال ان للكرم نشرا تنم به نفحاته وترشد الى روضه فوحاته فاستدللت بتأرج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرنى تضوع رندكم بحسن المنقلب من عدكم فاستخبرناه حينئذ عن لباته لنستكمل باعاته فقال ان لى

دليل لا يكذب ونمام لا يفسد والطيب غذاء الروح والنفحات الذكية نشاط النفس فهو طب وطيب وقال ابن البواب

اذا أبصرتك العين من بعد غاية * فاوقعت شكا فيك أثبتك القلب
ولو أن ركبا يممونك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

(وقال السرى الموصلى)

حليه وثناياه وعنبره * كل ينم عليه أو يراقبه
فلست أدرى اذا ما سار فى أفق * شمائل الافق أذكى أم جنائبه

(وقال ابن سكرة)

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنى لاظهرها * برق اللثات وعطر النحر والنفس

(وأخذه المعتمد بن عباد فقال)

ثلاثة منعتنا من زيارتها * خوف الوشاة وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

(قوله مأربا) اى حاجة (المرامين) المطلبين (الكبر الكبر) أى قدموا الاكبر * ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنى جبريل عليه السلام أن أقدم الاكبر (أجل) نعم (دحا) بسط (السبع الغبر) الارضين (المنشط) المحلول (عقال) قيد البعير وعقدته بأنشوطة أى عقدته عقدة تنحل بجذبة أو بجذبتين وقولهم بئر نشوط اذا كان دلوها يخرج بجذبة أو جذبتين وتسمى عامتنا عقدة الانشوطة اللخ (أبدع بى) أى عطبت ناقتى يقال أبدع بالرجل اذا كلت ابله أو عطبت وفى الحديث ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال احملنى فانى أبدع بى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما عندى ما أحملك عليه ولكن اذهب الى فلان فقل له يحملك فأتاه فحمله فرجع اليه فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله أجر فاعله (قولة الوجى) وجع الحافر من الحفا (شقتى شاسعة) سفرتى بعيدة (خبى) مشيتى وخب الفرس خببا وهو ضرب من العدو دون الاسراع (الخردل) حب معروف فى نهاية الصغر (مطبوعة) مصنوعة (منسدة) منغلقة (العطب) الهلاك (تخلفت) تأخرت (مذهبى) طريقى (زفرتى فى صعد) نفسى فى ارتفاع (عبرتى فى صبب) دمعى فى انحدار (المنتجع) الموضع الخصيب الذى ينتجع للمرعى يقول موضعكم خصيب وأنتم كرام فمن طلب منكم رزقه وجده (لها كم) عطايا كم (منهلة) منصبة (لاذ) تستر ولجأ (مرتاع) خائف (النوب) جمع نائبة على غير قياس وهى الداهية وجعل لها نابا مجازا وجنس به وأصل الناب للسبع (استدر) طلب الدر وهو اللبن (آمل) راج (حباءكم) عطاءكم (انعطفوا) ميلوا (منقلبى) مرجعى يقول عساكم أن تشفقوا على وتميل قلوبكم بالرحمة الى حتى يحسن منقلبى من عندكم (بلوتم) جربتم (أسلمنى) تركنى (الكرب) الهموم (خبرتم) اختبرتم (حسبى) شرفى والحسب آباء أشراف بحسب أو أفعال كريمة (مذهبى) طريقتى (حوت) جمعت

(٢٩ ل شريشى) قوله والحسب آباء الخ كذا فى النسخ ولا يخفى ان الحسب وصف للآباء لا هو هم كما فى القاموس وراجعه اه

السبع الغبر تم وثب للمقال
كالمنشط من العقال وأنشد
انى امرؤ أبدع بى حين
بعد الوجى والتعب
وشقتى شاسعة
يقصر عنها خبى
ومامعى خردلة
مطبوعة من ذهب
فحيلتى منسدة
وحيرتى تلعب بى
ان ارتحلت راحلا
خفت دواعى العطب
وان تخلفت عن الر
رفقة ضاق مذهبى
فزفرتى فى صعد
وعبرتى فى صبب
وأنتم منتجع الر
راجى ومرعى الطلب
لها كم منهلة
ولا انهلال السحب
وجاركم فى حرم
ووفركم فى حرب
مالاذ مرتاع بكم
فخاف ناب النوب
ولا استدر آمل
حباءكم فاحبى
فانعطفوا فى قصتى
وأحسنوا منقلبى
فلو بلوتم عيشتى
فى مطعمى ومشربى
لساءكم ضرى الذى
أسلمنى للكرب
ولو خبرتم حسبى
ونسبى ومذهبى
وماحوت معرفتى

(النخب) المختارة (اعترتكم) قصدتكم (شبهة) شك وحيرة (دهانى) أهلكنى وضرّنى (شؤمه) نحسه (عقنى) قطعنى وأساء الىّ بتعليمه فهو يتطير بأدبه والتطير بالادب مذهب قديم متداول وقد أشار اليه ابن قتيبة فى صدر أدبه وقال عمرو بن شبة من أعجب العجب ثلاثة مقارنة لثلاثة الحرفة للادباء وتباعد المال عن الظرفاء واقبال الدنيا على النوكى وقيل للحسن البصرى رحمه الله لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل فقال ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليل ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر وقال الحمدونى

ما ازددت من أدبى حرفا أسرّبه * الا تزيدت حرفا تحته شوم
كذا المقدّم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال أبو اسحق الصابى)

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت أن تدرى الذى هو أحذق
فلا تفقد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرّق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع * وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

أخذه عبد الملك بن وهبون فقال

يعزّ على العلياء أنى خامل * وان أبصرت منى خمود شهاب
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثمّ ترى زند السعادة كابى

(وقال أبو اسحق الصابى)

قد كنت أعجب من مالى وكثرته * وكيف تغفل عنه حرفة الادب
حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى * نزرا فلم تبق لى شيأ من النشب
واستيقنت انها كانت على غلط * فاستدركته وأفضت بى الى الحرب
الضبّ والنون قد يرجى اجتماعهما * وليس يرجى اجتماع المال والادب

وقال على بن بسام يرثى عبد الله بن المعتز على ما كان بينهما من العداوة

لله درّك من ميت بمضيعة * ناهيك فى العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الأدب

وكان ابن المعتز قام على المقتدر فلما ظفر به أمر به فرمى فى صهريج فيه ماء فى شدّة البرد فمات ومن عجائب الدنيا ان أباه المعتز لما خلع عن الملك أدخل حماما وأغلق عليه فمات من حرّه وكما نفوا أن يجتمع المال والفهم فى الغالب كذلك نفوا أن تجتمع النجابة فى الولد والوالد فى الغالب قال الشاعر

اذا أطلع الدهر حرّ البيبا * فكن فى ابنه سيئ الاعتقاد
فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار غير الرماد

ولما أوجع الفقر والحرمان القاضى عبد الوهاب لاجل أدبه على ما شرطوا فى الادب تمنى الكفاف ولزوم العلم الى الممات فقال

يا لهف نفسى على شيئين لو جمعا * عندى لكنت اذا من أفضل البشر
كفاف عيش كفانى ذلّ مسئلة * وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة
فى أنّ دائى أدبى
فليت أنى لم أكن
أرضعت ثدى الادب
فقد دهانى شؤمه
وعقنى فيه أبى

فلما فتح عليه باب الرزق مات على ما يأتى ذكره فسبحان من أنفذ حكمه فى خلقه كيف شاء (قوله صرحت) بينت (فاقتك) فقرك وتصريح أبياته بعطب ناقته هو قوله أبدع بى المتقدم وفى معناه ان اعرابية خرجت الى الحج فلما كانت ببعض الطريق عطبت ناقتها فرفعت يديها الى السماء وقالت يارب أخرجتنى من بيتى الى بيتك فلا بيتى ولا بيتك (قوله غطيك) نغطيك مطية (مأربة) حاجة (فه) تكلم (فض) كسر (نهض) تقدم (أصلت) جرد (العضب الجراز) السيف القاطع (مشيدة) مرتفعة (ناب خطب) قصد أمر شديد و (المكيدة) هى الكيد وكل ما يكاد به فهو مكيدة و (قاموا بدفعها) اقتدروا عليها يقول اذا قصدوا بأمر عظيم وكيد وا به اقتدروا على دفع المكيد وا كتفوا بمن يريد ضرهم (العتيدة) الحاضرة المدخورة (رقاق) خبز رقيق (توارى) تغطى (الشهيدة) الشاة المشوية وقلما يؤكل لحمها الا بالرقاق وربما سموا الهريسة شهيدة وأنشدوا فى ذلك

هلموا الى من عذبت طول ليلها * بأضيق سجن فى الجحيم تسعر
وقد جلدوها الحد وهى بريئة * فسيروا الى دفن الشهيدة توجروا

وقيل الشهيدة الدجاجة المحشوة وقيل السمكة المحشوة (طرا) جميعا (عجوة) نوع من التمر طيب و (النهيدة) الزبدة والتمر بالزبد شئ يلذ عندهم أكله (تسنى) حضر (شظى) قطعة (روجوه) عجلوه (ولا بد منه) أى قد وجب عليكم فالتزموه لى تقول لا بد من كذا معناه قد ألزمته نفسى وجعلته واجبا على من قول العرب قد أبدّ الرجل القوم وأبدّ الرامى الوحش اذا ألزمهن الحتف قال أبو ذؤيب فأبدهن حتوفهن فهارب * بدمائه أو بارك متجدجع (قوله اياد) اى نعم (راحكم) أكفكم (واصلات شمل الصلات) أى تؤلف وتصل متفرق العطايا والفوائد (بغيتى) ارادتى (مطاوى ماترفدون) مطاوى الثوب معاطفه ومايطوى منه وترفدون تعطون وتقدير البيت بغيتى زهيدة أى قليلة فى مطاوى عطاياكم أى ماطلبته منكم قليل فى أثناء ماتهبون (قوله وفى أجر) عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه المؤمن طعاما وافق به شهوته أدخله الله الجنة وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من أطعم أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق (تنفيس) تفريج وترويح يقول عاقبة تفريج همى لمن فرّجه محمودة للاجر الذى فيها والثناء بشعرى عليه وعلى هذا رتب (ولى نتائج فكر) وهى أشعاره الحسان (يفضحن) يشهرن عيوبها يقول اذا أنشدت شعرى افتضحت قصائد الشعراء وتنقصت (الشبل) ولد الاسد (أرحلناه) أعطيناه راحلة يركبها (الصنع) الفعل الجميل (نشرا أرديته) استعارة لنشر الشكر (أديا) أعطيا (ديته) حقه يقول جعلا شكرهما حقا لبرنا ومكافأة لصلتنا وكأن المال الموهوب قد استهلكه الآخذ له فان شكر عليه فالشكر للواهب هو دية ماله الهالك وانما أراد قول النبى صلى الله عليه وسلم من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره وفى حديث جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى شيأ فوجد فليجز ومن لم يجد فليثن به فان أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال من دعاكم فأجيبوه ومن أتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا أحدكم فليدع له حتى يعلم أنه قد كافأه وقالوا اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وما أحسن قول حبيب فى نشر الشكر وذم ستره

ولى نتائج فكر * يفضحن كل قصيده *(قال الحرث بن همام)* فلما رأينا الشبل يشبه الاسد فقايلا الصنع شكر نشرا أرديته وأديا به ديته ولما عزما على الانطلاق وعقد الرحا

كما قام أبوك وفه بما فى نفسك
الافض فوك نهض نهوض
البطل للبراز وأصلت لسانا
كالعضب الجراز وأنشأ يقول
ياسادة فى المعالى
لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب
قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم
بذل الكنوز العتيده
أريد منكم شواء
وجرد قاوعصيده
فان غلا فرقاق
به توارى الشهيده
أو لم يكن ذا ولا ذا
فشبعة من ثريده
فان تعذرن طرا
فعجوة ونهيده
فاحضروا ما تسنى
ولو شظى من قديده
وروجوه فنفسى
لما يروح مريده
والزاد لا بد منه
لرحلة لى بعيده
وأنتم خير رهط
تدعون عند الشديده
أيديكم كل يوم
لها أيادٍ جديده
وراحكم واصلات
شمل الصلات المفيده
وبغيتى فى مطاوى
ما ترفدون زهيده
وفى أجر وعقبى
تنفيس كربى حميده
أرحلنا الوالنوز قودنا الولد

النار نار الشوق فى كبد الفتى * والبين شبهما هوى مسموم
خير له من أن يخامر قلبه * وهواه معروف امرئ مكتوم
سبق الصنيعة فاستمر ملعنا * يدعو عليه النائل المظلوم
أأقنع المعروف وهو كأنه * قمر الدجى انى اذا للئيم
مثر من المال الذى ملكتنى * أعناقه ومن الوفاء عديم
فأروح فى بردين لم يسحبهما * قبلى فتى وهما الغنى واللوم

ومن ملح الاعراب أن أعرابيا صاح خذه الحجاج فضربه سبعمائة سوط وهو يقول عند كل سوط شكرا يارب فقيل له والله ما يمنع الحجاج من تركك الا كثرة شكرك أما سمعت الله يقول لئن شكرتم لازيدنكم فأنشأ الاعرابى يقول

يارب لا شكر فلا تزدنى * أسأت فى شكرك فاعف عنى
* ياعدة الشاكرين منى *

ومر بشار برجل قد رمحته بغلة فسقط مكسورا وهو يقول الحمد لله والشكر لله فقال استزده يزدك من هذه النعم وسيأتى نوع آخر من الشعر فى الشكر بحول الله تعالى (قوله حبك النطاق) النطاق والمنطقة ما يشد على وسط كالحزام والحبك خيوط أو شرك يشد بها النطاق وأراد أنهما تحزما للارتحال ويقال حبكت الشئ حبكا شددته واحتبكت ازارى شددته والمحبوك المفتول وحبكته شددت فتله والحبك الطرائق فى السماء من أثر الغيم والحبك أيضا التكسير الذى يكون فى الرمل والشعر والماء (ضاهت) شابهت (عدتنا) ما وعدنا له من الرحلة ولا بد من الزاد (عرقوب) رجل من العمالين يضرب به المثل فى اخلاف الوعد وقصته انه أتاه أخ له يسأله شيأ فقال له اذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه فقال له دعها حتى تصير بلحا فلما أبلحت أتاه فقال له دعها حتى تصير زهوا فلما أزهت قال له دعها حتى تصير رطبا فلما أرطبت قال له دعها حتى تصير تمرا فلما أتمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجدها ولم يعطه شيأ وقيل عرقوب هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ويقول بنو سعد هو منا وقيل هو من الاوس والخزرج قال علقمة

وقد وعدتك موعدا لو وفت به * كموعد عرقوب أخاه بيثرب

(وقال كعب بن زهير)

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل

وقال عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق و (حاجة نفس يعقوب) خشية العين على بنيه حين أمرهم أن يتفرقوا على الابواب ولا يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا فى غاية من الجمال وكمال الخلق وقال الله تعالى ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وأراد الحريرى هل بقيت لك حاجة لم تقضها (فقال حاش لله) أى معاذ الله * ابن الانبارى قولهم حاشى فلانا معناه أستثنيه وأخرجه من المذكورين الفراء هو من حاشيت أحاشى ويقال قام القوم حاشى عبد الله بالنصب والخفض وحاشى لعبد الله وحاش وحشى وخفض ما بعدها باضمار اللام لكثرة صحبتها حاشى كأنها ظاهرة أو تقول أضيفت حاشى الى عبد الله لانه أشبه الاسم لما لم يأت معه فاعل (كلا) معناها الزجر أى ليس الامر كما تظن (جل) عظم وهو من الجلل والجليل هو العظيم

حبك النطاق فلب سبيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب أو هل بقيت حاجة فى نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم

(ترجمة عرقوب)

ويكون فى غير هذا اليسير وهو من الاضداد (جلى) سبق معروفكم كل معروف والمجلى من الخيل السابق (دنا) جازنا (أين الدويرة) سأله أين يسكن من البلاد (ملكتنا) غلبتنا يقول قد التبس علينا أمرك وتحيرنا فيه (تنفس) ردّد النفس الى الجوف بصوت ورفعه الى صدره والتنفس ضدّ الشهيق وهو ردّ النفس الى الجوف بصوت (يلعثم) يلوى ويعقل ويقال سأله عن كذا فما تلعثم أى ما توقف ولا تلبث ولا أبطأ فاذا ذكرت للغريب بلده وهو على بعد منه تنفس وتلهف (أناخ) أقام ونزل (أخنوا) أفسدوا وأتوا على خرابها * والتى يعنى حط الذنوب اليها هى مكة (حط) القاء وانزال (لديها) عندها أى اذا جئ ودعا الله حط ذنوبه عنه وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (راق) أعجب (طرفيها) جهتيها (اغرورقت) امتلأت (آذنت) أعلمت (الهموع) السيلان (يستوكفها) يستدرّها ويجريها (يكفكفها) يردّها (المستحلى) المستعذب (أوجز) اختصر ومما ينتظم بهذا الموضع من ذكر الاوطان والتشوّق اليها قول رفاعة بن عاصم الفقعسى وأنشدها البكرى لامرأة من طيئ

ألم تعلمى يادار ملحاء أننى * اذا أخصبت أوكان جدبا جنابها
أحبّ بلاد الله ما بين منعج * الىّ وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها نيطت علىّ تمائمى * وأوّل أرض مس جلدى ترابها

قال على بن عبد الكريم النصيبينى أتانى ابن الرومى بقصيدته التى يمدح فيها سليمان بن عبد الله ابن طاهر وقال لى أنصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن

ولى موطن آليت أن لا أبيعه * وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا فى ظلال كا
وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

أو قول الاعرابى أحب بلاد الله الابيات فقلت بل قولك لانه ذكر الوطن ومحبته وأنت ذكرت حب الوطن والعلة فى ذلك وقال ابن الرومى يتشوّق الى بغداد

بلد صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

أخذه من قول اعرابى يتشوق الى بلده

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى * بشوق الى عهد الصبا المتقادم
حننت الى ربع به اخضرّ شاربى * وقطع عنى فيه عقد التمائم

(وقال اسحق الموصلى)

أبكى على بغداد وهى قريبة * فكيف اذا ما ازددت عنها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى * ولو أنا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزنا ان رحت لم أستطع لها * وداعا ولم أحدث لساكنها عهدا

وأنشدنى شيخنا أبو بكر السلامى وكان يزعم أنهما لاخى الحريرى وقد أحسن قائلهما كائنا من

وجلى فقلت له فدنا كما
دنا لك وأفدنا كما أفدناك
أين الدويرة فقد ملكتنا
فيك الحيرة فتنفس تنفس
من اذكر أوطانه وأنشد
والشهيق يلعثم لسانه
سروج دارى ولكن
كيف السبيل اليها
وقد أناخ الاعادى
بها وأخنوا عليها
فوالتى سرت أبغى
حط الذنوب لديها
ما راق طرفى شئ
مذ غبت عن طرفيها
ثم اغرورقت عيناه بالدموع
وآذنت مدامعه بالهموع
فكره ان يستوكفها ولم يملك
أن يكفكفها فقطع انشاده
المستحلى وأوجز فى الوداع
وولى

كان طيب الهواء ببغداد يؤرقني * شوقا اليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

(شرح المقامة الخامسة عشرة وهى الفرضية)

(أرقت) سهرت ولم أنم وفى الحديث زيد بن ثابت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا أصابنى فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حى يا قيوم اهدأ ليلى وأنم عينى فقلتها فاذهب الله عنى ما كنت أجده (حالكة الجلباب) سوداء الثوب (هامية الرباب) سائلة السحاب يريد أن الليلة مظلمة ممطرة (صب) عاشق (طرد) نفى (منى) ابتلى (صد) هجر (الافكار) أحاديث النفس (يهجن) يحركن و (يجلن) يصرفن و (الوساوس) الفكر المقلقة (وهمى) بالى وخاطرى وقال ابن شهيد فى نحو هذه الليلة

ولرب ليل للهموم تسدلت * أستاره فمحا الضياء بستوره
كالبحر يضرب موجه فى موجه * صعب على العبار وجه عبوره
طاولته من عزمتى بتصبر * أثبت همى فى قرارة كوره
وبراحة من همتى ذوكرة * عمدت يداكرى لطبع ذكيره
فردا اذا انبعثت دياجى جنحه * هولا على خبطت فى ديجوره
حتى بدا عبد العزيز لناظرى * أملى ٣ فزقت الرجاء عن نوره

وليلة الحريرى ضد ليلة ابن رشيق فى قوله

ومن حسنات الدهر عندى ليلة * من العمر لم تترك لايامنا ذنبا
خلونا بها تنفى القذى عن عيوننا * بلؤلؤة مملوأة ذهبا سكبا
وملنا لتقبيل الخدود ولثمها * كميل جياع الطير تلتقط الحبا

(قوله تمنيت) ابن الانبارى فى معناه قدرت وأحببت أن يصير الى وهو من المنى وهو القدر يقال منى الله لك ما تحبه يمنيه منيا أى قدره لك (لمضض) أى لحرقة (عاينت) شاهدت و يروى عانيت أى قاسيت (سميرا) صاحبا يسمر معه (يقصر) يردها قصيرة بأنسه وحديثه (الليلاء) الشديدة الطويلة السواد ولابن الرقاق فى مثل هذا السمير

رب ليل أتحفت فيه بانس * من سمير زف الحديث عروسا
فاجتنينا مما يحدث زهرا * واغتبقنا من خلقه خندريسا
وانثنى الليل يفضل الصبح حسنا * والدرارى يفضلن فيه الشموسا
ولئن كان لم يحل عن دجاه * فلقد عاد فحمه آبنوسا

(قوله أغمضت مقلتى) نامت عينى (قرع) ضرب (خاشع) لين (أثمر) طلع ثمره (الحظ) البخت (أقمر) صار فيه قمر يقول لعل بختى قد زال نحسه وأقبل سعده اذ وجدت ما تمنيت (نهضت) تقدمت (الطارق) الآتى بالليل (أجنه) ستره (غشيه) غطاه (الايواء) مصدر آويت الرجل اذا أنزلته على نفسك وضممته وتقول أويته وآويت بمعنى واحد (أسحر) دخل فى وقت السحر يريد أنه لا يطلب غير المبيت وينصرف فى السحر (الشعاع) ما يبدو لك من الشمس اذا ظهرت

(المقامة الخامسة عشرة الفرضية)

(أخبرنا الحرث بن همام) قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا أرق صب طرد عن الباب ومنى بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن همى ويجلن فى الوساوس وهمى حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتى اللياء فما انقضت منيتى ولا أغمضت مقلتى حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت فى نفسى لعل بخت أغرس التمنى قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل و يبتغى الايواء لا غير واذا أسحر قدم السير قال فلما دل شعاعه على شمسه

٣ قوله فزقت الرجاء عن نوره هكذا بالاصول التى معنا ولعله فزقت الدجى من نوره اه مصححه

ونمّ عنوانه بسرّ طرسه علمت انّ مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قدحنى الدهر صعدته و بلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر ٢٣١ على تلبية صوته واعتذر من الطروق

كالخيال (نمّ) أفشى السرّ و (الطرس) الكتاب (العنوان) ما يكتب على ظهره يريد أنّ كلام الطارق دل على مراده و (المسامرة) هى المساهرة (غنم) غنيمة (نعم) نعمة (بسلام) أى بسلامة وأمن (قوله صعدته) الصعدة الرمح الطويل وكنى به عن القامة (بردته) ثوبه (عضب) قاطع (تلبية) قولى لبيك (الطروق) المجىء بالليل (دانيته) قربت منه (تاملته) نظرته (المنتقد) المجرّب للدراهم أى نظرته بعين المباحثة (ألفيته) وجدته (ريب) شك (رجم الغيب) رمى الظن (أطفرنى) ملكنى (قصوى) غاية وهى مؤنث الاقصى أى الابعد (وقذ الكرب) حرقة الهموم (روح الطرب) راحة السرور (الاين) التعب (كيف) سؤال عن حال (وأين) سؤال عن مكان أى سألته كيف حالك ومن أين جئت (أبلغنى ريقى) أى لا تكثر علىّ السؤال فيمجلنى جوابك عن بلع ريقى (السغب) الجوع وقد سغب وسغب جاع (الداجى) المظلم (المحتشم) المستحى هنا (أعرض) نحى وجهه وتحقيقه ولى عرضه أى جانبه (البشم) الكسل من الشبع وقد بشم بشما مرض من كثرة الاكل (سوّت ظنا) ساءظنى وظنا المنصوب على التميز فاعل فى المعنى من باب تفقأ شحما (أحفظنى) أغضبنى (حوّل طباعه) تغير أخلاقه (حمة الملام) سم العتاب (ألسعه) أقرصه بلسانى ولسعته العقرب ضربته بابرتها (لمحات ناظرى) أى خطرات عينى (خامر خاطرى) خالط فكرى (المقة) الحب (عدّ) أى اصرفه عن نفسك (الترّهات) العجائب وأيضا الاباطيل وأصلها الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الاعظم (حليف افلاس) ملازم فقر (نجّ) محدّث ولما كانت الوساوس تشغل بال الانسان وتجعله يتحدّث وحده جعل نفسه محدّثا لها (قضى نحبه) تم وانقضى وقضى الرجل نحبه مات والنحب النذر (وغوّر) غيب (شهبه) نجومه و (الاشراق) ارتفاع الشمس وصفاؤها (الاسواق) جمع سوق وسميت سوقا لان الاشياء تساق اليها وتساق منها أو لان سوق الناس تكثر فيها والسوق جمع ساق والسوق بالفتح مصدر سقت و بالضم الاسم (متصدّيا) متعرّضا (يسنح) يعرض من جهة اليمين ويزاد بيانا عند ذكر السانح والبارح (يسمح) يجود (لحظت) نظرت ولحظى أضيق عينى أى أبصرت بضيق عينى (تصفيفه) أى جعله صفا واحدا وصففت الشئ جعلته صفا واحدا مضموما (المصيف) زمن الصيف (الرحيق) الخمر (قنوء) حمرة (العقيق) خرز أحمر * عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك (واللبأ) أوّل ما يحلب من اللبن وهو لم ينضج (برز) ظهر (الابريز) الذهب الخالص (المزعفر) المصبوغ بالزعفران ويروى المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر و (طاهيه) طابخه (تناهيه) غايته وكماله يقول هذا اللبأ بحسن صنعته وجودة طبخه كأنه يثنى للمشترين على طابخه وان لم يكن له لسان فكماله فى الحسن وجودته فى الصنعة قام له مقام اللسان وهذا يسمى الكلام بلسان الحال قال الشاعر

ولسان نعمتك التى قلدتنى * بالشكر أبلغ من لسان بيانى

وقال المتنبى

تنشد أثوابنا مدائحه * بألسن ما لهنّ أفواه

فى غير وقته فدانيته بالمصباح المتقد وتاملته تأمّل المنتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فاحللته محلّ من أطفرنى بقصوى الطلب ونقلنى من وقذ الكرب الى روح الطرب ثم أخذ يشكو الاين وأخذت فى كيف وأين فقال أبلغنى ريقى فقد أتعبنى طريقى فظننته مستبطئا للسغب متكاسلا لهذا السبب فأحضرته ما يحضر للضيف المناجى فى الليل الداجى فانقبض انقباض المحتشم وأعرض اعراض البشم فسؤت ظنا بامتناعه وأحفظنى حوّل طباعه حتى كدت أغلظ له فى الكلام وألسعه بحمة الملام فتبينت من لمحات ناظرى ما خامر خاطرى فقال يا ضعيف الثقة بأهل المقة عدّ عما أخطرته بالك واستمع الىّ لا أبا لك فقلت هات يا أخا الترّهات فقال اعلم أنى بت البارحة حليف افلاس ونجّ وسواس فلما قضى الليل نحبه وغوّر الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض الاسواق متصدّيا لصيد يسنح أو حرّ يسمح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه وأحسن اليه مصيفه فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقبالته لبأ قد برز كالابريز الاصفر وانجلى فى اللون المزعفر فهو يثنى على طاهيه بلسان تناهيه ويصوّب رأى مشتريه

اذا مررنا على الاصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناه

(أخذه من قول نصيب)

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(وقال أبو العتاهية)

أيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

ولله فى كل تسكينة * وتحريكة فى الورى شاهد

وقال الفضل بن عيسى الرقاشى سل الارض من غرس أشجارك وشق أنهارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ومنه سؤال العرب للمنازل الخالية والديار الدارسة وقال شاعرهم

وأجهشت للترباذ حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى

رأذريت دمع العين لما رأيته * ونادى بأعلى صوته فدعانى

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك فى أمن وخصب زمان

فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

ولو نقد حبة القلب فيه
فأسرتنى الشهوة باشطانها
وأسلمتنى العيمة الى سلطانها
فبقيت أحيرمن ضب

الترباذ جبل ببلاد بنى عامر وجوابه لهذا الشاعر بالمعنى فجعله لفظيا مجازا وهذه الحالة الدالة التى سماها الجاحظ فى أقسام البيان النصبة قال الجاحظ جميع أصناف الدلالة على المعانى من لفظ أو غيره خمسة لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم النصبة والعقد أخذ العدد فى الاصابع (قوله نقد) أى أعطى نقدا وهو المال الحاضر (حبة القلب) سواده (أسرتنى) ربطتنى كالاسير (أشطانها) حبالها (أسلمتنى) تركتنى (العيمة) شهوة اللبن و (سلطانها) قدرتها وغلبتها يريد ان الشهوة الى اللبا قهرته حتى تركته مستسلما لا يملك نفسه (الضب) يشبه الحرذون وهو حرذون الصحراء واذا فارق جحره لم يهتد اليه فيتحير فيجعل حجرا عند جحره واقفا ليهتدى به فاذا أزاله الصائد تحير فجاء فأخذه وربما قتله بذلك الحجر قال الشاعر

وان الضب ذو دهى ومكر * كما السربوع والذئب اللعين

يرى مرداته من رأس ميل * ويأمن سيل بارقة هتون

ويدخل عقربا تحت الذنابى * رواغ الفهد من أسد كمين

جعل الذئب لعينا لان من رآه صاح عليه ومرداته جحره والعقرب يعده الضب للصائد ان أدخل يده فى جحره وأخذ بذنبه لسعته العقرب وربما أكل العقارب وترك منها واحدا فى باب جحره للصائد قال الشاعر

وأخدع من ضب اذا جاء حارس * أعد له عند الذنابة عقربا

والضب يوصف بالضلال وقالوا فى بيت المتنبى

لقد لعب البين المشتت بها وبى * وزودنى فى السير ما زود الضبا

أراد انه زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق للعود اليه والاجتماع مع الحبيب وقال الواحدى يقول جعل البين زادى زاد الضب والضب لا يتزود فى المفازة ومعناه فارقت الحبيب من غير وداع ولا التقاء يكون لى زادا على البعد ويقال أيضا أخدع من ضب وذلك أنه

يطمع الصائد فى نفسه فاذا احنق عليه خدع فى جحره ومنه أخدمعنى الخداع و يقال فيه انه أعق من ضب وذلك انه يا كل أولاده و يكنى أبا الحسل و يسمى ولده الحسل وأمثال العرب به كثيرة و يزعمون انه كان حكما فى الدواب فى الزمان الذى كانت فيه الحيوان تتكلم وعنه يروون فى بيته يؤتى الحكم يعنى نفسه وفيه خواص ليست فى الحيوان تزعم العرب انه لايشرب الماء واذا أخذه العطش صعد ربوة واستقبل الريح وأنه طويل العمر و يقولون انه أحيى من ضب يريدون أن حياته لاتكاد تنقضى وأنه لايسقط له سن وانه أطول الدواب دما اذا ذبح يبقى زمانا وحينئذ يموت وأن له ذكرين ولانثاه فرجين (قوله اذهل من ضب) أى أشغل قلبا من عاشق ووساوس العشق أفضت ببعض العشاق الى الجنون (وجد) غنى وقد وجدت وجدا أى كثر مالى و(الازدراد) كثرة الاكل وزردت الطعام وازدردته اذا ابتلعته و(الالتهاب) اشتعال نار الجوع (حدانى) ساقنى (القرم) شهوة اللحم وأراد به شهوة الاكل (سورته) شدته و (فورة السغب) غليان الجوع (أتجمع) أمشى فى طلب ما آكل و (الورد) الحظ من الماء و (البرض) قليل الماء (سحابة ذلك النهار) أى طول ذلك النهار كما تقول بياض يومى أى يومى كله أى لم يزل طول يومه يستجدى فلم يعط شيأ (نقع غلة) ارواء عطش (صغت) مالت (اللغوب) الفشل (حرّى) ملتهبة (اثنيت) رجعت أطال أبو محمد هذه المقامة حتى كادت تثقل على السامع وللبديع فيما يتعلق بمعناها مقامة بتراء فلوزيد فى البديعية وقصر فى الحريرية لاعتدلتا * وها أنا أذكر البديعية هنا بجملتها لرشاقتها وخفتها قال عيسى بن هشام كنت ببغداد عام المجاعة فدفعت الى جماعة قد نظمهم سلك الثريا وكلهم يطلب شيا وفيهم ذو لثغ فى لسانه وفلج فى أسنانه فقال ماخطبك فقلت حالان لايفلح صاحبهما فقير كدّه الجوع وغريب ليس يمكنه الرجوع فقال أى الثلثين تريد سدّها فقلت الجوع ياسيدى وقد بلغ منى مبلغه فقال ماتقول فى رغيف على خوان نظيف ونقل قطيف على لون لطيف وخرد حرّيف الى شواء صفيف يقربه اليك من لايماطلك بوعد ولايعذبك بصد أذالك أحب اليك أم أوساط محشوّة وأكواب مملوّة وأنقال معدّدة وفرش منضدة ومطرب مجيد له من الغزال عين وجيد فان لم ترد هذا ولا ذلك فما تقول فى لحم طيرىّ وسمك بحرىّ وباذنجان مقلىّ وراح نقىّ وتفاح جنىّ ومضطجع وطىّ على حذاء نهر جار وبركة ذات ثرثار فقلت أنا عبد الثلاثة فقال وأنا خادمها لو حضرت فقلت من أىّ الحجرات أنت فقال

من ربعة الاسكندريه * من نبعة فيهم زكيه
سحف الزمان وأهله * فركبت من بحفى مطيه

(قوله أسعى) أى أمشى مسرعا (أهب وأركد) أتحرك وأسكن أراد أجرى وأقف وأصل الهبوب والركود للريح (يتأوه) يتوجع و يقول آه وهو قول الحزين (أهة الثكلان) توجع الفاقد لاحبابه (تهملان) تسيلان و (داء الذئب) هو الجوع والذئب أصبر السباع على الجوع واعفها واذا افترس شاة أكل منها شبعة وترك سائرها ولم يرجع اليها وعافه ان أروح (الحوى) خلو الجوف من الطعام (المذيب) المذهب اللحم والقوى (التعاطى) تناول مالا تحب و (مداخلته) معرفة سره (مخاتلته) مخادعته (تحرقك) توجعك و (البرحاء) الشدة والمشقة (طبا) حاذقا (آسيا)

وأذهل من ضب لاوجد يوصلنى الى نيل المراد ولذة الازدراد ولاقدم يطاوعنى على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن حدانى القرم وسورته والسغب وفورته على أن أتتبع كل أرض وأقتنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلى دلوى الى الانهار وهى لاترجع بلة ولاتجلب نقع غلة الى أن صغت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرّى واثنيت أقدم رجلا وأؤخر أخرى وبينما أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد اذ قابلنى شيخ يتأوه أهة الثكلان وعيناه تهملان فاشغلنى ما أتانى فيه من داء الذيب والحوى المذيب عن تعاطى مداخلته والطمع فى مخاتلته فقلت له ياهذا ان لبكائك سرا ووراء تحرقك لشرا فأطلعنى على برحائك واتخذنى من نصحائك فانك ستجدمنى طبا آسيا

طبيبا (مواسيا) معينا والمواساة تكون بالنفس أو بالمال ويشاكل كلامه قول الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

(افتات) ظلم وجاوز الحد (انقراض) انقطاع (دروسه) محوه (أفول) مغيب وكنى بالافول والشموس عن مشاهير العلماء وبأفولهم عن هلاكهم قال أبو الدرداء رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم (حادثة) نازلة وأمر حدث (نجمت) ظهرت (قضية) قصة (استعجمت) أشكلت (هاجت) حركت (الاسف) الحزن (سلف) مات وذهب (أعلام) مشاهير وأصلها الجبال يستدل بها على مجاهيل الارض (المدارس) جمع مدرسة وهى المحاضر التى يدرس فيها العلم (امتازوا) افترقوا و (الاعلام الدوارس) الجبال المقفرة الخالية من الاشجار والعمران (استنطق) استخبر وسألهم أن ينطقوا ويجيبوا عنها (أحبار) علماء (خرسوا) سكتوا (أغنى) أقرب وأنفع (المرام) الطلب (رب رمية من غير رام) أى قد يصيب الغرض من ليس له علم بالرماية وهو مثل قاله حكيم بن عبد يغوث المنقرى وكان حكيما من أرمى الناس فأقسم يوما ليعقرن ولا بد فخرج ومعه قوسه فرمى ولم يصنع شيأ فبات ليله بأسوأ حال وفعل فى اليوم الثانى والثالث كذلك فلما أصبح قال لقومه ما أنتم صانعون فانى قاتل اليوم نفسى ان لم أعقر اليوم مهاة فقال له ابنه يا أبت احملنى معك أرفدك فقال وما أحمل من رعش رهش فشل فانطلقا فاذا هما بمهاة فرماها فاخطأها ثم مرت به أخرى فقال له ابنه مطعم يا أبت ناولنى القوس فغضب أبوه وهم أن يعلوه بها فقال له مطعم أحمد بحمدك فان سهمى سهمك فناوله القوس فرمى مطعم فلم يخط فقال عند ذلك حكيم رب رمية من غير رام وقال

رماها مطعم من غير علم * بمس القوس لم يخطئ صلاها

وكان أبوه قد آلى عليها * فلم تبرر أليته مهاها

(قوله فاق) أى فضل (ذكاء) حدة ذهن (حاد) مال (قوله رجل مات عن أخ) البيت فائدة ذكر الاخ اثبات النسب لان الاجنبى لا يرث وفائدة ذكر المسلم ان أهل دينين لا يتوارثان وفائدة ذكر الحر أن العبد لا يرث الحر وأما التى فما التقيت من أشياخنا من نبه عليه حتى حدثنى به الفقيه أبو العباس الليثى عرف بالحضار فقال فائدة لطيفة وهى التحرز من قاتل العمد لانه لا يرث وليه فأراد أن موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ومع هذا لم يرث أخاه و (الحبر) العالم (تمويه) شك وكذب (حوت) حازت (الارث) لغة فى الورث وهو بالهمز بدل من الواو (لمحت) أى نظرت واللمحة نظرة غير متمكنة (ابن بجدتها) عالم سرها ويقال بجد فى المكان اذا أقام به والمتبسم بالموضع عالم به وقيل أصله من قولهم فلان من أهل البجد أى من أهل البادية وهم العلماء باللسان على ما وضع (حططت) نزلت و (الخبير) عالم الخبر وهذه أمثال للعالم بحقيقة الشئ (مضطرم) متقد (مثوى) منزل وأكرمت مثوى الضيف اذا أحسنت نزله ووطأت له (فتوى) ما أفتيت به (الاشتراط) والشرط بمعنى (تجافيت) تباعدت (الاشتطاط) مجاوزة الحد (مربعى) منزلى (تظفر) تفوز وأصله من الظفر كأنه اذا ظفر بشئ أنشب أظفاره فيه (تنقلب) ترجع (ذراه) منزله وكل ما كان من حائط وشبهه ذرى (أحرج) أضيق (أوهن) أضعف (جبر)

أوعونا مواسيا فقال والله ما تاوهى من عيش فات ولا من دهر افتات بل لانقراض العلم ودروسه وأفول أقماره وشموسه

فقلت وأى حادثة نجمت

من كمه وأقسم بأبيه وأمه

لقد أنزلها بأعلام المدارس

فما امتازوا عن الأعلام الدوارس واستنطق لها أحبار المحابر فخرسوا ولا خرس سكان المقابر فقلت أرنيها فلعلى أغنى فيها فقال ما أبعدت فى المرام فرب رمية من غير رام ثم ناولنيها فاذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذى فا

ق ذكاء فقاله من شبيه

أفتنا فى قضية حاد عنها

كل قاض وحار كل فقيه

رجل مات عن اخ مسلم حر

رتقى من أمه وابيه

وله زوجة لها ايها الحبر

راخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز اخوها

ما تبقى بالارث دون أخيه

فاشفنا بالجواب عما سألنا

فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا انى مضطرم الاحشاء مضطر الى العشاء فأكرم مثواى ثم استمع فتواى فقال لقد انصفت فى الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فصر معى الى مربعى لتظفر بما تبتغى وتنقلب كما ينبغى قال فصاحبته الى ذراه كما حكم الله فأدخلنى بيتا أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت الا انه جبر ضيق ربعه

أصلح (توسعة ذرعه) سعة خلقه واحتماله (القرى) طعام الضيف (مطايب) جمع طيب على غير قياس (أزهى) أعجب والزهو الكبر وكانوا يصفقون التمر على اللبا عند بيعه فيريد بالراكب التمر وبالمركوب اللبأ لانهم يشقون التمرة ويغترفون بنصفها من القدح الذى فيه اللبأ ويريد (بأنفع صاحب) التمر وبـ (أضر محبوب) اللبا وهذا يوافق قول الاعرابى

ألا ليت لى خيرا من التمر واللبا * عخيلا من البرنى فرسانها الزبد
فأطلب فيما بينهن شهادة * بموت كريم لا يعد له لحد

والبرنى من أفضل التمر وقال صحار الكلبى

أكلت الضباب فما عفتها * وانى لاهوى قديد الغنم
وركبت زبدا على تمرة * فنعم الطعام ونعم الادم

والعرب تقول على التمرة مثلها زبدا وقيل فى تفسيره بالعكس لان الاطباء يقولون ان التمر مضر سريع العفن يولد السدد ويقولون أيضا انه حار رطب ملين للبطن يولد المنى فيقابل ضرره نفعه وكفى لنا انه قوت يكتفى معه بأدنى الطعام وفيه قوة زائدة وبالجملة فاللفظ مشكل وما وجدت من يحققه * ويستملح من كلام الحريرى انه أراد بالراكب وبأنفع صاحب التمر لانه قدمه فى التفسير حين قال لعلك تعنى ابنة نخيلة مع لبا نخيلة وليس فى الابيات المتقدمة شاهد على اللبا لان حكم الزبد الزوجة وتعلقه بالتمرة غير حكم اللبا فبا لحرى يقرن اللبأ بالتمر اذا شقت وجعله أضر محبوب لانه لبن لم ينضج والنار تقطع بعض ضرره وقال الفنجديهى أزهى راكب التمر أى أحسن منظرا وأكثر جمرة وأشهى مركوب اللبأ وجعل التمر راكبا واللبأ مركوبا لان التمر يجتنى من رؤس النخل فهو كالراكب ولان اللبأ يضع تمرات فوق اللبا والرائب ليزيد رغبة المشترى فيه وجعل التمر أنفع صاحب لاكتفاء العرب به عن جميع المطعومات حتى يبقى أحدهم دهرا لا يأكل الا التمر ولا يضره ذلك وجعل اللبأ أضر محبوب لانه يولد الصفراء وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان آل محمد صلى الله عليه وسلم نمكث شهرا لا نستوقد نارا ان هو الا الاسودان الماء والتمر وقال صلى الله عليه وسلم بيت لا تمر فيه جياع أهله والعرب تستحسن أكل الزبد مع التمر قال سفيان الثورى ما رأيت أحسن من زبدة على ازادة وقال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر أى اللقمة أطيب قال تعضوضة عليها مثلها زبدا والازاد نوع من التمر والتعضوض تمر أسود وقالوا ما أكلنا تمرا أحمد من التعضوض أى أشد حلاوة وتاؤه زائدة (قوله سخيلة) السخيلة ولد الشاة ذكرا كان أو أنثى (تعنيت) تعبت وقال اعرابى أنا أشهى ثريدة دكاء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات جناحين من اللحم لها جناحان من الفواق فأضرب فيها كما يضرب ولى السوء فى مال اليتيم وقال رجل لاعرابى ما يسرنى لو بت ضيفا لك قال لو بت ضيفا لى أصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة قيل لأشعب ما تقول فى ثريدة مغمورة بالسمن مشققة باللحم قال وأضر بكم قالوا تاكلها من غير ضرب قال هذا ما لا يكون ولكن لم أضرب أو أتقدم على بصيرة وقيل لمزيد وقد أكل طعاما فكه قته فقال وما فيه خبز نقى ولحم جدى طرى امرأته طالق لو وجدت قبالا كاته (قوله نهض) تقدم للمشى (نشيطا) أى خفيفا وهى من الانشوطة (ربض) نزل (مستشيطا) شديد الغضب (نباهة) رفعة (عاهة) آفة وعيب (شعار) علامة وشعار المؤمنين فى الحرب لا اله الا الله أى

توسعة ذرعه فكمن فى القرى ومطايب ما يشترى فقلت اريد ازهى راكب على اشهى مركوب وانفع صاحب مع اضر محبوب فافكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعنى بنت نخيلة مع لبا نخيلة فقلت اياهما عنيت ولاجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض مستشيطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذى هو شعار الانبياء

علامتهم والانبياء عليهم السلام منزهون عن شهوات المطاعم * أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة اليه حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفؤا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلى فى جعة من الطعام بات حور العين حوله حتى يصبح أبو هريرة رضى الله تعالى عنه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ما أحوجك الى الجلوس قال الجوع فبكيت فقال لا تبك فان شدة القيامة لا تصيب الجائع اذا ما احتسب (قوله حلية) صفة يتحلون بها و (تخلق) تتطبع (بجانب) يا عدو أشار لقوله صلى الله عليه وسلم قيل أيكون المؤمن كذابا قال لا * عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ صريح الايمان عبد حتى يدع المزاح والكذب والمراء وان كان محقا وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه اتقوا الكذب فان الكذب يجانب الايمان (قوله تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) أى لا ترضع لبنها بالاجرة ثم تأكلها وهو مثل يضرب للذى لا يمنعه من صيانته شدة فقره وهذا المثل للحرث بن سليل الاسدى وكان خطب الى علقمة بن خصفة الطائى وكان شيخا فقال علقمة لامرأته اختبرى ما عند ابنتك فقالت أى بنية أى الرجال أحب اليك الكهل الحجاج الواصل المياح أم الفتى الوضاح الذهول الطماح قالت بل الفتى قالت ان الفتى يغيرك وان الشيخ يعيرك قالت يا أماه ان الفتى شديد الحجاب كثير العتاب يا أماه اخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى ويبلى شبابى ويشمت بى أترابى فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحرث ثم ارتحل بها الى أهله وانه لجالس ذات يوم بفناء مطلته وهى الى جانبه اذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصعداء ثم بكت فقال لها ما يبكيك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ من كل حوقل فنيخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ثم قال وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها فالحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك قولها الحجاج السيد السمح والمياح الكثير المعروف ويغيرك يتزوج عليك ويعيرك يعيرك ويعتلجون يتصارعون والحوقل اللسن والفنيخ الضعيف الرخو وقول العامة لا تأكل ثديها أى لا تأكل لحم الثدى خطأ لا وجه له ويجوز على حذف مضاف تقديره أجر ثديها أو ثمنهما أو يكون على المجاز كأنها اذا أكلت أجرهما فقد أكلتهما ونحوه قول الشاعر

اذا صاب ما فى القعب فاعلم بأنه * دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا

يريد رجلا أخذ ابلا فى دية ابيه فيقول له اذا شربت لبنها فكأنك تشرب دم أبيك (قوله وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها) اى تمتنع من اتيان الفعل الدنىء ولو ألجئت اليه و (الزبون) الذى يغلب فى المعاملات فعول بمعنى مفعول لانه يزبن اى يدفع عن استكمال حقه (أغنى) أسدل جفنى أى لا أسكت لك على الخداع (أندرتك) نهتك (ينهتك) ينقطع (الوتر) العداوة وقيل الفرد فيكون معنى ينعقد بيننا الوتر أى يرتبط وترى بوترك أى أخصى بشخصك فى هذه المعاملة أو عند المضاربة معك ان خدعتنى (تلغ) تترك (الانذار) التحذير (حذار) أى احذر وخف (الربا) البيع الفاسد * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين ٣٣ ومن نبت لحمه من السحت فالنار أولى به (فهت) نطقت (زور) باطل (دليتك بغرور) يريد أنه لم يغرر به بل صدقه (ستخبر) ستجرب (هش) اهتز (المصدوق) الذى أخبر

وحلية الاولياء على أن تلحق بمن مان وتخلق بالخلق الذى يجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثديها وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها ثم انى لست لك بزبون ولا أغضى على صفقة مغبون وها انا قد انذرتك قبل ان ينهتك الستر وينعقد فيما بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الانذار وحذار من المكاذبة حذار فقال له والذى حرم أكل الرباوا حل أكل اللبا مافهت بزور ولا دليتك بغرور وستخبر حقيقة الامر وتحمد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق

٣ قوله وثلاثين كذا بالاصل ولعله سقط بعده زنية والله أعلم بما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم اه مصححه

بالصدق (مغذا) مسرعا وقد أغذ اغذاذا اذا أسرع (يدلح) يتثاقل من العتل ودلحت الدابة بالحمل دلوحا والسحاب بالماء نهضت به ثقيلا (يكلح) يعبس (الممتن) المتفضل (اضرب الجيش بالجيش) أى اخلطهما عند أكلك لهما (تحظ) تسعد (حسرت عن ساعد) أى شمرت عن ذراع (النهم) الكثير الشهوة والحرص على الاكل (الملتهم) المبتلع لما وجد (يلحظنى) ينظرنى بطرف عينه (الحنق) المغتاظ وحنق حنقا اشتد غيظه (هلقمت) ابتلعت بسرعة (غادرتهما) تركتهما (أثرا بعد عين) أى بعد ان كان الطعام مرئيا ابتلعته فلم يبق غير أثره فى الاناء * ويليق بهذا الموضع أن نذكر فيه ماشهر من مغربات الزرد قال الشاعر فى أكول

فتضرب خمس كفك فى ثريد * بلقم منك منكمش الذهاب
كأن دويه فى الحلق لما * تهمهم صوت رعد أو سحاب

وقال اخر
اذا غرد العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وقال آخر
لم ترعينى آكلا مثله * يضرب باليسرى معا واليمين
تلعب بالقصعة أطرافه * لعب أخى الشطرنج بالشاهين

* فمن مشاهير أهل الزرد هلال بن أسعد المازنى وهو من شعراء الدولة الاموية ذكر الاصبهانى انه كان عظيم الخلق شديدا قويا قال أبو عمرو بن العلاء لم أكن أره حيا بل رأيته ميتا فما رأيت على سرير أطول منه قال هلال جعت مرة ومعى بعير لى فنحرته فأكلته الا ما جعلته منه على ظهرى ثم أردت جماع امرأتى فلم أقدر فقالت كيف تصل الى وبيننا بعير وحدث شيخ من بنى مازن قال أتانى هلال فأكل جميع ما فى بيتنا فبعثنا الى الجيران نستقرض الخبز منهم فلما رأى اختلافنا قال كأنكم أرسلتم الى الجيران أعندكم سويق فأتيته بجراب طويل فيه سويق وبرنية فيها نبيذ فصب السويق كله وصب النبيذ وازدرد الكل ومر على رجل من بنى مازن بالبصرة ومعه زوارق رطب قد ساقها من بستانه فجلس على زورق منها صغير مغطى بباريه فقال آكل من رطبك قال نعم قال ما يكفينى قال ما يكفيك فجلس على الزورق يأكل التمر الى أن اكتفى فسلت الباريه فاذا الزورق مملوء نوى وقال صدقة بن عبد الله المازنى أولم على أبى لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور فأول من جاءنا هلال فقدمت اليه جفنة فأكلها ثم أخرى حتى أتى على عشر جفان ثم استسقى فأتى بقربة من نبيذ فوضع طرفها فى شدقه فأفرغها فى جوفه ثم خرج فاستأنفنا عمل الطعام ومن أعجب ما أكله ما ئتا رغيف بمكوك بلح وكانت شبعته تكفيه لخمسة أيام وكان لا يقاومه أحد فى النجدة * ومنهم سليمان بن عبد الملك ذكر المسعودى ان شبعته كانت كل يوم مائة رطل بالعراقى وكان ربما أتاه الطباخون بسفافيد فيها الدجاج وعليه جبة الوشى فيحرصه على الطعام كان يدخل يده فى كمه ثم يقبض على الدجاجة وهى حارة فيفصلها قال الاصمعى ذكرت ذلك للرشيد فقال قاتلك الله ما أعرفك بأخبارهم لقد كنت أرى الدسم فى أكمام جبابه ولا أدرى ما سببه حتى حدثتنى وكسانى منها جبة وخرج يوما من الحمام وقد اشتد جوعه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء ولم يكن فرغ من الطعام شئ فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها مع أربعين رقاقة ثم قدم الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ قال الشمردل وكيل عمرو بن العاص

(مشاهير أهل الزرد)

وانطلق مغذا الى السوق فاكان بأسرع من أن أقبل بهما يدلح ووجهه من التعب يكلح فوضعهما لدى وضع الممتن على وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وجملت جملة الفيل الملتهم وهو يلحظنى كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو أختنق حتى اذا هلقمت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين

أقردت حيرة فى اظلال البيات
وفكرة فى جواب الابيات
فما لبث أن قام واحضر
الدواة والاقلام وقال قد
ملأت الجراب فامل الجواب
والافتهيأ ان نكلت لاغترام
ما أكلت فقلت له ما عندى
الا التحقيق فاكتب الجواب
وبالله التوفيق
قل لمن يلغز المسائل انى
كاشف سرها الذى تخفيه
ان ذا الميت الذى قدم الشر
ع أخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوج ابنه عن رضاه
بحماة له ولاغر وفيه
ثم مات ابنه وقد علقت منـ
ـه فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء
وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى
الى الجد
د وأولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزو
جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذى هو
فى الاصـ
ـل أخوها من أمها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الار
ث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك منى الفتيا التى يحتذيها
كل قاض يقضى وكل فقيه

رضى الله عنه لما قدم سليمان الطائف دخل بستانى هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه فجال فى البستان ساعة ثم قال ناهيك بما لكم هذا ما لا ثم ألقى صدره على غصن شجرة وقال ويلك ياثمر دل ما عندك شئ تطعمنى فقلت بلى عندى جدى كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى قال عجل به ويحك فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله ومادعا ابنه ولا عمر حتى اذا بقى الفخذ قال هلم أباحفص قال انى صائم فاتى عليه ثم قال ويلك أعندك شئ فقلت سبع دجاجات هنديات كأنهن رئلان النعام قال عجل بهن فأتيته بهن فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها بفيه فلما فرغ منهن قال ويلك أعندك شئ فقلت حريرة كأنها قراضة ذهب فقال عجلها فأتيته بها فجعل يشربها شربا فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح فى جب ثم قال ياغلام أفرغت من غدائى قال نعم فقدم اليه ثمانين قدرا فأكثر مما أكل من قدر ثلاث لقمات وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس وصفت الموائد فأكل معهم فما أنكرت من أكله شيأ وسبب وفاته ان نصرانيا أتى بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا فقال قشروا لجعل يأكل بيضة وتينة حتى أكل الزنبيلين ثم أتوه بقصعة مملوأة محا بسكر فأكله فاتخم فمات * ومنهم عمرو بن معديكرب دخل على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال من أين أقبلت ياأبا ثور فقال من عند سيد بنى مخزوم أعظمها هامة وأقلها ملامة وأفضلها حلما وأقدمها سلما قال من هو قال سيف الله وسيف رسوله خالد بن الوليد قال فأى شئ صنعت عنده قال أتيته زائرا فدعا لى بقعب وفرس وثور فقال له عمر وأبيك ان فى هذا لشبعا قال لى أولك قال لى ولك قال بلى فما تقول ياأمير المؤمنين انى لآكل الجذع من الابل انتقيه عظما عظما وأشرب الشن من اللبن ربيئة وصريفا (قوله أقردت) سكت وخضعت (ما لبث) ما تمهل (الجراب) وعاء الزاد وأراد بطنه (أمل) يقال أمليت عليه اذا ألقيت عليه ما يكتب وأمللت لغة وقيل الاصل أملت فابدل من اللام ياء (نكلت) انقطعت (لاغر و) لابجب (علقت) حملت (ذويه) قرابته وأضاف ذوى الى المضمر وهى لغة قليلة ومنعها بعضهم وجوزها جماعة من أئمة اللغة وقال أبو على الفارسى اللهم صل على محمد وذويه حملوا ذوى على الاصحاب الازهرى سمعت غير واحد من العرب يقول كنا مع ذوى عمرو يعنى مع أصحاب عمرو وهو كثير فى كلام قيس ومن جاورهم وقال الحريرى فى الدرة ويقولون رأيت الامير وذويه فيهمون فيه لان العرب لم تنطق بذى الذى بمعنى صاحب الا مضافا الى اسم جنس كقولك ذو مال وذو نوال فاما اضافته الى الاعلام أو الى أسماء الصفات المشتقة من الافعال فلم تسمع بحال ولهذا لحن من قال صلى الله على محمد وذويه وكما لم يقولوا ذو أبى ولا ذو أمى واقتصروا على اضافته الى الجنس ولهذا لم يرفع السببى لانه ليس بمشتق فلا يقال مررت برجل ذى مال أخوه وتصحيحه ذو مال أخوه لان النكرة تختص بأن توصف بالجملة (قوله مراء) جدال (تمويه) كذب (الصريح) الخالص (أدنى) أقرب (التراث) المال الموروث (حوى) حاز (تخلى) خرج بلا شئ (هاك) خذ (يحتذيها) يتبعها ويعمل بها وتقريب هذا اللغز أن تقول رجل وابنه وامرأة وابنتها تزوج الرجل البنت والابن الام فمات الابن وقد حملت منه الام فوضعت غلاما فكان للرجل ابن ابنه ولزوجته أخ لام ثم مات الرجل وترك أخا فورثت زوجته الثمن وأخوها من أمها الباقى لانه ابن ابن الميت وهو يحجب الاخ كما

كان يحجبه الابن لو كان حيا ومثله قول الآخر

وقائلة أوصى الغداة فانني * أرى الموت قد حطت لديك ركائبه
فقلت وقد راع الفؤاد مقالها * وضاقت به خوف الحمام مذاهبه
لك الثمن ان حانت وفاتي فريضة * وسائر مايبقى فصنوك صاحبه

جوابه تعلم فان العلم أكبر ملبس * لمن شرفت أخلاقه ومذاهبه
حليلة هذا أمهاز وجة ابنه * فذلك والالغاز جم عجائبه
فان ابنه صنو لزوجته ومن * يقر بعرف العلم تعلو مراتبه
فيراثها ثمن وللصنو مابقي * كذلك يقضي من تعالت مناقبه

والمتقدم للسؤال في هذه المسئلة عبد الملك بن مروان وذلك انه وقف به رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا تزوجت امرأة وزوجت ابني من أمها فاددنا بشيء نستعين به فقال له ان أخبرتني كيف يدعي ابن كل واحد منكما لابن صاحبه فأنا أرفدك والا فلا أعطيك شيأ فقال له الرجل فسل عن ذلك كاتبك وصاحب شرطتك فان أجابك فانا نعطيه لي فادفعه اليهما والا فأنا أعذر فسألهما فلم يعرفا ذلك فابتدر رجل من آخر الصفوف وقال له أرأيت ان أخبرتك أتعطيني ماذكرت للسائل فقال له نعم فقال ابن الاب عم ابن الابن وابن الابن خال ابن الاب فوصله فهذا أخف أمر افي الظاهر من التوارث الذي فرض الحريري وأشكل في المعنى (قوله أثبت) صحح (استثبت) أي وجده ثابتا (أهلك والليل) كلام للعرب كأنه قال بادر أهلك قبل الليل وتحقيق المعنى في ذلك أنه عطف الليل على الاهل وجعلهما مبادرين ومعنى المبادرة مسابقتك الشيء كقولك بادرت زيدا المنزل كأني (٣) سابقته اليه وكأن الليل والرجل المخاطب يتسابقان الى أهل الرجل فأمره الآمر أن يسابق الليل اليهم ليكون عندهم قبل الليل (شمر الذيل) أي ارفع ساقك واستعد للمشي (ايوائي) ضمي (قربة) مايتقرب به من أعمال البر (أغذف) أسبل وأرسل ومنه قول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني * طب بأخذ الفارس المتلثم

وانما قيل للغراب غداف لسبوغ ريشه وقال رؤبة يخاطب أخاه

* نبت من جناحك الغداف * (جنح الظلام) ميله وجنح الليل جنوحا وأجنح مال وهو من الجناح وكان الطائر اذا عدل عن طريق طيرانه فيرجع يطير الى جهة جناحه قيل له جنح ثم استعير في الليل وغيره كما قيل نكب عن طريقه هي من المنكب كأنه قال مال بمنكبه الى جهة منكبه (سجح) صوت (الغمام) السحاب (اغرب) غب وابعد (ذرالك) منزلك (أنعمت) بالغت (تراعي) تحفظ (أمعن) كثر وتقول أمعن لي بحقي اعترف به وأظهره مأخوذ من الماء المعين وهو الجاري الظاهر * الفراء المعين من الماء عون أو مفعول من العيون (تبطن) ملأ بطنه (كظة) امتلاء البطن (مدنفة) ممرضة (هيضة) انطلاق البطن بالقيء والاسهال (كفافا) مسالمة أي كف عني شرك وخيرك (معافى) سالما من الآفات (أليته) يمينه (بلوت) خبرت وشاهدت (الرغم) الذل (تجودني) تمطرني و (السماء) المطر هنا * وتذكرت بهذه الحالة خروج السلامي من دار الشريف الرضي في عشية ماطرة فأعطاه كساء استتر به فلما وصل الى منزله كتب اليه بقصيدة منها

قال فلما أثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي أهلك والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت اني بدار غربة وفي ايوائي أفضل قربة لاسيما وقد أغدف جنح الظلام وسبح الزعد في الغمام فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذراك قال لاني أنعمت النظر في النقاك ماحضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لاتنظر في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وتبطن ماتبطنت لم يكد يخلص من كظة مدنفة أو هيضة متلفة فدعني بالله كفافا واخرج عني مادمت معافى فوالذي يحيي ويميت مالك عندي مبيت فلما سمعت أليته وبلوت بليته خرجت من بيته بالرغم وتزود الغم تجودني السماء

٣ قوله كأني سابقته الخ كذا في النسخ التي بايدينا ولعل الاولى كأنك سابقته اه الخ

ودّعت دارك والسماء تجودنى * بيد الغمام فلا يكن بك مابى
ماكنت الاجنة فارقتها * كرها فصبّ على صوب عذاب
ورأيت غالبة الطريق ومسكه * طينا معدّا الى على الابواب
وحمى كساؤك لاعدمت معيره * دراعتى وعمامتى وجبابى
فوليت يابحر السماحة كسوتى * وولى أخوك الغيث بل ثيابى
فوصلت أشكر ذا وأشكو ذا وبا * عينين مابهما من التسكاب

(وقال آخر فاحسن)

وغمامة نثرت دموعا عندما * نثر النسيم جمانها تسبيكا
تهدى السقوف جمانها متفرقا * وتمدّه عند السقوط سلوكا

(وقال ابن شهيد فأحسن)

ومر تجز ألقى بذى الاثل كلكلا * وحط بجرعاء الاباريق ماحطا
سعى فى قياد الريح يسمح للضبا * فألقت على غبر التلاع به مرطا
ومازال يروى الترب حتى كسا الربا * درانك والغيطان من نشره بسطا
وعنت له ريح تساقط قطره * كما نثرت حسناء عن جيدها قرطا

(قوله تخبط) أى تجعلنى أمشى فيها على غير هدى (تتقاذف) ترامى وتتطارح وجعل الابواب يرميه بعضها على بعض لما كان يقرعها ولا تفتح له (لطف القضاء) أى رفق قدر الله وقضائه (يده البيضاء) نعمته الكريمة وتقول لفلان على يد بيضاء أى نعمة وجمعها أياد قال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى الى قوم نعمة فلم يشكروها له استحيب له فيهم قال عبد الله بن المبارك أقبل نصر بن سيار فقال اللهم انى أهديت الى بسام نعمة فلم يعدلى بشكرها فاجعل موتهم قتلا بالسيف فبلغنى أنه قتل منهم سبعون رجلا وقال ابو نواس وأتى بمعنى بديع

قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتنى نعما * أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
فالبك بعد اليوم تقدمة * لاقتلك بالتصريح مكتنفا
لا تحدثن الى عارفة * حتى أقوم بشكر ماسلفا

(اعترضه الناشئ فى معناه فقال)

ان أنت لم تحدث الى يدا * حتى أقوم بشكر ماسلفا
لم أحظ منك بنائل أبدا * ورجعت بالحرمان منصرفا

(وقال طريح)

طلبت ابتغاء الشكر فيما صنعت بى * فقصرت مغلوبا وانى لشاكر
وقد كنت تعطينى الجزيل بداية * وانى لما استكثرت منك لحاقر
فأرجع مغبوطا وترجع بالتى * لها أول فى المكرمات وآخر

(وقال آخر)

رهنت يدى بالشكر فى شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد

وتخبط بى الظلماء وتنبحنى الكلاب وتتقاذف بى الابواب حتى ساقنى اليك لطف القضاء فشكر اليده البيضاء

ولو ان شيأ يستطاع استطعته * ولكن مالا يستطاع شديد

(وقال ابراهيم بن العباس الصولى)

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر

لمثلته لك حتى تراه * فتعلم انى امرؤ شاكر

وهذا الباب من الشكر وان وفيناه حقه هنا يأتى متفرقا فى الكتاب * ولما ذكر البطنة وخطرها وانها أوجبت عليه خروجه من منزل ضيفه على الحالة التى وصف أردنا ان نصلها بما يشاكلها

(ماجاء فى ذم البطنة)

* ومما جاء فى ذم البطنة من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان أكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم وقيل للتسترى الرجل يأكل فى اليوم مرة قال أكل الصديقين قيل فمرتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا ويقبح أن يكون الرجل وصافا لبطنه وفرجه وان من المروأة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال عمرو بن العاص لمعاوية رضى الله عنهما يوم الحكمين أكثروا الطعام فوالله ما بطن قوم قط الا فقدوا بعض عقولهم وما مضت عزيمة رجل بات بطينا وقال بعض الحكماء لكل شئ صدأ وصدأ القلوب شبع البطون * عزم المعتصم يوما على الاصطباح وأمر ندماءه أن يطبخ كل واحد منهم قدرا فدخل عليه غلام ابن أبى دواد فقال المعتصم الساعة يأتى ابن أبى دواد فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى والانصارى فيقطعنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم انى لا أمضى له يومى هذا حاجة فلم يتم الكلام الا والحاجب يستأذن به فقال لجلسائه كيف ترون فقالوا لا تأذن له فقال سوأة لكم لحى سنة أهون على من ذلك ودخل فما هو الا أن سلم وجلس وتكلم حتى ضحك المعتصم وسفر وجهه اليه ثم قال يا أبا عبد الله لقد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلنا لك حكما فى طبخها قال فليحضر كل واحد قدره وآكل ثم أحكم فيها فوضعت بين يديه فأكل من أول قدر أكلا كثيرا فقال المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذاك قال لانى أراك أمعنت فى هذا اللون وستحكم لصاحبه فقال على أن آكل من القدور كلها مثله قال شأنك فأكل ثم قال اما هذه فقد أجاد طباخها اذ قلل خلها وكثر زيتها ثم أكل من كل قدر كذلك ووصف القدور كلها بصفات حسنة سرتبها أصحابها ثم قدم الطعام فأكل مع القوم كما كانوا أنظف أكل وأحسنه وهو يحدثهم بأخبار الاكلة فى صدر الاسلام كمعاوية وعبد الله ابن زياد والحجاج وسليمان بن عبد الملك وعن أكلة دهره مثل ميسرة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامى فلما رفعت الموائد قال له المعتصم وقد أطربه حديثه ألك حاجة يا أبا عبد الله قال رجل من أهل بيتك وطئه الدهر وغير حاله قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله قال قد رأيه ما يصلحه قال خمسون ألفا قال قد أنفذت ذلك له قال ولى حاجة أخرى ثم ذكر ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شئ منها ثم قام خطيبا فقال عمرك الله يا أمير المؤمنين طويلا فبعمرك تخصب جنابات رعيتك ويلين عيشهم وتنمو أموالهم ولا زالت ممتعا بالكرامة والسلامة مدفوعا عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله يتزين الملك بمثله ويبتهج بقربه أما رأيتم كيف دخل وكيف تكلم وكيف أكل ثم انبسط فى الكلام وكيف طاب به أكلنا ما يرد هذا عن حاجته الا لئيم الاصل والله لو سألنى فى مجلسى هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف مارددته عنها

وأنا أعلم انه يكسبني في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا وفيه يقول أبو تمام

لقد أنست مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبي دواد

وهذه الحكاية تنتظم في حكايات أهل الزرد المتقدمين في المقامة وقد احتوت على رجال موصوفين بذلك ختمنا بها الباب (قوله أخبب) تعجب معناه ما احب لقاءك الى قلبي (المتاح) المقدر و (المرتاح) المهتز طربا (يفتن) ينوع (ويشمط) يخلط (أنفه) أوله وجعل للصباح أنفا عاطسا ازالما كان يدفع ظلمة الليل (هتف) صاح (داعي الفلاح) هو المؤذن والفلاح البقاء (تاهب) استعد (عقته) حبسته (الانبعاث) النهوض وذكر ان (الضيافة ثلاث) لانه جاء في حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وجائزته يوم وليلة والضيافة ثلاث ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه فما انفق عليه بعد ثلاث فهو صدقة أبو عبيدة جائزته يوم وليلة أي يعطى الضيف بعد اكرامه ثلاثة أيام ما يجوز به يوما وليلة يقال أسف بجائزة وجيزة وجوزة أي قدر ما يجوز به المسافر من منهل الى منهل ومن هنا باب الضيافة قال المبرد أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه فقالت له ألق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه ففعل فقالت المرأة للضيف بالذي يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم فقال والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرا ما أعلم ونزل بصري على مبدني وكان صديقا له فالح عليه في الجلوس فقال المدني لامرأته اذا كان غدا فاني أقول لضيفنا كم ذراع يقفز فاقفز فاذا قفز فاغلقي الباب خلفه فلما كان من الغد قال له المدني كم قفزك يا أبا فلان قال جيد فعرض عليه أن يقفز معه فاجابه فوثب المدني من داره الى خارج أذرعا وقال للضيف ثب أنت فوثب الضيف الى داخل الدار ذراعين فقال له وثبت أنا الى خارج الدار أذرعا وأنت الى داخلها ذراعين فقال الضيف ذراعان في الدار خير من أربع الى برا الازهري برا مولد (قوله ناشد) حلف (حرج) وكد يمينه أي لا يقيم والحرج الاثم ابن الانباري تحرج فلان عن كذا أي تدين وضيق على نفسه والحرج عندهم الضيق (أم) قصد (عرج) التوى عن الباب منصرفا (اجتلاء) نظر (القرح) الجرح وأنشد الثعالبي في هذا المعنى فقال

عليك بأقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
فاني رأيت الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدي اذا هو أمسكا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا نظمه الشاعر فقال

اذا شئت ان تقلى فزر متواترا * وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وقالوا قلة الزيارة أمان من الملالة وقالوا في ضده ترك الزيارة سبب القطيعة وقال علي رضي الله عنه الصبر من كرم الطبيعة والمن مفسدة الصنيعة وترك التعاهد للصديق يكون داعية القطيعة وقال عبد الصمد بن المعذل في ضد هذا وان يحافظ على الصداقة بظهر الغيب ويمدح ابراهيم بن الحسن

يا من فدت نفسه نفسي رقد جعلت * له وقاء لمن يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وان شط المزار به * اني وان كنت لا ألقاه ألقاه
وان طرفي موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواي مثواه

فقلت له أحبب بلقاء المتاح الى قلبي المرتاح ثم أخذ يفتن في حكاياته ويشمط مضحكاته بمبكياته الى أن عطس أنف الصباح وهتف داعي الفلاح فتأهب لاجابة الداعي ثم عطف الى وداعي فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلاث فناشد وحرج ثم أم الخروج وأنشد اذ عرج

لا تزر من تحب في كل شهر
غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم
ثم لا تنظر العيون اليه

(قال الحرث بن همام) فودعته بقلب داعي القرح ووددت لو أن ليلتي بطيئة الصبح

الله يعلم انى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه
لاشئ عمانرى إلاله شبه * ومالكم آل ابراهيم اشباه
عذرا فهل حسن لم يحه حسن * وهل فتى عدلت جدواه جدواه

وقال أبو العتاهية

اقلل زيارتك الصديق ولا تطل * اتيانه فتلج فى هجرانه
ان الصديق يلج فى غشيانه * لصديقه فيمل فى عصيانه
حتى تراه بعد طول سروره * وكأنه متبرم بمكانه
واذا تولى عن صيانة نفسه * رجل تنقص واستخف بشانه

وافراط الهر بالصاحب داع الى كثرة الاتجال ومانع من العودة بعد الانفصال * وكتب ابن عمار الى ابن زريق وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه هذه الابيات

لم يلوعنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خجلة عرضت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

ضمن ابن عمار هذا البيت أحسن تضمين وهو للمعرى وماقيل فى العجز عن الشكر أحسن منه والاقلال يمنع تلاقى الاحباب ويحط من همم ذوى الاحساب فانه اذا لم يكن عندك ماتتقدم بين يدى ضيفك أو زائرك تمنيت اذا حل بك أن لا تراه وقال حبيب

وسيان عندى صادفوا لى مطعما * أعاب به أو صادفوا لى مقتلا

(وقال ابن الجد)

وانى لصب بالتلاقى وانما * يصده (٣) عن معاذيرك العسر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وفى المقامة التى تلى هذه فنون من الزيارة تقف عليه ان شاء الله تعالى

(شرح المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية)

(أديتها) تممتها (شفعتها) زوجتها يريد أنه صلى الفريضة ثم صلى النافلة (بفضلها) يريد أنه صلاها فى الجماعة وهى أفضل من صلاة الفذ (انتبذوا) انفردوا وصاروا الى جهة وزاوية من المسجد (وامتازوا) انفصلوا (صفوة) خيارا (يتباطون) يعطى بعضهم بعضا (المنافثة) المحادثة (يقتدحون) أى يضربونها ويستخرجون نارها (المباحثة) المناظرة فى العلم (المتطفل) الآتى الى الطعام من غير أن يدعى وهو الوارش عند العرب وتطفل تشبه بطفيل العرائس وهو طفيل بن دلال الدارمى يسمى طفيل الاعراس وطفيل العرائس لكثرة دورانه على حضورها ومشاهدته لها والاكل منها من غير أن يدعى اليه واسمه مشتق من الطفل وهو اقبال الليل على النهار أبو عمرو الطفل الظلمة ابن الاعرابى ويقال للطيفيلى اللعموظ والجمع اللعاميظ وطفيل من بنى عبد الله ابن غطفان كان يأتى الاعراس ولم يدع ومسكنه بالكوفة وكان يقول وددت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على فيها دخان فنسب اليه كل من يتطفل نسبة مذهب لا نسب والتطفل

(٣) قوله يصده عن معاذيرك الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا وهو شطر ناقص ولعل الاصل يصد فؤادى عن معاذيرك العسر أو نحو ذلك اه مصححه *

(المقامة السادسة عشرة المغربية)

(حكى الحرث بن همام) قال شهدت صلاة المغرب فى بعض مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفى رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت فى محادثتهم لكلمة تستفاد أو أدب يستزاد فسعيت اليهم مسعى المتطفل عليهم وقلت لهم أتقبلون

من اخلاق اللئام وسجايا الاوغاد ومنهى عنه فى الشرع * ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوى دخل سارقا وخرج مغيرا * عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم من دخل على قوم لطعام لم يدع فاكل دخل فاسقا وأكل حراما *ونسوق هنا فصلا للطفيليين يكون فى هذه المقامة بمنزلة فصل الاكلة فى المقامة قبل هذا لان حالتيهما متقاربة فمن ذلك ما يحكى عن بشار الطفيلى انه قال رحلت يوما الى البصرة فلما دخلتها قيل لى ان هنا عريفا للطفيليين يبرهم ويكسوهم ويرشدهم الى الاعمال ويقاسمهم فسرت اليه فبرنى وكسانى وأقمت عنده ثلاثة أيام وله جماعة يصيرون اليه بالزلات فيأخذ النصف ويعطيهم النصف فوجهنى معهم فى اليوم الرابع فحصلت فى وليمة فاكلت وأزللت معى شيأ كثيرا وجئته به فاخذ النصف واعطانى النصف فبعت ما وقع لى بدراهم فلم أزل على هذه الحالة أياما ثم دخلت يوما على عرس جليل فاكلت وخرجت بزلة حسنة فلقينى انسان فاشتراها بدينار فاخذته وكتمته وكتمت أمرها فدعا جماعة من الطفيليين فقال ان هذا البغدادى قد خانفظن انى لا أعلم ما فعل فاصفعوه وعرفوه ما كتمنا فاجلسونى شئت أم أبيت ومازالوا يصفعونى واحدا بعد واحد فيصفعنى الاول منهم ويشم يدى ويقول أكل مضيرة ويصفعنى الآخر ويشم يدى ويقول أكل كذا ويصفعنى الآخر حتى ذكروا كل شئ أكلته ما غلطوا بشئ منه ثم صفعنى شيخ منهم صفعة عظيمة وقال باع الزلة بدينار وصفعنى آخر وقال هات الدينار فدفعته اليه وجردنى الثياب التى أعطانيها وقال اخرج يا خائن فى غير حفظ الله فخرجت الى بغداد وحلفت أن لا أقيم ببلد فيه طفيلية يعلمون الغيب * ونريد هنا أن نذكر بعض ما اشتهر من حكايات طفيلية البصرة اذ هم أحذق خلق الله فى باب التطفيل بعث المأمون فى عشرة من زنادقة البصرة فجمعوا فرآهم طفيلى فمضى معهم فأدخلوا فى سفينة فدخل معهم وجئ بالقيود فقيد معهم فقال أحدهم يا طفيلى الى هنا فأقبل عليهم فقال فديتكم أى شئ أنتم فقالوا له بل أنت من أنت وهل أنت من أصحابنا قال والله ما أعرفكم غير أنى طفيلى خرجت من منزلى فرأيت منظرا جميلا ونعمة ظاهرة فقلت شيوخ وكهول وشبان ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخلت وسطكم كأنى أحدكم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش ومهد ورأيت سفرا مملوأة فقلت نزهة الى بعض البساتين والقصور ان هذا اليوم يوم مبارك فزدت ابتهاجا فجاء هذا الموكل بكم فقيدكم فطار عقلى فما الخبر فضحكوا وفرحوا به وقالوا له قد حصلت فى الاحصاء ونحن مائية على مذهب مانى القائل بالنور والظلمة نسير الى المأمون فيسألنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة ويظهر لنا صورة مانى ويأمرنا أن نتفل عليها ونبرأ منها فمن فعل نجا والا قتل فاذا دعيت فاخبره باعتقادك وللطفيلى مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا بها فكان ذلك فلما دخلوا على المأمون دعاهم باسمائهم وامتحنهم فأمر عليهم بالسيف وتأخر الطفيلى وقد استوعب العدة فسأل الموكلين بهم فقالوا وجدناه معهم فجئنا به فقال له ما خبرك فقال له ما أمير المؤمنين امرأة طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيأ انما أنا رجل طفيلى ثم قص قصته معهم فضحك المأمون كثيرا ثم أظهر الصورة فلعنها وبرئ منها ثم قال اعطوها الى حتى أسلح عليها والله ما أدرى ما مانى أنصرانى أم يهودى أم مسلم فقال المأمون يؤدب على فرط جهله وتطفيله ومخاطرته بنفسه فقال

(أخبار الطفيليين)

يا أمير المؤمنين بحياتك ان كنت ولا بد عازما فاجعل السياط كلها على بطني فهو الذي حملني على هذا الغرر فعاد الى الضحك فاستوهبه منه ابراهيم بن المهدي بحديث في تطفيله يذكر في خبر اسحق الموصلي فوهبه له وأجاز الطفيلي بجائزة سنية * كان ابراهيم بن المدبر عاملا على البصرة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم وكل واحد منهم منفرد بعلم من العلوم وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم في كل ملحة افتنانا فاحتال ودخل في جملة الندماء فخرج ابراهيم فرآه فقال لحاجبه قل لهذا الرجل ألك حاجة فسقط في يد الحاجب وعلم أن الحيلة تمت عليه وانه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته الا بقتله فتر يجر رجليه فقال له يقول لك الاستاذ ألك حاجة فقال قل له لا فأدخله عليه فقال فاي شيء ادخلك أأنت طفيلي فقال نعم أصلحك الله فقال ان الطفيلي يحتمل على دخوله على الناس بخصال منها أن يكون لاعبا للشطرنج أو بالنرد اوضاربا بالعود أو بالطنبور فقال أيدك الله انا لما ذكرت في الطبقة العليا فقال لبعض الندماء لاعبه بالشطرنج قال أعزك الله فان قمرت قال اخرجناك قال وان قمرت قال أعطيناك ألف درهم فقال أحضرها فان في حضورها قوة للنفس فلعبا بالشطرنج فغلب الطفيلي ومد يده لاخذ الدراهم فقال الحاجب أعزك الله ذكرانه في الطبقة العليا وان فلانا غلام يغلبه فأحضر الغلام فغلبه فقال والله انصرف فقال أحضروا النرد فلعب به فغلب فقال الحاجب لكن بوابنا فلان يغلبه فاحضر البواب فغلبه فقيل له اخرج قال فالعود فاعطي عودا فضرب فأصاب وغنى فاطرب فقال الحاجب ياسيدي ان في جوارنا شيخا يعلم القيان هو أحسن منه فأحضر اليه فكان أطيب منه فقيل له اخرج فقال فالطنبور فضرب ضربا لم نر أحسن منه فقال الحاجب ان فلانا المحتكر أطيب منه فأحضر فكان أحذق منه فقال ابن المدبر قد تقصينا لك بكل جهد فابت حرفتك الا طرحك فقال ياسيدي بقيت معي فائدة حسنة فقال وما هي قال تأمر أن يحضر قوس بندق مع خمسين بندقة من رصاص ويقام هذا الحاجب فأرميه في دبره فان أخطأته بواحدة فاضرب عنقي فضحك الحاجب ووجد ابن المدبر شفاء نفسه في عقوبته فأمر بخشبتين وشد الحاجب فوقهما وأعطى القوس فرماه بخمسين بندقة فما أخطأ دبره بواحدة منها وحل الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلي ياصنعان هل على باب الامير من يحسن مثل هذا فقال له الحاجب ياقرنان اذا كان البرجاس استي فلا يحسن أحد مثلك قال وذهب الضحك بابن المدبر هو وأصحابه كل مذهب ثم أعطاه ألف درهم وانصرف * صحب طفيلي رجلا في سفر فلما نزلوا ببعض المنازل قال له الرجل خذ درهما وامض اشترلنا لحما فقال له الطفيلي قم أنت والله اني لتعب فاشتر أنت فمضى الرجل فاشتراه ثم قال له الرجل قم فاطبخه فقال لا أحسن فقام الرجل فطبخه ثم قال الرجل للطفيلي قم فاثرد فقال والله اني لكسلان فثرد الرجل ثم قال له قم فاغترف قال أخشى ان ينقلب على ثيابي فغرف الرجل حتى اروى الثريد فقال له قم الآن فكل قال نعم الى متى هذا الخلاف قد والله استحييت من كثرة خلافك وتقدم فأكل * وقال طفيل العرائس ليس في الارض أكرم من ثلاثة أعواد عصا موسى عليه السلام وخوان الطعام ومنبر الخليفة ومن وصيته لاصحابه اذا دخلتم غرسا فلا تلتفتوا الى الملاهي وتخيروا المجالس وان كان العرس كثير الزحام فليمض احدكم ولا ينظر في عيون الناس ليظن اهل الرجل انه من أهل المرأة وأهل المرأة

انه من أهل الرجل وان كان البواب فظا وقحا فليبد أبه فليأمره ولينهه من غير عنف ولكن بين النصيحة والادلال وقال بنان الطفيلي التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان * وسئل بنان هل تحفظ من كتاب الله تعالى شيأ قال نعم آية قيل وما هي قال واذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا قيل أتحفظ شيأ من الشعر قال بيتا واحدا قيل ما هو قال

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم * ان الكريم اذا ما لم يزر زارا

(وبعده)

يقرب الشوق دارا وهي نازحة * من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

(وقال أبو الورد المحاكمي في طفيلي)

طفيلي يؤم الخبز أنى * يراه ولو يراه على يفاع

ولا يروى من الاخبار الا * اجيب ولو دعيت الى كراع

(وقال طفيلي أيضا)

نحن قوم اذا دعينا أجبنا * ومتى ننس يدعنا التطفيل

ونقل علنا دعينا فغبنا * واتانا فلم يجدنا الرسول

*وأقبل طفيلي الى طعام لم يدع اليه فقال صاحب الطعام من دعاك فأنشده

دعوت نفسي حين لم تدعني * فالحمد لي لا لك في الدعوه

وكان ذا احسن من موعد * مخالفه يدعو الى الجفوه

*ودخل طفيلي في صنيع رجل من القبط فقال له من أرسل اليك فأنشأ يقول

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم * ان المحب اذا لم يزر زارا

فقال زرزار ليس يدري من هو اخرج من بيتي *وقال آخر في طفيلي كوفي

زرعنا فلما أثمر الله زرعنا * وأوفى عليه منجل لحصاد

بلينا بكوفي حليف مجاعة * أذن تزرع من وباء وجراد

*وحدث آدم الطويل قال دخل حانوتي غريب يأكل شيأ من الطعام فتقدم سائل فقلت له ما أكثر ترددك الى فقال الغريب الذي في الحانوت لعله كما قال الشاعر

لو طبخت قدر بمطمورة * أو في ذرى قصر بأعلى الثغور

وكنت بالصين لوافيتها * يا عالم الغيب بما في القدور

*حكى المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فقرب بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي فأنكره صاحب المنزل فقال له لو تأنيت أو صبرت يا هذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لأدبك وأعظم لقدرك وأجل لمروأتك فقال انما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة واطراحها صلة وجاء في الآثار صل من قطعك وأعط من منعك واحسن الى من أساء اليك وأنشد

كل يوم أدور في عرصة الدا * ر أشم القتار شم الذباب

فاذا ما رأيت آثار عرس * أو دخانا أو دعوة الاصحاب

لم أعرج دون التقعم لاأر * هب شتما ولكزة البواب
مستهينا بمن دخلت عليه * غير مستأذن ولاهياب
ذاك أهنى من التكلف والغر * م وشتم البقال والقصاب

* كان بالبصرة طفيلي يكنى أباسلمة وكان اذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة وأخذ ابنه معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة فيتقدم أحدهما فيدق الباب ويقول افتح ياغلام لابي سلمة ثم لايلبث حتى يلحقه الآخر فيقول افتح ويلك قد جاء أبو سلمة ويتلوهما فان لم يعرفهم البواب فتح لهم وان عرفهم لم يلتفت اليهم ومع كل واحد منهما فهرمدور يسمونه كيسان فينتظرون من دعى فاذا جاء وفتح له طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب فلا يقدرون على اغلاقه فيجمعون ويدخلون فأكل أبو سلمة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذج وبلعها بشدة حرارتها فتجمعت أحشاؤه فمات على المائدة فقال عبد الصمد بن المعدل يرثيه

أحزان نفسي عني غير منصرمه * وأدمعي من جفون العين منسجمه
على صديق ومولى لي فجعت به * ما ان له في جميع الصالحين لمه
كم جفنة مثل دور الحوض مترعة * كوماء جاء بها اطباخها ردمه
قد كللتها شحوم من قليتها * ومن سنام جزور عبطة سنمه
غيبت عنها فلم تعلم لها خبرا * لهفي عليك وعولي يا أباسلمه
ولو تكون لها حيا لما بعدت * يوما عليك ولو في جاحم حطمه
قد كنت أعلم أن الاكل يقتله * لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه
اذا تعدم في شبليه ثم غدا * فان حوزة من يأتيه مصطلمه

(قوله نزيلا) أي ضيفا و (الاسمار) المذاكرة بالليل و (جناها) مايجنى من فوائدها (يبغي) يطلب (ملح الحوار) ملح الكلام والحوار مراجعة القول (ملحاء الحوار) لحم سنام الفصيل (الحبا) جمع حبوة وكانت العرب ليس لها في البوادي حيطان تستند اليها في مجتمعهم فكان الرجل يقيم ركبتيه في جلوسه فيضع عليهما ثوبا ويعقد عليهما يديه ويستريح اليها ويقوم ذلك له مقام الاستناد فيقال لذلك العقد الحبوة فأراد أنهم حلوا له الحبا اكراما له (لمحة بارق) لمعة برق (خاطف) يخطف العين بسرعة فيمنعها النظر (نغبة) جرعة (غشينا) دخل علينا فجأة (جواب) قطاع للارض بمشيه (الغاتق) مابين المنكب والعنق (جراب) وعاء للخبز (الكلمتين) سلام عليكم (التسليمتين) سلامه عند الدخول وسلامه من الركعتين * وتحية المسجد ان يركع الداخل فيه ركعتين وقيل التسليمتين تسليمه من صلاة المغرب وتسليمه من الركعتين اللتين بعدها (الالباب) الاذهان و (اللباب) الخالص (أنفس) ارفع (القربات) ماتقرب به الى الله عز وجل واحدها قربة (الكربات) الهموم و (تنفيسها) تفريجها وازالتها (أمتن) أقوى واغلظ (النجاة) التخلص (مواساة) جعلك لهم اسوة نفسك (ساحتكم) موضعكم (أتاح) قدر (استماحتكم) اجتداءكم والطلب منكم (بثريد) منفر والشزيد الهارب (قاص) بعيد (بريد) رسول (خماص) جياع (يفشأ) يكسر (حيا الجماعة) حدة الجوع (فضلات) بقايا (لفاظات) مايلفظ منها اى يطرح (تفاضات) مايتفض من بقية الزاد * ابن عباس قال قال رسول الله صلى

نزيلا يطلب جنى الاسمار
لاجنى الثمار ويبغي ملح
الحوار لا ملحاء الحوار فقالوا
لي الحبا وقالوا مرحبا
مرحبا فلم أجلس الا لمحة
بارق خاطف أو نغبة طائر
خاطف حتى غشينا جواب
على عاتقه جراب فحيانا
بالكلمتين وحيا المسجد
بالتسليمتين ثم قال يا أولى
الألباب والفضل اللباب
أما تعلمون أن أنفس القربات
تنفيس الكربات وأمتن
أسباب النجاة مواساة ذوي
الحاجات واني ومن أحلني
ساحتكم واتاح لي
استماحتكم لشريد محل
قاص وبريد صبية خماص
فهل في الجماعة من يفشأ
عنا حميا المجاعة فقالوا له
ياهذا انك حضرت بعد العشاء
ولم يبق الا فضلات العشاء
فان كنت بها قنوعا فاتجد
فينا منوعا فقال ان أخا
الشدائد ليقنع بلفاظات
الموائد ونفاضات

الله عليه وسلم من أكل مايسقط من الخوان نفى عنه الفقر وعن ولده الحق و (المزاود) أوعية الزاد (الصنع) الجميل (قوله وجلس يرقب) وقال قبل هذا ثم أجلس الالمحة بارق وقال فى الثامنة والعشرين وجلس حتى ختم نظم التأذين وأكثر ماصرف الجلوس فى مقاماته من قيام وقال فى الدرة ويقولون للقائم اجلس والاختيار على ماحكاه الخليل أن يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وعلل بعضهم هذا الاختيار بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ولهذا قيل لمن أصيب برجله بقعد وان الجلوس من سفل الى علو ومنه قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تاركا ما امرتك فاجلس

أى اقصد نجدا وكان عمر والى المدينة فقال للفرزدق ان كنت تلزم العفاف والا فاخرج الى نجد * وحكى أبو عبد الله بن خالويه قال دخلت على سيف الدولة بن حمدان يوما فلما مثلت بين يديه قال اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الادب واطلاعه على اسرار كلام العرب والذى نظر هو الوجه ولهذا جعله على الاختيار ولم يجعله من اللحن الا انه اقرب المعنيين يجوز أن يكون قد استعمل جلس فى المقامات من القيام (يرقب) ينظر و يحرس (ثبنا) رجعنا (استثارة) استخراج (ملح) مايتملح به من الكلام (عيونه) مختاره (استنباط) استخراج (معينه) ماؤه الصافى (عيونه) جمع عين الماء ركنى بالمعين والعين عن الكلام والقلوب (جلنا) تصرفنا (يستحيل) يتغير (الانعكاس) قراءة اللفظة من آخرها (ساكب) صاب (تداعينا) دعا بعضنا بعضا (نستنتج) نستدعى منها النتاج وهو الولد (الافكار) جمع فكر وجعل مايديه الفكر من الكلام نتاجا له (نفترع) نفتض (جمانات) جمع جمانة وهى حبة تعمل من فضة كالدرة (تتدرج) تمشى (يربع) يصنع أربع جمانات (ذو) بمعنى صاحب (يسبع) يصنع سبعا (رغمه) اكراهه واذلاله (انتظمنا) اجتمعنا (تألفنا) تصاحبنا وانضم بعضنا الى بعض ومنه ألفت الكتاب و (الالفة) الصحبة والاجتماع و (الكهف) الغار وأصحابه قصتهم معروفة قال ابن عباس فى قوله عز وجل مايعلمهم الا قليل أنا من أولئك القليل وهم مكسلمينا ويلمخا وهو المبعوث بالورق الى المدينة ومرطونس وسارينوس ويوانس وكفشطيوس وقطمنوسيسوس وهو الراعى والكلب اسمه قطمير وهو أمردون ٢ الكروى وفوق القلطى وقال أبو شبل بلغنى ان من كتب هذه الاسماء فى شئ ووضعه فى الحريق سكن الحريق وذكر الطبرى انهم كانوا فى أيام الطوائف على دين عيسى بن مريم وكانوا فى حكم ملك الروم يسمى دقيانوس يعبد الاصنام فبلغه عن الفتية مخالفتهم لدينه فطلبهم فهربوا منه فاجتاز وا براعى غنم فاتبعهم بكلبه فعلموا دينهم وصاروا الى ربهم فآواهم الليل الى كهف فقالوا نبيت هنا الليلة ثم نصبح فنرى رأينا فضرب الله على آذانهم فناموا وتبعهم الملك فوجدهم فى الكهف فلم يطق أحد منهم دخوله فبنى عليهم باب الكهف ففتحه الرعاء بطول الزمان فأقاموا فيه ماذكر الله تعالى ثم أحياهم الله تعالى بعد ثلثمائة وتسع فشكوا هل ناموا يوما واحدا أو بعضه ثم مسهم الجوع فبعثوا أحدهم بورق يشترى لهم طعاما ووصوه أن يحترز حتى لايشعر بهم أحد فدل عليهم فيحملوا الى الملك الذى فروا منه أمس فيما ظنوا فيرجعهم أو يرجعوا الى دينه فلما أتى باب المدينة أنكر ان تكون هى التى خرج منها

المزاود فامر كل منهم عبده ان يزوده ماعنده فأعجبه الصنع وشكر عليه وجلس يرقب مايحمل اليه وثبنا نحن الى استثارة ملح الأدب وعيونه واستنباط معينه من عيونه الى أن جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا الى أن نستنتج له الأفكار ونفترع منه الأبكار على أن ينظم البادئ ثلاث جمانات فى عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده فيربع ذو سمينته فى نظمه ويسبع صاحب ميسرته على رغمه (قال الراوى) وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف وتألفنا ألفة أصحاب الكهف

فى القاموس وأصحاب الكهف مكسلمينا املخيا مرطوكش نواس سانيوس بطنيوس كشفوطط أوملخيا مكسلمينا مرطوس نوانس أربطانس أونوس كندسلطنوس أومكسلمينا مليخا مرطونس بنيونس سار بونس كفشطيوس ذونواس أومكسلمينا أمليخا مرطونس يوانس سارينوس بطنيوس كشفوطط أو مكسلمينا يليخا مرطونس ينيونس دوانوانس كشفيطط نوانس اه

٢ وقوله وهو أمردون الخ هكذا فى النسخ التى بايدينا وليحرر اه مد

أمس فى ظنه لانها تغيرت بمرور زمان بعد زمان عليها فأنكر أهلها ثم أخرج الدراهم ليشترى طعاما فقال له البائع من أين لك هذه الدراهم وأمسكه فقال خرجت أمس مع أصحاب لى فارين من هذا الملك ودينه فبتنا فى كهف وأصبحنا اليوم فأرسلونى لأشترى لهم طعاما فاستر علينا فحمله الرجل الى ملك المدينة يسمع منه وكان ملكا صالحا فقص عليه القصة فركب الملك فى جملة من الناس ليطلعوا على أمرهم فدخل على أصحابه فوجدهم قد عادوا الى نومهم فضرب الله على أذنه معهم فدخل الناس فوجدوا أجسادا لا ينكرون منها شيأ وكأنهم ستيقظون يكلمونهم غير أنها بغير أرواح فقال لهم الملك هذه آية الله اليكم فبنوا عليهم مسجدا يصلون فيه (قوله لعظم محنتى) لعظم بليتى (لم) من اللوم (مل) من الملل (كبر) عظم الكبير وقدمه على نفسك (يرب) يصلح (بر) أكرم (ينم) يزيد خيره وترتفع منزلته ونمى الشئ ينمى وينمو نماء ونموا ونميا زاد قال الاصمعى نميت حديث فلان الى فلان أنميه اذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير وفى الحديث فقال خيرا أو نمى خيرا أى أبلغ خيرا أو رفعه وكل شئ رفعته فقد نميته ورواية ابن ظفر من يرب اذا بر ينم أى اذا كان البر من الناس يعشى بالنميمة فمن يرب فعلا جميلا ويصلحه (تكبس) تكن كيسا والكيس الناقد فى أموره وقيل العاقل (أفضت) وصلت (النوبة) الدولة (السمط) الخيط يعقد فيه اللؤلؤ (يصوغ) يصنع (يثرى ويعسر) أى يستغنى ويفتقر أى يكثر له الكلام مرة ويقل أخرى (وفى ضمن ذلك) أى فى أثنائه وفى مدته (استطعم) اطلب طعاما هذا أصله وتقول أطعمت القارئ اذا وقف ففتحت عليه وأفتيته واستطعم هو اذا استدعى ذلك * على رضى الله عنه اذا استطعم الامام فاطعموه أى اذا ارتج عليه فافتحوا له (ركد النسيم) سكنت الريح يعنى كلامه (حصحص) تبين (التسليم) الانقياد أى انقدت للعجز عن الاتيان بها (المقام) الموقف (العقام) الشديد الذى لا يؤثر فيه الدواء بمنزلة الرحم العقيم التى لا تؤثر فيها النطفة فلا تلد (اياس) تقدم ذكره و (اليأس) ضد الطمع * ولما ذكر هنا اياسا وياسا ذكر فصلا ذكره فى الدرة على اللفظتين قال ويقولون أشرف فلان على الاياس من طلبه فيهمون كما وهم أبو سعيد السكرى وكان من جلة النحويين وأعلام العلماء المذكورين فقال ان اياسا سمى بالمصدر من أيس وليس كذلك وانما اياس عند المحققين مصدر آسيته أى أعطيته والمصدر منه الاوس ومنه المواساة فكأنهم سموا اياسا بمعنى تسميتهم عطاء ووجه الكلام أن يقال أشرف على اليأس لان أصل الفعل منه يئس على فعل قال الله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فأما أيس بتقديم الهمزة فمقلوب من يئس واستدل شيخنا أبو القاسم بن المفضل النحوى على صحة ذلك بأن لفظة يئس تساوى لفظة اليأس الذى هو الاصل فى نظم الصيغة فتكون الياء مبدوأ بها والهمزة مثنى بها بخلاف تنزلهما فى أيس فلهذا حكم على أيس أنها مقلوبة من يئس والمقلوب لا يتصرف تصرف الاصل ولا يكون له مصدر (نفيض) تندفع بالكلام (المعترى) القاصد (يلحظنا) ينظر نا بطرف عينه استحقارا منه لنا (المزدرى) المحتقر (يؤلف) يجمع (الدرر) جواهر الكلام (عثر) اطلع (افتضاحنا) اشتهارنا بالعجز (نضوب ضحضاحنا) جفوف مائنا القليل (الاستيلاد) طلب الولد يقول ان من تعب النفس طلب فائدة من ذهن كليل وقريحة جامدة (نابك) نزل بك (تنثر) تقول نثرا (لذ) استتر به والجأ اليه (مؤمل)

فابتدر لعظم محنتى صاحب ميمنتى وقال (لم أخامل) وقال ميامنه (كبر رجاء أجر ربك) وقال الذى يليه (من يرب اذا بر ينم) وقال الآخر (سكت كل من نم لك تكس) وأفضت النوبة الىّ وقد تعين نظم السمط السباعى علىّ فلم يزل فكرى يصوغ ويكسر ويثرى ويعسر وفى ضمن ذلك أستطعم فلا أجد من يطعم الى أن ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابى لو حضر السروجى هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا ونزلت هذه بإياس لامسك على ياس وجعلنا نفيض فى استصعابها واستغلاق بابها وذلك الزور المعترى يلحظنا لحظ المزدرى ويؤلف الدرر ونحن لا ندرى فلما عثر على افتضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال ياقوم ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذى علم عليم ثم أقبل علىّ وقال سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فان شئت أن تنثر ولا تعثر فقل مخاطبا لمن ذم البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمل

مرجو لفعل الخير (لم) جمع المال (بذل) تكرم على غيره وهذا اللفظ من المعكوس في النثر بديع فحاظك بهذا النظم الرفيع الذي أردفه عليه فانه من أشرف حسناتيه رحمه الله (قوله أس) أعط والاوس العطية (أرملا) فقيرا أفنى زاده (عرا) قصد (ارع) احفظ الصحبة (أسا) أتى بسوء وأصله الهمز أساء فسهل الهمزة يقول ان قصدك فقير فصله وان أخطأ عليك صاحب فلا تقطعه وارع حق الصحبة . ويقال المرء بالهمز والمر بلا همز وبترك الهمز يستقيم الانعكاس في بيت الحريري ويقال المرة قال دعبل

واحفظ عشيرتك الادنين انّ لهم * حقا يفترق بين الزوج والمرة

وهذا البيت الذي فسرناه وما بعده من الابيات تقرؤه ان شئت من أوله وان شئت من آخره وجعل هذا النمط في عكس الحروف توطئة لما يذكر في المقامة بعد هذا في الرسالة التهقرية من عكس ألفاظها من أولها الى آخرها الا أنّ ذلك العكس بالالفاظ وهذا بالحروف وكلاهما غاية في بابه وانما يذكر الادباء هذا استملاحا في كلامهم وامتحانا لخواطرهم * ونريد أن نذكر هنا فصلا مما وافقه أو يقاربه على ما شرطناه فمن ذلك أنّ بعض الادباء اتهم صاحبا له بسعاية في جانبه فكتب اليه في المجلس سألك ثم فنظره الذي وشى به فكتب اليه صحفه واقلب فهو والله ما نطق به على لسانك من بغيك وعدوانك وهو مقلوب مصحف منك أتيت فتضاحكا وتصافيا * وكتب بعضهم الى خازن السلطان

قد أقبل الشهر واقباله * يأتي بما أجرى ترتيبه
فوجه البر وقلوبه * يجزيك عن برك مقلوبه

وكتب بعض الظرفاء الى صاحب له وهو مقلوب مصحف ظبي سراب خشن فاذا قرأته على الولاء من آخره بعد القلب والتصحيف جاء منه حسن شراب طيب * ومن أنواع المعميات التصحيف ومثاله أنّ ابراهيم بن المهدي كتب الى اسحق الموصلي لا يرتج مثل الاسنة فكتب اليه اسحق لا يرث جميل الاثينة وقال أبو الجهم بن الانباري للحسن بن وهب ما تصحيف كاني بيمنك فبعني بحبتين فقال كل شئ منك في عيني حسن وغاب صديق عن صديق له فلما لقيه قال له عن تعي فجاوبه زرعنا بر ذا حبا فالاول قال غبت عني والثاني قال زرعنا برا تزداد حبا وذكر في بعض مجالس الادب التصحيف فقال فتى شاب أنا ابن بجدته فقال بعضهم ما تصحيف نصحت فحشي فقال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه فاتهمه شاعر من بلنسية فقال ما تصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فقال له البلنسي صدق ظني انك تنتحل ما تقول ويحك والفتى يضحك فقال له اشعر فانك شاعر فقال وأي نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقام وهو يقول هو ذاك ثم تنبه بعد انصراف الفتى بعض من حضر فنظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ومضى الى دار الفتى معتذرا * كتب بعض وزراء ابن عباد اليه يتسخط الاخوان هذا البيت

واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقع في الكتاب وأين ذاك الواحد صحف تعرف فلما قرأه الوزير طار سرورا ومثل بالبساط فلثمه بين يديه وانما صحف وأين فجاء منه وأنت فرد عليه من كلامه أبلغ جواب * ومن ملح ابن عباد في التصحيف أنه خرج في جملة وزرائه الادباء فاجتازوا باشبيلية بالموضع الذي يباع فيه الجير

اذا لم وملك بذل وان أحببت أن تنظم فقل للذي تعظم اس أرملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا

والجلبس فلقى هنالك جارية من أحسن الناس وأقلهم حياء فأقبل ابن عباد على ابن عمار وقال يا ابن عمار الجيارين فقال ابن عمار يا مولاى والجباسين فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرف كل واحد منهما صاحبه بما ذكر فبحثوا عن مرادهما فلم يعرفوه فسألوا ابن عمار فقال له ابن عباد لاتبعها منهم الاغالية ثم ان ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية وعابها بقلة الحياء فصحف الجيارين فجاء منه الحيازين وصحفت أنا الجباسين فجاء منه الخناشين فاستغربوا حضور أذهانهما وحسن كنايتهما أين هذه الاذهان من رجل مغفل كان له ابن يسمى حسنا مسافرا فاستفتح المصحف يتفاءل له فى القدوم فخرج له وحسن ما آب فترك التيامن بهذا اللفظ لما آب الفتى سالما وقال تصحيف حسن ما آب حسن مات فاستدعى أم الفتى وخدمه ونعاه لهن فأقمن مناحة وجاء الجيران والقرابة يتطلعون حادثتهم فهو يخبرهم بما تصحف له والفتى داخل قد أقبل فى أغبط حال وأسرها فاستحمق وصار مثلا (قوله أسند) أضفه اليك وقربه منك (نباهة) رفعة (أبن) باعد (دنس) عيب يقول صاحب من يشرفك بذكره الجميل وباعد من يدنس عرضك وتعاب به وقد قيل الصاحب رقعة فى الثوب فلينظر الانسان ما يرقع به ثوبه قال ابن رشيق

اصحب ذوى القدر واستعذبهم * وعد عن كل ساقط سفله
فصاحب المرء شاهد ثقة * يقضى به غائبا عليه وله
ورقعة الثوب حين تلبسه * شهرته أو تكون مشتكله

أسند اخا نباهة
ابن اخاه دنسا

وفى الحديث الانفس أجناد مجندة وانها لتشام فى الهوى كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ونظم هذا الحديث أبو نواس فقال

ان القلوب لأجناد مجندة * لله فى الارض بالاهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

(وقال طرفة أو عدى بن زيد)

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدى

وقال أبو العتاهية

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين * فالمرء منسوب الى القرين

(وقال الخالدى)

واذا أردت ترى فضيلة صاحب * فانظر بعين البحث من ندمانه
فالمرء مطوى على علاته * طى الكتاب وصحبه عنوانه

ومما يروى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

فلا تصحب أخا السوء * واياك واياه
فكم من جاهل أودى * حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه
وفى الناس من الناس * مقاييس وأشباه
وفى العين غنى للعيـ * ـن أن تنطق أفواه

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وقال ابن رشيق

اختر لنفسك من تعا * دى كاختيارك من تصادق
ان العدو أخو الصديق وان تخالفت الطرائق

(قوله اسل جناب غاشم) يريد جانب منزل ظالم ولا تقربه وسلوت يتعدى بعن وبنفسه تقول سلوت عنه وسلوته وسليته وقال الاسود بن يعفر

فأقسمت لا أثنيه حتى يملني * بشيء ولا أسليه حتى يفارقا

(قوله مشاغب) مسارع للشر (هب) تحرك (مرا) جدال ومعنى (اسر) اكشف وأزل يقول اذا تعلق بك وهب عليك جدال من صاحب فاكشفه عن نفسك بالمناصحة وباعد المراء وتقول سريت الثوب عني وسريته اذا كشفته قال ابن هرمة * سرى ثوبه عني السرى المتجامل * ومنه سرّى عن الرجل أي كشف عنه ما كان يجده من الغم والغضب وقد يكون معنى اسر باعد وفارق من السرى وهو سير الليل فيقول فارق موضع الجدال وباعده (رسا) ثبت أي اذا سكن الخلاف بين القوم فارم أنت به واتركه ويروى اسر بالضم أي كن سريا أي سيدا ذا مروأة اذا هاج الجدال بين القوم فباعده وقال سابق البربري

لا تفعنّ لجوجا حين تزجره * ان اللجوج له في المال اغراء
وأغض في حسن عفو عن نوادره * فالحر فيه عن الآفات اغضاء

اسل جناب غاشم
مشاغب ان جلسا
اسر اذا هب مرا
وارم به اذا رسا
اسكن تقوى فعسى
يسعف وقت نكسا

والمراء مدافعة الحق وترك الانقياد لما ظهر منه وقد يستعمل بمعنى الجدال فمن جادل ليظهر باطلا فجداله محظور وفي الحديث من ترك الجدال محقا بني الله له بيتا في الجنة وقال ميمون بن مهران الاتمار من هو أعلم منك انه يحتزن عنك علمه ولم تضره شيأ وقال لقمان لابنه من لا يملك لسانه يندم ومن يكثر المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم يا بني لا تمار العلماء فيمقتوك وقال مالك بن أنس رضي الله عنه المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال بلال بن سعدة اذا رأيت الرجل لجوجا ممارا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ولمسعر بن كدام يخاطب ابنه

انى منحتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما لصديق
اني بلوتهما فلم أخترهما * لمجاور جارا ولا لرفيق

ذكر المراء والجدال وما يتولد منهما

(قوله اسكن) الزم السكون والوقار (تقو) أراد تتقوى (يسعف) يساعد ويوافق (نكس) قصر بك يقول لا تبادر الى الجدال والزم السكون حتى يتقوى نظرك ويظهر لك صواب فعسى يوافقك على الاصابة بحسن التدبير وقت كان يصرفك عن الصواب لو التزمت الجدال ومن أعاجيب ابن الرومي قوله في ذم الجدال

لا ولى الجدال اذا غدا والجد الهم * حجج تضل عن الهدى وتجور
وهن كأنية الزجاج تصادمت * فهوت وكل مكاسر مكسور
فالقاتل المقتول ثم لوهنه * ولضعفه والآسر المأسور

(وقال من شعر يمازح صديقا له)

لكن في الشيخ غريزية * يخاصم الله بها في القدر

ما كان لم كان ومالم يكن * لم لم يكن فهو كيل البشر

(قوله سحرنا) تركنا مسحورين (بآياته) بعجائبه يقال ان فلانا آية من الآيات أى عجب من العجائب (حسرنا) قطعنا وأكلنا و(الغاية) الطلق يريد انا كلسنا فى الغايات التى جرى فيها لبعد هاو يريد اتساعه فى الكلام (استعفى) قال عافونى منه (منحناه) أعطيناه (استكفى) قال يكفينى (ازدفر) حمله على ظهره والزفر الحمل على الظهر (جرابه) وعاء خبزه (عصابة) جماعة (صدق المقال) أى صادقين فى قولهم وصدق جمع صدوق وعدل عن صدوق على جهة المبالغة فى صدقه (مقاولا) ملوكا (فاقوا) فضلوا وزادوا عليهم (فضائلا) جمع فضيلة وهى ماتفضل به غيرك من الافعال المحمودة (مأثورة) متحدث بها (فواضلا) عطايا وايادى الواحدة فضيلة وفواضل المال مايأتيك من مرافقتك وعكسه ومن كلام العرب اذا عزب المال قلت فواضله أى قل انتفاع رب الابل بلبنها اذا بعدت قال الشاعر

سأبغيك مالا بالمدينة انني * أرى عازب الاموال قلت فواضله

(قوله حاورتهم) خاطبتهم (سحبان) فصيح العرب وهو سحبان بن زفر بن اياس بن عبد شمس الوائلى من وائل باهلة وكان من فصحاء العرب و بلغائها و به يضرب المثل فى البيان والفصاحة فيقال أفصح من سحبان ودخل عند معاوية وعنده خطباء القبائل فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه فقال

لقد علم الحى اليمانون أننى * اذا قلت أما بعد أنى خطيبها

فقال له معاوية اخطب فقال انظروا الى عصا قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين قال وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه فأخذها فى يده فتكلم من الظهر الى أن كادت صلاة العصر تفوت ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه وقد بقيت عليه فيه بقية ولا مال عن الجنس الذى يخطب فيه فقال معاوية الصلاة فقال الصلاة أمامك ألسنا فى تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه ووعد ووعيد فقال له معاوية أنت أخطب العرب فقال العرب وحدها بل أخطب الانس والجن فقال له معاوية كذلك أنت وهو أول من قال أما بعد وأول من آمن بالبعث من الجاهلية وأول من توكأ على عصا وعمر مائة وثمانين سنة وهو القائل يمدح طلحة بن عبيد الله وهو طلحة الطلحات الخزاعى فقال فيه

ياطلح أكرم من مشى * حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطايا فاعطنى * وعلى مدحك فى المشاهد

فقال له طلحة احتكم فقال برذونك الوردو قصرك بدريع وغلامك المختار وعشرة آلاف درهم فقال له أف أف لك لم تسألنى على قدرى انما سألتنى على قدرك وقدر باهلة والله لو سألتنى كل قصر لى وعبد ودابة لاعطيتك (قوله باقلا) هو من اياد وقيل من بنى مازن وقال حميد الارقط فى وصف ضيف أكثر من الطعام

أتانا وما دانا ه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما أن تكلم باقل

والعرب تقول انه لاعيا من باقل ومن عيه انه اشترى ظبيا فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فقل

قوله وعدل عن صدوق الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا ولعله تحريف والاصل عدل عن صادق أو عدل الى صدوق أو غير ذلك تأمل اه مصححه

(ذكر سحبان وائل)

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا بعد عاياته مدحناه حتى استعفى ومنحناه الى ان استكفى ثم ثمرنا به وازدفر جرابه ونهض ينشد لله در عصابة
صدق المقال مقاولا
فاقوا الانام فضائلا
مأثورة وفواضلا
حاورتهم فوجدت سحبا
بانا لديهم باقلا

(ذكر باقل)

عنه يديه وفتح أصابعه وأشار بها وأخرج لسانه يريد انه باحد عشر درهما ولم يلهم أن يخبر عن سومه بلسانه ولما عير باقل بنعله قال

يلومون في عيه باقلا * كأن الحماقة لم تخلق
فلا تكثروا العتب في عيه * فللعي أجمل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان * أخف علينا من المنطق

وحللت فيهم سائلا
فلقيت جودا سائلا
أقسمت لو كان الكرا
م حيا لكانوا ابلا
ثم خطا قيد محين وعاد
مستعيذا من الحين وقال
يا عز من عدم الآل وكنز من
سلب المال ان الغاسق
قد وقب ووجه المحجة قد
انتقب وبيني وبين كنى
ليل دامس وطريق طامس
فهل من مصباح يؤمنني
العثار ويبين لي الآثار
قال فلما جيء بالملتمس وجلى
الوجوه ضوء القبس رأيت
صاحب صيدنا هو أبو زيدنا

(ذكر وصف الشمع)

الاموق الاحمق (قوله حللت) نزلت (سائلا) طالبا معروفهم (جودا) كرما (سائلا) جاريا (حيا) مطرا كثيرا (والوابل) أشد المطر يريد أنهم كانوا يزيدون عليهم في الفضل (خطا) مشى ونقل خطاه (قيد) قدر (مستعيذا) مستجيرا (الحين) الموت (عدم الآل) فقد الاهل يقول أنتم عز لمن فقد اهله وكنز لمن أخذ ماله (الغاسق) القمر * عائشة رضي الله عنها قالت نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب يعني من شره اذا كسف ووقب القمر يقب وقوبا دخل في الظلام الذي يكسفه وكل ما غاب فقد وقب (المحجة) الطريق (انتقب) استتر وجعل من الظلام نقابا و (كنى) منزلي (دامس) مظلم (طامس) دارس لان الظلام لما غطاه كأنه محاه (الآثار) الطرق التي أثر فيها المشي قال الصابي في شمعة وذكر هذا المعنى

وليلة من محاق الشهر مدجنة * لا النجم يهدي السرى فيها ولا القمر
كافحت نفسي بها الادلاج ممتطيا * عزما هو الصارم الصمصامة الذكر
الى حبيب له في النفس منزلة * ما حلها قبلهم سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة * تهدي الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الابريز أثمر في * أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلا كما يأتي المريب فان * لاح الصباح طوتها دونها الجدر

(وقال آخر في مثله)

لنا شمعة نيطت ذراها بشعلة * كحقة تبر علقت بلسانها
اذا عثر الساري بذيل من الدجا * نحرنا له قلب الدجى بسنانها
تنك قيود الليل عن كل زائر * فتجري بها الرجلان مل عنانها
اذا ما أحست بالصباح تمارضت * كبرجسة قد أذبلت بمكانها
تموت اذا ما قبلت خد حائط * فتثبت خلا فوقه من دخانها
كان الجراد امتص جوهر روحها * ولم يمتنع منها سويداء جنانها

(وقال النمري)

ولما دجا الليل مزقته * بروح ينحف جثمانها
بشمع أعير قدود الرماح * يحاكي ذراها وألوانها
غصون من التبر قد ركبت * لهيبا يزين أفنانها
فيا حسن أرواحها في الدجى * وقد أكلت فيه أبدانها

(قوله الملتمس) أي المطلوب وهو المصباح والقبس ضوءه (جلا) كشف (صاحب صيدنا) اي

فقلت لاصحابى هذا الذى أشرت الى أنه اذا نطق أصاب وان استمطر ٢٥٥ صاب فاتلعوا نحوه الاعناق

الذى اصطادأمو النا (استمطر) سئل المطر (صاب) وقع وقعا شديدا وكنى بالمطر الصوب عن العلم الكثير (أتلعوا) مدوا وأتلع الرجل نصب عنقه ومدها وتطاول لينظر شيأ (أحدقوا) حلقوا واحاطوا و(الاحداق) سواد العين الاعظم (عيلته) فقره (يتضورون) يصيحون ابن الانبارى وقولهم تركته يتضور معناه يظهر الضر الذى وقع به بالتقلقل والاضطراب والصياح فيتضور يتفعل من الضور والضور بمعنى الضير ويقال ضرنى يضرنى ضرا وضارنى يضيرنى ويضورنى ضيرا وضورا بمعنى (وشك) سرعة (استراثونى) استبطؤنى (خامرهم) خالطهم (الطيش) الخفة وذهاب العقل من الجوع (أسد مخمصتهم) أزيل جوعهم و(الغصة) مايحتنق به و(اساغتها) تسهيلها حتى تبتلع (انقلب على الاثر) أى فى الحين وفى الطريق الذى أمضى فيه أرجع أمشى على أثرى فيه مسرعا قبل أن يمشى غيرى فيغيره فهذا معنى أنقلب على الاثر (متأهبا) مستعدا (فيئته) رجوعه (مضطبنا) حاملا على طبنه وهو خصره (مجحلا) (ايابه) رجوعه (الخبيث) قال أبو الهيثم الخبيث الذكر من الشياطين وجمعه خبث أبو عبيدة الخبيث ذو الخبث فى تفسيره (متشعبة) متفرقة وتشعب الطريق خرجت منه شعب الى كل جهة اى طرق أخر فأراد أنه خلط عليه بحيث لا يهتدى الى منزله فكان يخرجه من طريق الى طريق (أفضينا) وصلنا وهو من الفضاء (مناخى) منزلى وأصله موضع اناخة البعير (وكر أفراخى) عش أولادى (استفتح) ضرب وقال افتحوا الباب (اختلج) أخذ بسرعة (جرابه) وعاء زاده (الحسنى) الفعل الحسن (هالك) خذ (النفائس) الذخائر الرفاع (مغارس) مواضع يغرس فيها (المصالح) جمع مصلحة مفعلة من الصلاح (حويت) جمعت وحزت (جنى نخلة) هو الثمر (بيدر) أندر الزرع يسمى بالشأم اندرو بالعراق بيدر (حوصل) اجعل فى حوصلتك وهى للطائر فى الاصل (كفة) شبكة (الحابل) الصائد (توغلن) تكثرن الدخول (سبحت) عمت (الساحل) ماولى الماء من الارض وهو فاعل بمعنى مفعول لان الماء سحله أى قشره وأخذ عشبه كما تسحل الحديدة بالمبرد اى تبرد بالمبرد والسحالة ماسقط من المسحول (وخاطب بهات) عكس قول الصاحب وقد أهدى اليه العميدى قاضى قزوين هدية وكتب معها

العميدى عبد كافى الكفاة * وان اعتد فى وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب * مفعمات من حسنها مترعات

(فوقع تحتها)

قد قبلنا من الجميع كتابا * ورددنا لوقتنا الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعى * قول خذ ليس مذهبى قولهات

(قوله آجلا) ضد عاجل وقوله (ولا تكثرن على صاحب) اى لا تكثر من الزيارة وأقللها خشية الملل وروى قدامة بن جعفر أن رجلا كتب الى آخر ان رأيت ان تجددلى موعد الزيارتك أو قته الى وقت رؤيتك فيؤنسنى الى حين فافعل فأجابه الآخر أخاف أن أعدك وعدا يعرض دون الوفاء به مالا أملك دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفرقة فأجابه المبتدى انما أسر بموعدك وأكون جذلا بانتظارك فان عاقا عائقا عن انجاز وعدك كنت قدر بحت السرور لما أحبه وأصبت أجرى على الحسرة بما حرمته ولبعضهم

وأحدقوا به الاحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يجبروا عيلته فقال حبا لما أحببتم ورحبا بكم اذ رحبتم غير أنى قصدتكم وأطفالى يتضورون من الجوع ويدعون لى بوشك الرجوع وان استراثونى خامرهم الطيش ولم يصف لهم العيش فدعونى لاذهب فأسد مخمصتهم وأسيغ غصتهم ثم أنقلب اليكم على الاثر متأهبا للسمر الى السحر فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فيئته ليكون اسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنا جرابه ومحجنا اباه فأبطأ بطأ جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا له ماعندك من الحديث عن الخبيث فقال أخذنى فى طرق متعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا الى دويرة خربة فقال ههنا مناخى ووكر أفراخى ثم استفتح بابه واختلج منى جرابه فقال ولعمرى لقد خففت عنى واستوجبت الحسنى منى فهاك نصيحة هى من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد اذا ماحويت جنى نخلة
فلا تقربنها الى قابل
وإما سقطت على بيدر
فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن اذا ما القطت * فتنشب فى كفة الحابل
ولا توغلن اذا ما سبحت * فان السلامة فى الساحل
وخاطب بهات وحاوب سوف * ودع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب * فما مل قط سوى الواصل

أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

ومما جاء فى قصر الزيارة قول أبى الشيص

ياحبذا الزور الذى زارا * كأنه مقتبس نارا
نفسى فداء لك من زائر * ماحل حتى قيل قد سارا
مر بباب الدار فاجتازها * يا ليته لو دخل الدارا

(وأنشد الحاتمى والوليعى لحظة)

يأبى من زارنى مكتتما * خائفا من كل حس جزعا
حذرا دل عليه نوره * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
كابد الاهوال فى زورته * ثم ماسلم حتى ودعا

(وقال العباس بن الاحنف)

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال
ماأناخوا حتى ارتحلنا فما نف * رق بين النزول والترحال

(وقال محمد بن أمية الكاتب)

يافراقا أتى بعقب فراق * واتفاقا جرى بغير اتفاق
حين حطت ركابهم لتلاق * زمت العيس منهم لانطلاق
ان نفسى بالشام اذ أنت فيها * ليس نفسى نفسى التى بالعراق
اشتهى أن ترى فؤادى فتدرى * كيف وجدى بهم وكيف احتراقى

ومن الزوار طيف الخيال وهو فى الشعر الجاهلى والمولد كثير وسنذكر منه شيأ يستحسن ان شاء الله تعالى قال قيس بن الخطيم

انى شربت وكنت غير شروب * ومقرب الاحلام غير قريب
ماتمنعى يقظى فقد تؤتينه * فى النوم غير مصرد محسوب

(وقال ابو الفرج الكاتب)

خيالك كان أعرف بالغرام * وأرأف بالمحب المستهام
فلو يستطيع حين حضرت نومى * لكان يزور فى غير المنام

وقال الرضى

وزور زارنى والليل داج * فعللنى بباطل ذاك حينا
يرينى أنه يأتى وسادى * مضاجعة وزور مايرينا
نعمت بباطل ويود قلبى * ودادا لو يكون لنا يقينا

وقال ايضا

وزور تخطى جنوب الملا * فناديت أهلا بذا الزائر
أتى فى هدو وعين الرقيـ * ـب مطروفة بالكرى الغامر
وأحبب به يسعف الهاجعين * وتحرمه مقلة الساهر
وعهدى بتمويه عين المحب * تنم على قلبه الطاهر
فلما التقينا برغم الرقا * دموه قلبى على طائر

قال الرضى قلت هذه الابيات سنة سبع وثمانين وثلثمائة وتداول أهل الادب انشادها واستغربوا هذا المعنى وشهدوا أنه مخترع لم يسمع فلما تصفحت ديوان شعر أبى سنة اثنتين وعشرين وار بعمائة وجدت بخطه فى الجزء الثانى من شعره

ان طيف الخيال زار طروقا * والمطايا بين العناق وشعب
زارنى واصلا على غير وعد * وانثنى هاجرا على غير ذنب
كان قلبى اليه رائد عينى * فعلى العين منة للقلب
كان عندى أن الغرور بطرفى * فاذا ذلك الغرور بقلبى

فلا أدرى هل قصد نظمها حتى لا يخلى شعره من هذا المعنى أو أنسى سماعه منى وقذف به خاطره وكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك فيتوارد ون فى بعض المعانى المسبوق اليها وقد كانوا سمعوها فأنسوها والخواطر مشتركة والمعانى معترضة لكل خاطر وكيفما جرى الامر فالعنصر واحد (قوله اخزنها فى تامورك) اى اجعلها فى قلبك والتامور حجاب القلب وقيل دم القلب (كلاءة) حفظ وكلأه يكلؤه حفظه (الخرافات) أحاديث اللهو والاباطيل قال الخليل الخرافة الحديث المستملح فى الكذب * أبو عبيدة كان خرافة رجلا صالحا استهته الجن فرأى منهم عجائب فحدث بها فيقال فى كل حديث يستغرب كأنه حديث خرافة (ألغى) أترك (احتراسى) تحفظى (الهوس) يبس الرأس يتولد من كثرة السهر (فحوى) معنى (نكره) منكره ودهائه (تلاومنا) لام بعضنا بعضا (الاغترار) الانخداع (افكه) كذبه (بأسرة) عابسة وبسر وجهه بسور اعبسه (وصفقة خاسرة) اى تجارة ومتابعة ناقصة .

(شرح المقامة السابعة عشرة القهقرية)

(لحظت) نظرت (مطارح) جمع مطرح وهو الموضع تطرح فيه نفسك اى ترميها فيه (البين) الفراق فيريد بمطارح لبين البلاد التى طرحه فيها البين ورماه اليها و (مطامح العين) المواضع الحسان التى تطمح فيها العين بالنظر اى ترتفع اليها (سيما الحجا) علامة العقل والسيما من وسمت الشئ وسما اذا علمته وأصله وسمى فحولت الواو من موضع الفاء الى العين فصار وسمى فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها (طلاوة) حسن (الدجا) الظلمة (المماراة) الخصام (مشتدة) كبيرة الحركة و (الشد) الجرى (الهبوب) مجىء الريح (مباراة) معارضة (مشتطة) ممتدة متجاوزة الحد (الالهوب) الجرى الشديد فاراد ان حركة الكلام بينهم فى المناظرة شديدة و (المحاضرة) مجالسة العلماء (مناظرة) سؤال العالم لتعلم حسن نظره وقدر معرفته (جناها) فوائدها (رهطهم) جماعتهم (انتظمت فى سمطهم) اى جلست بينهم (يبلى فى الهيجاء) يقاتل فى الحروب (النظارة) القوم يقعدون فى موضع مرتفع من الارض ينظرون منه القتال ولا يشهدونه فأراد أننى ممن يحضر معكم للاستماع لا للمناظرة (الحجاج) مصدر حاجه تقول حاججت فلانا اذا أوردت عليه الحجة وأوردها عليك فان غلبته قلت حججته (أفاضوا فى الاحاجى) اندفعوا فى الالغاز (بجنوحة) وسط (اكليل) دائرة وأصلها عصابة مكللة بالدر والياقوت تعقد على رؤس الملوك (رفقتهم) جماعتهم (برته) أذهبت لحمه (لوحته) غيرته وأضمرت جسمه (السموم) الريح الحارة (أقحل)

فاذا بلغتهم فابلغهم تحيتى واتل عليهم وصيتى وقل لهم عنى ان السهر فى الخرافات لمن اعظم الآفات ولست ألغى احتراسى ولا اجلب الهوس الى راسى (قال الراوى) فلما وقفنا على فحوى شعره واطلعنا على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بافكه ثم تفرقنا بوجوه باسره وصفقة خاسره

(المقامة السابعة عشرة القهقرية)

(حدث الحرث بن همام) قال لحظت فى بعض مطارح البين ومطامح العين فتية عليهم سيما الحجا وطلاوة نجوم الدجا وهم فى مماراة مشتدة الهبوب ومباراة مشتطة الالهوب فهزنى لقصدهم هوى المحاضرة واستجلاء جنى المناظرة فلما التحقت برهطهم وانتظمت فى سمطهم قالوا أأنت ممن يبلى فى الهيجاء ويأتى دلوه فى الدلاء فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فأضربوا عن حجاجى وافاضوا فى الاحاجى وكان فى بجنوحة حلقتهم واكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد أنحل من قلم وأقحل

أيس (جلم) مقص وأكثر ما يستعمل مثنى فيقال جلمان والعجب من أبى محمد يقول فى الدرّة ويقولون قرضت بالمقراض وقصصت بالمقص فيهمون كما وهم بعض المحدثين حين قال فى صفة مزنون بالقيادة وان كان قد أبدع فى الاجادة

اذا حبيب صدّ عن الفه * تيها وأعيا كل رواض
ألف فيما بين شخصيهما * كأنه مسمار مقراض

قال والصواب أن يقال مقراضان ومقصان وجلمان لانهما اثنان فيما منعه غيره أباحه هنا لنفسه فقال أحقل من جلم ولا تقول كما قال انه وهم بل نقول انها لغة قليلة قال يعقوب والجلم الذى يجزبه وقال رجل من الازد فى مفرد مقراض

فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى * وعلىّ أن ألقاك بالمقراض

وقال الراجز فى مفرد الجلم * وجلم كريشة الوقواق * والوقواق الخطاف والجسم النحيل يشبهه بالقلم والجلم وقلب الشاعر التشبيه وألغز بالقلم فقال

ضئيل الرواء كثير الغناء * من البحر فى المنصب الاخضر
كمثل أخى العشق فى شخصه * وفى لونه من بنى الاصفر

(وقال ابن أبى لبابة فى جلم)

ومعتنقين ما اتهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لمعنى * سوى معنى التطيقة والفراق

وتقدم فى الثانية من أبيات المعانى فيه

ارعت مراتع مدراها على وهن ٣ * صنوين ان أفردا لم يرعيا أبدا

(أبان) بين (التبريز) الظهور والخروج قبلهم (العصابة) الجماعة (يفضح) يشهر عيبه (معمى) مستور (يصمى) يصيب المقتل (خلت الجعاب) اى افرغ الكلام والجعبة وعاء السهام فكنى بها عن القلوب وبالسهام عن الكلام الذى يصدر عنها (الانفاض) فناء الزاد وقد أنفض القوم وأراد نفاد ما عندهم من العلم (الصوم) السكوت والامساك عن الكلام (المطارحة) أصلها فى الغناء وهو ما يأخذه المتعلم عن المعلم و (عرض بها) أى ذكرها (المفاتحة) استفتاح الكلام (أرضها سماؤها) يريد أعلاها أسفلها (صبحها مساؤها) أولها آخرها (المنوال) خشبة الحائك أراد أنها نسجت من الطرفين لانك تبتدئها بالقراءة ان شئت من أولها وان شئت من آخرها (برنّخت) طلعت (ناهيك) كافيك (رونقها) حسنها والرونق صفاء الوجه وحسنه ونعمته (الصمات) السكوت و (الانصات) مثله (نبس) تكلم (الانعام) المواشى (أجلتكم) أخرتكم و (العدة) هنا عدة الموت لانها أطول العدد ألا ترى أنه أرخى لهم طول المدة و (الطول) الحبل و (الشمل) الاجتماع (الفصل) القضاء يقول قد طولت لكم الامد لتستخبروا هذه الرسالة وفى هذا الموضع يكون اجتماعنا ويفصل فيه بين العارف وضده (خواطركم) أذهانكم (صلدت) شحت (قدحنا) ضربنا زند النار يقول ان عرفتموها مدحنا كم وان جهلتموها عرفناها لكم وجعل صلود الزند كناية عن جمود القرائح (لجة) معظم الماء (مسبح) موضع يسبح فيه اى يعام (مسرح) موضع يسرح فيه اى يمشى ويتصرف (الكد) الجهد والتعب (هنئ) طيب

من جلم الا أنه كان يبدى العجاب اذا أجاب وينسى سحبان كلما أبان فأعجبت بما أوتى من الاصابة والتبريز على تلك العصابة ومازال يفضح كل معمى ويصمى فى كل مرمى الى أن خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انفاض القوم واضطرارهم الى الصوم عرّض بالمطارحة واستأذن فى المفاتحة فقالوا له حبذا ومن لنا بذا فقال أتعرفون رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوالين وتجلت فى لونين وصلت الى جهتين وبدت ذات وجهين ان برنّخت من مشرقها فناهيك برونقها وان طلعت من مغربها فيا لعجيبها قال فكأن القوم رموا بالصمات أو حقت عليهم كلمة الانصات فما نبس منهم انسان ولا فاه لاحدهم لسان فخيل رآهم بكلكل الانعام وصموتا كالاصنام قال لهم قد أجلتكم أجل العدة وأرخيت لكم طول المدة ثم ههنا مجمع الشمل وموقف الفصل فان سمحت خواطركم مدحنا وان صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له والله ما لنا فى لجة هذا البحر مسبح ولا فى ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكد وهنئ

(النقد) حضور المال (يثيبون) يقومون لقيامك (يثيبون) يهبون الثواب (استثبت) طلبت الثواب (استملوا) اكتبوا (صنيعة) مايصطنعه الانسان لغيره من الخير يريد ان الانسان أهل الاحسان وان عكست قلت الاحسان صنيعة الانسان أي اصلاح الاحسان وتتميمه من صنع من يوصف بالانسانية وقد تقدم

* ومافيهم من يرب الصنيع * وقال اعرابي لعبد الملك بن مروان

يرب الذي يأتي من الخير أنه * اذا فعل المعروف زاد وتمما

وليس كبان حين تم بناؤه * تتبعه بالنقض حتى تهدما

فعنى يرب هو قوله زاد وتمما (الندب) السيد الخفيف (شيمة) طبيعة (الذخيرة) الشئ الرفيع من مال او غيره والادخار كالاقتناء (استثمار) تناول الثمر (عنوان) دليل (تباشير) اوائل وتباشير الصبح طرائق ضوئه في الليل ويقال للطرائق التي تراها على وجه الارض من آثار الرياح التباشير (البشر) طلاقة الوجه (المداراة) خداع القلوب بلطف الكلام ومداراة الناس معاملتهم بما يحبون (المصافاة) اخلاص المحبة (عقدها) ربطها (يقتضي) يتضمن (حلية) زينة (الالباب) العقول (الهوى) مايهواه الانسان ويميل اليه (آفة) داء (الخلائق) الناس (شين) عيب (الخلائق) الطبائع يقول الملل في الناس يعيب أخلاقهم (سوء الطمع) كثرة الحرص (تباين) يباعد (الورع) الكف عما فيه اثم وقد ورع الرجل يرع ورعا ورعة اذا كف عما لا يحل والورع بفتح الراء الجبان وقد ورع وورع وقال عروة بن أذينة في ذم الطمع

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقي وان لم آت يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه * وان قعدت أتاني لا يعنيني

لا خير في طمع يدني الى طبع * وعفة من قوام العيش تكفيني

وأنشد الحريري البيت الاول في الدرة

لقد علمت وما الاسراف من خلقي * ان الذي هو رزقي سوف يأتيني

قال فيروى أكثرهم الاسراف بالسين المهملة وروى بعضهم بالشين المعجمة ليكون معناه التطلع الى الشئ والاستشراف اليه قال ولهذا البيت حكاية تحث على استشعار اليقين واعلاق الامل بالخالق دون المخلوقين فحليته بها تحلية لعاطله ومنبهة على صدق قائله وهو مارويته من عدة طرق أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء فلما دخل عليه عروة قال له ألست القائل * لقد علمت وخير القول أصدقه * الابيات وأراك قد جئت تضرب من الحجاز الى الشأم في طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ وأذكرت ما انسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها ثم نصها نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلا عنه فلما كان من الليل تعار على فراشه فذكره فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد الى اليوم فجهته وردته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا آمن مايقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه قال لاجرم ليعلم ان الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى له فأعطاه ألفي دينار وقال ألحق بهذا أين أدركته فاعطه اياها قال فلم يدركه الا وقد دخل بيته فقال أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولي (قوله الحزامة) جودة الرأي والحازم الجامع لرأيه المحكم لاموره وأصل الحزم الجمع والشد ومنه

العطية بالنقد واتخذنا اخوانا يثيبون اذا وثبت ويثيبون متى استثبت فأطرق ساعة ثم قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا عني الانسان صنيعة الاحسان ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الالباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع بين الورع والتزام الحزامة

الحزمة وحزمت المتاع جمعته وشددته ومنه الحزام لانه يشد به وقد حزم الرجل وحزم صار حازما (الزمام) مقود البعير (المثالب) المساوى وثلبه ذكره بسوء (التطلب) البحث يريد أن البحث عن عيوب الناس من أكبر العيوب قال رجل للمستورد الخارجى أريد غلاما عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وكان يقول أول مايدل على عائب الناس معرفته بالعيوب * معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم * أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها * مر المسيح صلوات الله عليه بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال خيرا فقيل له فى ذلك فقال كل ينفق مما عنده * وكتب الشافعى رضى الله عنه لصديق له

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرنى انى خطرت ببالكا

وأتى الشافعى رضى الله عنه مسجدا فصادف قوما يغتابونه فسد الباب وقال

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقال الشاعر

ثالبنى عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب

قلت له خيرا وقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

(قوله العثرات) السقطات (يدحض) يبطل يريد أن البحث عن عيوب الصاحب يبطل مودته * أبو بردة الاسلمى رضى الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تذموا الناس ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يلتمس عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى بطن بيته وقال سابق البربرى

اذا ما كنت طالب كل ذنب * ولم تحلل أخاك عن العتاب

تباعد من تباعد بعد قرب * وصار بك الزمان الى اجتناب

وقال عبد الله بن جعفر عليك بصحبة من ان صحبته زانك وان غبت عنه صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خللا سدها وحسنة عدها وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة أخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصيرهم ان كان وقيل خير الاخوان من اذا نسيت ذنبك لم يقرعك به ومعروفه عندك لم يمنّ عليك به وقال الشاعر

اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * سنيا سريا ماجدا فطناحرا

اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(قوله خلوص النية) صفاؤها أى من أخلص لك النية فكأنه قد أعطاك خالص ماله والخلاصة ماخلص من الشئ وصفا (النوال) العطاء (الكلف) المشقات (يسنى) يسهل (المؤنة) خدمة الضيف وما ينفق عليه يقول من تيقن أن الله يعينه على البر أو ما ينويه من الحقوق سهل عليه تكلف المؤن وهو من قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يقم بتلك النعمة عرض النعمة للزوال وأما معكوس ماقبله وهو تيقن الخلف يسهل الكلف فمن قوله صلى الله عليه وسلم من أيقن بالخلف جاد بالعطية قال محمود الوراق

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات يدحض المودات وخلوص النية خلاصة العطية وتهيئة النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف وتيقن المعونة يسنى المؤنة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء المدائح

وقالوا للمعروف ثلاث خصال تعجيله وتيسيره وستره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط منه الشكر (قوله الفضل) هو الزيادة على قدر الحاجة (الصدر) هو المتقدم في الامور مثل وال وسيد القوم يقول من يتصدر لامور الناس ففضله وشرفه سعة خلقه (الرعاة الولاة (مقت السعاة) بغض العمال الذين يجمعون الزكاة والسعاة أيضا المشائون بالنميمة للملوك فيقول زين الملوك بغض العمال الذين جرت العادة في قديم الزمان وحديثه بظلمهم الناس فاذا أبغضوهم بحثوا على أعمالهم الفاسدة فخافوهم فعدلوا وأما بغض المشائين بالنميمة للملوك فواجب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلب قيل ومن المثلب يارسول الله قال الذي يسعى بصاحبه الى سلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه (قوله بث) أي نشر (المنائح) العطايا يقول جزاء المدح بذل المال وأصل المنائح بذل فوائد الاموال لا الاموال (مهر) حق (الوسائل) القرب والوسيلة ما تجعله سببا بينك وبين من تريد الوصول اليه مثل الشفيع والهدية في قضاء حاجتك (المسائل) جمع مسئلة وهي هنا سؤال المحتاج (والمجلبة) مفعلة من الجلب والمعنى حق الوسيلة قضاء الحاجة (الغواية) الضلالة (استغراق) تجاوز الحد و (الحد) الاول الفصل بين الشيئين وأصله المنع والحد الآخر حد السيف وشبهه (يكل) يضعف (تعدى) تجاوز (يحبط) يفسد (ينشئ العقوق) يظهر المقاطعة (تحاشى) ترك واعتزال (الريب) التهم (الرتب) المنازل الرفيعة قال بعض الحكماء ثلاثة لاغربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى ونظمها الشاعر فقال

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فنهن حسن الادب
وثانية حسن اخلاقه * وثالثهن اجتناب الريب

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لدهقان بعض ملوك العجم بم ينبل الرجل عندكم قال بترك الكذب فانه لا يشرف الامن وثق بقوله وبقيامه بأهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعزمن لا يأمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته (قوله ارتفاع الاخطار) أي شرف الاقدار والقيم (اقتحام) دخول شديد يقال فلان يقتحم في الامور أي يدخل فيها بغير تثبت ولا روية وتقحمت الناقة اذا قذفت فلم يمسكها راكبها ومنه تقحمة العرب سميت تقحمة لانهم اذا أجدبوا تركوا البادية ودخلوا الريف (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (تنوه) ترفع (مواتاة) موافقة (الاقدار) الاول جمع قدر الانسان أي منزلته والاقدار الثاني جمع قدر الله تعالى وقال الشاعر

الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجد في الحوادث أوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

(تقصير الآمال) تقليل الرجاء وكنه ومن قلل الطمع شرف عمله (الفكرة) التدبير (تنقيح) تخليص وأصله ان تشذب العقد من العود أو القصب حتى يستوى موضعها مع القصب قال الشاعر وطارت بصلب قوضت عنه بيتها * له أبن ما قوضت وكعوب

صلب عمود البيت جذبته المرأة لتضربه به فتهدم بيتها (تهذب) تخلص والمهذب المخلص من العيوب و (السياسة) حسن المداراة و (اللجاجة) ركوب الرأس في الباطل (تلفى) توجد ويروى

بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الحد وتعدى الادب يحبط القرب وتنامى الحقوق ينشئ العقوق وتحاشى الريب يرفع الرتب وارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار وتنوه الاقدار بمواتاة الاقدار وشرف الاعمال في تقصير الآمال واطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة تهذب السياسة ومع اللجاجة تلفى

تلغى وتلقى ومعناهما تترك وتطرح و(الحاجة) ما يحتاج اليه فان عكست رجعت الحاجة الفقر يريد اذا لجت فى شئ أدركت حاجتك وعلى تلغى اذا وقعت لجة فى حاجتك تركت وعلى العكس من افتقر لج فى السؤال حتى يعطى (الاوجال) جمع وجل وهو الفزع والمعنى ان تفاضل الرجال فى الصبر عند النوازل * سلمان رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بشئ خيرا من الف مثله الا الانسان وقال الشاعر

ولم أر أمثال الرجال تسارعوا * الى الخير حتى عد ألف بواحد

وفى عكسه يقول الامور المخوفة تصغر على العظيم وتعظم على الصغير فعلى قدر ما يفضل الرجل صاحبه فى عزمه واقدامه تتزايد الاوجال وتنقص وقد قال المتنبى

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

(الهمم) جمع همة (تتفاوت) تتباعد ما بينها (القيم) المنازل (السفير) الرسول (يهن) يضعف والمعنى ان السفير اذا تعدى فزاد فى الحديث ضعف التدبير ولو عكست لقلت ان تدبير المرسل اذا اختل ضعف السفير وان كان حازما وعلى هذا أنشدوا

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه
وان نا صح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه
وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقص حقه * فان التطيعة فى نقصه
ولا تحرصن فرب امرئ * حريص مضاع على حرصه

الحاجة وعند الاوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد السفير يهن التدبير وبخلل الاحوال تتبين الاهوال وبموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الاجاد بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء الموالى تعهد الموالى

(قوله خلل) فسادو (الاجاد) ان تجد الرجل محمودا و(الاجتهاد) بلوغ الجهد وهو أقصى الطاقة والمعنى أن الرجل يستحق أن يكون محمودا بحسب ما بذل من اجتهاده وطاقته ولو عكست لقلت الاجتهاد واجب عليك فيما كلفته بحسب اجادك من كلفك (الملاحظة) النظر بمؤخر العين (المحافظة) التحرز والمعنى انك اذا أوجبت ملاحظة حال المحافظ لك فبفعلك ذلك كفاء محافظته وان عكست قلت ان المحافظ لك اذا صفت محافظته فهى كفاء ملاحظتك له (الموالى) الذى يوالى الخير والكرم أى يفعل المرة بعد المرة (تعهد) تفقد (الموالى) بنو العم وقيل الموالى من والاك بعتق أو بحلف أو بصحبة فكل واحد منهما مولى للآخر والموالى بالضم الفاعل والمعنى اذا تعاهدت من والاك بما أوجبه ولاؤه من رعايته صفت مودته لك وان عكست قلت ان الموالى يتعهدون من والاهم والصحيح فى هذا الموضع ان الموالى الذى يوليك وده والموالى العبيد والاتباع وسألنى الاستاذ المقرى الحاج ابن السقاط فى هذا الموضع فأجبت بما تقدم فقال لى معنى هذا الموضع غائب عمن لا يعرف سيرة أهل المشرق وذلك ان الرجل الشريف حين يصبح عندهم يأمر مواليه ان يقصدوا نظراءه من الاشراف والاعيان فيأتون باب الشريف فيستأذنون عليه ويدخلون اليه ويقولون له ينعم مولانا صباحك ثم يسألونه عن حاله وعما حدث عنده ثم يفعلون كذلك بجميع أصحاب مولاهم وكذلك يفعل موالى ذلك المقصود فى قصد نظراء مولاهم فتضبط بذلك عندهم الرعايات بين الاصدقاء والاقارب وتتزايد المودات بين الاولياء والاجانب فعلى هذا المعنى

يقول فى تعهد الموالى وهو حسن ان شاء الله تعالى (قوله تحلى) أى تزين (المروآت) تقدمت (وتخفيف الاحزان) تهوين الطوارئ والنوازل (الاوداء) الاحباب يريد أنهم يكفون الاعداء ور واية ابن ظفر دفع العداء وأنكر الاعداء وقال العداء بالفتح والمد الظلم (امتحان) اختبار يقول انما يتبين لك العاقل بمقارنته وبمصاحبته للجاهل لانه لا يوافقه وان عكست قلت الجاهل اذا صحب العاقل تبصر وانتفى جهله وقالوا اذا أردت ان تفهم عالما فأحضره جاهلا وقال الشاعر

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

وقال صلى الله عليه وسلم ويل لعالم أمر من جاهله وجاء كيسان الى الخليل يسأله ففكر ليجيبه فلما استفتح الكلام قال له لا أدرى ما تقول فقال الخليل

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى * أو كنت أجهل ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى * وعلمت انك جاهل فعذرتكا

(تبصر العواقب) امعان النظر فى عاقبة الامور و (المعاطب) المهالك يريد من نظر فى عاقبة أمره أمن مايحذر (الشنعة) الفعل القبيح ينشر ذكره (السمعة) الذكر الجميل يسمع عنك أو القبيح فينشر فى الناس (الجفاء) سوء الادب وثقل الكلام و (ينافى) يباعد (الوفاء) ضد الغدر (تحتوى) تشتمل (عظة) موعظة (المراء والشقاق) معناهما الخلاف والعكس رد أول الكلام على آخره وهو الرد على العقب كما ذكره وهو معنى القهقرة الذى سمى به المقامة ولذلك لم ينسبها الى بلد والقهقرة رجوع الرجل عنك كما جاء عليك وذلك ان يرجع الى خلف وهو يستقبلك بوجهه وهو الرد على العقب وذلك أن الرجل اذا توجه مقبلا اليك فانما يقدم فى مشيه اليك صدور قدميه فاذا تقهقر قدم فى مشيه عقبه وأصل القهقرا الحجر المدحرج فاذا ضربته تدحرج فى جريه حتى يستقر فاذا أردت أن يرجع الى الموضع الذى جاء منه ضربته فتدحرج راجعا الى جهة موضعه فشبه رجوع الرجل على ما وصفنا وكذلك هذه الرسالة رجوع آخرها الى أولها مشبه بذلك ولذلك شبه الاعرابى فرسه فى اجتماعه بالحجر فقال محبوك مهمل كما تقهقر الادعج (والمسحب) الطريق الذى تجر فيه الشئ (يسحبها) يمشها (يرهبها) يخفها أى لا يخرج الالفاظ عن طريقها فتختل وذلك ان هذه الرسالة مركبة كلها من مبتدا وخبر فان وقفت فيها على مبتدا فى أولها او آخرها أو وسطها فاقرأ مع مابعده تجده مستقيما واقرأ مع ماقبله تجده كذلك فان وقفت على خبر مبتدا فلا يستقيم مع مابعده وهو مع ماقبله ابعد فأراد بقوله لا يرهبها لا يبتدئ لفظة بغير مبتدا فتدعى مبانيها وتبطل معانيها فتفهمه والفقر فى غير الموزون مثل القوافى فى الموزون والفقر مشتقة من فقار الظهر لانها تقطع على قافيتين أو ثلاثة وهذا هو الفرق بين الفقر والاسجاع اذ الاسجاع كلها ترجع الى قافية واحدة من سجع الحمام وهو لا يختلف ولهذا قال المعرى فى الغراب

أتى وهو طيار الجناح وان شدا * أشاع بما أعيا سطيحا من السجع

وسطيح كاهن وكلامه أسجاع (صدع) كشف وشق (الفريدة) التى لا مثل لها (أملوحته) يريد بها الرسالة والاملوحة الكلام المليح يعجب له السامع و (الانشاء) الكتابة (فلذ) قطع (فلذة) قطعة وأصلها قطعة من كبد البعير قال الشاعر

وتحلى المروآت بحفظ الامانات واختبار الاخوان بتخفيف الاحزان ودفع الاعداء بكف الاوداء وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن المغاطب واتقاء الشنعة ينشر السمعة وقبح الجفاء ينافى الوفاء وجوهر الاحرار عند الاسرار ثم قال هذه مائة لفظة تحتوى على أدب وعظة فمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكس قالبها وان يردها على عقبها فليقل الاسرار عند الاحرار وجوهر الوفاء ينافى الجفاء وقبح السمعة ينشر الشنعة ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة درها ورب الاحسان صنيعة الانسان (قال الراوى) فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله

يكفيه جزة فلذان ألم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر

(نيله) عطائه (أرزأ) أنقص (والتلميذ) هنا متعلم العلم ولذلك أبى ان يأخذ منه شيأ وهو فى كل مقامة اذا تعرض للكدية يفرده بالاخذ منه أو يبتدئ التقدير منه وذلك أن الجماعة فى هذه المقامة اشترطوا مناظرته وابن همام شرط أنه من نظارة الحرب أى انما جلس لينظر ويتعلم فلهذا أخذ منهم وتركه وزاده فائدة التنبيه على أنه أبو زيد ولذلك قال له: (كن أبا زيد) وكن أتى به بلفظ الامر ومعناه الدعاء وفى الحديث كن أبا ذر وكن أبا خيثمة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شخصا من بعيد فرجا أن يكون أبا ذر الغفارى فقال كن أبا ذر أى جعلك الله أبا ذر فكان ما رجاه النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كان اللفظ هنا كان ابن همام لما أعجب بفصاحة صاحب الرسالة تمنى أن يكون أبا زيد لما عهد من فصاحته فقال كن أبا زيد أى جعلك الله أبا زيد الذى عهدت منه الفصاحة متى رأيته فصدق منه امنيته فقال انا هو الذى تمنيت والدعاء بلفظ الامر كثير فى كلامهم كقوله

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * وقول الآخر ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

أى سلمك الله من ربع وجعل صباحك ناعما الفتجديهى كن أبا زيد أى أنت ابو زيد ومنه كنتم خير أمة أخرجت للناس أى أنتم خير أمة (شحوب) تغير (سحنتك) جلدة وجهك وهيئتك (نضوب) جفوف و (الوجنة) العظم الشاخص تحت العين (تحولى) يبسى (قشف) تغير هيئته بترك النظافة (محولى) جفوف جسمى (تثريبه) لومه وتعييب فعله والتثريب بالذنب المؤاخذة به وأصله الاختلاط والافساد وانما يقول لا تثريب عليك من قد رفعنا (حولق) قال لا حول ولا قوة الا بالله (استرجع) قال انا لله وانا اليه راجعون (عضبه) أى سيفه القاطع (ليروعنى) ليفزعنى (غربه) حده (استل) ازال (كراه) نومه (مراغما) مذللا (غربه) مجرى دمعه والغرب فيض الدمع (أجالنى) صرفنى ومشانى (الافق) نواحى الارض (أطوى) أقطع (أجوب) اخترق (يحو) ناحية (غربة) فعلة من الغروب مثل طلعة من الطلوع (المغرب) المبعد (المتغرب) الملازم للغربة (نواه) سفرته (غربه) بعيده ومن أحسن ما قيل فى تبعيد السفر قول ابن حبيب

سلى هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعى من ركابى سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا
خطوبا اذا لاقيتهن رددننى * جريحا كانى قد لقيت الكتائبا

وله أيضا

ما اليوم أول توديعى ولا الثانى * البين أكبر من شوقى واحزانى
دع الفراق فان الدهر ساعده * فصار أملك من روحى لجثمانى
خليفة الخضر من ربع على وطن * فى بلدة فظهور العيس أوطانى
فى الشام أهلى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخوانى
وما أظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغنى اقصى خراسان

(وقال الحلوانى)

يا نفس ويحك فى التغرب ذلة * فتجرعى كأسى هوى وهوان
واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

فابى قبول فلذتى وقال لست أرزأ تلامذتى فقلت له كن أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أنا هو على نحولى وتحولى وقشف محولى فاخذت فى تثريبه على تشريقه وتغريبه فحولق واسترجع ثم أنشد من قلب موجع سل الزمان على عضبه ليروعنى وأحد غربه واستل من جفنى كرا * ه مراغما واسال غربه وأجالنى فى الافق اط * وى شرقه وأجوب غربه فبكل جو طلعة فى كل يوم لى وغربه وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه

(وقال ابن شرف)

ان ترمك الغربة في معشر * قد جبل الناس على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم * وأرضهم مادمت في أرضهم

(وقال البستي)

لا يعدم المرء كنا يستكن به * وشيعة بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهم وقلت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

والسابق لهذا المعنى زهير في قوله

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وفي قوله فقرى في بلادك ان قوما * متى يدعوا بلادهم يهونوا

يقال جاء (يجر عطفيه) اذا جاء رخي البال متبخترا وانما ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه وثاني عطفيه بمعنى متكبر والعطفان جانبا الثوب والعطاف الرداء والجمع عطف ويقال جاء يجر رجليه اذا جاء متقلا لا يقدر أن يحمل رجليه (يخطر بيديه) يحركهما عند المشي (متهافت) متساقط من الندم على فراقه (أيادي سبا) يريد في كل طريق وجهة وسبأ هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سد مأرب الذين مزقهم الله كل ممزق وسمي سبأ لانه أول من سبي السبي وقيل سبأ اسم أمهم ومأرب اسم بلدهم وكانت سبأ من أحسن بلاد الله تعالى وأخصبها وأكثرها شجرا وماء وقد ذكر الله تعالى أنها كانت جنتين عن يمين وشمال وكانت مسيرة شهر في شهر للمجد الراكب يسير في جنان من أولها الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء فمكثوا ما شاء الله لا يعاندهم ملك الا قصموه وكانت في بدء الزمان تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته فشاورهم في دفع السيل فاجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه الى البحر فحشد أهل مملكته حتى صرف الماء واتخذ سدا في موضع جريان الماء من الجبال ورصفه بالحجارة والحديد وجعل فيه مجارى للماء في استدارة الذراع يخترقون منها مقدارا معلوما من الماء وشربا مقسوما للارض فاذا جاء السيل تصرف في المجارى الى جنانهم ومزدرعاتهم بتقدير يعمهم نفعه وقيل صنعه لقمان بن عاد وجعله فرسخا في فرسخ وذكر الاعشى في شعره ان حميرا ابتنته فقال

رخام بنته لهم حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم
وأروى الزروع وأعنابهم * على سعة ماؤهم قد قسم
فعاشوا بذلك في غبطة * فخاف بهم جارف منهدم

فلما كفروا بأنعم الله ورأوا أن ملكهم لا يبيده شيء وعبدوا الشمس بعث الله على سدهم فأرة فخرقته وأرسل عليهم السيل وأباد الله خضراءهم ولما انتهى الملك في ولد سبا الى عمرو بن عامر مزيقيا وسمي بذلك لانه كان يمزق في كل ليلة حلة كبرا من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره وقيل سمي بذلك لانه مزق الازد في البلاد وكان أخوه عمران كاهنا فأتته كاهنة تدعى ظريفة فاخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل وانذرته فقال لها وما آية ذلك فقالت اذا رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر ويقلب برجليه الصخر فاعلم انه قد اقترب الامر فقال وما الامر فقالت وعد من الله ينزل فليغيرك

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلفت اليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا أيادي سبا

يا عمرو فلتكثر الشكر فرأى عمرو يوما فى السدّ جرذا يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع وهو يقول

أبصرت أمرا هاج لى برح السقم * من جرذ كفعل خنزير أجم
* له مخالب وأنياب قضم *

أى معوجة فأجمع على الخروج منها واعمل الحيلة فى بيع ماله وأن لا ينكر الناس عليه فقال لابنه انى صانع طعاما وداع اليه أهل مأرب فاردد علىّ ما أقول لك من الحديث ففعل ابنه ذلك وردّ عليه بأقبح ردّ فصاح عمرو واذلاه يجيبنى صبىّ مخلف أن لا يقيم ببلد ضيم فيه فجعل يبيع أمواله وبعضهم يقول لبعض اغتموا غضبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى فلما اجتمعت له أمواله أخبرهم بشأن السيل فاجمعوا على الجلاء فقال لهم عمران أخوه انى أصف لكم بلدا نا فاختاروا أيتها شئتم فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شرود فليلحق بالشعب من كرود فلحق به همدان ثم قال ومن كان منكم ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فلحقت به خزاعة ثم قال ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فنزلها الاوس والخزرج ثم قال ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير فليلحق ببصرى وسدير وهى من أرض الشأم فنزلها غسان ثم قال ومن كان منكم يريد الشباب الرقاق والخيل العتاق والذهب والاوراق فليلحق بالعراق فلحق بها مالك بن فهم بن الازد وتخلف مالك ابن الهيمان فى قومه حتى أخرجهم السيل فنزلوا نجران وانتسبوا الى مذحج ودخلت جماعة منهم الى معد فأخرجتهم معد بعد حروب فنزلوا بجبال السراة على تخوم الشأم فلما تفرقت فى البلاد هذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا ذهبوا أيدى سبأ وأيادى سبأ أى متفرقين فى كل ناحية وقيل فيهم انهم كانوا مجتمعين يدا واحدة فلما مزقهم الله وفرّقهم صارت يدهم أيادى متفرقة وأخذ كل طائفة منهم طريقا على حدة أو يريد به النعمة فالمعنى تفرقنا كما تفرقت نعم أهل سبأ الزجاج سبأ مدينة تعرف بمأرب على ثلاث ليال من صنعاء * الجوهرى سبأ اسم رجل سميت به البلدة وذكر فى الدرة ان لفظة التفرق تستعمل فى الاشخاص والاجسام نحو تفرّق القوم وان الافتراق يقال فى الاهواء والآراء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم تفترق أمتى على كذا وكذا فرقة فاذا قيل ان لزيد ثلاثة اخوة متفرقين فالمعنى ان كل واحد منهم بقعة وان قيل متفرقين فالمعنى ان أحدهم لابيه وأمه والآخر لابيه والثالث لامه وكذلك يقال فرق بالتشديد فيما كان من قبل الجمع وفرق بالتخفيف فيما يراد به التمييز كقوله فرق بين الحق والباطل والحالى والعاطل

(المقامة الثامنة عشرة السنجارية)

(حكى الحرث بن همام) قال قفلت ذات مرة من الشام

(شرح المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجاريه)

(قفلت) رجعت من السفر الى (الشأم) ويقال له شأم وشام ويذكر ويؤنث وينسب اليه شامى وشآمى على فعال ويحكى عن سيبويه شآمىّ واثبات الالف فى النسب يدل على اثباتها فى أصل البناء وقيل ألف يمان وشآم عوض من ياء النسب قال طرفة شآمية تروى الوجوه باليل * وقال فى الدرة المنسوب اليه على ثلاثة أوجه شامىّ وهو القياس وشآمى بياء مخففة كالمنقوص

وشآمى وهو شاذ لانه يصير بمنزلة المنسوب الى المنسوب وكذلك جوزت الثلاثة فى المنسوب الى اليمن وعلى الشاذ منها قول عمر بن أبى ربيعة * ان أتيحت لى يمانية * احدى بنى الحرث من مذحج ولم يجز الحريرى تأنيث الشام وقال لفظه مذكر وقال ابن الانبارى وذكر الشأم والحجاز وغيرهما فمن أنث من ذلك شيأ فانما يذهب به الى معنى المدينة وقالوا الشأم صفوة بلاد الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة ومعاذ عليكم بالشأم فان الله قد تكفل بالشام وأهله وسميت شاما لانها عن شامة الكعبة * ابن الانبارى يجوز أن يكون مأخوذا من اليد الشومى وهى اليسرى وقال قوم أصله فى الكعبة لان بابها يستقبل المطلع فمن قابل طلوع الشمس كانت الكعبة عن يمينه فى شق الجنوب والشأم عن يده الشومى فى شق الشمال * أبو القاسم الزجاجى قال جماعة من أهل اللغة يجوز أن لا يهمز فيقال شام جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتدانى بعضها من بعض شبهت بالشامات وقال الشرقى سميت بسام بن نوح لانه أول من بناها فغير اللفظ العجمى فجعل السين شينا وقسمت الشأم خمسة أقسام الشام الاولى وأول حدها من طريق مصر أيلة ثم غزة ثم الرملة ومدينته العظمى فلسطين وعسقلان وفلسطين هى الشأم الاولى وبها بيت المقدس الشأم الثانية الاردن ومدينته العظمى طبرية وهى بشاطئ البحيرة والبرموك بين فلسطين والاردن والشأم الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها طرابلس الشام الرابعة أرض حمص الشأم الخامسة قنسرين ومدينته العظمى حلب وهى من قنسرين على أربعة فراسخ وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر داخلها المزارع والبساتين والانهار (قوله أنحو) أى اقصد (الركب) اسم لمن يركب الابل كذا قال الخليل وقال يعقوب الركب جمع راكب وهم أصحاب الابل خاصة ولا يكون الركب الا أصحاب الابل وراكب الفرس فارس وراكب البغل بغال وراكب الحمار حمار وراكب الفيل فيال والجمع خيالة وبغالة وحمارة وفيالة وتبعه ابن قتيبة فى هذا وخطأهما جميعا ابن السيد وغيره واحتجوا بقول امرئ القيس

أنحو مدينة السلام فى ركب من بنى نمير

اذا ركبوا الخيل واستلأموا * تحرقت الارض واليوم قر

فقوله ركبوا الخيل يدل على أنه يقال لمن ركب الفرس راكب وما ذكره يعقوب هو الصحيح لان العرب اذا أفردت لفظ راكب أو ركب لم يقع فى كلامها الا على أصحاب الابل مطلقا فاذا أرادت ان توقعه على أصحاب الخيل قيدته بذكر الخيل فقالوا راكبة الفرس وراكب الفرس فيذكرون الفرس وعلى هذا أتى * اذا ركبوا الخيل واستلأموا * فخفيت هذه التفرقة على ابن السيد على حظه الوافر من اللغة وقال الحريرى فى الدرة الراكب هو راكب البعير خاصة وجمعه ركبان فأما الركب والاركوب فقد جوزا الخليل ان يطلق اسمهما على راكبى كل دابة الا أن الاركوب أكثر من الركب عدة وأكثر جماعة و (بنو نمير) قبيلة من بنى صعصعة احدى جمرات العرب وأشرف بيوت قيس عيلان وجمرات العرب ثلاثة سموا بذلك لانهم متوافرون فى أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم والتجمير فى كلامهم التجميع وهم بنو نمير وبنو الحرث بن كعب وبنو ضبة ابن أد فطفئت جمرتان وهم بنو ضبة لمحالفتها الرباب وبنو الحرث لمحالفتها مذحج وبقيت نمير لم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها قال شاعرهم

نمير جمرة العرب التى لم * تزل فى الحرب تلتهب التهابا

وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت قال نميري كما ترى ادلالا بنسبته وافتخارا بمنعته حتى قال جرير في الراعي

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فصار اذا قيل له ممن أنت قال عامري وحرت امرأة بهم فأحدوا النظر اليها فقال أحدهم والله انها لرسحاء فقالت يا بني نمير والله ما امتثلتم في واحدة من اثنتين لا قول الله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(قوله أولى خير) أي ذوي غنى (مير) صلة وصدقة (عقلة المجلان) حابس المستعجل (سلوة الثكلان) مذهب حزن الحزين يقول اذا رآه من هو في شغل معجل حبسه أو حزين أزال حزنه (البنان) الاصابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء فتنة أن يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا الا من عصمه الله (سنجار) بلد بينه وبين قرقيسيا نيف وثلاثون فرسخا وقرقيسيا على الفرات وهي كورة من كور ديار ربيعة وفي سنجار فوهة نهر الخابور فيمر حتى يصب في الفرات وهي على أميال من نصيبين وعن يمين طريق الموصل (قوله أولم) أي صنع وليمة والوليمة طعام العرس و (المأدبة) طعام يدعى اليه الناس و (الجفلى) الناس أجمع و (الحضارة) ضد البداوة ويفتح أولها ويكسر (الفلا) القفر وأراد دعا اهل الحاضرة والبادية (سرت) وصلت (القافلة) الرفقة الراجعة من سفرها قال الازهري سميت قافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأت وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة الا منصرفة الى وطنها وهذا غلط ومازالت العرب تسمي الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة تفاؤلا بان ييسر الله لها التقول وهو شائع عند فصحائهم الى اليوم وأراد (بالفريضة) أعيان النجار الذين حضورهم كالفرض و (بالنافلة) المكارين والاتباع أو يريد بالفريضة من لابد له ان يدعو للحضور مثل القرابة والوجوه والاصحاب والنافلة لفيف الناس وأراد أنه جعل لعرسه من يجب ومن لا يجب والهاء من فيها ضمير الدعوة ويروى فيهما بالميم * وأما ذكر الحاضرة والبادية فقد أتينا في ذلك بفصل ادبي مستحسن ولسنا نحتاج الى اقامة دليل من شاهد على فضل الحاضرة لانها محل الجمعات والجماعات واليها تجلب الخيرات وبها تستمد البركات ومنهم العلماء والفضلاء والملوك الى مايطول تعداده ومن أراد الله به خيرا نقله من البادية الى الحاضرة وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو وهذا فيه فضل للحاضرة لايدفع اذ قرن الخروج من السجن بالمجيء من البدو وعده من احسان الله سبحانه وتعالى * وقف اعرابي على دعبل وهو ينشد

اذا القوس أوترها أبد * رمى فأصاب الكلا والذرى

فقال له ماعنيت فقال دعبل القوس قوس قزح أمطرت الارض بها فأعشبت فرعاها المال فسمنت كلاه وأسمنه فقال الاعرابي لله دركم يا حاضرة انكم لتسيرون معنا فتساوون ولتسكنون عنا فتفوتون وفي ضد هذا المعنى قال شبيب بن شبة كثر قطع الطريق بين مكة والبصرة فبعثني المنصور أقوم في المناهل وأتكلم بذم البادية وأوبخهم بما يردعهم فلم أر دماء الا تكلمت عليه

ورفقة أولى خير ومير ومعنا أبو زيد السروجي عقلة المجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن اولم بها احد التجار فدعا الى وليمته الحفلى من اهل الحضارة والفلا حتى سرت دعوته الى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة

بما يحضرني فلا أجد من ينطق حتى قمت على ماء لبني تميم فلما انقضى كلامي قام رجل منهم فقال الحمد لله أفضل ما حمدته وحمده الحامدون قبلك أو بعدك وصلى الله على سيدنا محمد أفضل صلاة وأنماها وأخصها وأعمها ثم اني قد سمعت ما قلت في مدح الحاضرة وأهلها وذم البادية وأهلها ومهما كان فينا أهل البادية من سوء فليس فينا نقب الدور ولا شهادة الزور ولا نبش القبور ولا نيك الذكور قال فأفحمني والله حتى تمنيت أني لم أخرج لذلك الوجه وقال القطامي

فمن تكن الحضارة أعجبته * فأي رجال بادية ترانا

قال ابن رشيق ومن أملح ما سمعه الناس في تفضيل البادية على الحاضرة من حلاوة وطلاوة وصحة معنى وقرب مأخذ قول أبي الطيب

من الجآذر في زي الاعاريب * حمر الطلا والمطايا والجلابيب

(ثم قال) ما أوجه الحضر المستحسنات به * كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفي البداوة حسن غير مجلوب

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صيغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة * أوراكهن صقيلات العراقيب

ومن هوى كل من ليست مخضبة * تركت لون مشيبي غير مخضوب

فلو لم تفضل البادية الا بهذا لكان فيه مقنع (قوله ناديه) أي مجلسه (وطعام اليد) الثريد ونحوه و(طعام اليدين) الدجاج الصحاح والشواء ونحو ذلك وكانت وليمة في الانصار فحضرها حسان بن ثابت وقد كف بصره وسمعه ابنه عبد الرحمن فلما وضع الطعام وجيء بالثريد قال حسان لابنه يا بني اطعام يد أم طعام يدين قال بل طعام يد فأكل ثم جيء بالشواء فقال مثل ذلك فقال بل طعام يدين فأمسك (حلا) طاب (حلى) حسن وحلا في الفم من الحلاوة وحلى في العين من الحلى المتزين به وفي الدرة العرب تقول حلا في فمي وحلى في عيني وليس الثاني من نوع الاول وهو من الحلى الملبوس فكان المعنى حسن في عيني كحسن الحلى الملبوس وهو من ذوات الياء والاول من ذوات الواو والاأن المصدر فيهما جميعا الحلاوة والاسم حلو لا حالى لان الحالي ضد العاطل وهو الذي عليه الحلى (والجام) اناء من زجاج (جمد) عقد وصنع جامدا و (الهباء) غبار الشمس وهو ما تراه يدخل عليك مع الشمس من شق باب أو كوة حائط (صيغ) صنع (نور الفضاء) يعني الشمس والفضاء الارض الواسعة وفي الفضاء يتسع ضوء الشمس فيبيض نورها (أودع) ضمن وجعل فيه (لفائف النعيم) مالف من الحلوى وطوى بعضه على بعض * الفنجديهي لفائف النعيم اللوزينج والقطائف (ضمخ) لطخ (العميم) الكثير (شرب) ماء (وتسنيم) أرفع شرابات أهل الجنة (سفر) كشف (مرأى وسيم) منظر حسن (أرج نسيم) طيب الرائحة والنسيم الريح اللينة الهبوب ويريد لما أحضر الجام ساقوا معه ماء عذبا لغسل اليد ثم كشف لهم عن الجام فرأوا منظرا من خلواء الملونة ورائحة عطرة من الافاويه وقال في مثل ذلك عبد السلام بن الحسين المأمون

خبيصة في الجام قد قدمت * مدفونة في اللوز والسكر

يأكل من يأكلها خمسة * بكفه فيها ولم يشعر

(قوله اضطرمت) أي اشتعلت (قرمت) أي اشتهت (اللهوات) جمع لهاة وهي أقصى الفم

فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه احضر من اطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم وحلى بالعين ثم قدم جاما كأنما جمد من الهباء او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء او نثر من الدر البيضاء وقد اودع لفائف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسيق اليه شرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وارج نسيم فلما اضطرمت بحضرته الشهوات وقرمت الى مخبره اللهوات

(شارف) قارب وأشرف عليه (تشنّ) تفرق (سربه) جماعته ويريد به مافيه من الحلواء والسرب بالكسر جماعة النساء وبالفتح الابل فى المرعى (الغارات) يريد الايدى التى تغير على الطعام (نهبه) انتهابه بالايدى وأكل مافيه (باللثارات) كلمة ينادى بها العرب اذا ظفروا بأعدائهم الذين لهم عندهم دم والثار الطلب بالدم وثأر بالقتيل قتل قاتله وقال حسان بن ثابت

لتسمعن وشيكا فى دياركم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

فالثارات هنا جمع ثار وهو المطلوب بالدم قال

وكيف تجلد الاقوام عنه * ولم يقتل به الثار المنيم

قال أبو على الثار المقتول سمى بالمصدر كرجل عدل ولذلك جمع بالتاء وتفسير أبى على عكس ما تقدم واذا كان منقولا من المصدر احتمل وصف الفاعل به والمفعول وثارات عثمان محتملة للتفسيرين فتقديره على قول أبى على يا مطلوبات عثمان وعلى القول الآخر يا طالبات عثمان هذا أو انكم بالجد وتفسير باللثارات فى المقامة يستقيم على المعنيين فعلى الاول معناه يا مطلوبات الجياع قد تمكنا منك وعلى الثانى معناه يا طالبين الاكل قد تمكنتم من المأكول وقوله (نشنز) أى وثب * وتقدم فى الضب انه لا يرد الماء وان مسكنه الصحراء (والنون) الحوت وهو لا يفارق الماء وهما لا يجتمعان وقد تقدم للصانى * الضب والنون لا يرجى التقاؤهما *

وقال آخر فلو أنهم جاؤا بشئ مقارب * لقلت هو الشكل الموافق للشكل
ولكنهم جاؤا بحيتان لجة * تقامص والمدعو فيها أبو الحسل

فضرب بتباعدهما المثل (راودناه) أردناه على الفعل تقول راودته على كذا اذا أردته على فعله (يعود) يرجع (ثمود) أمة صالح عليه الصلاة والسلام و(قدار) هو عاقر الناقة يضرب به المثل فى الشؤم فيقال أشأم من قدار ومن أحيمر عاد وتقريب قصته أن ثمود كانت تبنى فى طول اعمارها فاتخذوا من الجبال بيوتا فرهين وبيوتهم الى وقتنا هذا باقية منحوتة فى الجبال ومساكنهم على قدر أجسامهم ورممهم وآثارهم فيها بادية فلما بعث فيهم صالح قال له زعيمهم ان كنت صادقا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ذات عرف فاتى الصخرة فتمخضت كالحامل وانشقت عن الناقة ثم تلاها بسقبها فآمن كثير منهم وكان شربها يوما وشربهم يوما فاذا كان يوم شربها حلبوها فملؤا من لبنها كل اناء ووعاء فلما امتنعت ابلهم من الماء يوم شربها استثقلوها وكان فيهم امرأتان عنيزة وصدقة فبذلتا أنفسهما لقدار على ان يعقر الناقة وهو قدار بن قديرة وهى أمه زسالف أبوه وكان قدار أزرق أشقر قصيرا وكان له صديق اسمه مصدع بن مهرج معاون له على ما كان به من الفساد فى الارض وكانا فى تسعة من أهل الفساد فضرب قدار عرقوبها بسيفه وضرب مصدع العرقوب الآخر واستهموا لحمها فخرجت ثمود تعتذر الى صالح وتزعم أنها الاذنب لها فقال انظروا هل تدركون فصيلها فعسى ان يرفع عنكم العذاب فالتمسوه فصعد الى جبل يقال له القارة وطال الجبل به فى السماء حتى ما تناله الطير وبكى ثم استقبلهم ورغا ثلاثا فقال صالح دعوة اجلها يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية ذلك أن تصبح وجوهكم فى الاول مصفرة وفى الثانى محمرة وفى الثالث مسودة فلما رأوا صدقه أول يوم أرادوا قتله فمنع منهم فلما رأوا صدقه فى اليوم الثالث تحنطوا وتكفنوا وبكوا وضجوا وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم

وشارف ان تشن على سربه الغارات وينادى عند نهبه يا للثارات نشز ابو زيد كالجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على ان يعود وان لا يكون كقدار فى ثمود فقال والذى

(ذكر هلاك ثمود)

العذاب فصبحتهم في اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين فعقروها يوم الاربعاء وأصيبوا يوم الاحد وانما أصيبوا والمذنب بعضهم لانهم رضوا فعله والنية أبلغ من العمل وبلادهم بين الشأم والحجاز الى ساحل البحر الحبشي ومر النبي صلى الله عليه وسلم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها وأراهم مرتقى الفصيل ولما رأى صالح انها دار سخط ارتحل بمن معه الى مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا فقبورهم في غربي البيت بين دار الندوة والحجر وقال حباب بن عمرو

كانت ثمود ذوي عز ومكرمة * ما ان يضام لهم في الناس من جار
فأهلكوا ناقة كانت لربهم * قد أنذروها فكانوا غير أبرار

(قوله ينشر) اى يحيي ويقيمهم فينشرون في الارض و (الرجام) القبور واحدها رجم (تألفه) ضمه وترك خلافه (ابرار حلفه) مراعاة قسمه (أشلناه) رفعناه (شائلة) مرتفعة (فاء) رجع (مجثمه) موضعه وأصله للطائر (الصرى) العزيمة ويقال أصررت على الشيء عزمت عليه وهو مني صرّى وصرّى وأصرّى اى عزيمة وجد * وضلت ناقة ابي السمال فقال والله لئن لم يردها الله علي لاأصلي أبدا فذهب في ابتغائها فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة فقال علم الله أنها كانت مني صرّى فردها علي وقال حبيب

لما رأتهم حائلا دون المنى * هجر الغواية بعد طول وصال
تخذ الفرار أخا وأيقن انه * صرّى عزم من أبي السمال

يقول لما رأى كثرة من يحاربه أيقن أن ما تمناه فيهم لا يدركه فهجر الضلالة وانهزم اذ أيقن ان طالبه مصر على طلبه (الحرّى) الوكيدة الشديدة والكبد الحرى اليابسة العاطشة وناظر الحريري بهذه المقامة مقامة المطيرة في البديعية ومن هنا الى أولها مبني على تلك قال البديع حدثنا عيسى بن هشام قال كنت بالبصرة ومعي أبو الفتح الاسكندري رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدم مضيرة تثنى على الحضارة وترجرج في الغضارة وتؤذن بالسلامة وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة في قصعة يكل عنها الطرف ويمرح فيها الطرف فلما أخذت من الخوان مكانها ومن القلوب أوطانها قام أبو الفتح يلعنها وصاحبها ويقتها وآكلها ويثلبها وطابخها ظننا به يزح فاذا الامر بالضد واذا المزاح عين الجد وتنحى عن الخوان وترك مساعدة الاخوان فرفعناها فارتفعت معها القلوب وسافرت معها العيون وتجلببت لها الافواه وانقادت لها الاكباد لكأنا سألناه عن أمرها وساعدناه على هجرها ثم أخذ يذكر لهم المانع من أكلها كما يذكر الآن السروجي ومقامة المضيرة طويلة مضحكة (قوله جار لسانه يتقرب) معناه يتودد اليه بلسانه ويكتم العداوة في قلبه وهذا معنى ما يذكر بعد * أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة سوء الجوار تعوذوا بالله من ثلاث هن العواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن امرأة السوء التي ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها سنتك قال بعض الفضلاء الجار السوء يفشي السر ويهتك الستر وقيل لاهل البحرين ان كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال صدق

ينشر الاموات من الرجام
لاعدت دون رفع الجام فلم
نجد بدا من تألفه وابرار
حلفه فأشلناه والعقول
معه شائلة والدموع عليه
سائلة فلما فاء الى مجثمه
وخلص من مآثمه سألناه
لم قام ولاى معنى استرفع
الجام فقال ان الزجاج نمام
واني آليت مذ اعوام ان
لا يضمني ونوما مقام فقلنا
له وما سبب يمينك الصرّى
والبتك الحرّى فقال انه
كان لي جار لسانه يتقرب
وقلبه عقرب

الحديث وأداء الامانة وحسن الجوار فان أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد عن الصفاة (قوله ينقع) أى يروى العطش و(منقع) أى أديم حبسه وأنقع سم الحية ثبت ودام (خبؤه) باطنه وماخبأه من الشر (محاورته) مجاذبته (بمكاشرته) مضاحكته (معاشرته) مصاحبته (استهوتنى) ذهبت بى (خضرة دمنته) حسن ظاهره وتقدمت خضراء الدمن (أغرتنى) حرضتنى وألصقتنى به (سمته) علامته (مناسمته) مصاحبته وقرب نسمتى من نسمته اى شخصى من شخصه (مازجته) خالطته (مكاسر) قريب الدار وكسر البيت جانبه (والعقاب الكاسر) التى تضم جناحيها وتهوى على فريستها فضم الجناح هو كسره (وآنسته) أبصرته (حب) حبيب وكان زيد بن حارثة يسمى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى حبيبه (وضح) تبين (حباب) حية (دوالس) مخادع خائن فى صحبته (مالحته) واكلته أى أكلت معه الملح وأصل المماحلة الرضاع كانه حين نادمه راضعه الكأس وملحت المرأة الصبى أرضعته (نقده) تجربته (عاقدته) عاهدته وعقدت يدى على يده (فتره) اختباره وكشف سره يريد أن هذا الصاحب كان يظهر مودته ويسر عداوته وقال الشاعر وهو المغيرة بن شعبة

أخولك الذى لا ينقض النأى عهده * ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا * وان غبت عنه لست تعقار به

(قال وأنشد آخر)

على لاخوانى رقيب من الصفا * تبيد الليالى وهو ليس يبيد
وانى لاستحيى أخى أن أبره * قريبا وأن أجفوه وهو بعيد

(وقال ابن المعتز)

لم يبق مما فاتنى كسبه * الا فتى يسلم لى قلبه
نأى فلا يذهبه نأيه * عنى ولا يفسده قربه
يكون حسبى من جميع الورى * فى كل حال وأراحسبه

(وقال بشار وزاد معنى)

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
وليس اخى من ودنى رأى عينه * ولكن اخى من ودنى وهو غائب

(قوله مجاريه) مباريه معارضه وفلان يجارى الريح جودا كأنه يعارضها بفعله فاذا هبت فى زمن الشتاء والجهد فضرت المحتاجين تتبع آثار فسادها بماله وهباته فاصلحها (سفرت) كشفت وجهها (خجل) استحيا (النيران) الشمس والقمر (صليت) احرقت يقول اذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع حسنها واحترقت القلوب بنيران حبها * ونسوق هنا جملة من الشعر المستحسن فى أوصاف النسوان قال الشاعر

لما تبدت من الاستار قلت لها * سبحان سبحان ربى خالق الصور
ما كنت أحسب شمسا غير واحدة * حتى رأيت لها اختا من البشر
كأنها هى الا ان يفضلها * حسن الدلال وطرف فاتر النظر

(وقال اعرابى)

ولفظه شهد ينقع وخبؤه سم منقع فلت لمجاورته الى محاورته واغتررت بمكاشرته فى معاشرته واستهوتنى خضرة دمنته لمنادمته واغرتنى خدعة سمته بمناسمته فمازجته وعندى انه جار مكاسر فبان انه عقاب كاسر وآنسته على انه حب وانس فوضح انه حباب دوالس ومالحته ولا اعلم انه عند نقده ممن يفرح بفقده وعاقدته ولم ادر انه بعد فتره ممن يطرب لفتره وكنت عندى جارية لا يوجد لها فى الجمال مجارية ان سفرت خجل النيران وصليت القلوب بالنيران

(فصل فيه ذكر أوصاف النسوان)

اذا جئت لم يكفك البدر فقدها * وتكفيك فقد البدران فقد البدر
وحسبك من خمر تقوتك ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر
وما الصبر عنها ان صبرت وجدته * جميلا وهل في مثلها يحسن الصبر
ولو ان جلد الدر لامس جلدها * لكان للمس الدر في جلدها اثر

(وقال العباس بن الاحنف)

نافت علينا بأن تمت محاسنها * خود تكمل في اعطافها الفتن
همت بإتياننا حتى اذا نظرت * الى المراة نهاها وجهها الحسن
ما كان هذا جزائي من محاسنها * اغرت بي الشوق حتى شفني الشجن

(وقال بشار)

درة حيثما ادبرت اضاءت * وشمس من حيثما شمت فاحا
وجنات قال الاله لها كو * نى فكانت روحا وروحا وراحا

(وله ايضا)

كأنها يوم راحت في محاسنها * فارتج أسفلها واهتز أعلاها
حوراء جاءت من الفردوس مقبلة * فالشمس طلعتها والمسك رياها
راحت ولم تعطه برأ لعلته * منها ولو سألته النفس أعطاها
من اللواتي اكتست بردا فشق لها * من حسنها الحسن سربالا فردّاها

(وقال السلامي)

وفيهن سكري اللحظ سكرى من الصبا * فعاتب حلو اللفظ حلو الشمايل
أدارت علينا من سلاف خدودها * كؤسا وغنتنا بصوت الخلاخل

(وقال أيضا)

لبيك لبيك داعي اللهو من كثب * الى معاطف كالاغصان من كثب
ان السوالف كالسوسان في صعد * ان الغدائر كالخلخال في صبب
الى خدود بنات الروم قد برزت * من حجبها وأدارت أعين العرب
من كل سافرة عن مشرق خجلا * فيه طرازان من ماء ومن لهب
واستضحكت عن لآل أو حصى برد * يكاد يقطر من مائية الشنب
تحدو بها فتية صيغت وجوههم * من الرضا وعواليهم من الغضب

(وللامير غيم بن المعز)

ناولتها شبه خديها معتقة * صرفا كان سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة * فكيف تهدي خدود الناس للناس
قلت اشربي فهي من دمعي وحمرتها * دمي وطابخها في الكاس أنفاسي
قالت فان كنت من حبي بكيت دما * فأسقنيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتنقي * وباتت الشمس فيها بعض جلاسي
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

هذا أشبه الناس بهاروت وماروت وروى هذا الحديث باسناده ابن قتيبة (قوله عقلت لبّ العاقل) اللبّ العقل وعقلته شددته بعقال وهو قيد البعير و(العصم) الوعول والاعصم التيس الجبلى الذى فى يديه بياض والمعصم موضع الخلخال * الخليل الاعصم الوعل وعصمته بياض فى رجليه و(المعاقل) قرون الجبال وأراد أن كلامها العذوبته يغلب أهل العقول حتى تعداهم الى الوحش أو يريد بالعصم من له عزمة وهمة من الرجال فاذا سمعها تذلل لها وأخذ هذا من قول أبى بكر بن دريد

لو ناجت الاعصم لانحط لها * طوع القياد من شماريخ الذرا
أو صابت القانت فى مخاوله * مستصعب المسلك وعر المرتقى
ألهاه عن تسبيحه ودينه * تأنيها حتى تراه قد صبا

والسابق الى هذا المعنى النابغة بقوله

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

و(المئود) الذى يشتكى فؤاده و(الموءود) المدفون حيا وانظره فى الخامسة والثلاثين وأراد أن حسن صوتها بالقرآن يشفى من مرض الفؤاد ويحيى الموتى والعرب تزعم فى شعرها ان افراط الحسن يحيى الموتى قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى نحرها * قام ولم يحمل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

(وقال توبة بن الحمير)

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * علىّ ودونى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وان نطقت عقلت لب العاقل
واستنزلت العصم من المعاقل
وان قرأت شفت المئود
وأحييت الموءود وخلتها
أوتيت من مزامير آل داود
وان غنت ظل معبد لها
عبدا

(قوله من مزامير) المزمار الصوت نفسه والجمع من امير وقيل صوابه زمار ولا يقال زامر ويقال للانثى زامرة ولا يقال زمارة والآلة التى يزمر بها الزمارة * وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتا واذا قرأ الزبور رقت لصوته الوحوش وحنت حتى تؤخذ بأعناقها وهى مصغية له وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط الا على صوته و(معبد) أطبع المغنين المتقدمين واسحق الموصلى أطبع المتأخرين وفى معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

(أخبار معبد)

وهو معبد بن وهب وقيل ابن قطن وأبوه أسود وكان هو خلاسيا مديد القامة أحول غنى فى أول الدولة الاموية وتوفى أيام الوليد بن يزيد وكان علم جارية اسمها ظبية فاشتراها رجل من الاهواز وذهبت به الى كل مذهب فماتت وأخذت جواريه أكثر غنائها فكان من أجلها يفضل معبدا على نظرائه ويظهر التعصب له فسمع به معبد فخرج اليه حتى أتى البصرة فصادف الرجل خارجا الى الاهواز فى سفينة فسأله الدخول معه فأمر الملاح أن يجلسه فى مؤخر السفينة وانحدر حتى بلغ الى فم نهر الابلة فتغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين فغنت احداهن للنابغة

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * ومعبد ساكت فى ثياب السفر حتى سكتت فصاح يا جارية

غناؤك ليس بمستقيم فغضب مولاها وقال وما أنت والغناء ثم غنت الثانية بشعر عبد الرحمن بن أبي بكر

بابنة الازدي قلبي كئيب * مستهام عندها ما ينيب
ولقد قالوا فقلت دعوني * ان من تنهون عنه حبيب
انما أفنى عظامي وجسمي * حبها والحب شئ عجيب

فصاح معبد يا جارية قد أخللت بهذا الصوت اخلالا شديدا فازداد غضبا مولاها وقال ويلك أما تكف عن هذا الفضول ثم غنت أخرى لكثير فقالت

خليلي عوجا اليوم ساعة مجتبى * على الربع نقضي حاجة ونودعي
وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى * وللعين أدري من دموعك أودعي
فلا عيش الا مثل عيش مضى لنا * مصيفا أقمنا فيه من بعد مربع

فقال معبد ما قوم تنتصوا واحدا فقال له الرجل والله ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسمت بالله لئن عاودته لاخرجنك من السفينة فاندفع معبد يغني الصوت الاول فصاح الجواري أحسنت والله يا رجل فأعده قال لا ولا كرامة ثم غنى الثاني فقلن لسيدهن هذا والله أحسن الناس غناء فاسأله ان يعيد لعلنا أن نأخذه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم السفينة فوثب الرجل وقبل رأسه وقال أخطأنا عليك فاسألك أن تنزل الى قبائي فلم يزل به حتى نزل وقال له من أين أخذ جواريك هذا الغناء قال من جارية أخذت عن أبي عباد معبد ثم استأثر الله بها وكانت مني محل الروح من الجسد فلذلك أفضل معبدا على جميع المغنين فقال له معبد وانك لانت هو أفتعرفني قال لا فصك معبد بيده صلعته وقال فأنا والله معبد ولقد قدمت من الحجاز ولقد صدك بالاهواز دخلت السفينة والله لاقصرت في جواريك حتى أجعلهن خلفا من الماضية وأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه بالتقبيل ويقولون كتمتنا نفسك حتى أسأنا عشرتك وأنت ممن نتمنى من الله أن نلقاه ثم وهب له ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها فأقام عنده سنة حتى أخذ عنه جواريه ثم انصرف الى الحجاز قال ابن الكلبي قدم ابن سريج والغريض المدينة وكانا في صنعة الغناء من الحذاق يتعرضان لمعروف أهلها فلما شارفاها تقدما ثقلهما البر تاد منزلا حتى اذا هما بغسالة تغسل فيها الثياب قرب المدينة اذا هما بغلام ملتحف بازار وطرفه على رأسه وبيده حبالة يصيد بها الطير وهو يتغنى

القصر فالنخل والابواب بينهما * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

فاذا الغلام معبد فلما سمعاه ما لا اليه واستعاداه فاعاد الصوت فسمعا شيأ لم يسمعا مثله قط فقال أحدهما لصاحبه هل سمعت كاليوم قط قال لا والله فما رأيك قال ابن سريج هذا غناء غلام يصيد الطير فكيف بمن في المدينة اما انا فشكلت ولدي ان لم أرجع فرجع ولم يدخلها وروى اسحق أن معبدا سافر الى مكة فسمع ببطن مر وغناء فقصد الموضع واذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه درّاعة مصبوغة بزعفران وهو يغني شعره

حن قلبي من بعد ما قد أنابا * ودعا الهم نحوه فأجابا
ذاك من منزل لسلمى خلاء * لابس من خلائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عوجوا * طمعا أن يرد ربع جوابا

قوله القصر الخ هكذا في الاصل الطبع الذي بايدينا وفي نسخة خط القصر فالنخل فالجماء بينهما الخ فلعلهما روايتان اه مصححه

هذا أشبه الناس بهاروت وماروت روى هذا الحديث باسناده ابن قتيبة (قوله عقلت لب العاقل) اللب العقل وعقاته شددته بعقال وهو قيد البعير و(العصم) الوعول والاعصم التيس الجبلى الذى فى يديه بياض والمعصم موضع الخلخال * الخليل الاعصم الوعل وعصمته بياض فى رجليه و(المعاقل) قرون الجبال وأراد أن كلامها العذو بته يغلب أهل العقول حتى تعداهم الى الوحش أو يريد بالعصم من له عزمة وهمه من الرجال فاذا سمعها تذلل لها وأخذ هذا من قول أبى بكر بن دريد

لو ناجت الاعصم لانحط لها * طوع القياد من شماريخ الذرا
أو صابت القانت فى مخلولق * مستصعب المسلك وعر المرتقى
ألهاه عن تسبيحه ودينه * تأنيثها حتى تراه قد صبا

والسابق الى هذا المعنى النابغة بقوله

لو أنها عرضت لاثمد راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

و(المئود) الذى يشتكى فؤاده و(الموءود) المدفون حيا وانظره فى الخامسة والثلاثين وأراد أن حسن صوتها بالقرآن يشفى من مرض الفؤاد و يحيى الموتى والعرب تزعم فى شعرها ان افراط الحسن يحيى الموتى قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى نحرها * قام ولم يحمل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

(وقال توبة بن الحمير)

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وان نطقت عقلت لب العاقل
واستنزلت العصم من المعاقل
وان قرأت شفت المئود
وأحييت الموءود وخلتها
أوتيت من مزامير آل داود
وان غنت ظل معبد لها
عبدا

(قوله من مزامير) المزمار الصوت نفسه والجمع مزامير وقيل صوابه زمار ولا يقال زامر و يقال للانثى زامرة ولا يقال زمارة والآلة التى يزمر بها الزمارة * وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتا واذا قرأ الزبور رقت لصوته الوحوش وحنت حتى تؤخذ بأعناقها وهى مصغية له وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط الا على صوته و(معبد) أطبع المغنين المتقدمين واسحق الموصلى أطبع المتأخرين وفى معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

(أخبار معبد)

وهو معبد بن وهب وقيل ابن قطن وأبوه أسود وكان هو خلاسيا مديد القامة أحول غنى فى أول الدولة الاموية وتوفى أيام الوليد بن يزيد وكان علم جارية اسمها ظبية فاشتراها رجل من الاهواز وذهبت به الى كل مذهب فماتت وأخذت جواريه أكثر غنائها فكان من أجلها يفضل معبدا على نظرائه و يظهر التعصب له فسمع به معبد فخرج اليه حتى أتى البصرة فصادف الرجل خارجا الى الاهواز فى سفينة فسأله الدخول معه فأمر الملاح أن يجلسه فى مؤخر السفينة وانحدر حتى بلغ الى فم نهر الابلة فتغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين فغنت احداهن للنابغة

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * ومعبد ساكت فى ثياب السفر حتى سكتت فصاح يا جارية

غناؤك ليس بمستقيم فغضب مولاها وقال وما أنت والغناء ثم غنت الثانية بشعر عبد الرحمن بن أبي بكر

بابنة الازدي قلبي كئيب * مستهام عندها ما ينيب
ولقد قالوا فقلت دعوني * ان من تنهون عنه حبيب
انما أفنى عظامي وجسمي * حبها والحب شئ عجيب

فصاح معبد يا جارية قد أخللت بهذا الصوت اخلالا شديدا فازداد غضبا مولاها وقال ويلك أما تكف عن هذا الفضول ثم غنت أخرى لكثير فقالت

خليلي عوجا اليوم ساعة مجتبى * على الربع نقضي حاجة ونودعي
وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى * وللعين أذرى من دموعك أودعي
فلا عيش الا مثل عيش مضى لنا * مصيفا أقمنا فيه من بعد مربع

فقال معبد ما قومتني صوتا واحدا فقال له الرجل والله ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسمت بالله لئن عاودته لاخرجنك من السفينة فاندفع معبد يغني الصوت الاول فصاح الجواري أحسنت والله يا رجل فأعده قال لا ولا كرامة ثم غنى الثاني فقلن لسيدهن هذا والله أحسن الناس غناء فاسأله ان يعيد لعلنا أن نأخذه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم السفينة فوثب الرجل وقبل رأسه وقال أخطأنا عليك فاسألك أن تنزل الى قافي فلم يزل به حتى نزل وقال له من أين أخذ جواريك هذا الغناء قال من جارية أخذت عن أبي عباد معبد ثم استأثر الله بها وكانت مني محل الروح من الجسد فلذلك أفضل معبدا على جميع المغنين فقال له معبد وانك لانت هو أفتعرفني قال لا فصك معبد يده صلعته وقال فأنا والله معبد وليتك قدمت من الحجاز ولقصدك بالاهواز دخلت السفينة والله لاقصرت في جواريك حتى أجعلهن خلفا من الماضية وأكب الرجل والجواري على يديه ورجليه بالتقبيل ويقولون كتمتنا نفسك حتى أسأنا عشرتك وأنت ممن نتمنى من الله أن نلقاه ثم وهب له ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها فأقام عنده سنة حتى أخذ عنه جواريه ثم انصرف الى الحجاز قال ابن الكلبي قدم ابن سريج والغريض المدينة وكانا في صنعة الغناء من الحذاق يتعرضان لمعروف أهلها فلما شارفاها تقدما ثقلهما البر تاد امنزلا حتى اذا هما بمغتسلة تغتسل فيها الشباب قرب المدينة اذا هما بغلام ملتحف بازار وطرفه على رأسه وبيده حبالة يصيد بها الطير وهو يتغنى

القصر فالنخل والابواب بينهما * أشهى الى الناب من أبواب جيرون

فاذا الغلام معبد فلما سمعاه مال اليه واستعاداه فاعاد الصوت فسمعا شيأ لم يسمعا مثله قط فقال أحدهما لصاحبه هل سمعت كاليوم قط قال لا والله فما رأيك قال ابن سريج هذا غناء غلام يصيد الطير فكيف بمن في المدينة اما انا فاشكلت ولدى ان لم أرجع فرجع ولم يدخلها وروى اسحق أن معبدا سافر الى مكة فسمع ببطن مر وغناء فقصد الموضع واذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه درّاعة مصبوغة بزعفران وهو يغني شعره

حن قلبي من بعد ما قد أنابا * ودعا الهم نجوه فأجابا
ذاك من منزل لسلمى خلاء * لابس من خلائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عوجوا * طمعا أن يرد ربع جوابا

قوله القصر الخ هكذا في الاصل الطبع الذي بايدينا وفي نسخة خط القصر فالنخل فالجماء بينهما الخ فلعلهما روايتان اه مصححه

فاستثار المغشى من لوعة الحب وأبدى الهموم والاوصابا

(فقرع معبد بعصاه وغنى)

منع الحياة من الرجال ونفعها * حدق يقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال اذا رأوا * حدق النساء لنبلها اغراض

فقال الرجل له أنت معبد قال نعم وقال له معبد بالله أنت ابن سريج قال نعم ووالله لو عرفتك ماغنيت بين يديك قال معبد فلما قدمت مكة قيل لى ان ابن صفوان قد جعل بين المغنين جائزة فأتيت بابه فطلبت الدخول فقال لى آذنه قد أمرنى أن لا آذن لاحد عليه قلت فدعنى أدنو من الباب فاغنى صوتا فقال أما هذا فنعم فدنوت من الباب فغنيت فقالوا معبد ففتحوا لى وأخذت الجائزة * وأما اسحق فذكره صاحب الاغانى وقال كان محل اسحق من العلم والادب والرواية وتقدمه فى الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ماوسم به وان كان الغالب عليه وهو الذى صح أجناس الغناء وطرائقها وميزها تمييزا لم يقدر أحد عليه قبله ولا بعده من تدقيق الجارى وتمييز الاصناف التى جعلوها صنفا واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ مثله وأين مثله وروى عنه أنه قال بقيت دهرا أغلس الى هشام أسمع الحديث والى الكسائى أقرأ عليه جزأ من القرآن والى الفراء وابن غرالة أسمع اللغة ثم آتى منصور زلزل فيطارحنى طريقتين أو ثلاثا ثم آتى عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ثم آتى الاصمعى وأبا عبيدة فاستفيدهما وأناشدهما ثم أصير الى أبى فأعلمه بما صنعت وأتعدى معه فاذا كان العشى رحت الى الرشيد وروى الحديث ولقى أهله مثل مالك ابن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما وسأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا أراد للغناء غناه فأجابه الى ذلك وقال المأمون لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس من الشهرة بالغناء لوليته القضاء بحضرتى فانه أولى به وأصدق وأعف وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة وكان أجود الناس بالمال وأجلهم بالغناء وأعطى لمنصور زلزل لما علمه الضرب بالعود أكثر من مائة ألف درهم وأهدى له ابن الاعرابى نسخة من النوادر بخطه فزر يوما على المدائنى فقال الى أين يا أبا عبد الله قال أمر على رجل كما قال الشاعر

نحمل أشباحنا الى ملك * نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال ومن هو قال أبو محمد اسحق بن ابراهيم ومات وهو أشعر أهل زمانه وقال رأيت جريرا فى منامى ينشد شعرا فلما فرغ أخذ كبة شعر فألقاها فى فمى فابتلعتها فتأولت ذلك انه ورثنى الشعر ومر به شيخ وهو فى الحديث فقال لجلسائه هذا أشبه الناس بجرير الذى رأيت فسئل الشيخ فاذا هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير وهو من شعره يفتخر

اذا كانت الاحرار أصلى ومنصبى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

وسمعهما الاصمعى فاستحسنهما وأعجب بهما وفضلهما ودخل على مروان بن أبى حفصة وهو يتحدث مع أبيه فانشده

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم

(ذكر اسحق الموصلى)

عطست بأنف البيت فجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه فقال مالك لا تجيبني فقال انك ماتدري ما أفرغ ابنك في أذني ووجه اليه أحمد بن هشام بزعفران رطب وكتب اليه

اشرب على الزعفران الرطب متكئا * وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة * كحرمة الود والارحام والادب

(فأجابه اسحق الموصلي)

اذكر أباجعفر حقا أمت به * اني وإياك مشغوفان بالادب
وانا قد رضعنا الكأس درتها * والكأس حرمتها أولى من النسب

وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم لم لا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها * من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الوجه رقته * بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا أشرب الراح الا من يدي رشا * تقبيل راحته تغني عن الراح

فدعا له بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها في داره *ومن طرف اسحق ان كان ثوما العتابي كان من العلم وغزارة الادب وكثرة الحفظ والترسل والنظم على ما لم يكن عليه أحد فحضر مجلس المأمون فوضع بين يديه ألف دينار وغمز اسحق بالعبث به فأقبل اسحق يعارضه في كل باب ويزيد عليه وهو لا يعرف اسحق فقال أيأذن أمير المؤمنين في نسبة هذا الرجل والسؤال عن اسمه فقال افعل فقال له العتابي ما اسمك ومن أنت فقال أنا من الناس واسمي كل بصل فقال له العتابي اما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكور فقال له اسحق ما أقل انصافك أوما كلثوم من الاسماء فالبصل أطيب من الثوم فقال له العتابي قاتلك الله ما أسلحك ما رأيت كالرجل حلاوة أيأذن أمير المؤمنين في صلته بما وصلني فقد والله غلبني فقال له المأمون بل ذلك موفور عليك وأمر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه العتابي بقية يومه وكانت هشيمة الحمارة تجيد الشراب فلما ماتت قال يرثيها

أضحت هشيمة في القبور مقيمة * وخلت منازلها من الفتيان
كانت اذا هجر الحبيب محبه * دبت له في السر والاعلان
حتى يلين لما يريد قياده * ويصير سيئه الى الاحسان

وهو اسحق بن ابراهيم بن ماهان أصله فارسي وترك ماهان ابراهيم صغيرا فنشأ في بني تميم وهذا الذي ذكرنا نبذة من أدبه وأما محاسنه في الغناء فلا يأتي عليها الحصر قال الواثق ما غناني اسحق قط الا ظننت أن قد زيد في ملكي وان اسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ أحد بمثلها ولو أن له العمر والنشاط مما يشتري لاشتريتهما بشطر ملكي * وحدث حماد ابنه قال حدثني أبي قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخليفة فركبت بكرة عازما أن أطوف في الصحراء وأتفرج وقلت لغلماني ان جاء رسول الخليفة فعرفوه أني ركبت في مهم ومضيت وطفت ما بدا لي وغدوت وعدت وقد حمي النهار فوقفت في ظل جناح شارع لاستريح فلم ألبث اذ جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية تحتها منديل ديبقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه فرأيت لها شمايل ظريفة

وطرفا فاترا فحدثت أنها مغنية فدخلت الدار التي كنت عليها واقفا فعلقها قلبي علوقا شديدا لم أستطع معه براحا وأقبل رجلان شابان لهما هيبة تدل على قدرهما وهما راكبان فأذن لهما فحملني حب الجارية وحسن حالهما ان توسلت بهما فدخلت معهما فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن هو أني معهما فجلسنا وأتي بالطعام فأكلنا وجيء بالشراب فخرجت الجارية وفي يدها عود فرأيت جارية حسناء فغنت غناء صالحا فتمكن ما في قلبي منها وشربنا ثم قمت للبول فسألهما صاحب المنزل عني فأنكراني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريف فأجلوا عشرته فجئت وجلست فغنت في لحن لي

ذكرنك ان مررت بأم شادن * أمام المطايا تستريح وتسنح
من المؤلفات الرمل ادماء حرة * شعاع الضحى في وجهها يتوضح

فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتي

الطلول الدوارس * فارقتها الاوانس
أوحشت بعد أنسها * فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الاول ثم غنت من صنعتي في شعري

قل لمن صد عاتبا * وناى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته فاستعدته منها الا صحعه فأقبل علي أحد الرجلين فقال ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلي وقد يقترح فلم أجبه وكنه صاحبه عني فلم ينكف ثم قاموا للصلاة فأخذت عود الجارية وأصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي فصليت ثم عادوا فعاد ذلك الرجل في عربدته علي وأنا صامت فأخذت الجارية عودها وجسته فقالت من جس عودي فقالوا ما جسه أحد فقالت والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته فقلت لها أنا أصلحته فقالت بالله عليك خذه واضرب به فأخذته منها وضربت مبدأ بطريق عجيب صعب فيه نقرات محكمة فما بقي منهم أحد الا وثب وجلس بين يدي وقالوا بالله يا سيدي أتغني قلت نعم وأعرفكم بنفسي انا اسحق الموصلي ووالله اني لآتيه على الخليفة وأنتم تشتموني منذ اليوم لاني دخلت معكم بسبب هذه الجارية ووالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعربد الغث ونهضت لاخرج فتعلقوا بي وتعلقت الجارية بي فقلت والله لا أجلس الا أن يخرج فقال له صاحبه من شبه هذا حذرت عليك فأخرجوه فغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال لي هل لك في أمر أعرضه عليك فقلت ما هو فقال تقيم عندي شهرا والجارية معها ما عليها لك فقلت أفعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبني فجئت بذلك منزلي بعد شهر وركبت الى المأمون فقال لي يا اسحق ويحك أين تكون فعرفته الخبر فقال علي بالرجل الساعة فعرفتهم موضعه فأحضره وقال أنت رجل ذو مروءة وسبيلك ان تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم ونهاه أن لا يعاشر ذلك المعربد النذل وأمر لي بخمسين ألفا وقال أحضر لي الجارية فأحضرتها

فغنته فقال قد جعلت لها نوبة فى كل يوم ثلاثاء تغنى مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله تلك الركبة وأربحت * وتشبه هذه الحكاية حكاية ابراهيم بن المهدى اذ شفع للمأمون فى طفيلى قد قدّم ناذكره فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه وأحدّثك حديثا عجيبا فى التطفيل عن نفسى قال قل فقلت خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد فشممت رائحة ابزار من جناح دار وقد ورقد فاح قتارها فسألت خياطا عن رب الدار فقال رجل من التجار اسمه فلان فخرجت من شبالة فى الجناح كف ومعصم ما رأيت مثلهما قط فذهب عقلى وبهت واذا رجلان نبيلان فقال الخياط هذان ندماه وهما فلان وفلان فحركت دابتى ودخلت بينهما وقلت قد استبطأكما أبو فلان فأتينا الباب فدخلنا فلم يشك صاحب الدار أنى منهما فرحب بى وأجلسنى فى أجلّ موضع فأتينا بالالوان فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى أكلت الالوان بقى الكف ثم سرنا الى مجالس المنادمة فاذا أنبل مجلس وصاحب الدار مقبل باللطف والحديث علىّ لما ظن أنى منهما فخرجت جارية تتثنى كأنها خوط بان فسلمت وجلست وأخذت بالعود وجسته فتبينت الحذق فى جسها وغنت هذا الصوت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فألمس كفها * فمن لمس كفى فى أناملها عقر
ومر بفكرى شخصها فجرحته * ولم أر شخصا قط تجرحه الفكر

فهيجت بلابلى وطربت ثم غنت

أشرت اليها هل علمت مودتى * فردّت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءنى مالم أملك معه نفسى ثم غنت

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكى الهوى بجفونها * وترجيع أحشاء على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وقلب متيم

فحسدتها على حذقها فقلت يا جارية بقى عليك شئ فغضبت ورمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون مجالس البغضاء فندمت ورأيت تغير القوم فدعوت بالعود وغنيت

ما للمنازل لا يجبن حزينا * أصمم من أم بعد المدى فبلينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا أو بقين بقينا

فأقبلت على رجلى تقبلهما وتقول المعذرة والله يا سيدى من تغيير مثلك وقام مولاها وصاحباه وصنعوا مثلها وشربوا بالطاسات طربا ثم غنيت

أبى الله هل أمسى ولا تذكرينى * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسلا منى وتبذل علقما

فجاء والله من طرب القوم ما حسبت له أن يخرجوا من عقولهم فامسكت حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى

هذا حبيك مطويا على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده

له يدتسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يامن رأى كفنا مستهدفا أسفا * كنت منيته فى طرفه ويده

فصاحت الجارية السلاح هذا والله الغناء يا مولاى وسكروا وأمر صاحب الدار غلمانه بحفظهم الى منازلهم وبقيت أشرب معه وكان جيد الشراب فقال لى ياسيدى ذهب والله ماخلا من أيامى باطلا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت فأخبرته فقبل رأسى وقال أعجب من هذا الادب وأنا منذ اليوم مع الخلافة وسألنى عن قصتى فأخبرته خبر الطعام والمعصم فأحضر جواريه فلم أره فقال مابقى غير أمى وأختى ولا نزلنهما اليك تعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت ابدأ بالاخت فنعل فلما رأيت معصمها قلت هى هى فأرسل الى عشرة مشايخ وأحضر بدرتين وقال أشهدكم أنى قد زوجت أختى فلانة من ابراهيم بن المهدى وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم فدفعت اليه البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وانصرفوا وقال ياسيدى أمهد لك بعض البيوت فأحشمنى فقلت بل أحملها لى منزلى فى عمارته فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ماضاق عنه بعض دورى فتعجب المأمون من كرمه فأمر باحضاره فصار من خواصه * (قوله سحقا) اى بعدا (وزنام) الزامر هو الذى أحدث الناى وهو المزمار الذى تدعوه عامتنا بالمغرب الزلامى فصحفوه بابدال نونه لاما وانما هو زنامى وقال فيه الشاعر

وقيل سحقا لاسحق وبعدا وان زمرت اضحى زنام

ان فى ناى زنام شغلا * يشغل العاقل عن ناى زنام

(ذكر زنام الزامر)

قال القاسم بن زرزور الزامر حدثنى زنام الزامر قال لما اعتل المعتصم علته التى مات منها قال هو الى الزلالة حتى أركبه فهيئ له فركب وأتى فين معه فريد جلة بازاء منازله فقال يازنام قلب لبيك يا أمير المؤمنين قال ازمر

يامنزلا لم تبل اطلاله * حاشا لاطلالك أن تبلى
العيش أرلى مابكاه الفتى * لابد للمحزون أن يسلى
لم أبك اطلالك لكننى * بكيت عيشى فيك اذ ولى

قال فزمرت ومازلت أردده وهو يتعجب ويبكى الى أن خرج ثم توفى بعد خمسة أيام وزنام سار المثل يضرب بزمره واتقان صنعته وكان الواثق ولعا بزمره بعد أبيه المعتصم * حدث حسين بن الضحاك قال دخلت على الواثق فقال قل الساعة ابياتا ملاحا حتى أهب لك شأملها فقلت فى اى معنى قال فيما شئت بما ترى بين يديك فالتفت فاذا بساط قد تفتحت أنواره وأشرق فى نور الصبح فخجلت وارتجلت على فقال الواثق الست ترى نور صباح ونورا قاح ففتح لى فقلت

ألست ترى الصبح قد اسفرا * ومنسكب الغيث قد أمطرا
واسفرت الارض عن حلة * تضاحك بالاصفر الاحمرا
وتعدل كأسين فى فتية * تطارد بالاصغر الاكبرا
يحث كؤسهم مخطف * تجاذب ارداف المئزرا
فكل ينافس فى بره * ليفعل فى ذاته المنكرا

فضحك وقال نستعمل ماقلت ياحسين الا الفسق فلا ولا كرامة ثم قال قوموا بنا الى حانة الشط فقام اليها وشرب وطرب وماترك احدا من المغنين والجلساء الا أمر له بصلة وكان من الايام التى

سارت اخبارها فى الآفاق فلما كان من الغد غدوت عليه فقال أنشدنى ماقلت فى يومنا الماضى
فأنشدته ياحانة الشط قد اكرمت مثوانا * عودى بيوم سرور كالذى كانا
لا تفقدينا دعابات الامير ولا * طيب البطالة اسرارا واعلانا
وهاج زمر زنام بين ذاك لنا * شجوا فأهدى لنا روحا وريحانا
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السقيا فألحق أخرانا باولانا
لازلت آهلة الاوطان عامرة * بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

ذكرنا هذه الحكاية لظرفها ولما وقع لزنام من الذكر فى شعر حسن (قوله زنيما) اى دعيا فى الزمر قال ابن الاعرابى الزنيم ابن الزانية * ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا شئ من نسله الى سبعة آباء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت العباد فيما مضى اذا عبد الله احدهم اربعين سنة يسعى نوره بين يديه فعبد الله عابد اربعين سنة واربعين فلم يسع له نورا فبتهل الى الله تعالى فقال عبدتنى اربعين واربعين ولم يسع لى نورا فأرى فى منامه أنه لغير رشدة فقال يارب ان كان أبواى أكلا حماضا أضرس أنا فسعى نوره بين يديه (قوله جيله) اى اهل عصره * الزعيم الاول السيد والثانى الضامن اراد أنه يضمن لمن سمعه أن يطربه وقال ابو الفضل الدارمى فى زامر أسود

وحالك اللون كالليل البهيم له * فضائل مشرقات الحس كالفلق
تخال مجلسنا وجها به حسنا * اذ صار فيه كخال معجب لبق
تراه يحفظ ما يوحى اليه به * وسره أبدا يهوى بمختلق
يجدو بأنفاسه الاوتار مجتهدا * فتستقيم به الالحان فى الطرق
أهدى الشباب اليه حسن بهجته * فناسب الملك فى لون وفى عبق

(الحبب) الفقاقيع تعلو الماء والخمر (أزدرى) احتقر (النعم) الابل واكرمها الحمر (احلى) ازين (بتمليها) بطول حياتها ومدتها والملاوة المدة ومنه قوله تعالى وأملى لهم (مرآها) رؤيتها (اذود) ادفع (شرائع) طرق (السمر) الحديث بالليل (أليح) اشفق (تسرى) تسير ليلا (رياها) رائحتها الطيبة (يكهن) يشعر ويحسن وتكهن الرجل تحدث عن الغيب (وسطيح) لغسانى اكهن الناس وانذر بسيل العرم فكان يدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه واذا مست باليد أثرت فيه للين عظامها * ومن كهانته أنه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة فأعظم ذلك اهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب اليمن ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية وكتب اليه صاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما قرئت عليه الكتب اظهر سريره وبرز الى اهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان ايها الملك انى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتنى رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا قال فما عندك فى تأويلها قال ما عندى شئ ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فبعث اليه فوجه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى فأخبره كسرى بالخبر

عندها زنيما بعد أن كان
لجيله زعيما وبالاطراب
زعيما وان رقصت أمالت
العمائم عن الرؤس وأنستك
رقص الحبب فى الكؤس
فكنت ازدرى معها حمر النعم
واحلى بتمليها جيد النعم
واحجب مرآها عن الشمس
والقمر واذود ذكراها عن
شرائع السمر وأنا مع ذلك
أليح من أن تسرى برياها
ريح أو يكهن بها سطيح

(ذكر سطيح)

فقال ايها الملك ما عندى فيها شئ ولكن جهزنى الى الشأم الى خالى سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال

أصم أم يسمع غطريف اليمن * رسول قيل العجم يهوى للوثن
يا فاعلى الخطة اعيت من ومن * أتاك شيخ الحى من آل سنن
* ابيض فضفاض الرداء والرسن *

فرفع اليه سطيح رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أقبل الى سطيح وقد اوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت الوادى وانتشرت فى البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وغاض وادى السماوة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات بعدد ما سقط من الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قال

ان كان ملك بنى ساسان افرطهم * فان ذا الدهر اطوار وهادير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والزرمزان وسابور وسابور
فربما أصبحوا منهم بمنزلة * يهاب صولهم والاسد ليهاصير
حنوا المطى وجدوا فى رحيلهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور
والناس ابناء علات ان علموا * أن قد أحد فمقتور ومهجور
والخير والشر مقرونان فى قرن * والخير متبع والشر محذور

فأتى كسرى فأخبره فعجب ذلك فقال الى أن يملك منا اربعة عشر ملكا يدور الزمان فملكوا كلهم فى اربعين سنة (قوله يتم) من النعمة (مليح) كثير الظهور (الحظ) البخت والنصيب و (وشكه) سرعة زواله (المنحوس) المنقوص (نكد) مشقة (الطالع) نجم الانسان والطالع يقابله الساقط (حميا) حدة (ثاب) رجع (صرد) خرج من قوسه وأراد بالسهم اللفظ الذى سمع منه جاره (الخبال) الفساد (الوبال) الثقل وهو وبال عليه اى ثقيل فى العاقبة وطعام وبيل ثقيل متخم ومنه استوبلت المدينة اذا لم توافق جسمك وان أحببتها (اودع) جعل فيه و (الغربال) معلوم يشبه به الغمام حيث لا يمسك ما جعل فيه قال الحطيئة يهجو أمه

قفى فاجلسى منى بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

كانون أبرد ايام الشتاء ويريد انها باردة لحديث قال كعب بن زهير رضى الله عنه

ولا تمسك بالعهد الذى زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

* (وقال فى الحماسة) *

ولا اكتم الاسرار لكن اذيعها * ولا ادع الاسرار تغلى على قلبى
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

اعز زعلى باخلاق وسمت بها * عند البرية فالوذ بح السوق
تضيق بالسر ذرعا ان خصصت به * حتى يرى ذائعا كالنفخ فى البوق

وقال فى ضده

ومستخبر عن سر رياردته * بعمياء من ريا بغير يقين

اويتم عليها برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس ونكد الطالع المنحوس أن أنطقتنى بوصفها حميا المدام عند الجار النمام ثم ثاب الفهم بعد أن صرد السهم فأحسست الخبال والوبال وضيعة ما أودع ذلك الغربال

وقال انتصحنى انى لك ناصح * وما أنا ان خبرته بامين

(وقال قيس بن الخطيم)

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بث وتكثير الحديث قمين
يكون له عندى اذا ما ضمنته * مكان بسوداء الفؤاد مكين

(وقال العباس بن الاحنف)

تعنيت تطلب ما لا ستحق * به الهجر منك ولا تقدر
وماذا بضرتك من شهرتى * اذا كان سرك لا يشهر
أمنى تخاف انتشار الحديث * وحظى فى صونه أوفر
ولولم أصنه لبقيا عليك * نظرت لنفسى كما تنظر

(قوله بيد) بمعنى غير (عكم) ربط (أحفظته) اغضبته (يهتك) يخرق (غبر) مضى (المدة) البلدة (قيله) ملكه الاعظم (مجددا عرض خيله) اى ليعرض عليه ما عنده من الاجناد و (النيل) اى العطاء (ارتاد) طلب (تحفة) هدية (تلائم) توافق (هواه) ارادته (نجواه) حديثه مع الملك *والجعل حق من دلك على حاجة والجعالة بمعناه والجعائل جمعها (يسنى) ييسر وأصل (الرواد) طلاب المرعى واحدهم رائد وأصل (الوسائل) اسباب الود (أسف) انحط ردنا وأسف الطائر تدلى نحو الارض لشئ يأخذه وأسف الرجل طلب مذاق الامور (والجار الختار) الخداع (بذوله) عطاؤه (ادراعه) لبسه الدرع (ناشرا أذنيه) أى طامعا وهو مثل (أبثه) قال له سره (قوله راعنى) أى أفزعنى (انسياب) دخول (صاغيته) حاشيته ومن يميل اليه (انثيال) انصباب (حفدته) أتباعه (يسومنى) يعرض على (ايثاره) تفضيله على نفسى (الدرة اليتيمة) الجوهرة النفيسة وبهذا سمى الثعالبى كتابه الدرة اليتيمة أى الدرة المنفردة التى لا مثل لها واليتيمة درة مشهورة فى البيت الحرام أكبر من بيضة الحمامة استخرجها من البحر كلب جاء ليلغ فتعلقت محارتها بفمه فنفضها فى البر فهى من عجائب الدنيا ومن عجائبها الحافر وهو حجر ياقوت شبيه حافر الفرس ألصقه أمير المؤمنين بمصحف عثمان والغريبة الثالثة فرس ذهب لم يصنعه صانع انما وجد فى معدن الذهب وهو عند ملك الحبشة بغانة و (الذى غشى فرعون وجنوده من اليم) هو الغرق واليم البحر الذى ذهبت نفوسهم فيه *ولا بد ان نلم بنبذة من خبره تكمل بها القصة حسبما شرطنا وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج فارا من فرعون حسبما قدمناه فى الخامسة توجه الى مدين فبلغها كالاجائعا فقيرا فوجد الناس يسقون كما نص الله تعالى ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى يحبسان غنمهما فأخبرتاه بانهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء وأن لهما أباشيخا كبيرا فرحمهما واقتلع الصخرة عن البئر وكان لا يرفعها الا نفر فلا وسقى لهما ثم تولى الى ظل شجرة مثمرة فقال يارب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس رضى الله عنهما قال هذا موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل أراد خضرة البقل الذى أكل فى طريقه فرجعت الجاريتان بسرعة الى أبيهما فأنكر مجيئهما قبل الوقت الذى جرت العادة بمجيئهما فيه فاخبرتاه خبر موسى فارسل احداهما فاتته وهى تستحيى منه فقالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فمشى معها وهى بين يديه فضرب الريح ثوبها فنظر الى

بيد أنى عاهدته على عكم
ما لفظته وأن يحفظ السر
ولو احفظته فزعم أنه يخزن
الاسرار كما يخزن اللئيم
الدينار وانه لا يهتك الاستار
ولو عرض لان يلج النار فما
ان غبر على ذلك الزمان الا
يوم أو يومان حتى بدا الى
أمير تلك المدره ووالى هذى
المقدره أن يقصد باب قيله
مجددا عرض خيله ومستطرا
عارض نيله وارتاد أن
تصحبه تحفة تلائم هواه
ليقدمها بين يدى نجواه
وجعل يبذل الجعائل
لرواده ويسنى الوسائل
لمن يظفره بمراده فأسف
ذلك الجار الختار الى بذوله
وعمى فى ادراع العار
عذل عذوله فاتى الوالى
ناشرا أذنيه وأبثه ما كنت
أسررته اليه فما راعنى
الا انسياب صاغيته الى
وانثيال حفدته على يسومنى
ايثاره بالدرة اليتيمة على أن
أتحكم عليه فى القيمة فغشينى
من الهم ما غشى فرعون
وجنوده من اليم ولم ازل
ادافع عنها ولا يغنى الدفاع
واستشفع اليه ولا يجدى
الاستشفاع وكلما رأى منى
ازدياد

*(تكملة قصة موسى

عجيزتها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق فلما أتى الشيخ سأله عن شأنه فقص عليه قصته فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت التي دعته يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فقال لها الشيخ أما القوة فقد خبرته بقلع الصخرة فما يدريك أمانته قالت له اني مشيت أمامه فلم يحب أن ينظر عجزي ورد ني خلفه فقال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين الى آخر القصة فلما قضى أجله وسار بأهله وكان في شتاء رفعت له نار فيما رأى فكانت من نور الله تعالى فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا الآية ومعنى تصطلون أي من البرد فكان عند اتيانه لها ما أخبر الله تعالى من أنه نودي أن بورك من في النار ومن حولها فلما فزع قال الحمد لله رب العالمين فنودي اني أنا الله رب العالمين وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي أي أضرب بها ورق الشجر للغنم وما رب أخرى من حمل الزاد عليها والسقاء وغير ذلك فقال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب أي لم ينظر فنودي لا تخف انك من الآمنين الآيات فسأل الله تعالى أن يرسل معه اخاه هرون ردأ أي عونا لكونه كان أفصح منه لسانا للجمرة التي كانت أحرقت لسانه في صغره فنقل لسانه فقال سنشد عضدك باخيك فاقبل موسى الى أهله فصار بهم الى مصر فدخلها ليلا فنزل ضيفا بابنه وأخيه وهم لا يعرفونه وهرون غائب فنزل بجانب الدار وجاء هرون فسأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه وأكل معه ثم سأله من هو فقال انا موسى فقام كل واحد منهما لصاحبه واعتنقه فقال له موسى يا هرون ان الله قد أرسلني واياك الى فرعون فانطلق معي فقال سمعا وطاعة فصاحت أمهما وقالت نشدتكما الله تعالى أن لا تذهبا اليه فيقتلكما فسكتا هما ثم انطلقا اليه ليلا في قول السدي وضربا الباب فكلمهما البواب فقالا له انا رسولا رب العالمين ففزع البواب فاتى فرعون فاخبره ان مجنونين يزعمان كذا فقال أدخلهما وأما ابن اسحق فحدث أنهما وقفا على باب فرعون يلتمسان الاذن يغدوان ويروحان سنتين وفرعون لا يعرف بهما حتى دخل منزله فقال له أيها الملك ان على الباب رجلا يزعم أن له الها غيرك فقال أدخلوه فدخلا ويد موسى عصاه فلما وقفا عرفه فرعون فقالا انا رسول رب العالمين فجاء به بقوله ألم نربك فينا وليدا الآيات ثم ذكره ايادية قبله فقال له موسى وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أي اتخذتهم عبيدا تقتل من شئت وتسترق من شئت فقال له وما رب العالمين فاراه الآية الكبرى في العصا أن القاها فاذا هي ثعبان مبين ملأت ما بين السماطين فاتحة فاها قد صارت محجنها على ظهرها فارفض الناس ومال فرعون عن سريره فناشده موسى بربه فاخذ يده في جيبه فاخرجها بيضاء كالثلج ثم ردها فعادت هيئتها ثم وضع يده على الحية فصارت عصا كما كانت أول مرة وأخذ فرعون بطنه وكان فيما يزعم يمكث الخمس والست ولا يلتمس الخلاء وكان ذلك مما زين له أنه ليس له شبيه في الناس فقال للملئه ان هذا لسحر عظيم فجمع السحرة ووعدهم ليوم العيد وأن يحشر الناس ضحى يحضرون امرهم مع موسى فاجتمعوا لذلك اليوم فصف خمسة عشر الفا ساحر كل ساحر له نوع من السحر فخرج موسى يتوكأ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مشرف على وجوه أهل مملكته فقال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب الآية فقال بعضهم لبعض اهكذا يقول ساحر فخيروه في أن يلقى أو يلقوا فقال بل القوا فخيلوا بحبالهم

وعصيهم اشياء حيروا بها العقول من حيات قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ونيران تحرق فى ظاهرها ما مرت به وظلم متكاثفة كما وصف الله تعالى واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ففزع موسى واخوه لهول ما رأيا وذلك قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى الآيات فالقى موسى عصاه فجعلت تلقف كل ما خيلوا به وكانوا جلبوا آلاتهم فى السفن فى النيل فابتلعت السفن واقبلت فاتحة فاها على قبة فرعون بمن فيها ففروا وتعلقوا بموسى يستنقذون به فاخذها موسى فاذا هى عصا فى يده كما كانت فوقع السحرة سجدا قائلين آمنا برب هرون وموسى لما تيقنوا ان امر العصا الهى ليس من تخاييلهم فقال لهم فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم الآيات الى قوله تعالى والله خير وأبقى اى لا سلطان لك الا فى الدنيا ولا سلطان لك بعدها قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فقتلهم فكانوا اول النهار سحرة وآخره شهداء ثم امر الله تعالى نبيه موسى ان يخرج بنى اسرائيل فقال اسر بعبادى ليلا فامرهم ان يستعيروا الحلى من القبط فخرجوا ليلا والقى الله على القبط النوم حتى طلعت الشمس وكان موسى على ساقة بنى اسرائيل وهرون على المقدمة وعدد بنى اسرائيل ستمائة الف وعشرون الف مقاتل لا يعدون ابن العشرة لصغره ولا ابن الستين لكبره وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان وهم فى ألف ألف وسبعمائة ألف فذلك قوله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين فلما تراءى الجمعان قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا بالذبح ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا فقال كلا ان معى ربى سيهدين فأتى موسى البحر وكان أباح له فضربه بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل فصار فى البحر اثنا عشر طريقا فدخل كل سبط طريقه وكل سبط يقول قتل أصحابنا ففتح الله بينهم قناطر فنظر آخرهم الى أولهم وجاء فرعون ومن معه فأبت خيله أن تقتحم فاقتحمها جبريل على فرس أنثى فاقتحمت الخيل فى اثره فلما توسط البحر أمر البحر أن يأخذهم فانضم عليهم فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وجعل جبريل يدس الطين فى فيه لئلا يتم الكلمة فيرحمه الله وميكائيل يقول الآن وقد عصيت قبل وأخرج الله بدن فرعون ميتا حتى عرفه بنو اسرائيل فهذا هو الذى غشى فرعون وجنوده من اليم (قوله الاعتياص) أى التصعب واعتاص الشئ اعتياصا تصعب وتلوى (والمناص) الملجا والمفر (وتجرم) أتى الجرم (وتضرم) اشتد غضبه (والارم) الاسنان (وحرق) عض بعضها على بعض حتى صوت وذلك لشدة الغيظ وهو مثل (آل) رجع (الوعيد) التهديد (قراعا) ضربا والقراع الخبط والضرب والتقريع الاخذ باللسان يريد هددونى فلما أبيت ضربونى (الحين) الموت (قضته) عاوضته وبادلته (سواد العين) جاريته التى هى نور عينه (صفرة العين) لون الدنانير (لم يحفظ) لم يأخذ حظوة وهى النصيب و (الواشى) النمام سمى واشيا لاستخراجه الاخبار وتوصله الى معرفتها من قولهم فلان يوشى الخبر اذا استخرجه وقيل سمى واشيا لتحسينه ما ينقل من الاخبار وثوب موشى محسن بما فيه من النقوش وقيل هو من الشية وهى العلامة كانه جعل لنفسه علامة من الوصف القبيح (والشين) العيب * وعلى وصف الجارية المذكورة بالادب والجمال نريد ان نسوق فصلا فى الجوارى ذوات الادب ممن أهديت الى ملك كمال هذه أولها معه سبب * حدث الاصمعى قال بعث لى هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فارزانى الفضل بن الربيع ثم

الاعتياص وارتياد المناص
تجرم وتضرم وحرق على
الارم ونفسى مع ذلك لا تسمح
بمفارقة بدرى ولا بأن أنزع
قلبى من صدرى حتى آل
الوعيد اقاعا والتقريع
قراعا فقادنى الاشفاق من
الحين الى ان قضته سواد
العين بصفرة العين ولم يحظ
الواشى بغير الاثم والشين
فعاهدت الله تعالى مذ ذلك
العهد أن لا أحاضر نماما
من بعد

أدخلني عليه وقت المغرب فاستدناني وقال لي يا عبد الملك وجهت فلك بسبب جاريتين أهديتا لي لهما أدب أحببت ان تبرز ما عندهما وتشير علي بالصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فأحضرتا فرأيت جاريتين ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ما عندك من العلم فقالت ما أمر الله في كتابه ثم ما ينظر الناس فيه من الاخبار والاشعار فسألتها عن حروف من القرآن فأجابتني كأنها تقرأ القرآن في كتاب ثم سألتها عن الاخبار والاشعار والنحو والعروض فما قصرت في جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيأ فأنشدت

يا غياث العباد في كل محل * ما يريد العباد الا رضاكا
لا ومن شرف الامام وأعلى * ما أطاع الاله عبد عصاكا

فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في سلك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال يا عبد الملك انا ضجر وأحب أن تسمعني حديثا مما شهدت من أعاجيب الزمان أتفرج به فقلت يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث اليه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته ما سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فألفيت عندهم جارية قد ظلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

محاسنها سهام للمنايا * مريشة بأنواع الخطوب
ترى ريب المنون لهن سهما * يصيب بنصله مهج القلوب

فقلت

فتى شفتي في موضع الطبل ترتعي * كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن
هبيني عودا يابسا تحت شقة * يقع فيما بين نحرك والذقن

فلما سمعت الشعر رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرق رأسي فلم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقي لها فضحك الرشيد حتى استلقى ثم قال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت له قد كان هذا فقال يا عباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتاني الخادم فقال أنا رسول بنتك يعني الجارية تقول لك ان أمير المؤمنين أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع لي ألف دينار فلم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها عني وأمر لي الفضل بعشرة آلاف درهم * حدث علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى محبوبة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فخلت من قلب المتوكل محلا جللا فدخلت يوما للمنادمة فخرج وهو يضحك فقال يا علي دخلت فرأيت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فسبقتني محبوبة فقالت وأخذت عودها وغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من مناها في السرير تجعفر * سقى الله من سقما ثنايا لك جعفرا
ويا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا

ويامن لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فتقلبت خواطري حتى كانى ما أحسن حرفا من الشعر فقلت للمتوكل أقلنى فقد والله عزب ذهنى عنى فلم يزل يعيرنى به ثم دخلت عليه بعد ذلك للمنادمة فقال يا على أعلمت انى غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت يا سيدى ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا على رأيت البارحة فى النوم كانى صالحت محبوبة فقالت جاريته شاطر يا سيدى لقد سمعت الآن فى مقصورتها هيمنة فقال قم حتى ننظر ما هى فقام حافيا حتى قربنا من مقصورتها فاذا هى تغنى وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * اشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية * ليست لها توبة تخلصنى
فمن شفيع لنا الى ملكى * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح عاد لنا * عاد الى هجره فصار منى

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها فى التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها * حدث أبو على بن الاسكرى المصرى واسكر هى القرية التى ولدبها موسى عليه السلام قال كنت من جلاس تميم بن أبى تميم وممن يخف عليه فاتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا جلاسه ومدت الستارة فأمرها فغنت

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

قال فاحسنت ما شاءت وطرب تميم ومن حضر ثم غنت

ستسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

فطرب تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت

استودع الله فى بغداد لى قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

فأفرط تميم فى الطرب جدا ثم قال لها تمنى ما شئت فلك منالك فقالت أتمنى عافية الامير وسعادته فقال لا بد والله فقالت على الوفاء أتمنى أيها الامير فقال نعم فقالت أتمنى ان أغنى هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقنى بعض خدمه فردنى فلما وقفت بين يديه قال لى ويحك أرأيت ما امتحنا به ولا بد من الوفاء وما أثق فى هذا بغيرك فتأهب لتحملها الى بغداد فاذا غنت هنالك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة فأصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر لى بناقة وبجمل عليه هودج فأدخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتنى السوداء فقالت لى تقول لك سيدتى أين نحن فقلت نحن نزول بالقادسية فأخبرتها فسمعت صوتها قد ارتفع بالغناء

لما نزلنا القادسية حيث مجتمع الرفاق

وشممت من أرض الحجا * نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدى اعيدى بالله فاسمع لها كلمة فلما زلنا الياسرية على خمسة أميال من بغداد فى بساتين متصلة بيت الناس بها ثم يبكرون لبغداد بتنا هنالك فلما قرب الصباح اذا بالسوداء قد أتتنى مذعورة فقالت ان سيدتى ليست بحاضرة ووالله لا أدرى أين هى فطلبتها فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا فقضيت حوائجى ببغداد وانصرفت الى تميم فأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها وأخبار القيان كثيرة فلنقتصر على هذا القدر * ومما جاء فى الواشى ما حكى أن رجلا وشى برجل الى بلال بن أبى بردة فقال للساعى انصرف حتى أكشف عما ذكرت فلما كشف عن الساعى اذا هو لغير رشدة قال أنبانا أبو عمر وما كذبت ولا كذبت حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الساعى لغير رشدة وذكر السعاة عند المأمون فقال لو لم يكن من غيهم الا انهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون عند الله وقال ذو الرياستين قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله وأجازه وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال سماعون للكذب وقال الشاعر

لعمرك ما سب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

ووشى واش بعبد الله بن همام السلولى الى زياد فقال له انه هجاك فقال أجمع بينكما قال نعم فبعث الى ابن همام وأدخل الرجل بيتا فقال زياد ابن همام بلغنى أنك هجوتنى فقال كلا أصلحك الله ما فعلت ولا أنت لذلك بأهل فأخرج الرجل وقال ان هذا أخبرنى فأطرق ابن همام هنيهة ثم أقبل على الرجل فقال

وانت امرؤ إما ائتمنتك خاليا * خفنت وإما قلت قولا بلا علم
فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فاعجب زياد بجوابه وأقصى الواشى ولم يقبل منه قال وأنشد الشاعر

لا تقبلن نميمة من قائل * وتحفظن من الذى أنباكها
ان الذى أنبأك عنه نميمة * سيدب عنك نميمة قد حاكها

* على بن أبى طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى قال يارب انى حيث ذهبت لا انصر ولا أخذل فاوحى الله اليه ان فى عسكرك نماما قال يارب دلنى عليه قال يا موسى أبغض النمام فكيف أنمز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون بين البرآء العيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى فذكر رجلا يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة (قوله والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة) قال السرى فيما يتعلق بالزجاج من النم

رأيتك تبدى للصديق نوافذا * عدولك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحا * ويارب مزح راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بينى وبينك صائنا * عهودك ان العهد للمرء صائن

والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة

وألقاك بالبشر الجميل مداهنا * فلي منك خل ما علمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة * يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال ابن المعتز)

لحى الله امرأ أعطاك سرا * فضيعه وفض الله فاه
فانك كلما استودعت سرا * أنم من الزجاج بما وعاه

(وقال السري)

استودع الله خلا منك أوسعه * ودا ويوسعني غشا وتمويها
كان سري في احشائه لهب * فما يطيق له ضما حواشيها
قد كان صدرك للاسرار جندلة * ضنينة بالذي تخفي نواحيها
فعاد من بث ما استودعت جوهرة * رقيقة تستشف العين ما فيها

(وله أيضا)

ثناني عنك ما استشعرت شرا * خلال فيك لست لها براضي
وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

(قوله وبه جرى المثل في النميمة) يقال أنم من الزجاجة على ما فيها لانه جوهر لا يكتم ما فيه قال الاصبهاني مازال البلغاء يتعاطون وصف هذا الجوهر فعبروا عن مدحه وذمه فأما ذمه فان ابراهيم بن سيار النظام أخرجه في كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سريع الكسر بطيء الجبر وقال في الذهب الذهب لئيم لان الشكل يصير الى شكله وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام وأما سهل بن هرون فكان يوما مجلس احد الملوك وشدا دالحربي يعدد خصال الذهب فقال هو أبقى الجواهر على الدفن وأصبرها على الماء وأقلها نقصا في النار وهو أوزن من كل ذي وزن اذا كان في مقدار شخصه ولو وضعت على ظهر الزئبق في اناء قيراطا من ذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء وسائر الجواهر تطفو فوقه ولو كان الجوهر ذا وزن ثقيل وربح عظيم ولا تشد الاسنان المتقلقلة بغيره ولا يوضع في مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الاميال والهند تمره في العين بلا كحل لصلاح طبعه وعليه مدار التبايع منذ كان التبايع وهو ثمن لكل شئ وهو الزرياب والصفائح التي تكون في سقف الملوك والطبخ في قدوره أغذى وأمرأ وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب فأدرك سهل بن هرون من الغيرة والحسد ما دعاه الى معارضته فقال يذم الذهب ويفضل الزجاج الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وان فضله الذهب بالصلابة فضله الزجاج بالصفاء والزجاج أبقى على الدفن والزجاج نور علوي والذهب مياع سيال ولم تتخذ الناس آنية الشراب أجمع لما يريدون من الشراب منه والشراب فيها أحسن منه في كل معدن ولا يفقد معه وجه التنديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع في السوم وكان سليمان اذا شرب في اناء كلمت في وجهه مردة الجن فعلمه الله تعالى صنعة القوارير فحسم عن نفسه تلك الجراءة ومن كرع فيه فكأنما كرع في اناء من ماء وهواء ونور وقد تقدح النار من كسر قنينة الزجاج اذا كان فيها ماء لان طبع الزجاج والماء والهواء والشمس واحد وليس فيما يدور الفلك عليه أقبل لكل صبغ منه وأجدر أن لا يفارقه حتى كأن ذلك الصبغ جوهرية

وبه يضرب المثل في النميمة فقد جرى عليه سيل يميني ولذلكم السبب لم تمتد اليه يميني شعر
فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته

قول الشارح وبه وبه جرى المثل الذي بايدينا من اصول المتن وبه يضرب الخ فلعلها نسخة وقعت له اه مصححه

فيه وحتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه فان كان الجام ذا لونين أراك الوشي أحسن من وشي صنعاء ومن ديباج تستر واذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا ورد الضياء كل واحد منهما على صاحبه واعتبر واذلك بالشعاع الذى يسقط على المرآة على وجه الماء أو على الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره وان كان سقوطه على عين انسان أعشاه وربما أعماه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّى والزيت فى الزجاجة نور على نور وقال الله تعالى انه صرح ممرد من قوارير وقال تعالى وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة فاشتق اسما للفضة منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحادى بالله يا أنيس ارفق بالقوارير فاشتق للنساء اسما منه وقدوره أطيب طعاما من قدور الحجارة وهى لا تصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء وحتى غسلت عادت جددا واسم الذهب يتطير منه وان سقط عليك قتلك ومن لؤمه سرعته الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام وهو من مصائد الشيطان ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وهو فتان قتال لمن أصابه فلم يبق فى المجلس أحد الا تحير من ذلك وتعجب من بلاغته وحسن بديهته واحتجاجه فى معارضته من غير روية وأيقن أنه ليس دون اللسان حاجز وأنه مخراق يذهب فى كل فن فاذا صح العقل صح تقويم اللسان (قوله القطائف) هى ما يجنى من الثمار يريد بها الحلوى التى حرمهم أكلها و (الرتق) السد والاغلاق وهو ضد الفتق ويقال هو الفاتق الراتق اى هو مالك الامر فهو يفتح ويغلق ويضيق ويوسع ورتق ضم وجمع وامرأة رتقاء لا يصل اليها الرجال وقوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما أى كانتا سماء واحدة وأرضا واحدة فجعلت كل واحدة منهما سبعا وقيل كانتا معا ففتقناهما بالهواء الذى بينهما وقيل فتق السماء بالمطر والارض بالنبات فقال سأسد ما خرقته (قوله التليد) المال القديم و (الطريف) المكتسب (فكاهة) ملح (عذاره) شعر خده شبه بالشوكة التى تقع على خد الفرس وقد عذرت الفرس عذرا وأعذرته بالعذار بمعنى ألجمته وأعذرت اللجام جعلت له عذارا وأنشد ابن رشيق فى معذر

وأسمر اللون عسجدىّ * يكاد يستطر الجهاما
صناق بحمل العذار ذرعا * كالمهر لا يعرف اللجاما
ونكس الرأس اذ رآنى * كآبة واكتسى احتشاما
وظنّ انّ العذار مما * يزيح عن قلبى الغراما
وما درى أنه نبات * أنبت فى قلبى السقاما
وهل ترى عارضاه الا * حمائلا قلدت حساما

(قوله قدما وقذت) اى قديما أمرضت وأوجعت (حمالة الحطب) هى أم جميل بنت حرب عمة معاوية وامرأة أبى لهب وكانت تمشى بالنميمة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقيل بين زوجها وبين النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ذلك للماشى بالنميمة لان الحطب يهيج النار والنميمة تهيج الشر وقيل سميت حمالة الحطب لانها كانت تطرح الشوك للنبى صلى الله عليه وسلم فى طريقه وكانت عوراء وأبو لهب أحول و (القتات) النمام والكذب والنميمة قت

على أن حرمتنى اقتطاف القطائف
فقد بان عذرى فى صنيعى وانى
سارتق فتقى من تليدى وطارفى
على أن ما زودتكم من فكاهة
ألذ من الحلوى لدى كل عارف
(قال الحرث بن همام) فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قدما وقذت النميمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر ثم سألناه عما أحدث جاره القتات

وقت يقت قتا مشى بالنميمة ونم نما ضيع الاحاديث ولم يحفظها وقيل النميمة من قولهم جلود نمت اذا لم تمسك الماء والقتات أيضا المتسمع على من ليس يشعر به وهو القتات والنمام والعساس والهمام والهماز والغماز والمهيم والمورش والممش وقد مأس يمأس (دخله) خاصته العالم بداخل أمره (المفتات) المستبد برأيه المتسور على ما لا ينبغى له (راش) جعل لها ريشا (السعاية) المشى بالنميمة (جذم) قطع (الرعاية) حفظ الصداقة (الاستخذاء) الخضوع (والاستكانة) الذل (ذوو المكانة) أهل الجاه (حرجت) أثمت وضيقت عليها بيمين أكيدة (الاصرار) العزيمة (والصد) الاعراض عنه (يكتئب) يهتم (النجه) الجفاء وتغليظ الكلام (يتئب) يرجع (يلط) يكثر اللزوم بها ويقال الط بالشئ اذا لزمه (ابرامه) ثقله (نفث) نطق وتكلم (الموتور) المظلوم (المبتور) المقطوع بالهم (مدحرة) مدفعة ومبعدة ودحرت الشئ دحورا ودحرا أبعدته ودحرهو بعد (بت) قطع وأمضى وجعله بتاتا وهو مالا رجعة له فيه (الحبور) السرور وحبرته حبرة سررته (الثبور) الهلاك وثبر الله العدو ثبورا أهلكه (يئس) قطع رجاءه (نشر) احيا (المقبور) المدفون (الكفار) الدافنون للموتى (ناشدناه) سألناه وجعلناه (ينشقنار ياها) يشم منارائحتها (أجل) حرف جواب بمعنى نعم (خلق الانسان من عجل) قال أبو على هو على القلب معناه خلق العجل من الانسان قال الزجاج ويدل على ذلك قوله تعالى وخلق الانسان عجولا ومثله وقد بلغنى الكبر أى بلغت الكبر ومثله فاختلط به نبات الارض قال الشماخ كما عضت العلياء بالعود أى العود بالعلياء وقال القطامى* * كما طينت بالفدن السباعا* أى طينت بالسباع وهو الطين بالتبن والفدن القصر وقال ابن مقبل وابتدلت* وقع المحاجن بالمهرية الزفن* أى ابتدلت المهرية بوقع المحاجن ومن جعل العجل الطين فلا قلب فيه وأراد لم يصبروا عن الايات لعجلتهم فى طلبها وقوله (يزويه) أى يقبضه (يخجل) حياء وقد يخجل اذا استحيا (يثنيه) يرده (وجل) خوف (محضته) أى أخلصته (توهمته) حسبته و (الحميم) الخاص من الاخوان و (الحميم) الثانى الماء الحار السخن و (الصديد) الدم المختلط بالقيح (أوليته) ألصقت به (القطيعة) البعد (قال) مبغض (ألفا) صاحبا (ذمام) عهد (بان) تبين (جلفا) جافيا (ذميما) مذموما (كليما) الاول مكلوما والثانى مجروحا وقد أكثر الناس من التشكى بغدر الاخوان وقلة الوفاء منهم على قديم الزمان وحديثه ونسوق منه ما يليق بهذا الموضع* قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى لصديق له هل بلغك شئ تكره ممن لا تعرف قال لا قال فأقل ممن تعرف* الجاحظ قرئ على باب شيخ من أهل الرى جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيرا كأنه اتقى من ثقاته وقال امرؤ القيس بن حجر

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته * وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك جدى ما أصاحب صاحبا * من الناس الا خاننى وتغيرا

(وقال النابغة)

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ولما انحرف ابن الزيات عن ابراهيم بن العباس الصولى تحاماه الناس أن يلقوه وكان الحرث ابن سنجر صديقا له فهجره من ذلك فكتب اليه

الى تبذوى المكانة وكنت
حرجت على نفسى أن لا
يسترجعه أنسى أو يرجع
الى تأسى فلم يكن له منى
سوى الرد والاصرار على
الصد وهو لا يكتئب من
من النجه ولا يتئب من
وقاحة الوجه بل يلط بالوسائل
ويلح فى المسائل فما أنقذنى
من ابرامه ولا أبعد عليه
نيل مرامه الا أبيات نفث
بها الصدر الموتور والخاطر
المبتور فانها كانت مدحرة
لشيطانه ومسجنة له فى
أوطانه وعند انتشارها
بت طلاق الحبور ودعا
بالويل والثبور ويئس من
نشر وصلى المقبور كما يئس
الكفار من أصحاب القبور
فناشدناه أن ينشدنا اياها
وينشقنار ياها فقال أجل
خلق الانسان من عجل ثم
أنشد لا يزويه يخجل ولا
يثنيه وجل
وندم محضته صدق ودى
اذ توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال
حين ألفيته صديدا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا
ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخيرته كليما فأمسى
منه قلبى بما جناه كليما

(غدر الاخوان وقلة الوفاء)

تغير لى فيمن تغير حارث * وكم من خليل غيرته الحوادث
أحارث ان أشركت فيك فطالما * نعمنا وما بيني وبينك ثالث

وكتب لابن الزيات

أخي بيني وبين الدهر صاحب أيناغلبا
صديقي ما استقام فان * نبا دهر على نبا
وثبت على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد أخا به حدبا

وكتب اليه أيضا

وكنت أخي باخاء الزمان * فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اليك ألوم الزمان * فأصبحت فيك ألوم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات * فأصبحت أطلب منك الامانا

(وقال أبو فراس)

اقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى ان المتارك محسن * وأن خليلا لا يضر وصول
تصرفت أحوال الرجال فلم يكن * الى غير شاك في الزمان وصول
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل

(وله أيضا)

اذا الخل لم يهجرك الا ملالة * فليس له الا الفراق عتاب
اذا لم أجد من خلة ما أريده * فعندي لاخرى عزمة وركاب
بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

(وقال الخباز البلوي)

ألا ان اخواني الذين عهدتهم * أفاعي رمال لا تقصر في اللسع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم * نزلت بواد منهم غير ذي زرع

(ولابن هرون القرطبي)

ذهب الوفاء فلا وفاء يرتجى * تلقى الصديق من الوفاء عريانا
يعطيك ودا صادقا بلسانه * ويجن تحت ضلوعه ألوانا

(وقال المعري)

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري * لما طلعت مخافة أن تكادا
تجنبت الانام فلا أواخي * وغبت عن الانام فلا أعادا
فأي الناس أجعله صديقا * وأي الارض أسكنها ارتيادا
وليس صبا يعاد وراء شيب * بأعوز من أخي ثقة يعادى

وله أيضا والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(وكتب المعتصم صاحب المرية الى ابن عمار)

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولاقلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى المصائب

(وقال البحترى)

أما العداة فقد أروك نفوسهم * فاقصد بسوء ظنونك الاخوانا

(وقال أيضا)

أما العدو فيبدى * ماعنده ويكاشف * لكن توق وحاذر * من الصديق الملاطف

وقال منصور بن اسمعيل التميمى الفقيه قال ابن رشيق

لو قيل لى خذ أمانا * من حادثات الزمان
لما أخذت أمانا * الا من الاخوان

وهذا الباب لايحصى كثرة (قوله تظنيته) أى حسبته وأبدل من احدى نونيه ياء (لعينا رجيما) شيطانا مبعدا مرجوما بالنجوم وقيل الرجيم المرجوم أى المشتوم المسبوب من قوله سبحانه وتعالى لئن لم تنته لارجمنك أى لاسبنك وقيل الرجيم الملعون وهو مذهب أهل التفسير فمعنى اللعين والرجيم واحد (تراءيته) ظننته من تراءى لى الشئ ظهر بعض الظهور (مريدا) محبا (جلى) كشف (سبكى) تجريبى (مريدا) كثير الشر خبيثا (لئيما) وضيع القدر خسيس الهمة (توسمت) ظننت وتوسمت فيه الخير أى رأيت فيه سمته أى علامته (والنسيم) الريح اللينة (والسموم) الحارة (لسعه) ضره (سليم) الاول ملدوغ والثانى سالم (ورائع) الاول حسن المنظر والثانى مفزع (بلوته) جربته (عديما) غير موجود (يلفى) يوجد (هوى) حب (رقيبا) حافظا (يشى) ينم (فاه) نطق (قوله بغض الصبح) هو من المثل الليل أخفى للويل وقالوا أنم من الصبح لانه يهتك حجاب الظلام وقال بعض الحكماء لابنه اجعل نظرك فى العلم ليلا لان القلب فى النهار كالطائر وهو فى الليل ساكن فما ألقيت فيه من شئ وعاه فاما أكثر الشعراء فهم الى الليل أفزع ومن النهار أنزع لان الليل أجمع لشتات الهموم والفكر وأجلب لشوارد الاحزان والذكر قال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلى

(وقال النابغة)

وصدر أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(وقال قيس بن ذريح)

نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل أدنتنى اليك المضاجع

(وقال الطرماح بن حكيم)

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بهم وما الاصباح فيك بأروح
بلى ان للعينين فى الصبح راحة * لطرحهما طرفيهما كل مطرح

وتظنيته معينا رحيما
فتبينته لعينا رجيما
وتراءيته مريدا الخلى
عنه سبكى له مريدا لئيما
وتوسمت أن يهب نسيما
فأبى أن يهب الا سموما
بت من لسعه الذى أعجز الرا
قى سليما وبات منى سليما
وبدا نهجه غداة افترقنا
مستقيما والجسم منى سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن
كان بالشر رائعا لى خصيما
قلت لما بلوته ليته كا
ن عديما ولم يكن لى نديما
بغض الصبح حين نم الى قلـ
ـبى لان الصباح يلفى نموما
ودعانى الى هوى الليل اذ كا
ن سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشى ولو فاه بالصد
ق أثاما فيما أتاه ولوما
قال فلما سمع رب البيت

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي وأجاد)

كم زورة لك في الاعراب خافية * أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وهذا البيت أميز شعره على كثرة الجيد فيه والبديع فيه انه قابل الشطر الاول بالثاني حرفا بحرف فقابل أزورهم بقوله انثني وسواد الليل بياض الصبح ويشفع لي بيغري بي وحكى ابن جني قال حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال قال لي ابن جيرانة وزير كافور أعلمت اني أحضرت كتبي كلها وجماعة من أهل الادب يطلبون من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا به وكان أكثر من رأيت كتبا قال ابن جني ثم عثرت على الموضع الذي أخذ منه وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ صغير جرى فيه معنى بيت المتنبي كله على جزالة لفظه وحسن تقسيمه وهو *فالشمس نمامة والليل قواد* قال الثعالبي اما أن يكون ألم به فحسنه وزينه فصار أولى به أو عثر على الموضع الذي عثر عليه ابن المعتز فاربى عليه في جودة أخذ أو يكون قد افترع المعنى وابتدعه فلله درّه وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسجه قال ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ولا يستقل الا بانشاد بيتين قبله وهو

عذيري من الايام مدّت صروفها * الى وجه من أهوى يد المسخ والمحو
وأبدت برأسي طالعات أرى بها * سهام أبي يحيى مسددة نحوي
فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه * بان عني أولو الوجوه الصباح

(وقال المتنبي)

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب
وقالك أذى الاعداء تسري اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية هم الثنوية وهم الذين يقولون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بان وجد الخير في الظلام حيث ستره من أعدائه ووقاه شرهم وكان عونا على زيارة حبه ووجد الضد في النور وهذا كله يجري في نمط بيت الحريري (قوله قريضه) أي شعره وتقدم السجع (تقريظه وسبعه) المدح والذم ويقال سبعه يسبعه اذا رماه بقبيح من قولهم سبعت الذئب اذا رميته وقيل معنى سبعت قلت له قولا غمه وذعر منه ويقال سبعت الوحش ذعرتها والاسد أفزعته (بوأه) أنزله (مهاد) فراش (صدره) قدمه وأجلسه في صدر وسادته (التكرمة) الوسادة وما يجلس الضيف المكرم عليه * ودخل عمر على سلمان رضي الله عنهما فألقى له وسادة فقال ماهذا يا أبا عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم يدخل عليه

قريضه وسجعه واستملح تقريظه وسبعه بوأه مهاد كرامته وصدره على تكرمته

أخوه المسلم فيلقى اليه وسادة اكراما له واعظاما الا غفر الله تعالى له (قوله استحضر) أمر باحضارها (الغرب) نوع من الخشب كريم (القند) عصارة قصب السكر (والضرب) العسل الابيض (الظنة) التهمة وأراد بالبرىء آنية الغرب وبالمتهم جام الزجاج و (الابرار) الاخيار (صون) حفظ (تولها) تلصق بها (عاد) قوم هود وأراد لا تساو بين هود وهو مؤمن وبين قومه وهم كفار فهم أضداد كالبرىء والمتهم فقد خرج من نوعهم وان كانت جنسية الآدمية والقرابة تجمعهم وكذلك الزجاج والغرب يجتمعان فى الآنية والوعاء ويختلفان فى الاحتواء على ما فيهما بالاخفاء والاظهار وهود هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها من دون الله وكانوا ثلاث عشرة قبيلة باليمن فدعاهم هود الى عبادة الله تعالى فكذبوه وعصوه وكانوا جبابرة أقوياء طول الرجل منهم مائة ذراع وطول أقصرهم ستون ذراعا قال الله تعالى وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة وعظمهم هود عليه الصلاة والسلام وقال لهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون الآية فكان جوابهم ان قالوا من أشد منا قوة وقالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين الآيات واستكبروا ولم يؤمنوا فحبس عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فأوفدوا وفدا يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكنيته أبو سعد وجلهمة بن الخيبرى ولقمان ابن عاد وبعث كل رجل منهم رهط من قومه فلما قربوا من مكة نزلوا على معاوية بن بكر العقيلى وكانوا أخوالا له وصهرا فأنزلهم وأكرمهم شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان له يقال لهما الجرادتان فلما رأى معاوية طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم للبلاء الذى نزل بهم شق عليه ذلك وقال هلك أصهارى وأخوالى والله ما أدرى ما أصنع بهم وانى أستحيى ان آمرهم بالخروج من عندى فيظنون أنه ضاق بى مقامهم عندى فقال شعرا وأعطاه للجرادتين فغنتاهم به وهو

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما
وان الوحش تأتيهم جهارا * فلا تخشى لعاديهم سهاما
وأنتم ههنا فيم اشتهيتم * نهاركم ولياكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فقال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم لما نزل بهم فادخلوا الحرم فاستسقوا فقال مرثد بن سعد والله لا تسقون حتى تطيعوا نبيكم فقال له جلهمة

أبا سعد وانك من قبيل * ذوى كرم وانك من ثمود
أتأمرنا لنترك دين وفد * وزمل آل صد والوفود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد

ثم قال لمعاوية امسك مرثدا عندك لا يدخلن مكة معنا وهو على دين هود فدخلوا مكة وخرج مرثد فأدركهم قبل أن يدعوا فقال اللهم لا تدخلنى فى شىء مما يدعوك به وفد عاد وقيل قال اللهم ان

(ذكر هود عليه السلام وقومه أهل الانتقام)

ثم استحضر عشر صحاف فيها حلواء القند من الغرب فيها والضرب وقال له لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ولا يسع أن يجعل البرىء كذى الظنة وهذه الآنية تنزل منزلة الابرار فى صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق هودا بعاد ثم أمر خادمه بنقلها الى

كان هود صادقا فاسقنا فقد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونودي من السحائب ياقيل اختر لنفسك ولقومك قال لقد اخترت السوداء لانها أكثر السحاب ماء فنودي اخترت رمادا ومددا لا يبقي من عاد أحدا فساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء الى عاد فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فسخرت عليهم سبع ليال ريح صرصر فلم تدع منهم أحدا الا هلك ولما خرجت الريح عليهم قال سبعة منهم تعالوا نقف على شفير الوادي فنردها فجعلت الريح تأخذ الواحد منهم فترميه حتى يدق عنقه فتركتهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم منها الا نسيم يلين البشرة وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض ورجع وفد عاد فنزلوا على معاوية فأتاهم راكب على ناقة في الليلة الثالثة من مصابهم فأخبرهم الخبر فقالوا وأين فارقت هودا فقال بساحل البحر وخير واحين دعوا بمكة لانفسهم فقال لقمان يارب أعطني عمرا فعمره الله عمر سبعة أنسر يأخذ الفرخ اذا خرج من بيضته فيغذيه حتى يموت ثم يأخذ آخر حتى بقي السابع فقال له ابن أخيه مابقي من عمرك قال عمر هذا النسر وهو لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما لم يستطع لبد النهوض مع النسور أيقن لقمان بالموت فاتا جميعا واختار قيل أن يصيبه ما أصاب قومه فاقلعته الريح فقتلته وقال مرثد يارب أعطني برا وصدقا وعمر هود فعمر هائة وخمسين سنة (قوله مثواه) أي منزله (وقال اقرؤا سورة الفتح) أي لان الله سبحانه وتعالى قد فتح عليكم (اندمال القرح) الجرح (جبر) أصلي (ثكلكم) حزنكم على فقدكم الحلواء بسببي (والحلواء) كل طعام عولج بحلاوة وتمد وتقصر (شملكم) عددكم المفترق وفي معنى الآية قال بعضهم

لا تكره المكروه عند نزوله * ان المكاره لم تزل متباينه
كم من يد لا تستقل بشكرها * لله في طي المكاره كامنه

(الآدب) صاحب العرس (الظرف) جودة الرأي * الاصمعي وابن الاعرابي الظريف البليغ الجيد الكلام وقالا الظرف في اللسان واحتجا بقول عمر رضي الله عنه انه اذا كان الرجل ظريفا لم يقطع اي اذا كان بليغا احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد قال الكسائي رحمه الله تعالى وفي الوجه يقال لسان ظريف ووجه ظريف * غيره الظريف الحسن الوجه والهيئة (المهدي) مرسل الهدية و (الظرف) الوعاء (احذف) اقطع بعضه (انهض) تقدم (وثب) بالغ وعجل جوابه (الروض) موضع العشب والانوار (حواؤه) موضعه والحواء أخبية قريب بعضها من بعض (ويفض) يفرق و (أسلف الجريمة) قدم الذنب (نمنم) زين والنمنمة النقش (غيمه) سحابه (انهلت) سالت (الدية) العطية هنا وانظر معنى هذا الشك الطارئ عليه في السابعة والعشرين في قوله يا أخي الحامل ضمني (محافظ) راع للمودة (أستودعكم) أتركم وديعة في يده (خير حافظ) هو الله سبحانه وتعالى يشير لقوله تعالى فالله خير حافظا (استوى عليها) أي ركبها وقال في الدرة الراحلة تقع على الجمل والناقة والهاء فيها للمبالغة كالتي في داهية وراوية وسميت راحلة لانها ترحل أي يشد عليها الرحل فهي فاعلة بمعنى مفعولة كما جاء في التنزيل عيشة راضية بمعنى مرضية ولا عاصم اليوم من أمر الله أي لا معصوم ومن ماء دافق أي مدفوق وحرما آمنا أي مأمونا كما جاء مفعول بمعنى فاعل في قوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وكان وعده مأتيا أي آتيا

مثواه ليحكم فيها بما يهواه فاقبل علينا أبو زيد وقال اقرؤا سورة الفتح وأبشروا باندمال القرح فقد جبر الله ثكلكم وسنى أكلكم وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ولما هم بالانصراف مال الى استهداء الصحاف فقال للآدب ان من دلائل الظرف سماحة المهدي بالظرف فقال كلاهما لك والغلام فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم اقتادنا أبو زيد الى حوائه وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الاواني بيده ويفض عددها على عدده ثم قال لست أدري أأشكو ذلك النمام أم أشكر وأتناسى فعلته التي فعلها أم أذكر فانه وان كان أسلف الجريمة ونمنم النميمة فمن غيمه انهلت هذه الدية وبسيفه انحازت لي هذه الغنيمة وقد خطر ببالي أن أرجع الى أشبالي وأقنع بما تسنى لي وأن لا أتعب نفسي ولا أجالي وأنا أودعكم وداع محافظ وأستودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته

(فى حافرته) فى الطريق الذى جاء منه (لاويا) عاطفا (زافرته) قرابته (وخدت) أسرعت (عنسه) ناقته الصلبة ومنه عنست المرأة اذا طال مكثها لا تتزوج (زايلنا) فارقنا (دست) مجلس (صدره) أعيانه (أفل) غاب

راجع فى حافرته ولاويا الى زافرته فغادرنا بعد أن وخدت عنسه وزايلنا أنسه كدست غاب صدره أوليل أفل بدره

(شرح المقامة التاسعة عشرة وهى النصيبية)

(أمحل) أجدب اى لم ينزل فيه مطر (اخلاف الانواء) يريد النجوم التى من عادتها أن تطلع بالمطر واخلفت لم تجئ بمطر (الركبان) أهل الاسفار (ريف) خصب (نصيبين) مدينة ديار ربيعة العظمى وهى مطلة على جبل الجودى الذى استوت سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عليه وهو جبل عال مستطيل *أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فرأيت مدينة أعجبتنى فقلت ياجبريل أى مدينة هذه قال نصيبين فقلت اللهم عجل فتحها قال اليعقوبى هى مدينة عظيمة كثيرة الانهار والجنات والبساتين ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهلها قوم من ربيعة من بنى تغلب افتتحها غنم بن عياض الغنمى فى خلافة عمر رضى الله عنهما سنة ثمان عشرة قال شيخنا ابن جبير مدينة نصيبين شهيرة العتاقة والقدم ظاهرها شباب وباطنها هرم جميلة المنظر متوسطة بين الكبر والصغر أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه وتطرد فى نواحيه وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانعة الثمار وينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار والحدائق تنتظم حافتيه وتنى ظلالها الوارفة عليه فرحم الله أبا نواس حيث يقول

طابت نصيبين لى يوما وطبت لها * يالیت حظى من الدنيا نصيبين

فخار جها رياضى الشمائل اندلسى الخمائل برق نضارة وغضارة ويأتلق عليه رونق الحضارة وداخلها شعث البادية بادية عليه فلا مطمح للبصر اليه لا تجد العين فيه فسحة مجال ولا مسحة جمال وهذا النهر ينساب اليها من عين معينة منبعها بجبل قريب منها تنقسم منها مذانب تخترق بسائطها وعمائرها ويتخلل منه البلد جزء يفترق على شوارعه ويلج فى بعض ديار ويخترق جامعها منه مزاب ينصب فى صهريجين أحدهما وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقى ينفضى الى سقايتين حول الجامع وعلى النهر جسر معقود من صم الحجارة متصل بباب المدينة القبلى وفيها مدرستان ومارستان واحد (قوله وبلهنية أهلها المخصبين) البلهنية رخاء العيش * ونريد أن نصل ما ذكره من خصب نصيبين باشعار مستحسنة فى أوصاف الرياض تقع كالصفة لها قال ابراهيم بن العباس الكاتب

تأمل سماء أظلت علـ * ـك فيها مصابيحها تزهر
وأرضا تقابلها بالغـ * ـرو * س والمرج بينهما جعفر
ومسحب نور غداة الربيـ * ـع بينهما المسك والعنبر
خلال شقائقه أصفر * وأضعاف أصفره أحمر
وللماء مطـ * ـرد بينها * يضيق بوارده المصدر

(المقامة التاسعة عشرة النصيبية)

(روى الحرث بن همام) قال أمحل العراق ذات العوج لاخلاف أنواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها المخصبين

(ذكر مدينة نصيبين)

(ذكر أوصاف الرياض)

يشارفه البر من جانب * ومن جانب بحره الاخضر
مجال وحوش ومرسى سفين * فيا عذب لهو ويا منظر
ويا حسن دنيا ويا عزها * يسوسهم الملك الاكبر

(وأنشد السيرافي)

ومجلس فتيان الى جنب حافة * بقطربل بين الرياض الحدائق
تقاضى مياديناله أحدقت به * مواخرها موصولة بالجواسق
وحف بريحان وكرم معرش * ونهر وأشجار ونخل بواسق
وورد ونسرين وآس وسوسن * أقاطيره محفوفة بالشقائق
تزخرف بالنوار حتى كأنما * به جنة محفوفة بالنمارق

(وقال كشاجم)

وروضة صنف النوار جوهره * فيها فما شئت من حسن ومن طيب
كأن ما تجتنيه من زخارفها * أخلاق مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف * تبكي بدمع من الانواء مسكوب
حتى كأن أقاحين النبات بها * على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالارض محدقة * تحبير ثوب من الموشي منصوب

(ولتميم بن المعتز)

وقاذفة بالماء في وسط جنة * قد التحفت لحنا من الظل سجسجا
اذا انبعثت بالماء ردته منصلا * وعاد عليها ذلك النصل هودجا
تحاول ادراك النجوم بقذفها * كأن لها قلبا على الجو محرجا
لدى روضة جاد السحاب ربوعها * فزخرفها بين الرياض ودبجا
على نرجس غض يلاحظ سوسنا * وآس رطيب ينافي بنفسجا
كأن غصون الاقحوان زمرد * تعمم بالكافور ثم تتوجا
ونوار نسرين كأن نسيمه * من المسك في جو السماء تأرجا

قال البحتري تعرضت لابي قحمة وكان مجنونا ببغداد له بديهة حسنة فقلت له كيف أنت يا أبا قحمة فانشأ يقول

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك نحوي غير ملتفت * متحرفا عن غير منحرف
يا من أطال بهجره تلفي * أسفي عليك أشد من تلفي

فاخرجت قبضة نرجس من كمي فاخذها وشمها مليا وأنشأ يقول

لما تزوجت الجنوب بها طل * جون هتون زبرج دلاح
أضحى يلقحها بوسمي الصبا * فاستثقلت حملا بغير نكاح
حتى اذا حان المخاض تفجرت * فأتت بولدان بلا أرواح
حالي الربيع لها ثيابا وشيت * بيد الندى وأنامل الارواح

من أصفر فى أزهر قد زانه * تبر على ورق من الاوضاح
ركبن فى عقد الزبرجد فاغتدى * نحو الغزالة ناظرا بسلاح

*ويتصل بهذه الحكاية فصل فى ذكر ما يستحسن من أشعار المجانين فان أبا محمد قد ذكر فى هذه المقامة المصابين وذكر المجانين فى غيرها الئلا نخل بما شرطنا قال بعض الادباء كان رجل من أهل الادب قد ذهب عقله بالمحبة فقلت له يا أبا فلان ما حالك وأين النعمة قال تغير قلبى بالحب فتغيرت النعمة ثم بكى وأنشأ يقول

(فصل فى ذكر ما يستحسن من أشعار المجانين)

أرى التجمل شيأ لست أحسنه * وكيف أخفى الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف * الشوق ينحله والهجر يحزنه
وانه حين لا وصل يساعفه * يهوى السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف يندى الهوى من أنت فتنته * وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت أحسنت والله فقال قف قليلا فوالله لا طرحن فى أذنيك أدبا أثقل من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش النعام فوقفت فأنشد

للحب نار على قلبى مضرمة * لم تبلغ النار منها عشر معشار
الماء ينبع منها فى محاجرنا * يا للرجال لماء فاض من نار

وأنشد أيضا

أعاد الصدود وفا أحيا العليلا * وأبدى الجفاء فصبرا جميلا
وأحسب نفسى على ما أرى * ستلقى من الهجر غما طويلا
وأحسب قلبى على ما بدا * سيذهب منى قليلا قليلا

(قال الحسن بن هانئ رأيت مانيا الموسوس فانشدنى)

شعر حى أتالف من لفظ ميت * صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى * كاد عن أعين الحوادث يخفى
لو تأملتنى لتبصر شخصى * لم تبين من المحاسن حرفا

ثم أتيت جعفران الموسوس وهو شيخ كبير من بنى هاشم عليه قطيفة وفى عنقه غل من ذهب فقال من أين جئت يا حسن فقلت من بيت مانويه فقال فى حرأم مانويه وقال لى اكتب

ما غرد الديك ليلا فى تنبهه * الا حثثت اليك السير مجهودا
ولا هدت كل عين لذ راقدها * بنومة فى لذيذ العيش ممهودا
الا استطيت الدجى شوقا اليك ولو * أصبحت فى حلق الاقياد مصفودا
اسعى مخاطرة بالنفس يا أملى * والليل مدرع أثوابه السودا
فلم ترقى ولم ترثى لذى دنف * زودته خرقات القلب تزويدا
هيهات لا غدر فى جن ولا بشر * من الخلائق الا فيك موجودا

ثم قال لى خرق رقعة مانويه فخرقتها ثم مضيت فلقيت غردد المصاب وحوله الصبيان وهو يلطم وجهه ويقول يا أيها الناس الفراق مر المذاق فقلت أبا محمد من أين اقبلت فقال شيعت الحاج اذ كان لى فيهم سكن وقلت فى ذلك

هم رحلوا يوم الخميس غدية * وودعتهم لما استقلوا وودعوا

فلما تولوا ولت النفس فيهم و * فقلت ارجعي قالت الى اين أرجع
الى جسد ما فيه لحم ولا دم * وما هو الا أعظم تتقعقع
وعينان قد أبعاهما الحزن والبكا * وأذن عصت عذالها ليس تسمع

وجعفر ان من مجانين الكوفة أعطاه رجل درهما وقال له قل شعرا على قافية الجيم فقال بديها

عادني الهم فاعتلج * كل هم الى فرج
سل عنك الهموم بالـ * ـكأس والراح تنفرج

(وهو القائل)

ما جعفر لابيه * ولا له بشبيه * أضحى لقوم كثير * وكلهم بدعيه
هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه * والام تضحك منهم * لعلها بأبيه

(وقال مانى)

من الظباء ظباء همها السخب * وحليها الدر والياقوت والذهب
يا حسن ما سرقت عيني وما انتهبت * والعين تسرق أحيانا وتنتهب
اذا يسرقت فالحد يقطعها * والحد فى سرقة بالعين لا يجب

وله أيضا

له وجنات فى بياض وحمرة * فخافاتها بيض وأوساطها حمر
رقاق يجول الماء فيها كأنها * زجاج أجيلت فى جوانبها الخمر

وأشعار المجانين فى هذا الباب أكثر من أن تحصى (قوله اقتعدت مهريا) أى ركبت بعيرا منسوبا الى مهرة قبيلة من قضاعة ابلهم أنجب الابل زعموا أنه كان يلقحها الوحش وهى ابل متوحشة صغار بيض تكون بين عمان والشحر وتزعم العرب أنها ابل الجن لسرعتها فبقيت أنسالها فى بنى مهرة قال أبو عبيدة المهرية من الابل تسير أربعمائة ميل كل يوم ثم نسبت العرب الى مهرة كل بعير نجيب (اعتقلت) حبست والاعتقال أن تحبس الرجل بين ركابك وساقك (تلفظنى) ترمينى (رفع) مرتفع (خفض) منخفض (يجذبنى) يسوقنى لنفسه (نقضا على نقض) هزيل على هزيل وأخذ هذا اللفظ من قول أبى الشيص يصف شدة السير

أكل الرجيف لحومهم ولحومها * فأتوك أنقاضا على أنقاض
ولقد أتتك على الزمان سواخطا * فرجعن عنك وهن عنه رواضى

(وقال حبيب فى معناه)

وركب يساقون الركاب زجاجة * من الصين لم يقصر لها كف قاطب
وقد أكلوا منها الغوارب بالسرى * وضارت لها أشباحهم كالغوارب

(ولحبيب أيضا)

وركب كأمثال الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو كواكبه
على كل رواد الملاط تهدمت * عريكته العلياء وانضم جانبه
رعته الفيافى بعد ما كان حقبة * رعاها وماء المزن ينهل ساكبه
فكم جزع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت أمكنته مذانبه

(قوله أنخت) بركت (مغناها) موضع سكناها (نويت) قصدت (جرانى) صدرى والجران باطن

فاقتعدت مهريا واعتقلت مهريا وسرت تلفظنى أرض الى أرض ويجذبنى رفع من خفض حتى بلغتها نقضا على نقض فلما أنخت بمغناها الخصيب وضربت فى مرعاها بنصيب نويت أن ألقى بها جرانى وأتخذ أهلها جيرانى

عنق البعير يقول لما أخذ نصيبا فى مرعاها أذمر أن يقيم بها ريثما يأتى أرضه المطر (الجماد) التى لا مطر فيها (تتعهد) تتفقد وتزور (العهاد) كثرة المطر * وتمضمضت العين بالنوم اذا خالطها ودب فيها * وتمخضت المرأة اضر بها وجع الولادة وتقول تمخضت المرأة عن زوجها اذا حملت بالولد عنه وتمخضت بولدها اذا تحركت به ودنت ولادتها واذا استعير هذا المعنى لليلة صار تمخضها عن اليوم السابق لها كأن اليوم ألقى فى الليلة ما كان فيه من الحيوان فتحركت به فيريد أنه لم ينقض يومى الذى وردت فيه نصيبين حتى وجدت فيه أبا زيد قبل أن أدخل فى ليلتى ولاجل هذا قال قبل هذا تمضمضت مقلتى بنومها أراد أنه لقيه قبل الليلة التى ينام فيها ولو قال تمخضت بيومها للزم أن يكون اليوم الذى يأتى بعدها كأنها كانت تحمله فتلده اذا طلع صبيحه من حيث انه متصل بها ولو جعلت عن بمعنى الباء لانقلب الى هذا المعنى وانما دل الكلام على صحة المعنى الاول وأصل المخض التحريك ومنه مخضت اللبن مخضا حركته لاخراج زبده ومخضت المرأة وتمخضت تحركت ولدها ليخرج ثم يستعار ذلك للايام وغيرها فأما استعارة حمل الولد فكقول عمرو بن حسان فى النعمان

أجدك هل رأيت أباقبيس * أطال بقاءه النعم الركام
تمخضت المنون له يوم * أتى ولكل حاملة تمام

النعم الركام الابل الكثيرة وصغر قابوس تصغير الترخيم وجعل المنية حاملا باليوم الذى هلك فيه وجعل اليوم ولدها على جهة الاستعارة وقال حبيب فى معناه

حتى اذا مخض الله السنين لها * مخض الحليبة كانت زبدة الحقب

فهذه استعارة من مخض اللبن أراد أن السنين تحركت لهذه البلدة أى كانت تمر عليها فلا تنالها بمكروه حتى وجدها المسلمون كالزبدة فى حسنها ولذتها فأكلوها باستباحة من فيها (قوله ألفيت) أى وجدت (يجول) يتصرف (أرجاء) نواحى (يخبط) يسأل الناس وأصل الخبط نفض ورق الشجر ينفض للابل فيخزن ثم يدق لها فى زمن الشتاء ويبل بالماء فتعلفه ثم يستعار الخبط للمعروف وقال زهير بن أبى سلمى

وليس مانع ذى قربى وذى نسب * يوما ولا معدما من خابط ورقا

يقال خبطت الرجل أى سألته وخبط الرجل بالامر لم يهتد لصوابه والبعير ضرب بيده الارض والشئ ضربته والدابة الارض شدت وطأها والشيطان الانسان صرعه (قوله المصابين) أى المجانين (والمصيبين) الواجدين لما يطلبون والمصيب أيضا المخطئ والمفعول مصاب فيريد أنه يجول فى نواحيها مسرعا كالمجنون أو كالمتيقن بوجود حاجته (الدرر) الجواهر و (الدرر) اللبان أراد أنه يتكلم بكلام حسن فيأخذ به العطايا (قدحى الفذ) أى سهمى المنفرد (توأما) زوجا وأراد أنه كان منفردا فصار بأبى زيد زوجا (انبعث) نهض وتوجه (نفث) نطق (عراه) قصده (امتد مداه) أى طالت مدته (عرقته) أخذت لحمه (مداه) سكاكينه (يسلمه) يتركه و (أبو يحيى) كنية الموت وقد تقدم فى المقامة قبل سهام أبى يحيى مسددة نحوى * أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقى من فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة وقال مرض يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم الصداع والحمى يصيب الانسان وان ذنوبه مثل أحد فما يفارقه حتى لا يدع من ذنوبه وزن خردلة * أنس

الى أن تحيا السنة الجماد وتتعهد أرض قومى العهاد فوالله ما تمضمضت مقلتى بنومها ولا تمخضت ليلتى عن يومها دون ان ألفيت أبا زيد السروجى يجول فى أرجاء نصيبين ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين وهو ينثر من فيه الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدت بها جهادى قد حاز مغنما وقدحى الفذ قد صار توأما ولم أزل أتبع ظله أينما انبعث وألتقط لفظه كلما نفث الى أن عراه مرض امتد مداه وعرقته مداه حتى كاد يسلبه ثوب الحيا ويسلمه الى أبى يحيا فوجدت لفوت لقياه

(ذكر ثواب المرضى)

رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المريض اذا برئ وصح من مرضه كان كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها (قوله سقياه) أى فوائده التى كان يسقيه بها (مرامه) حاجته (فطامه) قطعه عن الرضاع (أرجف) تحدث بالارجاف خوض الناس فى الفتنة وحديثها و(غلق) كف وكان من فعل الجاهلية أن يقول الراهن لمن يمسك رهنه ان لم آتك الى كذا فالرهن لك فان أتاه بالدين بعد الامد قال له قد غلق الرهن وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغلق الرهن له غنمه وعليه غرمه (المخلب) ظفر الطائر الصائد (الحمام) المنون (اثالوا) انصبوا واندفعوا (عقوته) موضعه وأصلها فناء الدار (موجفين) مسرعين (حيارى) جمع حيران والحيرة التردد فى الامر وعدم التهدى له قال الواثق

لابك السقم ولكن كان بى * وبنفسى وبامى وأبى
قيل لى انك صدعت فما * خالطت عيناى حتى دير بى

وقال آخر

أنا مذ خبرت بالعلة والله عليل
ليت حالك بجسمى * ولك العمر الطويل

(يميد) يميل (شجوهم) حزنهم (الخندريس) الخمر (أسالوا العروب) أجروا الدموع والغربة الفيضة من الدمع والجمع غروب (عطوا) شقوا (صكوا) لطموا (نجحوا) جرحوا (يودون) يتمنون (سالمته) تركته وصالحته وأصله الصلح (المنون) المنية (غالت) أهلكت (نفائسهم) كرائم أموالهم *ونذكر هنا من الشعر ما يوافق هذا الموضع* دخل أبو دهمان القيسى يوما على بعض الامراء يعوده فأنشده

بأنفسنا الا بالطوارف والتلد * نقيك الذى تخفى من السقم أو تبدى
بنا معشر العواد ما بك من أذى * فان أشفقوا مما أقول فبى وحدى

ودخل محمد بن عبد الله بن طاهر على المتوكل يعوده فقال

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض
فليت أن الذى يعروه من مرض * بالعائدين جميعا به المرض
ففى الامام لنا من غير عوض * وليس فى غيره منه لنا عوض

(وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر)

أعزز على بأن أراك عليلا * وأن يكون لك السقام نزيلا
لوددت أنى مالك لسلامتى * فأعيرها لك بكرة وأصيلا
فتكون تبقى سالما لسلامتى * وأكون مما قد عراك بديلا
هذا أخ لك يشتكى ما تشتكى * وكذا الخليل اذا أحب خليلا

هذا الشعر على فتوره شرف بمنصب قائله وكان المعتصم أميا لان أباه هرون الرشيد ندبه فى صغره للتعلم فسمعه يوما يقول وقد مرت به جنازة ليتنى مكانك ولا أرى هذا البلاء فقال له لا اندبك الى شئ تمنى الموت من أجله فلهذا لم يكن له علم بالادب كاخويه الامين والمأمون ولابى العباس المبرد

يا عليل أفديك من ألم العلة هل لى الى اللقاء سبيل
ان يحل دونك الحجاب فما يحـ * ـجب عنى منك الضنى والنحول

وانقطاع سقياه ما يجده المبعد عن مرامه والمرضع عند فطامه ثم أرجف بأن رهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد عاق فقلق صحبه لارجاف المرجفين وانثالوا الى عقوته موجفين حيارى يميدهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا أسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود ونجحوا الرؤسا يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا (قال الراوى) وكنت فيمن التف بأصحابه

(ولابى تمام فى مالك بن طوق)

ألبسك الله منه عافية * فى نومك المعترى وفى أرقك
يخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم الفعال من خلقك

(ولابن عبد ربه)

يا من عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسو اثياب ضنى * بل كلنا لك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يد اللضر كاشفة * كشاف ضر نبى الله أيوب

(قوله أغذ) أى أسرع (تصدينا) تعرضنا (الاستنشاء) الاستطلاع (أنبائه) أخباره (برز) خرج (مفترة) ضاحكة (استطلعناه) سألناه أن يطلعنا (ظلع الشيخ فى شكاته) خبر مرضه (كنه) حقيقة (عركة الوعكة) شدة المرضة وعركت الشئ دلكته بيديك وحككته ووعكته الحمى كسرته و (شفه الدنف) أضعفه المرض ونقص جسمه (استشفه) استقصى بقية قوته (ذمائه) قوى نفسه (اغمائه) ذهاب عقله من الضعف (ارجعوا أدراجكم) اى فى الطريق الذى جئتم فيه (انضوا انزعاجكم) اى أزيلوا زعجكم وطيشكم والانزعاج ضد القرار (أعظمنا بشراه) اى وجدنا ما بشرنا به عظيما والبشارة بكسر الباء ما بشرت به والبشارة بضمها ما يعطى على البشارة والبشارة بفتحها الجمال وفلان بشر الوجه اى حسنه وعند أكثرهم ان لفظ بشرته لا يستعمل الا فى الاخبار فى الخير وليس كذلك بل يستعمل فى الخير والشر قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم والعلة فى ذلك أن البشارة انما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها فى بشرة من بشر بها وقد تتغير البشرة للمساءة بالمكروه كما تتغير عند المسرة بالمحبوب الا أنه اذا أطلق لفظها وقع على الخير كما أن النذارة يطلق لفظها فى الشر وهذا ذكره الحريرى فى الدرة قال ابن عزيز البشرى والبشارة أخبار بما يسر وقال تعالى لهم البشرى (اقترحنا) طلبنا واقترحت الشئ فعلته قبل أن يفعل (مؤذنا) معلما (لقى) طريحا (طلقا) فصيحا (محدقين) محلقين وأحدق القوم بالشئ اذا أحاطوا به واحتفوا حوله وحدقوا اى نظروا اليه نظرا شديدا فهم محدقون اليه اى ناظرون والحدقة سواد العين الاعظم و (الاسارير) تكاسير جلد الوجه * أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا فجلس عنده قدر ساعة أعطاه الله تعالى أجر عمل سنة لا يعصيه فيها طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عيادة المريض اذا دخلت عليه أن تضع يدك على رأسه وتقول كيف أصبحت أو كيف أمسيت واذا دخلت عليه تعمدتك الرحمة واذا خرجت من عنده خضتها مقبلا ومدبرا وأومأ بيديه الى حقويه * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد المريض خاض الرحمة فاذا جلس عنده انغمس فيها * أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل على مريض لم يحضر أجله فقال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك الا عوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا عليه فى أجله فان ذلك لا يضره شيأ وهو يطيب نفس المريض نفسوا وسعوا عليه بطول عمره ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان يعوده فقال له لولا ان سرورك ما يتم بان تسلم وأسقم أنا لدعوت ربى أن يصرف ما بك الى ولكن أسأل الله لك أيها الامير العافية ولى فى كنفك النعمة فضحك وأمر له بمال

وأغذ الى بابه فلما انتهينا الى فنائه وتصدينا لاستنشاء أنبائه برز الينا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ فى شكاته وكنه قوى حركاته فقال قد كان فى قبضة المرضة وعركة الوعكة الى أن شفه الدنف واستشفه التلف ثم من الله تعالى بتقوية ذمائه فافاق من اغمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا انزعاجكم فكأن قد غدا وراح وساقاكم الراح فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل مؤذننا ثم خرج آذننا لنا فلقينا منه لقى ولسانا طلقا وجلسنا محدقين بسريره محدقين الى أساريره

فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلادي

(وكتب آخر الى عليل)

نبئت أنك معتل فقلت لهم * نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علته لي غير أن له * أجر العليل وأني غير مأجور

(قوله قلب طرفه) اى حول عينيه ينظرهم (اجتلوا) انظروا ونسب الشعر للساعة لما قيل فيها (عافاني) اى سلمني (تعفيني) تهلكني (من) أنعم (حتف) هلاك (تقضي الاكل) تمامه وآخره (ينسيني) يؤخرني والاصل الهمزة فسهل للشعر (حم) قدر (حميم) صاحب (حمي كليب) هو ابن ربيعة أخو مهلهل الشاعر وخال امرئ القيس وكان أعز الناس في العرب وبلغ من عزه فيهم أنه اتخذ جرو كلب فاذا نزل بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحيث ما بلغ عواؤه لا يرعى أحد عشب ذلك الموضع الا باذنه واذا جلس لا يمر أحد بين يديه اجلالا له ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره ولا توقد نار غير ناره ولا يجير تغلبي ولا بكري رجلا ولا يحمي حمى ولا يغير الا باذنه وكان يحمي الصيد فيقول صيد كذا في جواري فلا يصيب أحد منه شيأ وكان قد حمى حمى لا يطؤه انسان ولا بهيمة فدخل فيه يوما فطارت قنبرة بين يديه من على بيضها فقال لها

يا لك من قنبرة بمعمري * خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

وكانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان وكان لمرة وهو من بني بكر عشرة من الولد منهم الحرث وجساس ونضلة وهمام فجاءت جساسا خالة له اسمها البسوس التي يقال فيها أشأم من البسوس فنزلت عليه ولها ابن وناقة تسمى سراب بنصيل لها فدخل الحمى يوما فوجد بيض القنبرة قد وطئته سراب فكسرته فسأل عنها فأخبر أنها لخالة جساس فقال أو قد بلغ من قدره أن يجير دوني اذني يا غلام ارم ضرعها فخرقه بسهم وقتل فصيلها ثم طرد ابل جساس ونفاها عن المياه عن شبيث والاحص غديرين حتى بلغ غدير الذنائب فجاء جساس فقال نفيت عن المياه مالي حتى كدت تهلكه فقال انا للمياه شاغلون فقال هذا كفعلك بناقة خالتي ورفيلها فقال أو قد ذكرتها أما اني لو وجدتها في غير ابل مرة استحللت تلك الابل لها فعطف عليه جساس فرسه فطعنه فلما أحس الموت قال يا جساس اسقني ماء فقال تجاوزت شبيثا والاحص واحتز رأسه وأمال يديه وجاء فقالت أخته لابيها ان جساسا جاء خارجة ركبتاه قال أبوها والله ما خرجتا الا لامر فلما وصله قال ما وراءك يا بني قال طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا قال قتلت كليبا قال نعم قال وددت انك واخونك متم قبل هذا ما بنا الا أن تتشاءم بنا وائل ثم لقي أخاه نضلة فقال

وانى قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

(فأجابه أخوه نضلة)

فان تك قد جنيت علي حربا * فلا وان ولا رث السلاح

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا أخا كليب وعاهده أن لا يكتمه شيأ فجاءته أمة له وعنده مهلهل

فقلب طرفه في الجماعه ثم قال اجتلوها بنت الساعة
وأنشد
عافاني الله وشكر له
من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه
لابد من حتف سيرديني
ما بتناساني ولكنه
الى تقضي الاكل ينسيني
ان حتم لم يغن حميم ولا
حمي كليب دنه يحميني
وما ابالي أدنا يومه
أم أخر الحين الى حين
فاى خير في حياة أرى
فيها البلايا ثم تبليني
قال فدعونا له بامتداد الاجل

(ذكر حمى كليب)

فأسرت اليه الخبر فقال له مهلهل ما قالت لك أمتك فقال زعمت أن أخي جساسا قتل كليبا فقال است أخيك أضيق من ذلك وتحمل القوم وغدا مهلهل في ثأر أخيه بالخيل واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرة فتكلموا معه في القصاص من جساس واخوته فذهب مرة الى الدية فغضبت تغلب و وقعت في الحرب فدامت بينهم أربعين عاما وكان فيما بينهم خمس وقائع أولها يوم عنيزة وآخرها قتل جساس وذلك أنه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لاخته رحلي جليلة عن مأتمك فان قيامها شماتة بنا وعار علينا فقالت لها اخرجي يا هذه عن مأتمنا فانك شقيقة قاتلنا فلما رحلت قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فلما بلغ ذلك جليلة قالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جدا أختي أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء وجاءت وهي حامل فولدت غلاما وسمته بالهجرس ورباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره فزوجه ابنته فوقع بينه وبين بكري كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى ألحقك بأبيك فامسك عنه ودخل الى أمه فسألها فأخبرته فلما أوى الى فراشه وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفس تنفيسة نفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة فدخلت الى أبيها فأعلمته فقال ثائر ورب الكعبة فلما أصبح أرسل وراء الهجرس فأتاه فقال له انما أنت ولدي ومعي وقد كانت الحرب في أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا الآن فانطلق معي حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا قال نعم ولكن مثلي لا يأتي قومه الا بسلاحه فأتيا جمعا من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما قدموا للعقد أخذ بوسط رمحه وقال وفرسي وأذنيه ورمحي وناصيته وسيفي وغراريه ودرعي وزريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ناظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فيهم وقد قيل في صورة قتل كليب غير ما ذكرنا وحكايات الجاهلية كثيرة الاضطراب وقد نسب شعر القنبرة لطرفة وقال النابغة الجعدي وذكر قتل كليب وحذر به عقالا العقيلي

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأبصر حزما منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم
فقال لجساس أغثني بشربة * تدارك بها منا علي وأنعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو ذو متترسم

الترسم اتباع الماء في قعر البئر يقول اى افتخار في حياة تعرض علي فيها الامتحانات ثم بعد هذه المشقات تردني الى الكبر والشيخوخة فلم أبال أدنا الموت أم تأخر اذا المآل الى الهرم القائد الى الموت وأشار بهذا الى قول النمر بن تولب

يود الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

(والى قول حميد بن ثور)

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

وجاء كفى بالسلامة داء وجاء في أجر البلايا قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ماله خطيئة *أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الهوى والبلاء والشهوة مجبولة بطينة آدم (قوله ارتداد الوجل) اى ازالة الخوف و (اتقاء الابرام) خشية التثقيل قال بعضهم

(ذكر تخفيف العيادة)

اذا ما عدت محموما فخفف * فتخفيف العيادة خير عاده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفوا العيادة وأقلوا الجلوس والتعزية يوم * أبو القاسم الوزير بن عيسى قال أنشدني أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد وقد جئته عائدا وأطال قوم عنده الجلوس فقال لي يا أبا القاسم عيادة ثم ماذا فصرفت من حضر ثم هممت بالانصراف معهم فأمرني بالرجوع ثم أنشدني عن محمد بن الجهم

لا تضجرن مريضا جئت عائده * ان العيادة يوما ثر يومين
وسله عن حاله وادع الاله له * واقعد بقدر فواق بين حلبين
من زار غبا اذا دامت مودته * وكان ذاك صلاحا للخليلين

وقال آخر

عيادة المرء يوم بعد يومين * وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لا تبرمن مريضا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وارتداد الوجل ثم تداعينا الى القيام لاتقاء الابرام فقال كلا بل

مرض يحيى بن خالد فكان اسمعيل بن صبيح اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ثم يخرج ويسأل الحاجب عن منامه وطعامه وشرابه فلما أفاق قال ما عادني الا اسمعيل بن صبيح ودعا له وممن زاد على التخفيف فقطع الزيارة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مرض أخوه محمد بن عبد الله فلم يعده عبيد الله فكتب له محمد

انى وجدت على جفا * تك من فعالك شاهدا
انى اعتللت فما وجد * ت سوى رسولك عائدا
ولو اعتللت فلم أجد * شيأ اليك مساعدا
لاستشعرت عيني الكرى * حتى أعودك راقدا

(فأجابه عبيد الله أخوه)

كحلت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق مذ حممت طعم الرقاد
يا أخي الحافظ المودة والنا * زل من مقلتي مكان السواد
منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد
لو بأذني سمعت منك أنينا * لتفرى من الانين فؤادي

ومرض حماد عجرد فعاده أصحابه الا مطيع بن اياس وكان خاصا به فكتب اليه يقول

كفاك عيادتي من كان يرجو * ثواب الله في صلة المريض
فان تحدث لك الايام سقما * يحول جريضه دون القريض
يكن طول التأوه منك عندي * بمنزلة الطنين من البعوض
فما نفسي عليك تذوب حزنا * وما دمعي عليك بمستفيض

(ولمحمد بن عبد الله في محبوب له مرض)

ألبسك الله منه عافية * تغنيك عن دعوتي وعن جلدك
سقمك ذا العلة عرضت * بل سقم عينيك دب في جسدك

فيا مريض الحفون أحي فتى * قتلته بالجفون لا بيدك

(وقال آخر في محبوب له تركت الحمى عليه أثرا)

يا أملي كيف أنت من ألمك * وكيف ما تشتكيه من سقمك

هذان يومان لي أعدهما * مذ لم تلح لي بروق مبتسمك

حسدت حمالك حين قبل لنا * بانها قبلتك فوق فمك

(وقال العباس بن الاحنف)

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * وهي الصحيحة والمريض العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد

(قوله البثوا) اى أقيموا (بياض يومكم) اى طوله و بياض النهار ضوءه (مناجاتكم) محادثتكم (مغناطيس) حجر يجلب الحديد تقول له العامة حجر المس (تحرينا) اى قصدنا (محامينا) تباعدنا (تمخض زبده) تحرك وتجمع فوائده وكنى بالزبد وهو جمع زبدة عن خيار الكلام (تلغى زبده) تترك مالا خير فيه وزبد الماء ما يعلوه من الرغوة (المقيل) النوم في وقت القائلة (حامى الوديقة) شديد الحر (يانع الحديقة) ناعم الروضة والحديقة كل بستان محلق بحائط أو زرب (راود) طالب (الآماق) العيون وأصله طرف العين من جهة الانف (والخطب) من يخطب المرأة و (القيلولة) الرقاد في القائلة و (الآثار) الاحاديث (قلنا وقال) يقال قال يقيل قيلولة ومقيلا نام نصف النهار * أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من ضبطهن ضبط الصوم من تسحر وقال وشرب بعد ما يا كل وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيلوا فان الشياطين لا تقيل ودخل العباس على ابنه وهو مضطجع فضربه برجله وقال قم لا نامت عيناك تنام في ساعة يقسم فيها الرزق وانما النوم على احدى خصال خرق أو حمق أو خلق فنومة الحمق بعد العصر لا ينامها الا سكران أو شيطان ونومة الخرق نومة الصبح ونومة الخلق نصف النهار ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا بقيلولة النهار على قيام الليل وبالسحور على صيام النهار (قوله السنة) النوم (الهجود) الرقاد (باخ) سكن حره (تحمحمنا) اى تحركنا (ملقى الرحال) موضعها (شبله) ولده (شاكلته) طريقته (شكله) مثله وتكون الشاكلة والشكل واحدا وجمع الشكل أشكال وشكول (اخال) أحسب * وكنى الجوع أبا عمرة لانه يعمر كل جوف قيل لمدنى أتعرف أبا عمرة قال كيف لا أعرفه وقد تربع في كبدى وقال الراجز

حل أبو عمرة وسط حجرتي * وحل نسيج العنكبوت برمتي

(أضرم) أوقد * وكنى الخوان وهو المائدة أبا جامع للاجتماع حوله للاكل (وأردفه) جئ به خلفه * وكنى الحوارى وهو الدرمك أبا نعيم لان خبزه أنعم الاخباز وأصفاها (الضيم) الذل وجعله صابرا على كل ذل لانه لا يصل من صورة البر الى الخبز الا بعد علاج شديد وتغيير له من حال الى حال * وفسر معنى أبى حبيب بقوله المحبب الى كل لبيب وقوله المقلب بين احراق وتعذيب يريد أن ما ولى من الجذى النار وقت شيه احترق ومالم يلها أدركه حرها فأنضجه وأسال ودكه فذلك تعذيبه (أهب) ادع به وصح به * وكنى الخل أبا ثقيف لانه يثقف الطعام

البثوا بياض يومكم عندى
لتشفوا بالمفاكهة وجدى
فان مناجاتكم قوت نفسى
ومغناطيس أنسى فتحرينا
مرضاته وتحامينا معاصاته
وأقبلنا على الحديث نمخض
زبده ونلغى زبده الى أن
حان وقت المقيل وكلت
الالسن من القال والقيل
وكان يوما حامى الوديقة
يانع الحديقة فقال ان
النعاس قد أمال الاعناق
وراود الآماق وهو خصم
ألد وخطب لا يرد فصلوا
حبله بالقيلولة واقتدوا
فيه بالآثار المنقولة (قال
الراوى) فاتبعنا ما قال
وقلنا وقال فضرب الله على
الاذان وأفرغ السنة
فى الاجفان حتى خرجنا
من حكم الوجود وصرفنا
بالهجود عن السجود فما
استيقظنا الا والحر قد باخ
واليوم قد شاخ فتكرعنا
لسلاة العجاوين وأدينا
ما حل من الدين ثم تحمحمنا
للارتحال الى ملقى الرحال
فالتفت أبو زيد الى شبله
وكان على شاكلته وشكله
وقال انى لاخال أبا عمرة قد
أضرم فى أحشائهم الجمرة
فاستدع أبا جامع فانه بشرى
كل جائع وأردفه بأبى نعيم
الصابر على كل ضيم ثم

عز زبابى حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب وأهب بأبى ثقيف فجذاه

اى يحدّقه فطيب للآكل (أليف) صاحب وانما قال حبذا هو من صاحب لقوله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل * وكنى الملح أباعون لانه يستعان به على أكل الطعام وطعام بلا ملح لا يؤكل وقد أشار الى هذا بقوله (فما مثله من عون) * وكنى البقل أبا جميل لانه يحسن بحضرته الادام ويزينه أو لانه يذهب بالجميل وهو ودك اللعم فيخف للآكل وقوله (لجمل أى تجميل) أليق بالتفسير الاول ولا يمتنع من الثانى وحدث وائلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحضروا موائدكم البقل فانه مطردة للشيطان مع تسمية الله تعالى * أبو الفضل ابن مالك يعجبنى البقل على المائدة فاذا رأيت السكباج نسيت البقل السكباج لحم بحمل والسك بالفارسية الخل والباج اللحم * وسمى السكباج بأم القرى لانه من أجل أطعمتهم وأم الشئ معظمه وجليله ومنه أم القرآن الحمد لله وأم القرى لمكة المشرفة وأم الشئ أجله والقرى طعام الضيف فكأنه قال يحمل بطعام فاضل يقدم للضيف و(كسرى) ملك الفرس وجعلها تذكر به لانه أول من صنعت له فاستعملها وأمر باجادة الصنعة فى طبخها وقيل ان غيره طبخها واستعملها فى زمن كسرى فنسبت اليه * وكنى الحوذانة بأم الفرج وهى خبزة توضع فى التنور ويعلق عليها طير أو لحم فيسيل ودكه فيها ما دامت تطبخ فتفرج عنك هم الادام فلا تحتاج اليه فهى خبز بادامه (افتك بها ولا حرج) أى كلها ولا اثم عليك وان كان اللفظ يعطيك معنى آخر فالمراد به هذا * وكنى الخبيص أبا رزين لفضله فى الطعام وشرفه ورجحان ثمنه وجعله آخر ما يؤكل والرزين من الرجال الكثير الوقار وقرن به الفالوذج لانه نوع منه قال بعض الفضلية الحلواء مثل الملك يدخل بيتا فيه قوم جلوس ليس فيه متسع لاحد فاذا انظروا الى الملك تضايقوا وأوسعوا له وكان عبد الله بن جدعان سيدا شريفا فى قريش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأله عنه فقيل له هو الفالوذج قال وما هو قيل لباب البر مع العسل النحل فقال ابغوا لى غلاما يصنعه فأتوه به فاتبعه وقدم مكة فصنع له بها الفالوذج فوضع الموائد بالابطح الى باب المسجد ثم نادى ألا من أراد الفالوذج فليحضر فكان فيمن حضر أمية بن أبى الصلت وكان يمتدحه كثيرا فقال فيه

لكل قبيلة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هادى
له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى
الى ردح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد

ولباب البر خالص القمح ويسمى النشا يلبك يخلط والشهاد العسل والفالوذج الذى رأيت بسجلماسة هو العسل والسمن يوضعان على النار ثم يعقدان بالنشا ثم يلون الكل بالزعفران فيجئ متعقق الحمرة فيقطع قطعا على قدر أكبر التمر وفى شكله ويؤتى به فى الاعراس بعد الشواء ويؤتى بالخبيص آخرا وخبيصهم فى غاية البياض ليس كخبيص الاندلس ويقرص قرصا على قدر صغار الجبن فمن رآها على بعد لم يشك أنها جبن ويعد رجال المائدة ويؤتى بطبق كبير فيوضع بين أيديهم وأمام كل رجل قرصته فلا يكاد يكملها بالاكل لافراط حلاوتها وأكثر أطعمة أهل القبلة مستملاة من أطعمة أهل المشرق وكذا أكثر أحوالهم من مبانيهم وأشكال ديارهم وسطوحها واستعمال الابل فى السواقى والطواحين ودق النوى لعلفها نعم وعلى ان البربرية

من أليف وهلم بابى عون فما مثله من عون ولو استحضرت أبا جميل لجمل أى تجميل وحيهل بأم القرى المذكرة بكسرى ولا تتناس أم جابر فكم لها من ذاكر ونادأم الفرج ثم افتك بها ولا حرج واختم بابى رزين فهو مسلاة كل حزين وان تقرن به أبا العلاء تمح اسمك من البخلاء

غالبة على ألسنة أهل القبلة فهم يستعملون كثيرا من ألفاظ أهل العراق يقولون لفرق الناس الشماسك وكذا تسمية أهل سجلماسة ويسمون البرادة التي لشرب الماء بوقالا وكذا تسمية أهل سجلماسة وجمع البوقال بواقيل قال الحسن بن هانئ

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * اذ قيل لي انما التمساح في النيل

فمن رأى النيل رأى العين من كثب * فلا أرى النيل الا في البواقيل

وكان رأى التمساح أخذ رجلا فهجا النيل والبرادة عندهم آنية من صفر فيها مخاطيف تعلق فيها البواقيل وترفع للهواء فيبرد فيها الماء (قوله المرجفين) الطست والابريق لان لهما عند أخذهما صوتا ينقر أحدهما في الآخر فكان ذلك الصوت يرجف أي يخبر بتمام الطعام والحث على القيام * أبو بكر الصفار حضر مجنون بالكوفة طعام قوم فجلس يا كل فجعل الغلام يحرك الطشت والابريق فقال من هذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا * بينما طفيلي يأكل مع صوت دق الاشنان فامتنع من الاكل فقيل له ألا تأكل قال حتى يسكن هذا الارجاف الذي أسمع * وقيل لطفيلي مم اصفر وجهك قال من فترة بين قصعتين مخافة أن تكون قد فنيت (استقلال) ارتفاع (حول البين) أي ابل الفراق ويريد بها الموائد لانها اذا ارتفعت تفرق أهل المجلس فيقول اياك أن تقرب هما قبل أن ترتفع الموائد فيتهيأ الناس للغسل والانصراف فان غسلت الايدي والموائد باقية توهم ان ثم طعاما يستأنف أكله (نزع) زال وتنحى (المراس) غسل الايدي ودلك بعضها ببعض (صافحوا) باشروا والغسول قد تقدم في السابعة (أطف) اجعله يطوف وقد بين لما كناه ابا السرو أنه من فعل السري من الرجال و (عنوان السرو) دليل المروءة (قوله فقه) أي فهم (لطائف) دقائق (رموزه) اشارته الخفية والرمز الاشارة بالشفتين أو العينين (آذنت) اعلمت (أجمعنا) عزمنا (البديع) العجيب (قطريرا) مظلما ورجل قطرير شديد العبوس واقطر القوم اشتدوا (الصبح والمسى) اسمان لوقت زوال الظلام والضياء (مستنيرا) كثير الضوء (النوب) النوازل (فرجة) راحة (تجلو الكرب) تزيل الهموم وأنشدوا في هذا المعنى

لا تضيقن في الامور فقد تكـ * ـشف غماؤها بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

كذا أنشدوه فرجة بالفتح والفرجة بالضم في الحائط وشبهه وبالفتح في الامر وانظر هذا البيت في الاربعين في أخبار عمرو بن العلاء (سموم) ريح حارة (نسيما) ريحا لينة (تنشى) ابتدأ وظهر (اضمحل) زال (سكب) أمطر (خطب) أمر شديد (لهب النار) اشتعالها بغير دخان وفي هذا المعنى قال أبو نواس

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه

فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك ان تكفى الذي تخشاه

(وقال أيضا)

حسن الظن بمن قد عودك * كل احسان وقوى أودك

ان ربا كان يكفيك الذي * كان بالامس سيكفيك غدك

وإياك واستدناء المرجفين قبل استقلال حول البين واذا نزع القوم عن المراس وصافحوا أبا اياس فاطف عليهم أبا السرو فانه عنوان السرو قال فقهه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييز فطاف علينا بالطيبات والطيب الى ان آذنت الشمس بالمغيب فلما أجمعنا على التوديع قلنا له ألم تر الى هذا اليوم البديع كيف بدا صبحه قطريرا ومسيه مستنيرا فسجد حتى أطال ثم رفع رأسه وقال لا تيأسن عند النوب من فرجة تجلو الكرب فلكم سموم هب ثم جرى نسيما واقلب وسحاب مكروه تنشى فاضمحل وما سكب ودخان خطب خيف منه فاستبان له لهب

(ذكر الفرج بعد الشدة)

(الاسى) الحزن (تفيئته) أى حينه وقال الزبيدى فى الابنية جاء على تفيئة ذلك وتفئته حينه ووقته و (الروح) الرزق والروح السرور والفرح والروح بردنسيم الراحة (اللطائف) جمع لطيفة وهى رفق الله تعالى بعباده واحسانه اليهم واللطيف الرفيق والمحسن وأراد فى البيت ارج فى شدائدك الله فله ألطاف كثيرة لاتحصى بالعدة فبعد العسر يسر وأنشد أبو حاتم فى معنى أبيات المقامة

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب
ووطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منه غوث * يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت * فمقرون بها الفرج القريب

(قال أبو بكر بن الانبارى أنشدنى اسمعيل القاضى)

لاتعتبن على النوائب * فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه * ان الامور لها عواقب
ولكل صافية قذى * ولكل خالصة شوائب
كم فرجة مطوية * لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث تنتظر المصائب

قال القاضى رحمه الله ماعرض لى هم فادح فذكرت تلك الابيات الا رجوت من الله الفرج ثم تأول عاقبة ما أحذره الى فاتحة ما أوثره قال على الكاتب أصبحت يوما مغموما غما لاأعرف سببه فجاءنى رجل بظهر حوار واذا فيه

روح فؤادك بالضحى * ترجع الى روح وطيب
لاتيأسن وان ألح * الدهر من فرج قريب

قال فزال عنى الهم ووجدت طعم الفرج وحكى الاصمعى رحمه الله تعالى قال بت ليلة بالبادية وحيدا مغموما فلما انتهى الليل سمعت قائلا يقول ولم أر شخصه

فرج القضاء بكف من * بقضائه نزل البلاء
واصبر فكل شديدة * لابد يتبعها رخاء

(وقال آخر)

سوف تبلى كل جدته * وستقضى كل مدته
انما الدهر عناء * وعوار مستردته
شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شدته

(وقال اخر)

خف اذا أصبحت ترجو * وارج ان أصبحت خائف
رب مكروه مخوف * فيه لله لطائف

(قوله استملينا) كتبنا (الغر) الحسان (والينا) تابعنا (مغمورين) مغطين (برئه) افاقته

ببره *(تفسير ألفاظ ما تضمنته هذه المقامة من كلمات لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية)* (قوله ذات العويم) يعنى به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين (والسمهرية) الرماح وفى تسميتها بذلك قولان أحدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم اسمهرّ الشئ اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح بسوق هجر فنسبت اليهما (وقوله نقضا على نقض) أى مهزولا على مهزول (والجران) باطن العنق وقيل منه يعمل السياط (وقوله فضرب الله على الآذان) أى أنمناومنه قوله عزوجل فضربنا على آذانهم فى الكهف أى أنمناهم وقيل فى تفسيره منعناهم السمع (وقوله تكرعنا الصلاة العجماوين) أى غسلنا أكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء (وقوله هلم) أى قل هلم وهى تأتى بمعنى هات وبمعنى أقبل والافصح أن يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن فى قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمى وللاثنتين هلما وللجمع هلمن (وقوله حيهل) أى عجل وأسرع يقال حيهل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود فى عمر رضى الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وفى حيهل لغات أخر أضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية (فأبو يحيى) كنية الموت و(أبو عمرة) كنية الجوع ويكنى أيضا أبا مالك و(أبو جامع) الخوان و(أبو نعيم) الخبز الحوارى و(أبو حبيب) الجدى و(أبو ثقيف) الخل و(أبو عون) الملح و(أبو جميل) البقل و(أم القرى) السكباج و(أم جابر) الهريسة و(أم الفرج) الجوذاب و(أبو رزين) الجبيص و(أبو العلاء) الفالوذق و(أبو اياس) الغسول و(المرجفان) الطست والابريق و(أبو السرو) البخور *(المقامة العشرون الفارقية)* (حكى الحرث بن همام) قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لايمارون فى المناجاة ولايدرون ماطعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولاظعن عن أليفه وجاره فلما أنخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع فى الغربة واتخذنا ناديا نعتر د طرفى النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن به فى بعض الايام وقد انتظمنا فى سلك الالتئام وقف علينا ذو مقول جزى وجرس جهورى فحيانا تحية نفاث فى العقد

(برّه) احسانه واكرامه و(حيهل) قال ابن الانبارى فيها ست لغات قال عبد الله بن مسعود اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ومعناه أقبلوا على ذكر عمر فتنون هلا وتنصبه على المصدر كأنه قال مر حيابه الثانى تفتح حى وهل وتبنيهما كخمسة عشر الثالث تسكن هاء هلا هذه المشبهة لكثرة الحركات الرابع حيهل بتسكينهما جميعا كبخ بخ الخامس حيهل الى عمر أى هلموا الى ذكره السادس حيهل على عمر أى أقبلوا على ذكره

(شرح المقامة العشرين وهى الفارقية)

(يممت) أى قصدت (ميافارقين) بلدة منها الى نصيبين ثلاثون فرسخا وميافارقين بديار بكر وهى من كور الجزيرة وكان تملكها سيف الدولة وذكرها المتنبى فقال

نجانف عن ذات اليمين كأنما * نحن لميافارقين ونرحم

الفنجديهى سمعت بعض الادباء يقول سميت ميافارقين لان ذا الرمة أو غيره من العشاق لو وصل اليها بالاتفاق وشاهد وجوه أهلها الملاح والعيون السقيمة الصحاح وعاين رشاقة القدود ولباقة الخدود وسواد الطرر وبياض الغرر وسمرة الشفاه اللعس وحمرة الوجنات والجباه الملس لقال لصاحبته ميافارقينى ولاترافقينى فلايجوز التيمم مع وجود الماء ولاحاجة الى الدواء بعد البرء والشفاء (قوله يمارون) أى يجادلون ويخالفون (المناجاة) المحادثة (المداجاة) المساترة بالعداوة (لم يرم) لم يزل يقال مارامنى ولايرمينى أى لم يبرح عنى ولازال ولايقال الا منفيا (وجاره) بلده وأصله الحجر (ظعن) رحل (أليفه) صاحبه (الاكوار) الرحال (الاوكار) البيوت يريد انهم أتموا سفرهم وبلغوا الوطن فتركوا النقلة وأقاموا فى البيوت (تناهينا) نهى بعضنا بعضا (ناديا) مجلسا (نعتمره طرفى النهار) أى نجلس فيه بالغدو والعشى (طرف) غرائب (السلك) خيط النظام و(انتظمنا) اجتمعنا فيه (الالتئام) الاتفاق *يقال لسان جرى مقدم على الكلام (جرس) صوت (جهورى) عال (نفاث) ساحر و(العقد) مايعقدها السحرة وينفثون عليها

بالبصاق (قناص) صائد (النقد) غنم صغار و (اللبيب والاريب) كلاهما بمعنى العاقل (ريعان) أول (أخاباس) صاحب شدة (الحسام القضيب) السيف القاطع (المعرك) موضع القتال وأراد به فروج الابكار (الفتك) سفك الدم وهو أيضا ركوب الرجل ما هم به (كرات) دفعات ورجعات (ضنكا) ضيقا (رحيب) واسع (بارز) قاتل (الاقران) الامثال فى الشدة وغيرها (اثنى) رجع (خضيب) مخضوب يريد أيضا افتضاض الابكار (سما) ارتفع وقام (منيع) أى صعب ممنوع (مهيب) مخوف (يميس) يتبختر (يرتشف) يقبل ويمص ريقهن والترشف المص الكثير و (الغيد) جمع غيداء وهى اللينة المفاصل من النعمة وقيل المائلة العنق فى نعمة (يبتزه) يجرده و (البطش) القوة والتناول الشديد (صليب) قوى شديد (لقى) طريحا (يعافه) يستثقله ويكرهه (تحليل) اذهاب وازالة وتحلل الداء ذهب شيأ فشيأ (أعيا) غلب (صارم) قاطع (البيض) النساء الحسان (المجاب) الذى تجيبه النساء لحاجته منهن و (المجيب) الذى يجبهن لحاجتهن منه (آض) رجع (المنكوس) المردود الى حالته الاولى من الضعف وأشار الى قوله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فرده الى الحالة الاولى وهذا هو النكس فى الخلق والنكس فى المرض أن يمرض ثم يبرأ ثم يمرض والنكس فى السهام ان ينكسر السهم فيجعل فى الجعبة محولا الكسر الى فوق فاذا أدخل الرامى يده فى الجعبة ليأخذ سهما فوجده محولا تركه وأخذ غيره (دواهى المشيب) حوائج الشيخ من الضعف والعلل وغير ذلك * وذكر هنا من الادب ما يليق بالموضع * دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يا مستوغر فقال أجدنى قد لان منى ما كنت أحب أن يشتد واشتد منى ما كنت أحب أن يلين وابيض منى ما كنت أحب أن يسود واسود منى ما كنت أحب ان يبيض ثم أنشأ يقول

سلينى أبئك بآيات الكبر * نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الطعم اذا الزاد حضر * وتركك الحسناء من قبل الظهر
* والناس يلون كما تبلى الشجر *

ثم قال ألا أخبركم بجيد العنب هو ما روى عموده واخضر عوده وتفرق عنقوده ألا أخبركم بجيد الرطب هو ما كبر لحاه وصغر نواه ورق سحاه * وفى الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة وقال ابن أبى معن

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

(قوله مسجى) أى مغطى ووصف فى أول الشعر ذكره بالشدة وفى آخره باللين * وأذكر من الصفتين ما يكون من شرط ماذكر * حكى أبو زياد الكلابى قال كان عندنا أبو الغريب شيخا فتزوج ولم يولم فاجتمعنا على باب خبائه فصحنا أولم ولو ببوع أو بقرد مجذوع قتلتنا من الجوع فاولم فلما عرس غدونا عليه فقلنا

ياليت شعرى عن أبى الغريب * اذبات فى مجاسد وطيب
معانقا للرشا الربيب * أأخمد المحفار فى القليب
* أم كان رخوا يابس القضيب *

قناص للاسد والنقد ثم قال
عندى ياقوم حديث عجيب
فيه اعتبار للبيب الاريب
رأيت فى ريعان عمرى أخا
بأس له حد الحسام القضيب
يقدم فى المعرك اقدام من
يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته
حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا اثنى
عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا
مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودى حين يسموله
نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها
يميس فى برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه
وهو لدى الكل المنى الحبيب
فلم يزل يبتزه دهره
ما فيه من بطش وعود صليب
حتى اصارته الليالى لقى
يعافه من كان منه قريب
قد أعجز الراقى تحليل ما *
به من الداء وأعيا الطبيب
وصارم البيض وصار منه *
من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس فى خلقه
ومن يعش يلق دواهى المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن
يرغب فى تكفين ميت غريب

فصاح يابس القضيب والله ثم أنشا يقول

سقيا لعهد خليل كان يأدم لى * زادى ويذهب عن زوجاتى الغضب
كان الخليل فأضحى قد تخونه * مر الزمان وتطعانى به الثقب
ياصاح أبلغ ذوى الزوجات كلهم * أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب

والقوافى وقعت فى لفظ يعقوب موقوفة وعرا الذنب عروق الذكر وكان أبو البيداء الاعرابى عنينا وكان يتجلد ويقول لقومه زوجونى امرأتين فيقولون أما بى واحدة كفاية فيقول أما لى فلما زوجوه اعرابية وقالوا له ان كفتك والا زوجناك الاخرى فدخل بها وأقام عليها أسبوعا فزاره اخوانه فى اليوم السابع فقالوا له يا أبا البيداء ما كان من أمرك فى اليوم الاول فقال عظيم جدا فقالوا فى اليوم الثانى فقال أعظم وأجل قالوا فى اليوم الثالث قال لا تسألوا فقالت امرأته من وراء الستر

كان أبو البيداء ينزو فى الوهق * حتى اذا ما حل فى بيت أفق
فيه غزال حسن الدل خرق * مارسه حتى اذا ارفض العرق
* تكسر المفتاح وانسد الغلق *

الوهق حبل يفتح فيه عين واسعة تؤخذ بها الدابة والافق الجيد وينزو يمتد ويقصر * تزوج الفرزدق بامرأة من مجاشع فعجز عنها فقال

يالهف نفسى على نعظ جفعت به * حين التقى الركب المحلوق والركب

ما أبعد ما بين حالته هذه وبينها وقد لقيته جارية فنظرها نظرا شديدا فقالت له مالك تنظر فوالله لو كان لى ألف حرماط معت فى واحد قال ولم ياخناء قالت لقبح منظرك وسوء مخبرك فيما أرى فقال لها أما والله لو خبرتنى لغفر مخبرى على منظرى ثم كشف لها وأراها مثل ذراع البكر فكشفت له عن مثل سنام البعير فتسمنها وقال

أدخلت فيها كذراع البكر * مدملج الرأس شديد الاسر
زاد على شبر ونصف شبر * كأنما أولجته فى جمر

* وسمع بشار كلام امرأة فأحبها وأرسل لها ان تواصله وألح عليها فقالت لرسوله أى معنى له فى أولى فيه وهو أعمى لا يرانى فيعرف جمالى وهو قبيح الوجه لاحظ لى فيه فليت شعرى لاى شئ يطلب وصال مثلى فأدنى اليه الرسول كلامها فقال عد اليها فقل لها

ايرى له فضلا على آبارهم * واذا أشط سجدن غير أواب
تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما * نظر المؤذن شك يوم سحاب
وكأن هامة رأسه بطيخة * حملت الى ملك بدجلة جاب

* وعشق امرأة وتردد رسوله اليها حتى أبرمها فشكته الى زوجها فقال أجيبه وعديه الى هنا ففعلت ووجهت له فجاء ولم يعرف زوجها فقال لها ما اسمك بأبى أنت وأمى فقالت أمامة فقال

أمامة قد وصفت لنا بحسن * وانا لا نرالك فالمسينا

فوضعت يده على ايرزوجها وقد أنغظ لحسن حديثها معه ففزع ووثب قائما وقال

على ألية ما عشت حيا * أمسك طائعا الا بعود

ولا أهدى لارض أنت فيها * سلام الله الا من بعيد
طلبت غنيمة فوضعت كفى * على ايرأشد من الحديد
فخير منك من لا خير فيه * وخير من زيارتكم قعودى

فقبض زوجها عليه وقال هممت أن أفضحك فقال كفانى فديتك ما فعلت بى والله لا اعود لمثلها ابدا * سمع الحكم بن عبدل امرأة تمثل بقوله

واعسراحيانا فتشتد عسرتى * فادرك ميسور الغنى ومعى عرضى

فقال لها يا أخية اتعرفين قائل هذا الكلام قالت هو ابن عبدل قال أفتعرفينه عينا فقالت لا والله فقال انا هو والذى أقول

وانغظ أحيانا فينقد جلده * وأعذله جهدى فلا ينفع العذل
وأزداد نغظا حين أسمع جارتى * فاوثقه كى ما يثوب له عقل
وربتما لم ادر ما حيلتى به * اذا هو آذانى وغربه الجهل
فأوفيه فى بطن الجارى وجارتى * مكابرة قرما وان رغم الفعل

فقالت المرأة بئس الجار والله للمغيبة أنت قال إى والله وللتى معها زوجها وابنها واخوها أين قول هذا على اسلامه من قول عنترة على جاهليته

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى * حتى يوارى جارتى مأواها
انى امرؤ سمح الخليقة ماجد * لا اتبع النفس اللجوج هواها

(وقال أبو الرقعمق)

كل يوم انا من فعلى فى امر عجاب * ليس يخلينى من هم وحزن واكتئاب
عينه فى كل من دب على وجه التراب * لم يدع لى ذهبا الا رماه بالذهاب
وابتدى المشؤم ان يعمل فى بيع الثياب * لعنة الله عليه * وبراغيث الكلاب

وللمنجع البصرى فى ضد ما تقدم والمنجع صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة فى الاملاء

لى أير أراحنى الله منه * صار همى به عريضا طويلا
نام اذ زارنى الحبيب عنادا * ولعهدى به ينيك الرسولا
حسبت زورة على لحينى * وانصرفنا وما شفينا غليلا

(وللراشد بن اسحق)

طال ما لاقت كالمنارة تهتز اهتزازا تسمو اليه العيون
رب يوم رفعت فيه ثيابى * فكأنى فى مشيتى مختون
فخنت قوسك الخطوب وأفنت * لك فتون تفنى عليها الفنون
لم يدع منك حادث الدهر الا * جلدة كالرشاء فيها غضون
تتثنى كأنها صولجان * أو كما عرفت من الخط نون

وله أيضا فيه
كأنه حين أطويه وأنشره * سير يلف على دوامه الزيق
وان يقم قلت قناة معنفقة * أو عروة ركبت فى رأس ابريق

وله أيضا فيه
أير ضعيف المتن رث القوى * لو شئت أن أعقده لانعقد

ان يمس كالبقلة فى لينها * فطالما أصبح مثل الوتد

وله أيضا فيه ينام على كف الفتاة وتارة * له حركات ما يحس بها الكف

كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

* الفنجديهى سمعت الحافظ أبا جعفر المروزى يقول مازحت شيخنا نجيب بن ميمون الواسطى يوما وكان شيخا دماثا ظريفا فقلت له أخبرنى هل بقى من سلطان الهوى شئ وهل تقوم للخدمة العكازة الميمونية فقال آه آه ثم أنشد

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف

كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

وأنشد أيضا يقوم فى الليل عند البول منحنيا * كأنه قوس نداف بلا وتر

ولا يقوم اذا نبهته سحرا * كما تقوم أيور الناس فى السحر

ثم بكى بكاء شديدا وذكرنا وعظنا وهذه الابيات المنسوبة لراشد بن اسحق كلها من قصائد له مطولة فى هذا الفن وأكثر شعره فيه وله فيه شعر كثير ومنه انتزع الحريرى قصيدته فى هذه المقامة (قوله أعلن) أى رفع صوته و (النحيب) البكاء وفى بكاء المحب على الحبيب يقول الشاعر وزاد معنى

أتتنى تؤنبنى فى البكاء * فأهلا بها وبتأنيبها

تقول وفى قولها حكمة * أتبكى بعين ترانى بها

فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت البكاء بتأديبها

(قوله رقأت) أى انقطعت (انفشات) انكسرت وسكنت (لوعته) حرقته (النجعة) المرعى (الرواد) الطالبون لها (بهتان) باطل (عيان) معاينة (قوله فى عصاى سير) مثل يضرب لمن ليس عنده منفعة ولا له قوة والسير الشراك يدخل فى ثقب فى رأس العصا ويعقد منه حلقة يدخل فيها يده التى تمسك العصا فتكون أشد لاعتماده عليها وضربه بها فجعل عصاه عاطلة من سيرها وهو يريد أن لا منفعة عنده وأنشدوا

يالك من همة وخير * لو كان لى فى عصاى سير

صبرا على النائبات صبرا * ما يصنع الله فهو خير

فمن قليل بدا كثير * كم مطر بدؤه مطير

وذكر الجاحظ فوائد العصا فمنها سئل يونس عن قول الله عز وجل ولى فيها مآرب أخرى فقال لست أحيط بجميع مآرب موسى لكنى أذكر جملة تدخل فى باب الحاجة اليها من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ويتوكأ عليها الكبير والسقيم والاقطع والاعرج والخطيب فتنوب للاعرج عن ساق أخرى وللاعمى عن قائد وهى للقصار والدباغ وهى معاد للملة ومحراك للتنور ولدق الجص والسمسم ولخبط الشجر وللشرطى والمكارى وللراعى غنمه وللراكب مركبه وتدفى الحائط وتركزها فتجعلها قبلة وان شئت مظلة وتدخلها فى عروة المزود وطرفها فى يدك والثانى فى يد صاحبك وان كان فيها زج كانت عنزة فان زدت شيأ كانت عكازا فان زدت شيأ كانت مطرادا وان زدت شيأ كانت رمحا وكانت آيات موسى صلوات الله وسلامه عليه فى عصاه وكانت لا تفارق يد سليمان عليه الصلاة والسلام فى مقاماته حتى سلط الله

ثم انه أعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت دمعته وانفشأت لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم الا عن عيان ولو كان فى عصاى سير

عليها الارضة وهو ميت فسقط فكانت للجن آية * وكان الحكم بن عبدل اعرج احدب هجاء خبيث الهجاء وكان الشعراء يقفون بابواب الملوك فلا يؤذن لهم وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها فلا يؤخر له حاجة فقال يحيى بن نوفل

عصا حكم في الباب أول داخل * ونحن على الابواب نقصى ونحجب
وكانت عصى موسى لفرعون آية * وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر امرها * ويرغب في المرضاة منها ويرهب

فضحك الناس منها وشاعت بالكوفة وصارت ضحكة فاجتنب أن يكتب عليها وكان لابن عبدل صديق أعمى يقال له يحيى بن علبة وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة الى منزل بعض اخوانهما وابن عبدل يحمل والاعمى يقاد فلقيهما صاحب العسس فأخذهما وحبسهما فنظر ابن عبدل الى عصا ابن علبة في الحبس الى جانب عصاه فضحك وقال

حبسي وحبسك يا ابن علـ * ـبة من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد * لا الرجل منه ولا البدان
يا من رأى ضب الفلا * ة قعيد موت في مكان
طرفي وطرفك يا ابن علـ * ـبة بيننا متوافقان
من يفتخر بجواده * فجوادنا عكازتان

(وقال أيضا)

أقول ليحيى ليلة السجن سادرا * ونومي به نوم الاسير المقيد
أعني على حفظ النجوم ورعيها * أعنك على تحبير شعر مقصد
ففي حالتينا عبرة وتفكر * وأعجب من ذا حبس أعمى ومقعد
كلانا اذا العكاز فارق كفه * ينيخ سريعا أو على الكف يسجد
فعكازة تهدى الى السبل أهلها * وأخرى مع الرجلين قامت مع اليد

وولى امرة الكوفة أعرج وولى شرطتها أعرج فقصد الامير ابن عبدل وهو أعرج ووجد سائلا أعرج فقال ألق العصا ودع التخامع والتمس * عملا فهذى دولة العرجان
لا مير نا وأمير شرطتنا معا * يا قومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون أميرنا ووزيرنا * وأنا فان الرابع الشيطان

فبعث اليه الامير بمائتي درهم فضة وسأله ان يكف وكثيرا ما تصرف الشعراء في ذكر عصا موسى عليه السلام على أغراضهم فمنها ما يحسن ومنها ما يقبح وقال ابن سارة

ولى عصا من طريق الذم أحمدها * بها أقدم في تاخيرها قدمي
كأنها وهي في كفي أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمي
كأنني قوس رام وهي لي وتر * أرمي عليها سهام الشيب والهرم

(وقال ابو بكر البلوي)

كان يميني حين حاولت بسطها * لتوديع ألفي والهوى يصرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا * وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

قال ابن رشيق كنت أميل الى قينة اسمها ليلى فعشقها بعض خدام الحصون وكان يحسب خدمتها وكنسها منزلة لا يثلم جاه متوليها فنهيته عنها فلم ينته فقلت فيه

ظن أن الحصون ملك سليما * ن وليلى بجهله بلقيسا
وله في العصا مآرب أخرى * حاش لله أن تكون لموسى

(وقال الصاحب)

يبدي اللواط مغالطا وعجانه * أبدا الاغراض الورى يستهدف
فكأنه ثعبان موسى اذ غدا * لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال الصاحب هذا ابن متوية له آية * يبتلع الايروأقصى الخصى
يكفر بالرسل جميعا سوى * موسى بن عمران لاجل العصا

وقال أبو الفرج الاصبهاني في القاضي الاندنجي والتمس منه عكازة فلم يعطها اياه

اسمع حديثي تسمع آية عجبا * لاشئ أعجب منه يبهر القصصا
طلبت عكازة للرجل تحملني * ورمتها عند من يخفي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوى عصا عصب * ولم أكن خلته صبا بكل عصا

ولما قدم قتيبة بن مسلم والياعلى خراسان سقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان فقال يا أهل خراسان ليس كما ظننتم ولكن كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأما قول الشاعر

ويكفيك أن لا يرحل الضيف لائما * عصا العبد والبئر التي لا تهينها

فقال يعقوب البئر هنا حفرة تجعل فيها الملة وتجعل عليها الخبزة والعصا تقلب بها الخبزة على الملة وينفض بها الرماد وقال آخر

اذا جاء ثقاف يجر قناته * طويل العصا نكبته عن شياهنا

فالثقاف الرسول بين المريب والمريبة يأتي كالسائل فاذا وقف ثقف الارض بعصاه فاذا سمعت المرأة ذلك خرجت اليه فابلغها الرسالة فثقفه علامة بينهما وأراد بالشياه النساء (قوله غيمي) أي سحابي (مطير) تصغير مطر أي لو كان لي قوة ومال لاثرت بذلك نفسي (استأثرت) اختصصت (جناح) اثم (يأتمرون) يتشاورون (يتخافتون) يتكلمون سرا (فيما يأتون) أي فيما يفعلون معه (توهم) ظن (صرفه) رده (حرمان) خيبة (برهان) حجة (فرط) سبق (يلامع) جمع يلمع وهو السراب (القاع) منخفض الارض (يرامع) جمع يرمع وهي الحصى البيض وقيل الحجارة الرخوة (البقاع) جمع بقعة وأراد أن لهم ظاهرا وليس لهم خبرة كالسراب يخيل أنه ماء ولا حقيقة له واليرمع تظنه فضة وهو حجر (الارتياء) تدبير الرأي وأصله الهمز لانه من الرأي (استوهبتم) طلبت منكم هبة (بردة) ثوب يلبس (هززتم) حركتم (البيت) الكعبة (اف) خيبة وقد تقدم ان الصخرة والحصاة يكنى بهما عن يد البخيل (ذلاقته) حدة لسانه (رفاه) وصله (والطل والسيل) هنا القليل والكثير (سيبهم) عطاؤهم (وحق) وجب (التأسي) الاقتداء (خلجت) جذبت وأخرجت (الخنصر) الاصغر من الاصابع ويليها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة وتسمى

ولغيمي مطير لاستأثرت بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الذال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح (قال الراوي) فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون فتوهم انهم يتمالؤن على صرفه بحرمان او مطالبته ببرهان ففرط منه ان قال يا ايلا مع القاع ويرامع البقاع ماهذا الارتياء الذي يأباه الحياء حتى كأنكم كافتم مشقة لا شقة او استوهبتم بادة لا بردة او هززتم لكسوة البيت لا لتكفين الميت أف لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم بنيله واحتمل طله خوف سيله (قال الحرث بن همام) وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا بظهري عن طرفي فلما ارضاه القوم بسيبهم وحق على التأسي بهم خلجت خاتمي من خنصري

المسبحة والمشيرة ثم الابهام وقال أبو العلاء المعرى

شغلت عن المرء من خمسه اثنتين فخصهما المفخر
يشار اليك بسبابة * وتثنى على فضلك الخنصر
فمن أجل ذا رفعت هذه * الى خالق الخلق تستغفر
ومن أجل ذا كسبت خاتما * يزين وعريت البنصر

وقال صريع الغوانى يلغز بخاتم

وأبيض أما رأسه فمدور * نقى وأما جسمه فغار
ولم يتخذ الا لتسكن وسطه * خضيبة رأس ما عليه خمار
لها أخوات أربع هن مثلها * ولكنها الصغرى وهن كبار

(لفت) رددت (فريه) كذب (مريه) شك وتقول بين القوم أكذوبة يتكاذبون بها أى أحاديث كذب (تكذبها) استفعلها (أحبولة) آلة يصادبها و (طويته على غره) أى سترت عليه طريقته الملتزمة من الحيل والغر بالنقط كسور الثوب يقال اطو الثوب على غره أى على كسور طيه الاول * جابر قال النبى صلى الله عليه وسلم طى الثوب راحته (صنت) حفظت وكتمت (شغاه) عيبه (فره) كشفه والشغار وزن على اخواتها وخروج الخنك الاعلى على الاسفل (حصبته) رميته والحصباء الحصى الصغار وحصبته رميته بالحصباء فاستعاره للخاتم (أرصده) أعده (واها) عجبا (ما أضرم شعلتك) أى ما أكبر توقد ذهنك والشعلة لسان النار وانما تعجب منه لانه قد عرفه وأعلمه أنه قد عرف مكره حين قال له أرصده ثم ستر عليه وأهل الشرق يختمون ويتصدقون بخواتمهم وفى البديعية بعد تشك تقدم من أبى الفتح قال ابن هشام فوالله ما آنسنى عن وحدتى الا الخاتم ختمت به ضجره فلما تناوله انشأ يقول

وممنطق من نفسه * بقلادة الجوزاء حسنا
متألف من غير أسـ * ـرته على الايام خدنا
كتمت لقى الحبيـ * ـب فضمه شغفا وحزنا
علق سنى قدره * لكن من أهداه أسنى
أقسمت لو كان الورى * فى الجد لفظا كنت معنى

قال فتبعته حتى سفرت الحلوة وجهها فاذا والله أبو الفتح والطلا زغلوله فقلت أبا الفتح شبت وشب الغلام فاين الكلام وأين السلام فقال

غريبا اذا جمعتنا الطريق * الوفا اذا نظمتنا الخيام

(قوله يسعى) أى يسرع المشى (قدما) أى قدامه وقبالته (يهرول) يسرع والهرولة جرى بين المشى والعدو (قدما) أى قديما وأولا ومعناها كما فعل فى أول مرة حين سعى قدما (نزعت) اشتقت (امتحان) تجربة (قرعت) ضربت (طنبوب) مقدم عظم الساق ويقال قرع لهذا الامر طنبوبه اذا أسرع وجد فيه وبينه قول سلامة بن جندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

أى كانت اغاثتنا له اسراعنا فى نصرته (الهبت) اشعلت (الهوبى) شدة جرى و (الغلوة) مقدار

ولفت اليه بصرى فاذا هو شيخنا السروجى بلا فريه ولا مريه فأيقنت انها اكذوبة تكذبها واحبولة نصبها الا انى طويته على غره وصنت شغاه عن فره فحصبته بالخاتم وقلت ارصده لنفقة الخاتم فقال واها لك فما اضرم شعلتك واكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول هرولته قدما فنزعت الى عرفان مبيته وامتحان دعوى حبيته فقرعت ظنبوبى وألهبت ألهوبى حتى ادركته على غلوة

رمية السهم (اجتليته) نظرته (بجمع اردانه) أى بجمع اطراف ثوبه (عقته) صرفته عن وجهه (سنن) طريق (ميدانه) موضع جريه وطلقه (ملجأ) موضع يلجأ اليه (منجا) موضع تنجو فيه (غرموله) ذكره (قاتلك الله) اى قتلك الله واكثر ما يقع فاعلت عن الاثنين وقد يكون عن الواحد نحو ناولت وسافرت وقيل معنى قاتله لعنه وقيل عاداه (النهى) العقول واحدها نهية ومنه نهيته عن كذا فانتهى و (اللها) العطايا واحدها لهوة واصلها القبضة من الطعام تجعل فى فم الرحا (يكذب) يحدث بالكذب (يبرقش) يزين والبرقشة التزيين بألوان شتى (وريت) يقال وريت الخبر او ريه تورية سترته واظهرت غيره وفى الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا ورّى بغيره وهو مأخوذ من الوراء كأنه جعل الخبر وراءه ولم يظهره (راءيت) استعملت الرياء يريد انه صرح لهم بذكر العورة ولم يكنّ عنها (فقهقهوا) اكثروا الضحك * ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب والقهقهة من الشيطان والتبسم من الله (من كيت وكيت) اى من هذه القصة التى اسمعهم وكيت وكيت كناية عن الحديث المدمج المداخل والله اعلم

(شرح المقامة الحادية والعشرين وهى الرازية)

(عنيت) أى شغلت (أحكمت) أتقنت (قبيلى من دبيرى) أى ما أقبل عليه من أمرى وما أدبر عنه * ابن الانبارى ما يعرف قبيلا من دبير أى ما يعرف الاقبال من الادبار أى ما يعرف ما أقبل به من القبل الى الصدر مما أدبر عنه وقيل معناه ما يعرف الشاة المقابلة من المدابرة والمقابلة التى شق أذنها الى قدام والمدابرة التى شق أذنها من مؤخرها وترك ما قطع معلقا الى خلف لا يبين (أصغى) أميل (العظات) هى المواعظ (ألغى) أترك (الكلم) جمع كلمة (المحفظات) المغضبات (أتحلى) أتزين وأتصف (وأتخلى) ازول وأتفرغ وتخليت من كذا تركته (يسم) يجعل سمة (الاخلاق) العيوب وتمزيق العرض وأصله فى الثوب (أخمد) أسكن و (التطبع) له فى الطبيعة أثر وان لم تذهب الطبيعة بالجملة لانه اتفقت العرب والعجم على قولهم الطبع أملك وكان ملك من ملوك الفرس له وزير مجرّب حازم فكان يعرف اليمن فى مشورته فهلك وقام ابنه بعده فلم يرفع به رأسا فذكر له مكانته من أبيه فقال كان أبى يغلط فيه وسأريكم ذلك فاحضره وقال له أيهما أغلب على الرجل الادب أو الطبيعة فقال الطبيعة لانها أصل والادب فرع وكل فرع يرجع الى أصله فدعا الملك بسفرة فوضعت وأقبلت سنانير بايديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال له اعتبر خطأك وضعف مذهبك متى كان أبوه هذه السنانير شماعا فقال له أمهلنى فى الجواب الى الليلة المقبلة فقال لك ذلك فخرج الوزير وأمر غلامه أن يسوق له فأرة فساقها حية فربطها بخيط وعقدها فى سبنية فلما راح الى الملك وضعها فى كمه ودخل فأحضر السفرة والسنانير فالقى لها الوزير الفأرة فاستبقت السنانير اليها وتطايرت الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال للملك كيف رأيت غلبة الطبع للادب قال صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه وقال ذو الاصبع

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

وقال المتنبى

أبى خلق الدنيا حبيبا تذيمه * فما طلبى منها حبيبا تردّه

واجتليته فى خلوة فأخذت بجمع اردانه وعقته عن سنن ميدانه وقلت له والله مالك منى ملجأ ولا منجا اوترينى ميتك المسجى فكشف عن سراويله واشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله فما اعلبك بالنهى واحيلك على اللها ثم عدت الى اصحابى عود الرائد الذى لا يكذب اهله ولا يبرقش قوله فاخبرتهم بالذى رأيت وما وريت ولا راءيت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

(المقامة الحادية والعشرون الرازية)

(حدث الحرث بن همام) قال عنيت مذ أحكمت تدبيرى وعرفت قبيلى من دبيرى بأن أصغى الى العظات وألغى الكلم المحفظات لاتحلى بمحاسن الاخلاق وأتخلى مما يسم بالاخلاق ومازلت آخذ نفسى بهذا الادب وأخمد به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا

وأيسر مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ فى طباعك ضده

(وقال العرجى)

يا أيها المتحلى غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف دينه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

وقال المتنبى أيضا يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وقال الشريف هيهات لا يتكلفن الى الهوى * فضح التطبع شيمة المطبوع

(وقال ابن طاهر الاندلسى)

نقل الطباع من الانسان ممتنع * صعب اذا رامه من ليس من أربه
يريد شيأ وتأباه طبائعه * والطبع أملك للانسان من أدبه

فيريد أنه راض نفسه على اتباع الخير وبعد الشر حتى انقادت له الى ما يريد والتطبع استعمال غير ما فى طبعك والتكلف استعمال ما لا تقدر عليه الا بمشقه (قوله فلما حللت بالرى) الرى أرض على جادة خراسان واسم مدينة الرى المهدية سميت بهذا الاسم لان المهدى تولاها فى خلافة المنصور لما توجه الى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدى وبها ولد الرشيد والمهدى أقام بها عدة سنين فشيد بناءها وأتقنه وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد وأهل الرى اخلاط من العرب والعجم قليل فيها وافتتحها قرظ بن كعب الانصارى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة وبها واد عظيم يأتى من بلاد الديلم يقال له نهر عيسى ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجناته وأشجاره وله رساتيق وأقاليم ونسب اليها الرازى وهو من شاذ النسب وكتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم ما يقيمك بأرض الفراعنة والجبابرة سر الى خراسان أرض الفضة والعقيان والجوارى الحسان وتقدم الحبا و (الغى) الضلال * والعرب تقول ما يعرف الحى من اللى والحو من اللو تقوله لمن تستجهله وتنفى عنه الفطنة وتصريفها ان الحى مصدر حويت الشئ حزته وجمعته ولويت الرجل مطلته ومنعته حقه لوا وليا وليانا فالحى مدح واللى ذم فكأنه اذا قال عرفت الحى من اللى انما قال عرفت الخير من الشر وما يضر مما ينفع وعرفت الحى من اللى وقبيلى من دبيرى انما يستعملان فى النفى وتجوز أبو محمد فى استعمالهما فى الايجاب حيث كان أصلا للنفى (الزمرة) الجماعة وتقول فلان أثر فلان أى خلفه وقريبا منه كأنه يتبع اثره اذا رفع هذا قدمه ووضع الآخر قدمه فى الموضع (منتشرون) متفرقون (مستنون) جارون (متواصفون) يصفه بعضهم لبعض (ابن سمعون) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل بن عيسى بن اسمعيل المعروف بابن سمعون الواعظ وكان وحيد عصره وفريد دهره فى الاخبار عما هجس فى الافكار ولى من الاولياء الاخبار كلامه فى الوعظ نافع ونصحه فى القلوب ناجع ومجاله فى تصاريف الكلام على الخواطر رحب واسع وكان يقال له الشيخ المنطق بالحكمة وحدث أبو الطاهر محمد بن على العلاف قال حضرت ابن سمعون يوما وهو فى مجلس الوعظ على كرسيه وكان أبو الفتح القواس جالسا الى جنب الكرسى فغشيه النعاس فنام فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نومك فقال نعم فقال

فلما حللت بالرى وقد حللت حبا الغى وعرفت الحى من اللى رأيت بعلى ذات بكرة زمرة فى اثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه

أبو الحسن لذلك أمسكت عن الكلام خوفا ان تنزعج وتنقطع عن الكلام الذى كنت فيه
*وذكر أبو على الهاشمى قال حكى لى مولى الطائع لله تعالى قال أمرنى الطائع أن أوجه الى ابن
سمعون فأحضره دار الخلافة ورأيت الطائع على صفة من الغضب وكان يتقى فى تلك الحال لانه
كان ذا حدة فبعثت الى ابن سمعون وأنا مشغول القلب لاجله فلما حضر أعلمت الطائع حضوره
فجلس مجلسه وأذن له فى الدخول فسلم عليه بالخلافة ثم أخذ فى وعظه فأول ما ابتدأ به ان قال
روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وذكر خيرا ولم يزل يجرى فى ميدان الوعظ
حتى بكى الطائع وسمع شهيقه وابتل منديله بين يديه بدموعه فأمسك ابن سمعون حينئذ ودفع الى
درجافيه طيب وغيره فدفعته اليه وانصرف وعدت الى الطائع وقلت يا مولاى رأيتك على صفة
من الغضب على ابن سمعون ثم انتقلت عنها عند حضوره فما السبب فقال رفع الى أنه ينتقص
عليا رضى الله عنه وأحببت أن أتيقن ذلك فان صح منه قتلته فلما حضر بين يدى افتتح كلامه
بذكره والصلاة عليه وأعاد فى ذلك وأبدى وقد كان له مندوحة فى الرواية عن غيره وتركه الابتداء به
فعلمت انه وفق لما تزول به عنه المظنة وتبرأ ساحته عندى ولعله كوشف بذلك وله كتاب المجالس
وهو كله أحاديث متصلة الاسانيد ومن كلامه ان القلب بمنزلة المرآة فاذا أصابتها الطخة عولجت
بالزيت فاذا زادت زيد فيها من حتات الآجر فاذا زادت جليت بالحديد فاذا زادت على ذلك حتى
ركبها الصدأ لم يكن لها بد من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها *توفى ابن سمعون فى ذى القعدة
سنة سبع وثمانين وثلثمائة ودفن بداره بشارع العباسى فلم يزل هنالك حتى نقل يوم الخميس
الحادى عشر من رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد وقيل ان أكفانه
لم تكن بليت بعد (قوله يتكاءدنى) أى يشق على (اقاصى) اباعد (اللاغط) الصائح بكلام
لا يفهم و (الضاغط) الذى اذا زاحمك ضغطك لحائط أو غيره حتى ينقطع نفسك يريد انه لم يمنعه
ما أصابه من السب والصياح به والضغط واللكز من مزاحمة الناس حتى قرب من الواعظ *ويبين
هذا قوله فى الخمسين ولم أزل أتنقل فى المراكز وأغضى للاكز والواكز (أصحبت) انقدت
(المطواعة) المنقادين المطاوعين (والانخراط) دخول الانسان فى الامر بغير علم وتقدم السلك
(أفضينا) وصلنا وأراد ان هذا المجلس جمع العامة والامير ومن له ذكر رفيع وشهرة ومن هو
مجهول مخمول وأراد بالهالة حلقة الناس وبالاهلة أشراف الناس والعلماء وحرك السين من وسط
مع الهالة لانها دارة وساحة والعرب تقول فلان جلس وسط الدار واحتجم وسط الرأس بالتحريك
وسكن مع الاهلة لانه أراد معنى بين والعرب تقول جلس وسط القوم فحملوه على بين لما حل
محلها وكان فى معناها ولا يجوز جلس بين الدار فلهذا لا يقال جلس وسطها بالتسكين (تقوس)
انحنى (اقعنسس) تقبض واحدودب والقعس دخول الظهر وخروج الصدر والحدب ضده
وبينه الراجز بقوله *اقعس يمشى مشية التقاعس * (تقلنس) لبس القلنسوة (تطلس) ليس
الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه الخواص (يصدع) يشق (قوله ما أغرك) ما أكثر اصوقاك
(يغرك) يدلك على الغرر (أضرك) أشد ملازمتك (ألهجك) أشد حبك (يطغيك) يردك طاغيا
متجاوزا قدرك (أبهجك) أشد سرورك (يطريك) يمدحك فى وجهك والنفس ميالة كثيرة
الانخداع بمن يعظم شأنها ويثنى عليها فرارة ممن يحقرها ويذمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم احثوا

فلم يتكاءدنى لاستماع المواعظ
واختيار الواعظ أن أقاصى
اللاغط وأحتمل الضاغط
فاصحبت اصحاب المطواعة
وانخرطت فى سلك الجماعة
حتى أفضينا الى نادى جمع
الامير والمأمور وحشد
النبيه والمغمور وفى وسط
اهالته ووسط أهلته شيخ
قد تقوس واقعنسس وتقلنس
وتطلس وهو يصدع بوعظ
يشفى الصدور ويلين
الصخور فسمعته يقول
وقد افتتنت به العقول ابن
آدم ما أغرك بما يغرك
وأضرك بما يضرك وألهجك
بما يطغيك وأبهجك بمن
يطريك

التراب فى وجوه المداحين تذليلا لهم بذلك حيث اكسبوا غيرهم عزة النفس والكبر قال الشاعر

وخدعته بخديعة لما أبى * والحر يخدع بالكلام الطيب

(تعنى) تشتغل (يعنيك) يتعبك (تنزع) ترمى (تعديك) تظلمك (الحرص) أسوأ الطمع (يرديك) يهلكك * كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتربت الساعة ولا تزداد الناس الا حرصا على الدنيا ولا تزداد منهم الا بعدا وقال محمود الوراق

كم الى كم أنت للحر * ص وللآمال عبد

ليس يجدى الحرص والسعـ * ـى اذا لم يك جد

* ما لما قـــدره الله مـن الامر مرد

تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع فى قوس تعديك وترتدى الحرص الذى يرديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تشبع ولا للعظة تستمع

وفى كتاب للهند لا ينبغى للملتمس من عيشه الا الكفاف الذى يدفع به الحاجة عن نفسه وما سوى ذلك فانما هو زيادة فى غمه وقالت الحكماء أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى وقال أبو ذؤيب

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا تردّ الى قليل تقنع

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه يا بنى اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد وايالك والطمع فانما هو فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ قط الا أغناك الله عنه وقال الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر الى الناس قال ابن أبى حازم رحمه الله تعالى

استعن بالله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى اليأس

واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

ومن دعاء عمر رضى الله عنه اللهم لا تكثر لى من الدنيا فاطغى ولا تقلل لى منها فانسى فانه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقالوا ثمرة القناعة الراحة وثمرة الحرص التعب وقالوا لا غنى الا غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع يا ابن آدم اذا أصبحت آمنا فى سربك معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وقيل لابى حازم ما مالك فقال مالا ان الغنى بما فى يدى واليأس مما فى أيدى الناس وقيل لآخر ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن ومما قيل من الشعر فى معنى ما تقدم قال محمود الوراق

يا عائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى أكبر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر

أنك تعصى الله تبغى الغنى * وليس تعصى الله كى تفتقر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

(وقال البحترى)

اذا ما كان عندى قوت يوم * طرحت الهم عنى يا سعيد

ولم تخطر هموم غد ببالى * لان غداله رزق جديد

(وقال طباطبا)

ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد ضد السرف
كسراج دهنه عمره * فاذا غرقته فيه طفى

وقال آخر

واذا نبابى منزل جاوزته * واعتضت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(قوله ولا بالوعيد ترتدع) أى لا تكف عن غيك ولا ضلالك بما تخوف به من أهوال الآخرة (دأبك) أى عادتك (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه النفس وتميل اليه (تخبط) تمشى على عماية (العشواء) الناقة التى لا تبصر (تدأب) تداوم (الاجتراث) الكسب (التراث) المال الموروث وفى معناه انه وجد على حائط مكتوبا ابن آدم غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا تحل فى قلبك هم يوم لم يأت ان يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك فى طلب المال اسوة المغرورين فرب جامع لبعل حلية واعلم ان تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات قال بديع الزمان

أيا جامع المال من حله * يبيت ويصبح فى ظله
سيؤخذ منك غدا كله * وتسئل من بعد عن كله

وله أيضا

يا حريصا على الغنى * قاعدا بالمراصد
لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصد
ان دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعد هذا فانما * أنت ساع لقاعد

(وقال سابق البربرى)

فحتى متى تلهو بمنزل باطل * كانك فيه ثابت الاصل قاطن
وتجمع مالا تاكل الدهر دائبا * كانك فى الدنيا لغيرك خازن

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان فلانا جمع مالا قال فهل جمع له أياما أخذه الشاعر فقال

ارفه بعيش فتى يغدو على ثقة * ان الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
جمعت مالا فقل لى كيف جمعت له * يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا حين تنفقه

(قوله التكاثر) أى كثرة المال تقول تكاثر المال تكاثرا جاز الحد فى الكثرة * أبو سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم من أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثرا حشر مع اليهود والنصارى والذين قالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (تسعى لغاريك) تجهد فى كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك وهما الغاران وقيل هما الفرج والنهم وقيل الحنكان الاعلى والاسفل وأخذ اللفظ من قول الشاعر

ألم تر ان الدهر يوم وليلة * وان الفتى يسعى لغاريه دائبا

ولا بالوعيد ترتدع دأبك ان تتقلب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمك ان تدأب فى الاجتراث وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغاريك ولا تبالى ألك أم عليك أتظن أن ستترك

(قوله سدى) أى مهمل مسيب (الرشا) بالضم جمع رشوة وهى العطية تدفع بها مضرة من يقدر عليك (الرشا) بالفتح الغزال (كلا) زجر (المنون) هى المنية (المبرور) المتقبل (وعى) حفظ الوصية (ما ادعى) أى ما ادعاه من أنه قبل الوصية (وحققه) داوم عليه بعمله (ارعوى) رجع وتاب (ماسعى) أى ما عمل وتعب فيه (الفائز) الظافر بحاجته (وجل) خائف (زجل) شديد وزجل الصوت زجلا ارتفع وأيضا طرب وقال أبو العتاهية فيما تقدم من ذكر الموت

بين عينى كل حين * علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والـ * ـموت يغدو ويروح

وقال البديع

انما الدنيا غرور * ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعـ * ـظ لواعيه فصيح
نحن لاهون وآجا * ل المنايا لا تريح

(قوله لعمرك) العمر البقاء فاقسم به كأنه قال وحق بقائك الكريم على المحبب الى (المغانى) المنازل الشريفة (المثرى) الكثير المال (الثرى) التراب الندى واثرى صار له كثير من المال كالثرى فى كثرته (ثوى) أقام (جد) تكرم بمالك (تقتنى) تكتسب أى لا تنفع المنازل الرفيعة البناء ولا المال الكثير اذا آل الحال الى الموت (بادر) سابق (صرف) تقلب (الاشغى) المعوج (يغول) يهلك (نابه) ضرسه (الخؤون) الكثير الخيانة (النابه) والنبيه من النباهة وهى الجلالة والرفعة و (الخامل) ضده و (أخنى) أهلك وأخنى على أخذ مالى (ضلة) أى ضلالة و (هوى) سقط (عقابه) الاول جباله والثانى عذابه (تلا) تشتغل (يضاهى) يشابه (الوبل) أكثر المطر (حال مصابه) أى حل وقوعه والمصاب مصدر صاب يصوب صوبا ومصابا (الحمام) الموت (روعة) فزع صاحبه حين يلقاه (صابه) مره والصاب شجر مر (وقصارى) آخر ونهاية كأنه قصر عندها أى جلس فلم يجاوزها (واما) بحبا (التلافى) التدارك لما فات (اغلاق بابه) أى موته * وفى روعة ملقاه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر قال لا تستطيع ذلك قال بلى قال فاعرض عنى ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومن منخريه لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد الى صورته فقال ابراهيم لو لم يكن للفاجر عند موته الا صورتك لكان حسبه * وفى مطعم صابه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال له الله تعالى كيف وجدت الموت ياخليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب قال أما انا هونا عليك وقال لموسى عليه السلام كيف وجدت الموت قال كعصفور يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا يطير فينجو وفى رواية كشاة تسلخ من جلدها وهى حية وقال كعب الاحبار لعمر رضى الله عنهما وقد سأله ان يحدثه عن الموت قال الموت يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ الغصن ما أخذ وأبقى ما أبقى وكان النبى صلى الله عليه وسلم عند موته يقول ان للموت لسكرات اللهم هون على سكرات الموت وقالت عائشة رضى الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيته من موته صلى الله عليه وسلم فهذه حال أحبابه فكيف بمن غمر فى بحار المعاصى اللهم عفوك وشعر

سدى وان لا تحاسب غدا
أم تحسب ان الموت يقبل
الرشا أو يميز بين الاسد والرشا
كلا والله لن يدفع المنون
مال ولا بنون ولا ينفع أهل
القبور سوى العمل المبرور
فطوبى لمن سمع ووعى
وحقق ما ادعى ونهى
النفس عن الهوى وعلم ان
الفائز من ارعوى وان ليس
للانسان الا ماسعى وأن سعيه
سوف يرى ثم أنشد انشاد
وجل بصوت زجل
لعمرك ما تغنى المغانى ولا الغنى
اذا سكن المثرى الثرى وثوابه
فجد فى مراضى الله بالمال
راضيا
بما تقتنى من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه
يغلبه الاشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره
فكم خامل أخنى عليه ونابه
وغاضى هوى النفس الذى
ما أطاعه
أخو ضلة الا هوى من عقابه
حافظ على تقوى الاله وخوفه
لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه
دما يضاهى الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى منزل الحى حفرة
سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله
أبدى التلافى قبل اغلاق بابه

المقامة مزدوج القوافى وعارضه الزاهد بن عمران فقال

مالى وللدنيا وعلمى بها * غرارة خداعة مالى
تغرنى حتى اذا ما كنت * تعبث فى نفسى وفى مالى
همت بها حبا فقد أفسدت * ما كان من صالح أعمالى
أعمى الهوى قلبى وحبى لها * رأس خطاياى وأعمالى
تبكى على الفائت من حظها * عينى بتسكاب واهمالى
يارب زهدنى فى حبها * ولا تؤاخذنى باهمالى

وله فى مثله

ارغب عن الدنيا وأوصافها * مشوبة جاءتك أوصافيه
قل أولى الالباب من فعلها * فاصغ الى نصحى وأوصافيه
ما بالغنى يغتر ذو فطنة * كلا ولا يغتر بالعافيه
كم من غنى قد عاد فقرا وكم * عافية قد أصبحت عافيه

وله أيضا

ما الزهد يا قوم فلا تجهلوا * بلبس أسمال وأخلاق
لكنه لبس ثياب التقى * فى حسن آداب وأخلاق

وله أيضا

خليلى لا يغررك منى ظاهرى * ومهما سالت الله فاسأله لى صفعا
فلو كنت ذا علم كعلمى بباطنى * لاضربت عن ذكرى أيادى النهى صفعا
ولكن أرى الله الجميل بفضله * فلم ينش لى سرا ولم يبد لى صفعا

وقال بعض الزهاد لصاحبه انى أحبك فى الله فقال له لو علمت منى ما أعلم من نفسى لابغضتنى فى الله وله أيضا

تحفظ بدينك لا تبتذله * ولا تلف عرضك عرضا كلما
وعد عن الذنب لا تأتيه * وبادر باصلاح ما منك لما
فأنت ابن عمران موسى المسى * ولست ابن عمران موسى الكليما

وقال غيره

لا تأمن الدهر الخؤ * ون وخف بوادر بغتته
فالموت سهم مرسل * والعمر قدر مسافته

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات والتام الانصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمر وأنشد معرضا بالامير

عجبا لراج أن ينال ولاية
حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدى ويلحم فى المظالم والغا

(قوله عبرة يذرونها) أى دمعة يصبونها (وتعول) تزيد وتضيق يريد بضيق وقتها ويدخل عليها وقت غيرها فترجع صلاتين (خشعت) ذلت (التأم الانصات) اتصل السكوت (استكنت العبرات والعبارات) أى سكن البكاء والكلام (استصرخ مستصرخ) أى استغاث مستغيث (يجأر) يصيح يريد ان رجلا تشكى للامير من عامل له ولاه عليهم فجار فمال الامير مع الوالى وترك المشتكى وقوله (صاغ) أى مائل و (لاه) أى تارك ومشتغل (يئس) قطع رجاءه (روحه) نصرته وعدله الذى يريح المشتكى والروح الفرح والسرور (استنهض) سأله النهوض لينصح الامير *عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا وصلة لاخيه المسلم الى السلطان فى مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام (الشمر) الماضى فى أموره (معرضا) من التعريض وهو ان تخاطب غيره وأنت تريده (نال بغيته) أى أدرك ما طلب (بغى) جار وظلم (يسدى ويلحم) أى يتصرف فى المظالم طولا وعرضا ومقبلا ومدبرا

والسدى خيوط الثوب طولا واللحمة خيوطه عرضا (والغا) شاربا (وردها) ماؤها (مولغا) مسقيا غيره يريد انه يباشر الظلم بنفسه تارة ويوليه غيره أخرى (أوتغ) أفسد وأهلك (ياويحه) قال الازهرى رحمه الله تعالى ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب والفرق بين ويح وويل ان ويح تقال لمن وقع فى بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك خزعت فقال لى ياحميراء ان ويح كلمة رحمة فلا تجزعى منها ولكن اجزعى من الويل (يوقن) يحقق (تحول) تغير (طغى) ارتفع وجاز الحد فى الجور (صغى) مال (افك) كذب (الوشاة) جمع واش وقد تقدم (انقد) أطع يقول من أصبح حاكما فاتبعه وأطع له (تغاض) تغافل (ألغى) ترك (الرعاية) المحافظة للحقوق (لغا) أخطا وقال قبيحا ثم قال ان حملك على الذل فاحتمله وكنى برعى المرار عنه (رد الاجاج) اشرب الماء المر والملح (حمالك السيغا) منعك العذب السهل للشرب (أمضك) أحرقك وصيرك مهموما والمض التوجع من قول أوجرح (مسه) وقعه بجسمك (والغرب) فيض الدمع والغرب الدلو (هذاله) اشارة الى ذل العزل (الالثغ) الاخرس المحبوس اللسان وهو أيضا الذى يبدل الياء والراء غينا (وربها) صاحبها (والفع) ضرب من الكمأة من وطئه كسره لضعفه وهو الفقاع وبه يضرب المثل فيقال أذل من فقع بقرقرة (الشغا) الزيادة (اجتنى) جمع أموال الناس وضبطها لنفسه (اجتنى) اختار يريد انه يطالب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالى الذى اختاره وولاه (احتسى) شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة (ارتغى) شرب الرغوة أى يؤاخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن (يناقش) يبحث عليه ويخرج ما عنده (أبلغ) ازيد (يسيغ) يدرك ويطلب * وذكر هنا فصلا من الآداب يحتوى على الولاية والعزل والتشكى من الولاة حسبما تضمن هذا الموضع فى المقامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستحرصون على الامارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة * أراد عمر رضى الله عنه ان يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب العمل فقال قد كنا أردنا لك ذلك ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه ولقى عمر رضى الله عنه أبا هريرة رضى الله عنه فقال ألا تعمل فقال ما أريد العمل قال قد طلبه من هو خير منك يوسف الصديق عليه السلام قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم * قال المغيرة بن شعبة أحب الامرة لثلاث لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء وأكرهها لثلاث لرعية البريد وذل العزل وشماتة الاعداء وقال أمير لأعرابى قل الحق والا أوجعتك ضربا قال وانت فاعمل به فوالله لما وعدك الله على تركه أعظم مما توعدنى به وذكر أهل السلطان عند اعرابى فقال أما والله ان اعتزوا فى الدنيا بالجور لقد ذلوا فى الآخرة بالعدل ولقد رضوا بقليل فان عوضا من كثير باق وانما تزل القدم حيث لا ينفع الندم * تظلم رجل للمأمون من عامل له فقال له يا أمير المؤمنين ما ترك لنا فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا ماشية الا مشى بها ولا غلة الا غلها ولا ضيعة الا أضاعها ولا علقا الا علقه ولا عرضا الا عرض له ولا جليلا الا أجله ولا دقيقا الا أدقه فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته * قطبة بن حميد انى لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان اخر من دخل عليه وتقدم اليه امرأة وقد هم بالقيام عليها اهبة السفر وثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون

فى وردها طورا وطورا مولغا
ما ان ينالى حين يتبع الهوى
فيها أأصلح دينه أم أوتغا
ياويحه لو كان يوقن أنه
ما حالة الا تحول لما طغى
أولو تبين ما ندامة من صغى
سمعا الى افك الوشاة لما صغى
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه
وتغاض ان ألغى الرعاية أو لغا
وارع المرار اذا دعاك لرعيه
ورد الاجاج اذا حمالك السيغا
واحمل اذاه ولو أمضك مسه
وأسال غرب الدمع منك وأفرغا
فلعل يحكمك الدهر منه اذا نبا
عنه وشب لكيده نار الوغى
ولينزلن به الشبات اذا بدا
متخليا من شغله متفرغا
ولتأوين له اذا ما خده
أضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له ولسوف يوقف موقفا
فيه يرى رب النصاحة ألثغا
ليحشرن أذل من فقع الفلا
يحاسبن على النقيصة والشغا
ويؤاخذن بما اجتنى ومن اجتنى
ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى
يناقشن على الدقائق مثل ما
قد كان يصنع بالورى بل ابلغا
حتى يعض على الولاية كفه
ويود لو لم يسع منها ما بغى

(ذكر الولاية والعزل والتشكى من الولاة)

الى يحيى بن أكثم فقال يحيى وعليك السلام يا أمة الله تكلمى فى حاجتك فقالت

ياخير منتصف يرجى له الرشد * ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد الملك أرملة * عداعليها فلم يترك لها لبد
وابتز منى ضياعى بعد منعتها * ظلما وفرق منى الاهل والولد

فاطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه فقال

فى دون ماقلت زال الصبر والجلد * عنى واقرح منى القلب والكبد
هذا أوان صلاة العصر فانصرفى * وأحضرى الخصم فى الوقت الذى أعد
والمجلس السبت ان ينقض الجلوس لنا * ننصفك منه والا المجلس الاحد

فلما كان يوم الاحد فكانت أول من تقدم اليه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام أين الخصم فقالت واقف على رأسك واشارت الى ابنه العباس فقال يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه معها للخصومة ففعل فجلس فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد يا أمة الله أنت بين يدى أمير المؤمنين وتكلمين الامير فاخفضى من صوتك فقال له المأمون دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه ثم قضى لها برد ضياعها وظلم العباس وأمر لها بنفقة وبكتاب الى عامل بلدها ان يحسن معاونتها * قال أبو العيناء كان عيسى بن فرحان شاه يتيه على فى وزارته فلما صرف رهبنى فلما لقينى سلم على فدنوت منه وقلت له والله لقد كنت أقنع بايمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك والحمد لله على ما آلت اليه حالتك فلئن أخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النقمة وان كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعم وماشكرت حق المنعم فقيل له يا أبا عبد الله لقد أبلغت فى السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردنى عنها بأقبح من صورته * وقال ابن الرومى فى أبى الصقر وكان قد مدحه فلم يرفع به رأسا

فلئن نكبت لطالما نكبت * بك همة لجات الى سندك
لو تسجد الايام ما سجدت * الا اليوم فت فى عضدك
يانعمة ولت غضارتها * ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت بردا على كبدى * لما غدت حرا على كبدك

وقال فيه

خفض أبا الصقر فكم طائر * خر صريعا بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفؤها * فصانها الله بتطليق
لاقدست نعمى تسربلتها * كم حجة فيها لزنديق

(وقال فيه قبل النكبة)

غدا يعلو الجياد وكان يعلو * اذا ما استفره السبت الطراقا
أعنتها الشسوع فان عراها * حفاء الكد أنعلها طراقا
فزوج بعد فقر منه نعمى * أرانى الله صحبتها طلاقا

* ومن غرائب التكاتب فى العزل ما كتب به أحمد بن مهران الى معزول بلغنى أعزك الله

انصرافك عن عملك فسررت بذلك ولم أستفظعه لعلمي بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه أو يضعك عزل عنه والله لو لم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان في لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأنيك ما تزيل به السبب الداعي الى عزلك والباعث على صرفك ونحن الى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا بأن نعزيك اذ أردت الصرف فأوتيته وأحببت الاعتزال فاعطيته فبارك الله لك في منقلبك وهنالك النعم بدوامها ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها * كان أبو شراعة لا يسأل ابن المدبر حاجة الا قضاها ولا يشفع لاحد الا شفعه فلما عزل ابراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس فردهم حتى لم يبق الا أبو شراعة فقال يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق فانصرف راشدا مكلوءا من غير قلا ولا ملل وأمر له بعشرة آلاف درهم فعانقه أبو شراعة وبكى وأطال ثم قال وهو أحسن ما قيل في التهنئة بالعزل

يا أبا اسحق سر في دعة * وامض مكلوءا فما منك خلف
ليت شعري أي أرض أجدبت * فأريحت بك من جهد العجف
نزل اللطف من الله بهم * وحرمنا لذنوب قد سلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

ثم قال أيها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار

* ومن ملح هذا الباب ان بعض الوزراء قلد ابن حجاج عملا فخرج اليه يوم الخميس وتبعه كتاب عزله يوم الاحد فقال فيه

يا من اذا نظر الهلا * ل الى محاسنه سجد
واذا رأته الشمس كا * دت ان تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتني * وصرفتني يوم الاحد
والناس قد غنوا علي * لما خرجت من البلد
ما قام عمرو في الولا * ية قائما حتى قعد

وذكر اللثغ وللشعراء في اللثغ ما يستحسن قال ابن شهيد

مرض الجنون ولثغة في المنطق * شيآن جرا عشق من لم يعشق
ينبي فينبو في الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقي
لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو انها كتبت له في مهرق

(وأحسن ما في وصفه قول الرمادي)

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خلوت كتبتها في راحتي * فبكيت منتحبا أنا والراء

أخذه أبو القاسم بن العريف فقال

أيها اللثغ الذي شف قلبي * جد بحرف ولو نطقت بسبي
هجرك الراء مثل هجري سواء * فكلانا معذب دون ذنب
فاذا شئت أن أرى لي مثالا * في غرامي خططت راء بجنبي

(قوله المتوشح) أي المحتزم و(المترشح) المتهيئ (للرعاية) أي لحفظ الناس (الاغترار) الانخداع

(صولتك) عزلك وقهرك يقال صال الرجل على قرنه والفحل على ابله أى قهر وعلا والفعل أيضا عض وربما همز فعل الفحل (قلب) اى متقلب (خلب) خادع لا ماء فيه يريد أن الولاية تنقل من انسان الى آخر (تلغى) تهمل (العاجلة) الدنيا لان خيرها معجل (تولى) صار واليا (سعى) مشى مسرعا * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولى من أمر أمتى شيأ فحسنت سريرته رزق الهيبة فى قلوبهم واذا بسطت يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم واذا أنصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه واذا عدل مد فى عمره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة الدين ولاة السوء وأيما وال ولى شيأ من أمور المسلمين فلم ينصح لهم ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن من أخذ من هذه وهذه (الديان) المجازى وهو الله سبحانه وتعالى لانه يجزى العباد على أعمالهم وقال الالبيرى

كل امرئ فكما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان
ياعامر الدنيا ليسكنها وما * هى بالتى يبقى لها سكان
تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ وترحل الركبان
أأسر فى الدنيا بكل زيادة * وزيادتى فيها هى النقصان

(تهمل) تترك مهملا و (وجم) سكت غاضبا (استقع وانتقع) تغير وذهب الدم من وجهه ويقال فى معناهما انتقع واهتقع (يتأفف) يقول اف اف وذلك فعل النادم المهموم (الزفرة) النفخة من الهم (أشكاه) أنصفه ورفع عنه شكواه وفى الحديث شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا أى لم يزل شكوانا أى شكوا اليه ما يصيب أقدامهم من شدة الحر فى صلاة الظهر وسألوه تأخيرها الى الابراد فلم يجبهم الى ذلك وأنشد يعقوب

* ونشتكى لو أنها تشكينا * والمشكو اليه الوالى الذى اشتكى اليه (أشجاه) آذاه وأبكاه (ألطف) برّه وأكرمه (حباه) أعطاه الحباء (يغشاه) يزوره (محصورا) محبوسا (يتهادى) يمشى متثاقلا مشى الوقار (يتباهى) يتعاظم (بفوز صفقته) بظفر قصته مع الوالى وفاز فوزا ظفر بخير دنياه وأخراه وأصل الصفقة فى البيع هو أن تضرب بيدك على يد مبايعك (اعتقبته) مشيت خلفه كأنك تطأ بصدور قدميك مواطئ عقبيه (أخطو متقاصرا) أى أمشى مستخفيا متشبها بالقصار (لمحا باصرا) اى نظرا شديدا (استشف) استقصى (فطن) تنبه وشعر (أرشد) دل يقول اذا كان لك دليلان فخيرهما من هداك الطريق فلما رآه ينظر وتشكك فيه قال خير دليلك من دلك على (اقترب) قرب (حدث ملولك) أى يحدثهم بما يطربون (فكه) طيب الحديث والفكه المزاح الحسن الخلق وفكه فكها وفكاهة طابت نفسه وكثر ضحكه قال الشاعر

فكه الى جنب الخوان اذا غدت * فكها تقطع ثابت الاطناب

أبو عبيدة رجل فكه يأكل الفاكهة وفاكه عنده فاكهة وقال الشاعر أيضا

فكه العشى اذا تأوب رحله * صيف الشتاء مسامح بالميسر

أى يأكل الفاكهة وقرئ فاكهين وفكهين قال الفراء رحمه الله تعالى معناهما واحد أى معجبين بما آتاهم ربهم كطمع وطامع وفكه وتفكه اذا تعجب ومنه فظلتم تفكهون وقيل معناه تندمون

صولتك فان الدولة ربع قلب والامرة برق خلب وان أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم فى الدارين من ساءت رعايته فهلا تك ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا تهمل يا انسان ولا تلغى الاساءة ولا الاحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجه الوالى لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتأفف من الامرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكى فأشكاه والى المشكو منه فأشجاه وألطف الواعظ وحباه واستدعى منه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته أخطو متقاصرا وأريه لمحا باصرا فلما استشف ما أخفيه وفطن لتقلب طرفى فيه قال خير دليلك من أرشد ثم اقترب منى وأنشد

أنا الذى تعرفه يا حارث
حدث ملولك فكه منافث

(قوله منافث) أى محادث (المثالث) من أوتار العود (طورا) حينا (عابث) لاعب (الحوادث) ما يحدثه الدهر من خير أو شر (التحى) قشر (خطب كارث) أمر ثقيل صعب (فرى) قطع (نابى) ضرسى (فارث) مفتت للكبد قال الشاعر

هوى من صخرة صلد * ففرّث تحتها كبده

وفرثت الكرش أخرجت ما فيها من الزبل (ضابث) قابض عليه (السرح) المواشى تغدو راعية فى المسرح وتروح منه (عائث) مفسداً كل لها (وسام وحام ويافث) أولاد نوح عليه الصلاة والسلام وفيهم نزلت وجعلنا ذريته هم الباقين وبذلك جاءت الاخبار وهم لام واحدة وأصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح عليه السلام أن يغير الله نطفته فجاءت بالسودان وذكر أهل التوراة أن نوحا عليه السلام شرب وانتشى وتعرى فأبصر حام عورته فأطلع عليه أخواه فأخذ رداءه فألقياه على عواتقهما ومشيا على أعقابهما فواريا ه فعلم نوح عليه السلام بذلك فقال ملعون ٣ كنعان بن حام عبيد يكونون لاخويه ومبارك سام ويكثر الله يافث وفى تفسير النقاش ان نوحا لما أهبط من السفينة نام فبدت عورته فنظر اليها حام فضحك ولم يغير عليه يافث فنظر ذلك سام فزجره وغطى عورة أبيه فلما استيقظ أخبره فدعا نوح ابنه حاما فقال يا بنى غير الله ماء صلبك فلا تلد الا السودان وقال ليافث جعل الله ذريتك عبيد الاولاد سام وقال لسام جعل الله منك لانبياء والصالحين والملوك فكان سام القيم بعد أبيه فى الارض ونزل وسطها نزل الحرم الى اليمن الى الشأم ومن ولده الانبياء كلهم عربيها وعجميها ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ويعرب وجرهم وهم العرب العاربة لان العربية لسانهم التى جبلوا عليها ويقولون لبنى اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم ومن العماليق الجبابرة بالشأم والفراعنة بمصر * سعيد بن المسيب سام ولده العرب وفارس والروم وفى كل خير وأما يافث فمن ولده الصقالبة وبرجان والاشبان والترك والخزر ويأجوج وماجوج * ابن المسيب وليس فى واحد من هؤلاء خير وأما حام فمن ولده السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزنج والزغاوة والحبشة والزط والقبط بن كنعان بن حام والخلاف كثير (قوله ولا عمرو بن عبيد) هو الزاهد الذى كان يسكن بالبصرة ويجالس الحسن البصرى حتى حفظ عنه شيأ كثيرا من علومه واشتهر فضله بصحبته وكان له سمت واظهار زهد ورآه الحسن يوما فقال هذا سيد شباب أهل البصرة ان لم يحدث ثم ازاله ونهى عنه فقال بالعزل ودعا اليه وترك مذهب أهل السنة واعتزل الحسن البصرى ونسبت اليه المعتزلة فأما قيامه الذى ذكره فهو دخوله على المنصور فى جماعة من أهل العلم فاستشارهم فى أمر فكلهم أشار عليه بمراده الا عمرا فانه لم يصحبهم ونصحه فقال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لو كان باقيا لاحد قبلك لما وصلك ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد قال فبكى المنصور حتى بل ثوبه فقال الربيع يا عمرو غممت أمير المومنين فقال عمرو ان هذا يعنى الربيع صحبك عشرين سنة ما نصحك يوما واحدا وما عمل وزراؤك بشئ من كتاب الله تعالى فقال له المنصور فما أصنع هذا خاتمى فى يدك فخذه أنت وأصحابك فاكفونى فقال عمرو ادعنا بعدلك تسمح أنفسنا بعونك بيابك ألف مظلمة اردد منها واحدة حتى نعلم انك

(ذكر سام وحام ويافث)

أطرب مالا تطرب المثالث
طورا أخوجد وطورا عابث
ما غيرتنى بعدك الحوادث
ولا التحى عودى خطب كارث
ولا فرى حدّى ناب فارث
بل مخلبى بكل صعب ضابث
وكل سرح فيه ذئبى عائث
حتى كأنى للانام وارث

ساسهم وحامهم ويافث

(قال الحرث بن همام)

فقلت له تالله انك لابو يزيد
ولقد قت لله ولا عمرو بن
عبيد

(أخبار عمرو بن عبيد الزاهد)

صادق ويروى انه قال له المنصور اعنى بأصحابك فقال ارفع علم الحق يتبعك أهله ثم قال له المنصور ماحاجتك يا أبا عثمان فقال له تأمر برفع هذا الطيلسان عنى فرفع وكان أمر المنصور ان يطرح عليه عند دخوله فقال له لاتدع اتياننا قال نعم لايضمنى واياك بلد الا أتيتك وان بدت لى حاجة اليك سألتك ولكن لاتعطنى حتى أسألك ولا تدعنى حتى آتيك قال اذا لاتأتينا أبدا فلما ولوا للخروج أتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلكم يمشى رويد * كلكم حابل صيد * غير عمرو بن عبيد

وكان جده باب من سبى فارس وكان أبوه عبيد بن باب نساجا ثم تحول فصار للحجاج شرطيا بالبصرة وكان فظا غليظا خسيسا وبلغه أن الناس اذا رأوا ابنه قالوا هذا خير الناس ابن شر الناس فقال صدقوا أنا كآزر وابنى كابراهيم عليه السلام وقال اسحق بن الفضل بينما أنا واقف الى جنب عمارة بن حمزة بباب المنصور اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل ونحى البساط برجله وجلس دونه فقال لى عمارة لاتزال بصرتكم ترمينا بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أين أبو عثمان عمرو بن عبيد فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد اليه فأتكأ يده ثم قال أجب أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك فقمت وتركناه عليه فقلت لعمارة الذى استحمقته قد دعى وتركناه فقال كثيرا مايكون مثل هذا فأطال اللبث ثم خرج الربيع وعمرو متوكئ عليه وهو يقول يا غلام حمار أبى عثمان فبارح حتى اقترد على سرجه وضم اليه ثوبه واستودعه الله عز وجل فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولى عهدكم لكنتم قد قضيتم حقه قال فما غاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب قال فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال ماهو الا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل هو والمهدى اليه وعلى المهدى سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه ومازال يدنيه حتى أتكأ فخذه وتحفى ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظنى فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر الى قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر فبكى المنصور رحمه الله تعالى بكاء شديدا وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة الا تلك الساعة فقال زدنى قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وان هذا الامر الذى صار اليك انما كان فى يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك وانى أحذرك ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكى والله أشد من بكائه الاول حتى رجف جنباه فقال له سليمان بن مالك رفقا بأمير المؤمنين لقد أتعبته فى هذا اليوم فقال له عمرو بمثلك ضاع الامر وانتشر لا أبا لك وماذا خفت على أمير المؤمنين ان بكى من خشية الله تعالى قال فأنت والله الصادق البر قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك فقال لا حاجة لى بها قال والله لتأخذنها قال والله لا آخذها فقال له المهدى يحلف أمير المؤمنين وتحلف فأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابنى محمد وهو ولى عهد المؤمنين فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه عمله وألبسته لبوسا ماهو من لبوس الابرار ولقد ملكته أمرا أمتع مايكون به أشغل مايكون عنه ثم التفت الى المهدى وقال يا ابن أخى اذا حلف أبوك حلف عمك

لان أبالك أقدر على الكفارة من عمك ثم قال يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث الي حتى آتيك قال اذا لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم استحفظه الله عز وجل وودعه وانصرف فلما ولى أتبعه المنصور ببصره وهو يقول * كلكم يمشي رويد * الابيات وقال اسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيته في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الليلة الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك (قوله هش) أي فرح (أم) قصد (الوعيد) التهديد (أغبى الورى) أجهل الناس به قال المنصور والله ما عز ذو باطل ولو طلع في جبينه القمر ولا ذل ذو حق ولو أصفق العالم عليه وفي معنى قوله وابغ رضا الله تعالى البيت ان ابن هبيرة شاور الحسن البصري فقال يا أبا سعيد ما تقول في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها خفت سخط الله وان لم أنفذها خفت على دمي فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله فان الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى فما وافقه فنفذه وما خالفه فلا تنفذه فقال صدقتني ورب الكعبة وشاور معاوية الاحنف في استخلاف يزيد فسكت فقال مالك لا تقول فقال ان صدقناك أسخطنا الله وان كذبناك أسخطنا الله عز وجل فسخطك أهون علينا من سخط الله تعالى قال صدقت وكتب أبو الدرداء الى معاوية أما بعد فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن يلتمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس وكتبت اليه عائشة رضي الله تعالى عنها أما بعد فانه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامده من الناس ذاما له والسلام (قوله أخدانه) أصحابه و (يسحب اردانه) يجر أذياله (استنشرنا) طلبنا أن ينشر لنا و (المدرجة) الورقة تكتب فيها الرسالة ويدرج فيها الكتاب وأضافها الى الطي لانها تطوى على ما فيها من الكتاب فكأنه قال مما أدرج في الورق من الكتاب وطوي عليه يريد أنه أرسل فيه الرسائل الى البلاد فلم يعرف له موضع قر فيه وثبت (عاره) ذهب به وأتلفه * ويكنون بالجراد عن الناس فكأنه قال ما يدري أي الناس ذهب به ويقال عارت عينه صارت عوراء وعرتها أنا فقأتها فكأنه ذهب كما تذهب العين وهذا بضعف والله أعلم بالصواب

فهش هشاشة الكريم اذا أم وقال اسمع يا ابن أم ثم أنشأ يقول
علمك بالصدق ولو أنه
أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فأغبى الورى
من أسخط المولى وأرضى
العبيد
ثم انه ودع أخدانه وانطلق يسحب أردانه فطلبناه من بعد بالرى واستنشرنا خبره من مدارج الطي فما فينا من عرف قراره ولا درى أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

(حكى الحرث بن همام) قال أويت في بعض الفترات الى سقي الفرات

(ذكر سقي الفرات)

(شرح المقامة الثانية والعشرون وهي الفراتية)

(أويت) أي ملت وانضممت (الفترات) جمع فترة وهي الهدنة والسكون فكأنه قال مشيت في بعض السنين الآمنة والفترة أيضا ضعف الاعضاء والفترة أيضا ما بين نبي ونبي و (سقي الفرات) بلاد يسقيها الفرات والفرات نهر شق بلاد الروم وبلاد العراق ويقع في البحر الحبشي وجريانه خمسمائة فرسخ وقال الرشاطي ابتداء الفرات وفوهته من قالقلا من بلاد ارمينية ثم يسير الى منبج من كورقنسرين الى سميساط ثم الى ملطية ثم الى كيسوم من أرض الرقة ثم الى الرقة وقرقيسيا والرحبة وكور الفرات ثم الى الانبار ثم الى الكوفة ويلتقي مع الدجلة ما بين واسط والبصرة ومنها انصبابهما الى البحر وجريانهما من الشمال الى الجنوب وقال شيخنا ابن جبير هذا النهر كاسمه فرات وهو من أعذب المياه وأخفها وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن وتنحدر وأما

سقيه فى أحوازبغداد فتبين لك قدره انه ذكر أنه عاينه فى طريقه من الكوفة الى بغداد وانه رحل مع أمير الحاج من الكوفة يوم السبت قال ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات ورحلنا من ذلك الموضع وبتنا ليلة الاحد سلخ محرم بقرية من الحلة ثم جئناها يوم الاحد وهى مدينة عتيقة الموضع مستطيلة متصلة بالفرات من جانبها الشرقى وهى على شاطئه ويمتد بطولها ولها أسواق حفيلة جامعة للمرافق قوية العمارة وديارها بين حدائق النخيل وألفينا بها جسرا معقودا على مراكب بكار متصلة من الشط الى الشط أمر الامير بعقدها اهتماما بالحاج فعبرناها ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد والطريق من الحلة الى بغداد أحسن طريق وأجملها فى بسائط وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان من الفرات تسقيها فللعين فى هذه الطريق مسرح انشراح وللنفس مزاد انبساط وانفساح ومن مدينة الحلة يتسلسل الحاج أرسالا وأفواجا لا يعرج المتأخر على المتقدم فحيثما شاؤا نزلوا ومن جملة الدواعى لافتراقهم كثرة القناطر المعترضة فى طريقهم الى بغداد لا تكاد تمشى ميلا الا وتجد قنطرة على نهر متفرع عن الفرات فلو زاحم ذلك البشر تلك القناطر دفعة لتراكموا وقوعا بعضا على بعض فرحلنا من الحلة ضحوة يوم الاثنين أول يوم من صفر ونزلنا بعصره بقرية تعرف بالقنطرة كثيرة الخصب كبيرة الساحة متدفقة فيها جداول الماء وارفة الظلال بشجرات الفواكه من أحسن القرى وأجملها بها قنطرة محدودة تصعد اليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات فعرفت القرية بها ثم رحلنا عنها بسحر الثلاثاء ونزلنا ضحوة بالفراش قرية كثيرة العمارة يشقها الماء وحولها بسيط أخضر جميل المنظر والقرى من الحلة الى بغداد على صفة الفراش فى الحسن والاتساع ثم رحلنا منها ونزلنا عشى النهار بدريدان وهى قرية من أجل قرى الارض وأحسنها منظرا وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطا وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق من نخيل ولها سوق تقصر عنه أسواق المدن وحسبك من شرفها ان دجلة تسقى شرقيها والفرات يسقى غربيها وهى كالعروس بينهما ومن شرفها ان بازائها ايوان كسرى وهو بناء عال فى الهواء على مقدار الميل منها وامامها بيسير مدائنه واجتزنا سحر على المدائن فعاينا من طولها واتساعها مرأى عجيبا ونزلنا قافلين بصرصر وهى أخت دريدان حسنا يمر بجانبها القبلى نهر متفرع من الفرات وهى من القرى التى تملأ النفوس حسنا وجمالا لها أسواق حفيلة وجامع وجسر معقود على مراكب من الشط الى الشط وهى من بغداد على ثلاثة فراسخ ورحلنا منها قبل الظهر وجئنا بغداد قبل العصر على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها فمن أراد أن يعرف قدر سقى الفرات فليقف على هذا الفصل الذى ذكرناه (قوله كتابا أبرع من بنى الفرات) أى احذق وأزيد فضيلة والفرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبراعة وتقلد الوزارة قال فى بعضهم صالح بن موسى رحمه الله

آل الفرات نداهم * على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم * وعليك منه شهود

(وقال ابن المعتز فى على بن محمد بن الفرات)

أبا حسن ثبت فى الامر وطاتى * وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز

فلقيت بها كتابا أبرع من بنى الفرات

(ذكر بنى الفرات)

وألبستنى درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقال على بن بسام)

وقفت شهور اللوزير أعدها * فلم تثنه نحوى الحقوق السوالف

فلا هو يرعانى رعاية مثله * ولا أنا أستحيى الوقوف وآنف

وكان موسى بن الفرات عاملا لاحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المتوكل واستوزر المقتدر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات ثلاث مرات يعزله ثم يرده وقيل المقتدر وأبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزيره وتولى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن الفرات والحسن بن أبى الحسين بن الفرات فكان محل آل الفرات الوزارة والكتابة والبراعة والحذاقة وحكى ان بعض الادباء جوز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات ان السين تقام مقام الصاد فى كل موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أو ومن سلح فخجل الرجل وانقطع ومثل هذا النادر ان النضر بن خميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال له لا تقل مسح بالسين ولكن بالصاد بمعنى أذهب وهو كلام العرب فقال أبو صالح ان السين تبدل من الصاد كالصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت اذا أبو سالح فخجل الرجل (قوله أعذب من الماء الفرات) أى أحلى والماء الفرات العذب الحلو (أطفت) أى ألممت ونزلت (لتهذبهم) لظرفهم وتخلصهم من عيوب الجفاء (كاثرتهم) صاحبتهم فكثرت عددهم بى (ما دبهم) طعامهم (أضراب) أمثال (القعقاع بن شور) قال المبرد هو رجل سيد من عبد الله بن دارم وكان اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك قال الفنجديهى هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل الشيبانى وهو من الاجواد والاسخياء يضرب به المثل فى حسن المجالسة والمعاشرة واتيان الجليس بالشئ النفيس قال أبو عبيدة وكان من جلساء معاوية فأهدى الى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة فدفعها الى جلسائه ودفع الى القعقاع جام ذهب وفى القوم اعرابى الى جنب القعقاع فدفع اليه الجام فأخذه الاعرابى ونهض ينشد

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس

فحول السن ان أمر بخير * وعند الشر طراق عبوس

(ومما يستحسن فى البر بالجليس قول صاعد اللغوى)

لى من سر بنى العباس خل وجليس

شهد الجد عليه * انه العلق النفيس

فاذا جالسته لم * تدر من منا الجليس

وقال كشاجم جليس لى أخو ثقة * كأن حديثه خبره

يسرك حسن ظاهره * وتحمد منه مختبره

ويسترعيب صاحبه * ويستر أنه ستره

وقال آخر جليس لى له أدب * رعاية مثله تجب

وأعذب أخلاقا من الماء الفرات فاطفت بهم لتهذبهم لالذهبهم وكاثرتهم لادبهم لالما دبهم فجالست منهم أضراب قعقاع بن شور

(ذكر ما جاء فى الجليس)

لو انتقدت خلائقه * تبهرج عندها الذهب

وقال آخر لى صديق غلطت بل لى مولى * من لمثلى بأن يكون صديق

تتلاقى التقاء روح بروح * بضروب التقبيل والتعنيق

ليس فى الارض من يعز منا * عاشقا فى اللقاء من معشوق

أين ماوصف به القعقاع من قول والبة المشهور

قلت لندمانى على خلوة * أدن كذا رأسك من رأسيا

ونم على وجهك لى ساعة * انى امرؤ أنكح جلاسيا

والبة بن الحاجب شيخ الحسن بن هانئ أدبه صغيرا فتخلق بخلقه وقال الحسن

وجليس كان فى وجنتيه * كل شئ تسموا اليه النفوس

قد أصبنا منه فنستغفر الله كثيرا وقد يصاب الجليس

(قوله الكور والحور) أى الزيادة والنقصان وكلام العرب نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة فقلب اللفظ على مراده وهو من كور العمامة وهو استعارة من نقض الامر كنقض العمامة بعد كورها وهو شدها وكار عمامته شدها على رأسه وجمعها وحار بها فنقضها وافسدها وأمر الحجاج رجلا على جيش ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر فقال هذا الحور بعد الكور فقال له الحجاج وما الحور بعد الكور قال النقصان بعد الزيادة فعلى هذا أكثر أهل اللغة وقيل معناها نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كونها فى الكور وهو الاجتماع من كار عمامته جمعها فى رأسه وحارها أفسدها ويروى بعد الكون من قولهم حار بعد ما كان أى كان على حالة جميلة فرجع عنها وقيل معناه نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد الكون على الاستقامة فحذف للعلم به (فى المرتع والمربع) يعنى المأكل والمنزل والمرتع الاتساع فى الاكل الكثير والشرب والمربع المنزل فى الربيع من ربعت فى الموضع أقمت فيه (الانملة) طرف الاصبع أى عظموه ورفعوه فوق رؤسهم (ابن انسهم) أى الذى يأنسون به (عند الولاية والعزل) أى زمن العمل والعطل (خازن) كاتم وحابس (ندبوا) أى دعوا (استقراء) أى تتبع (الرزداقات) العمالات والانظار وأراد أنهم خرجوا عمالا على الزرع وكل موضع أو قرية انفصل عن المدينة بعمله فهو رزداق ورستاق ومخلاف وكورة فالرزداق بخراسان وهو فارسى عربى والمخلاف لليمن والكورة لغيرهما من الارضين (الجوارى) السفن (المنشآت) المصنوعات (حالكة الشيات) مسودة اللون والشية فى الفرس لون يخالف لونه كالغرة والتحجيل وغير ذلك فأراد أن موضع البياض فى غير السفينة هو منها أسود فهى كلها سوداء (جامدة) ساكنة * وركب السلامى دجلة فى زورق ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال

وميدان تجول به خيول * تقود الدار عين ولا تقاد

ركبت به الى اللذات طرفا * له جسم وليس له فؤاد

جرى فحسبت أن الارض وجه * ودجلة ناظر وهو السواد

وقال القاضى التنوخى يصف دجلة فى الظلام والقمر يلمع عليها وينتظم فى سلك أبيات السلامى رحمه الله تعالى

ووصلت بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم أشركونى فى المرتع والمربع وأحلونى محل الانملة من الاصبع واتخذونى ابن انسهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم فى الجد والهزل فاتفق أن ندبوا فى بعض الاوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجوارى المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب

أحسن بدجلة والدجى متصوب * والبدر فى أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق * وكأنه فيها طراز مذهب

(وقال منصور بن كيغلغ)

كم ليلة سامرت فيها بدرها * من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
والبدر يجنح للافول كأنه * قدسل فوق الماء سيفا مذهبا

وتسميته للسفينة جارية لجريانها على الماء قال تعالى فى السفن العظام ومن آياته الجوارى فى البحر كالاعلام ولبعضهم

يامن تاهب من معالى رواح * متيمما بغداد غير ملاح
فى بطن جارية كفتك بسيرها * رقلان كل شناحة وشناح
فكانها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة فى يد الملاح
جون من العقبان يتبع الدجى * يهوى بصوت واصطفاق جناح

الشناح الجمل التام الخلق وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاصطول

ياحسنه يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
ومجاذف تحكى أرقم ربوة * نزلت لتكرع فى غدير متأق
والماء فى شكل الهواء فلا ترى * فى شكلها الاجوارح تلتقى

وتنساب فى الحباب كالحباب ثم دعونى الى المرافقة فلبيت بلسان الموافقة

(ولابن حريق)

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح صاحب الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرت حية بلسان

(ذكر التلطف فى المشى)

(قوله تنساب) أى تمشى بسلاسة (الحباب) طرائق الماء و (الحباب) بالضم الحية وتشبيهه المشى السهل بحباب الماء أفشى وأعرف من تشبيهه بمشى الحية وتشبيهه بمشى الحية قد استعمل وهو ممكن فى المعنى وبه وقع التشبيه هنا فى المقامة وقال امرؤ القيس فى تشبيهه بحباب الماء

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

(وقال ابن الرومى)*

فصغت ذلك من قولى الى قمر * يلهو بمكتحل طورا ومختضب
جرت تدافع من وشى لها حسن * تدافع الماء فى وشى من الحبب

(وقال عمر بن أبى ربيعة فى مشى الحية)

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان وهوم سمر
وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ * ـحباب وركنى خيفة القوم أزور

ثبت فى الكتب الصحاح ضم الحاء وقول الاعرابى

من المتصديات لغير سوء * تسيل اذا مشت سيل الحباب

يروى بالفتح والضم وابن الاقليلى يأبى الا الضم وقال أبو القاسم بن هانئ فجمع بين التشبيهين

قامت تميس كما تدافع جدول * وانساب ايم فى نقا يتهيل
وأتت تزجى ردفها بقوامها * فتأطر الاعلى وماج الاسفل

(وقال آخر ورفع الاحتمال)

لما دنا الليل بارواقه * ولاحت الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفيف كما * ينساب فى مكمنه الارقم

(وما أحسن قول ابن شهيد فى معناه)

ولما تمكن من سكره * ونام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على رقبة * دنوّ محب درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسموا اليه سموّ النفس
أقبل منه بياض الطلا * وأرشف منه اللمى واللعس

(قوله المطية الدهماء) هى السفينة السوداء و(توركناها) قعدنا عليها متكئين و (تبطنا) دخلنا بطنها (الولية) المطيعة وأوهم بقول الناس فلان ولى يمشى على الماء فلما كانت مطيعة لخدامها ماشية على الماء سماها ولية (ألفينا) وجدنا (سحق سربال) أى قميص خلق و (السب) الخمار فيريد أن عليه مئزرا أو خمارا بالياو المئزر كالخمار للمرأة (عافت) كرهت (عنفت) لامت وأغلظت له القول والعنف ضد الرفق (ثاب) رجع * قال الفراء رحمه الله تعالى معنى السكينة الطمأنينة *أبو عبيدة هى فعيلة من السكون وتشبه حالة أبى زيد هنا فى اهانته أولا واكرامه آخرا حالة معبد فى دخول السفينة وقد تقدمت فى الثامنة عشرة (لمح) رأى و (الظل) يوصف بالثقل مبالغة فى ثقل صاحبه يقال للمستثقل ظلك على ثقيل أى أخف ما يمكن أن يوجد منك الظل السريع الانتقال يثقل علينا فيصور شخصك أى منزلته من الثقل وانما يتصور ثقل الظل حقيقة اذا أخذ عليك انسان عين الشمس فى زمن البرد أو ضوأها وأنت تنظر ما يدفئ ومما قيل فى ثقيل

أنت ياهذا ثقيل * وثقيل وثقيل
أنت فى المنظر انسا * ن وفى المخبر فيل
لو تعرضت لظل * فسد الظل الظليل

وكان الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل ينشد

فما الفيل تحمله ميتا * بأثقل من بعض جلاسيا

وذكر ثقيلا كان يجلس الى جانبه فقال والله انى لابغض شقى الذى يليه منى وكان حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قرأ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون *عائشة رضى الله عنها نزلت آية فى الثقلاء فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث *الشعبى من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء وكان أبو هريرة رضى الله عنه اذا رأى ثقيلا قال اللهم اغفر له وأرحنا منه قيل لجالينوس لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان ثقله على القلب دون الجوارح والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه وقال طبيب للعجاج اياك ومجالسة الثقلاء فانا نجد فى الطب أن مجالستهم حمى الروح وقال حكيم لآخر لا تصحبن ثقيلا فمن يصحبه فانما يعذب روحه وقيل سخنة العين النظر الى الثقلاء وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا غشى عليه وكان آخر اذا رأى

فلما تورکنا على المطية الدهماء وتبطنا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال وسب بال فعافت الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهممت بابرازه من السفينة لولا ما ثاب الينا من السكينة فلما لمح منا استثقال ظله

(ذكر الثقلاء)

ثقيلا غمض عينيه وكان بعض الظرفاء اذا رأى ثقيلا قال قد جاءكم الجبل فان جلس عندهم قال قد وقع عليكم * وسمع الاعمش كلام ثقيل فقال من هذا الذى يتكلم وقلبى يتألم قال رجل لخالد بن صفوان استثقل فلانا قال أتوه كدت والله أن تصدع قلبى بذكره والله لهو أثقل من شراب الترنجبيل بماء التين فى أيام الحكاك بعقب التخمة وأوان الحجامة * سلم ثقيل على بعض الظرفاء فقال وعليك السلام شهرا * قعد ثقيل عند ظريف فسئل عن ذلك فقال كانت نفسى قد شمخت على فأردت ان أهينها بذلك وقال رجل لغلام هاشمى يا بغيض فشكاه الى أبيه فقال قد علمت انك بغيض فكرهت أن أقوله لك حتى يكون بغضك باسنادك * وسئل انسان له ثلاث بنين ثقلاء أى بنيك أثقل فقال ليس بعد الكبير أثقل من الصغير الا الاوسط * كان أبو العتاهية يقول لابنه محمد أنت والله يا محمد ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم بارد حامض منتن * قال سهل بن هرون من ثقل عليك نفسه وغمك سؤاله فاعره أذنا صماء وعينا عمياء وأنشدوا

مشتمل بالبغض لا ينثنى * اليه طوعا لحظه الرامق
يظل فى مجلسنا قاعدا * أثقل من واش على عاشق

وقال بعضهم

يا من تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالسهد
انى لاذكره حينا فأحسبه * من ثقله جالسا منى على كبدى

ولبعضهم

نظر العين نحوه * علم الله يمرض
فاذا ما أردتم * أن تروه فغمضوا
لا تصبكم ملمة * والملمات تعرض

وقال بعضهم

شخصك فى مقلة النديم * أوحش من نحسة النجوم
يا رجلا وجهه علينا * أثقل من منة اللئيم
انى لأرجو بما أقاسى * منك خلاصى من الجحيم

(وقال بعضهم أيضا)

ولى خلتان على هامتى * جلوسهما مثل حد الوتد
ثقيلان لم يعرفا خفة * فهذا الصداع وذاك الرمد

والاشعار فى الثقلاء كثيرة وفى كتب الآداب مشهورة فلنقتصر على هذه النبذة (قوله استبراد طله) الطل أضعف المطر وهو الرذاذ وأكثر نزوله ساكنا بغير ريح ولا برد فى الغالب يكون معه فكنى هنا بالطل عن كلامه القليل وانه عندهم بارد الحديث وان كل ما جاء منه ثقيل مؤذ وقد جاء فى ذلك

واستبراد طله

ولو مازج النار فى حرها * حديث أطفأ منها اللهب

(ما جاء فى البارد)

(وقال آخر فى شعر الصولى)

دارى بلا خيش ولكننى * عقدت من خيشى طاقين
دارمتى ما اشتدبى حرها * أنشدت للصولى بيتين

وكلامه

ويوم كتنور الطهاة سجرته * على أنه منه أحر وأوقد
ظللت به عند المبرد جالسا * فما زلت فى ألفاظه أتبرد

لقى برد الخيار المغنى أبا العباس المبرد فى يوم ثلج بالجسر فقال له أنت المبرد وأنا برد الخيار واليوم

كما ترى اعبر بنا لا يهلك الناس من الفالج بسببنا وقال كشاجم رحمه الله تعالى

غناء مديح بارض الحجاز * يطيب وأما بحمص فلا
لبرد الغناء وبرد الهواء * فان جمعا خفت أن يقتلا

(قوله تعرض) اى تهيأ (المنافثة) الكلام معهم (صمت) سكت * ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موقع حديث الرجل من القوم كموقعه من قلوبهم (حمدل) قال الحمد لله (ماشمت) ما ادخل عليه السرور بقولهم يرحمك الله تعالى * ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عطس اوتجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعون داء اهونها الجذام وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله والذي يشمت يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله و يصلح بالكم ومما يستطرف من حديث العطاس أن صوفيا فى بلدنا كان حافظا للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الا وينشد عليه شعرا فاتفق ان عطس رجل بحضرته فشمته الحاضرون فدعالهم فرأى الصوفى ان شمته قطع انشاده بما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فاصبح للطلبة راغبا أن ينظم له هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن محمد

ياعاطسا يرحمك الله ان * أعلنت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوتك
وقل له ياسيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يارب النداء والندى * بارك رب الناس فى ليلتك
فان يكن منك لنا دعوة * فانت محمود على عودتك

وهذا الوزير الشريف انما يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب الى يستهدينى كتاب العقد

أيا من غدا سلكا بجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فلتجد * بعقد على لباته وسوالفه

وتوعك فى بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جلة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

* لله در عصابة أمجاد * شرف النداء بقصدهم والنادى
لما أشاروا بالسلام وأربعوا * أنشدتهم وصدقت فى الانشاد
فى العيد عدتم وهو يوم عروبة * يافرحتى بثلاثة الاعياد

(قوله أقرد) أى سكت ذلا و يروى أخرد أى سكت حياء واستتر تقول أخردت وخردت من حر الشمس أى استترت وأقردت من لفظ القرد أو القراد وأخرده من لفظ الخريدة (آلت) رجعت (المبغى عليه) أى المظلوم وأراد أن ينظر النصرة على أعدائه من قوله تعالى ثم بغى عليه لينصرنه الله (جلنا) تصرفنا (شجون) ضروب من الكلام ومنه الحديث شجون أى فنون ومشتبك بعضه ببعض وفى الحديث الرحم شجنة من الله معناه القرابة مشتبك بعضها ببعض كاشتباك العروق (اعترض) تصلب وظهر (الانشاء) الكتابة وكتبة الانشاء هم كتبة بين يدى السلطان وهم المترسلون (أنبل) أعظم قدرا و (الحساب) كتبة الزمام (احتد) اشتد و (الحجاج) جمع حجة ٣ و (اللجاج) ركوب

(ماجاء فى تشميت العاطس)

تعرض للمنافثة فصمت وحمدل بعد أن عطس فشمت فأقرد ينظر فيما آلت حاله اليه وينتظر نصرة المبغى عليه وجلنا نحن فى شجون من جد ومجون الى أن اعترض ذكر الكتابتين وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قائل ان كتبة الانشاء أنبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب واحتد الحجاج واشتد اللجاج حتى اذا لم يبق للجدال

٣ قوله الحجاج جمع حجة كذا بالنسخ والظاهر ان يقول الحجاج المحاجة . اه

الرجل على الباطل (مطرح) موضع يطرح فيه (المراء) قد تقدم (آثرتم) فضلتم (جلية) بيان (نقدى) تمييزى (قوله خاطب) أى جامع للكلام (حاطب) جامع للحطب يريد أن المنشئ كالخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ولا يبالى كاتب الحساب بما كتب ويكون حاطب بمعنى مجمع للمال (أساطير) أحاديث وهى جمع أسطار وأسطار جمع سطر وقيل الاساطير جمع أسطورة واسطارة (دساتير) أزمة (تدرس) تمحى أو تترك حتى تتغير (جهينة الاخبار) أى العارف بها واختلفوا فى المثل قال الاصمعى رحمه الله تعالى جهينة بالجيم والفاء وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى حهينة بحاء غير معجمة وقال ابن الكلبى جهينة بالجيم والهاء وهو الصحيح وأصله أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج يطلب فرصة فاجتمع برجل من جهينة يقال له الاخنس بن كعب فنزلا فى بعض منازلهما وتعاقدا أن لا يلقيا أحدا الا سلباه وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه كل ما معه فقال لهما هل لكما أن تردا على بعض ما أخذتما منى وأدلكما على مغنم فقالا نعم قال هذا رجل لحمى قدم من بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفى فى موضع كذا فردا عليه بعض ماله وطلبا اللحمى فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقد نام طعامه وشرابه فحياه وحياهما وعرض عليهما الطعام فنزلا وأكلا وشربا مع اللحمى ثم ان الاخنس ذهب لبعض شأنه فلما رجع أبصر سيف صاحبه مسلولا واللحمى يتشحط فى دمه فسل سيفه وقال ويحك قتلت رجلا قد تحرمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا ثم ان الجهنى شغل صاحبه بشئ ثم وثب عليه فقتله وأخذ متاعه ومتاع اللحمى ثم انصرف الى قومه راجعا بماله وكانت لحصين أخت تسمى صخرة فكانت تبكيه فى المواسم وتسأل عنه فلا تجد من يخبرها بخبره فقال الاخنس حين أبصرها

وكم من فارس لا ترتد ريه * اذا شخصت لرؤيته العيون
علوت بياضه مفرقه بعضب * يبين لوقعه الهام السكون
يذل له العزيز وكل ليث * من العقبان مسكنه العرين
فأضحت عرسه ولها عليه * هدوا بعد رقدتها أنين
كصخرة اذ تسائل فى مراح * وفى جرم وعلهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين
فمن يك سائلا عنه فعندى * لسائله الحديث المستبين

مراح وجرم قبيلتان (حقيبة) وعاء (نجى) متكلم (الندماء) الجلساء على الخمر يريد أن أصحابه أعيان وأشراف (النذير) المخوف (السفير) الرسول بين القوم (تستخلص) تملك وتحصل (الصياصى) الحصون (النواصى) الرؤس وأصل الناصية شعر مقدم الرأس (القاصى) البعيد (التبعات) المطالبات (السعاة) جمع ساع وهو جابى الصدقة (مقرظ) ممدوح (نظم الجماعات) تجميل الحساب والجماع الأخلاط وضروب من الناس والجماع كل شئ انضم بعضه الى بعض وتجمع أراد أن كاتب التراسل قد أمن من مكر عمال الزكوات الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعترض لان يؤلف ما افترق من الخراج حتى يصير جماعات (الفصل) أى القضاء والحكم وأراد أنه فصل فى القضاء بين الصنفين من الكتاب (الى هذا الفصل) أى الى هذا الحد

مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم اللغط وآثرتم الصواب والغلط وان جلية الحكم عندى فارتضوا بنقدى ولا تستفتوا أحدا بعدى اعلموا أن صناعة الانشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار ونجى العظماء وكبير الندماء وقلم لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصى وتملك النواصى ويقتاد العاصى ويستدنى القاصى وصاحبه برئ من التبعات آمن كيد السعات مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات فلما انتهى فى الفصل الى هذا الفصل لحظ من لحمات القوم أنه ازدرع حبا وبغضا وأرضى بعضا

والفرق فالاول من فصل الحاكم بين الخصمين فصلا قضى والثانى من فصلت بين الشيئين فصلا وفصولا فرقت يريد أنه فصل بين الكلام المتقدم والكلام المستأنف وأراد أنه ازدرع فى قلوب كتبة الانشاء حبه لمدحه لهم وفى قلوب كتبة الحساب بغضه لما قصر بهم فأخذ يستأنف مدحهم (أحفظ) أغضب (عقب) اتبع * وأراد بالتحقيق ان صنعة الحساب برهانية محققة و (التلفيق) ضم شئ لطيف الى مثله ولفقت الشئ تلفيقا ضممت بعض اجزائه الى بعض (ضابط) محقق والضبط الاخذ بشدة ورجل ضابط للشئ اذا قوى عليه فلم يفلت منه (خابط) مغرر وخبط مشى على غير هداية (الاتاوة) الخراج والجباية الى بيت المال (توظيف) تقسيط ووظف على الناس الغرم قسطه عليهم والوظيفة نصيبك الذى تغرمه (المعاملات) انواع من علم الحساب وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة اذا وافقته على بيع أو كراء أو اجارة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض (تلاوة) قراءة (طوامير السجلات) بطائق الترسيل والطومار الكتاب (بون) بعد (يعتوره) يتداوله ويقصده (التباس) شك (الاكياس) أوعية الدراهم و (الاتاوة) رشوة العمال قال النبى صلى الله عليه وسلم هدايا العمال رشوة (تفرغ الرأس) تهوسه بكثرة الدروس والسهر (الاوارج) أزمة الخراج وقيل صنف من الخراج (الناظر) العامل فيها وأوارجها اذا تولى عملها والقيام بها (المدارج) الرسائل سميت بذلك لانها تدرج أى تطوى على مافيها * واستخراجها تتبع معانيها بجودة النظر ودرس ألفاظها (يعنى) يتعب (الناظر) سواد العين يريد أن كاتب الزمام فى راحة وهو يملى على اكياسه بالدراهم وكاتب الرسالة متعوب قليل المال (النقلة الاثبات) أى هم على يقين وثبات فيما ينقلون (السفرة) الكتبة (الثقات) الامناء (أعلام الانصاف) يريد المشاهير بانصاف السلطان من الناس والناس منه وتقول أنصفت الرجل أعطيته حقه وانتصفت منه أخذت حقك و (المقانع) الذين يقنع بفعلهم أى يرضى و (الاخلاف) جودة الزرع تقول أخلف الزرع اذا طاب ورد على أصحابه أضعاف ما انفق عليه (المستوفى) رأس المشارب (قطب) أصل وقطب القوم سيدهم الذى يدبر أمرهم ويدورون على رأيه بمنزلة قطب الرحى الذى تدور عليه (الديوان) دار كتاب الخراج وهو فارسى معرب (قسطاس) ميزان يريد أنه ميزان العمل الذى يعتدل به (المهيمن) الشاهد (المآب) الرجوع (السلم والهرج) الصلح والحرب (المدار) المعول أى عليه يعول فى ادارة مايدخل على السلطان من المال من رعيته ومايخرج عنه من لوازم الاجناد وغيرهم وفلان كثير الدخل والخرج اذا كثر مايدخل عليه من الفوائد ومايخرج عنه من الانفاق (مناط) تعلق (أودت) هلكت (نظام) خيط (مطلولا) هدرا أى باطلا لاحق فيه (التناصف) أخذ الحق واعطاؤه واستعاره عنقا وجعله مغلولا أى محبوسا بغل (التظالم) ضد التناصف (يراع) أقلام (متقول) منحول مايقوله (متأول) مدبر يريد أن الملك يلقى للكاتب مقصده فيحسن الكاتب الالفاظ ويرتب الفقر فيزيد فى كتابته ألفاظا على ماحد له بالضرورة فتلك الزيادات ضرب من التقول وهو أن يقول على الرجل مالم يقل وكاتب الحساب لايحتاج الى تقول (مناقش) مباحث (أبو براقش) أى يأتى بانواع مختلفة وأبو براقش طائر فيه ألوان شتى مشتق من البرقشة وهى النقش والرقم يقال برقشت الثوب وأنشد سيبويه وعزاه أبو عمرو بن العلاء لبعض بنى أسد

وأحفظ بعضا فعقب كلامه بان قال الا أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الانشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين اتاوة توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لايدركه قياس ولايعتوره التباس اذ الاتاوة تملأ الاكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الاوارج يغنى الناظر واستخراج المدارج يعنى الناظر ثم ان الحسبة حفظة الاموال وجملة الاثقال والنقلة الاثبات والسفرة الثقات وأعلام الانصاف والانتصاف والشهود المقانع فى الاختلاف ومنهم المستوفى الذى هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآب فى السلم والهرج وعليه المدار فى الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع وفى يده رباط الاعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لاودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن الى يوم الحساب ولكان تظام المعاملات محلولا وجرح الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على أن يراع الانشاء متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ ابو براقش

ان يخلوا أو يحسنوا * أو يعذروا لا يجفلوا
يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا
كابى براقش كل حين لونه يتحيل *

وأبو براقش وأبو قلمون كنية للرجل الكثير التلون القليل الارتباط وأصل أبى قلمون كنية لشاب ابريسم تنسج بمصر والروم تتلون للعيون ألوانا شتى وفى البديعية أنا أبو قلمون فى كل لون أكون (حمة) بالتخفيف سم وشر (يرقى) يصعد فى منزله ويرتفع فى أصابع الكاتب حين يكتب به (يرقى) اشارة للرشوة لانها تسكن شره كما تسكن الرقية الوجع (اعنات) مشقة (ينشى) يكتب (يغشى) يقصد ويدخل عليه هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حائك الكلام المشهور لانهم حقروه أولا فى السفينة ثم عظموه آخرا بعد الاختبار * ونذكر الحكاية وان طالت لموافقتها المقامة حدث عمرو بن مسعدة أن المعتصم لما رجع من الثغر وصار بناحية الرقة قال لى مازلت تسألنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز وقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحدا خرج اليه من ساعتك واحلف أن لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا فخلفت له وقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصبر مستحثا العامل خراج ولم أجد بدا من طاعته فخرجت الى بغداد ففرش لى زورق وحشى بالمل فلما سرت عند دير هرقل واذا رجل يصيح يا ملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال هذا نحاذ وان قعد معك آذاك فأمرت الغلمان فأدخلوه فى كوثل الزورق فلما حضر الغداء دعوته فأكل أكل جائع الا أنه نظيف فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوام مع الخاصة أن يقوم فيغسل يده فى ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فقلت يا هذا ما صناعتك فقال حائك فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى ثم قال لى جعلت فداك سألتنى عن صناعتى فأخبرتك فما صناعتك فقلت هذه والله أعظم فكرهت ذكر الوزارة فقلت كاتب فقال الكاتب على خمسة أصناف كاتب رسائل يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل والتهانى والتعازى والصدور وجملا من الاعراب وكاتب خراج يحتاج الى أن يعرف الزرع والمساحة والتقسيط والحساب وكاتب جند يحتاج الى أن يعرف شيات الخيل وحلى الناس وكاتب شرطة يحتاج الى أن يعرف الجراح والقصاص والديات وكاتب قاض يحتاج الى أن يعرف الفقه والوثائق وما يتعلق بذلك فأيهم أنت أعزك الله تعالى قلت كاتب رسائل قال فاخبرنى ان كان لك صديق تكتب له فى المحبوب والمكروه فتزوجت أمه كيف تكتب اليه تهنيه أو تعزيه قلت والله لا أدرى وهو بالتعزية أولى قال صدقت فكيف تعزيه قلت والله لا أدرى قال فلست بكاتب رسائل فأيهم أنت قلت كاتب خراج قال فما تقول وقد ولاك السلطان عملا فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنصفهم وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وكان لاحدهم براح فاردت مساحته قلت أضرب العطوف فى العمود قال اذن تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة والعطوف على حدة قال اذن تظلم الناس قلت والله فما أدرى قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت قلت كاتب جند فقال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع السفلى كيف تكتب عليهما قلت اكتب أحمد الاعلم وأحمد الاعلم قال وكيف ورزق هذا مائة درهم ورزق الآخر

ولكليهما حاجة حين يرقى الى أن يلقى ويرقى واعنات فيما ينشى حتى يغشى ويرشى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم

ألف درهم فيقبض هذا دعوة هذا فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب جند فأيهم أنت قلت كاتب قاض قال فما تقول فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وللزوجة بنت وللسرية ابن فتنازعتا فيه فقالت كل واحدة منهما هذا ابنى وأنت خليفة القاضى قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب قاض قال فأيهم أنت قلت كاتب شرطة قال فما تقول فى رجل وثب على رجل فشجه موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأمومة فقلت لا أعلم وقد سألت ففسر لى ماذكرت قال اما الرجل الذى تزوجت أمه فتكتب اليه أما بعد فان احكام الله تعالى تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للمخلوق نخار الله له فى قبضها اليه فان القبر اكرم لها والسلام قال وأما البراح فتضرب واحدا فى واحد فى مساحة العطوف فتم بابه قال واما المقطوع العليا فتكتب عليه أحد الاعلم وعلى المقطوع السفلى أحد الاشرم واما المرأتان فيوزن لبنهما فأيتهما كان لبنها أخف فهى صاحبة البنت وفى الموضحة خمس من الابل وفى المأمومة ثمانية وعشرون قلت فانزع بك الى هنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فلقيته معزولا فخرجت الى بعض النواحى أضطرب فى المعاش قلت أليس قد ذكرت أنك حائك قال أنا أحوك الكلام ولست بحائك الثياب فلما بلغنا الاهواز أمرت الحجام فاحفى من شعره وأدخل الحمام فكسوته من ثيابى وكلمت الرجحى فيه فى الاهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فقال لى المعتصم ما كان من خبرك فى طريقك فاخبرته خبرى ثم خبر الرجل فقال هذا لا يستغنى عنه فلا ى شئ يصلح قلت هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه البناء فكنت ألقاه فى الموكب النبيل فينزل عن دابته فأمنعه فيقول ياسبحان الله انما هذه نعمتك وبك أفدتها ومثل ايهامه هنا انه حائك ايهام أبى زيد فى التاسعة أنه نظام (قوله أمتع الاسماع) أى متع الآذان ولذذها ومنه يقال فى الكتابة أبقاك الله وأمتع بك ومعناه أطال الله عمره من الماتع وهو الطويل عند العرب ومنه متع النهار أى علا وقال الانصارى

(قال الحرث بن همام) فلما أمتع الاسماع

واها لايام الصبا وزمانه * لو كان أمتع بالمقام قليلا

ونبلاء الكتاب يكتبون بها الى الاتباع والادنياء ولا يكتبون بها الى الاكفاء والاعلون وكتب محمد ابن عبد الملك الزيات الى عبد الله بن طاهر كتابا فى صدره وأمتع بك فكتب اليه ابن طاهر

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فنهت فى كتبك
أم قد ترى أن فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك
ان جفاء الكتاب ذى رقة * يكون فى صدره وأمتع بك
أتعبت كفيك فى مخاطبتى * حسبك مما لقيت من تعبك

(فأجابه ابن الزيات)

كيف أخون الاخاء يا أدلى * وكل شئ أنال من سببك
ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك
أنكرت شيأ ولست فاعله * ولن تراه يخط فى كتبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ومن ملح أجوبة ابن الزيات ان الحسن بن وهب مرض فلم يعده ولا تعرف خبره فكتب اليه الحسن

أيها الوزير ايدك الله وأبقاك لى زمانا طويلا
أجيلا تراه يا أكرم النا * س لكيما أراه أيضا جميلا
انى قد أقمت عشرا عليلا * ماترى مرسلا الى الرسولا
ان يكن يوجب التعهد فى الصحـ * ـبة منا على المنك طويلا
فهو أولى يا سيد الناس برا * وافتقادا لمن يكون عليلا

(فأجابه ابن الزيات)

دفع الله عنك نائبة الده * ر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ماعلمت وماذا * لك من العذر جائزا مقبولا
ولعمرى أن لو علمت فلا زمـ * ـتك حولا لكان عندى قليلا
فاجعلن لى الى التعلق بالعذ * ر سبيلا ان لم اجد لى سبيلا
فقديما ماجاد بالصفح والعفـ * ـو وماسامح الخليل خليلا

وكتب بعض الكتاب الى صديق له يعاتبه على ترك عيادته

ياجافيا ترك السؤال بعبده * نفسى فداؤك من ملول قاطع
اعتل عبدك من تشكى رأسه * ستا وأردفها بيوم سابع
فحبست رسلك عن تعهد علتى * وقطعت من سبب الوصال مطامعى
وعلمت منك تماديا فى جفوتى * فرجعت فى عنوى كأحسن راجع

(فأجابه الآخر)

لا والذى قسم الجمال بفضله * فحباك منه بالضياء اللامع
ماان علمت بعلة لك سيدى * الا بخطك فى القريض البارع
واذا أتتك رسالتى فقرأتها * فاقبل فديتك من مقر خاضع

وكان الحسن بن وهب يتعشق غلاما لابى تمام رومياوكان أبو تمام يتعشق غلاما للحسن خزريا فرآه أبو تمام يعبث بغلامه فقال والله لئن أعنقت فى الروم لأركضن الى الخزر وما أشبهك الا بداود وأشبه نفسى بخصمه فقال الحسن لو كان هذا منظوما خفناه والمنثور عارض لا حقيقة له فقال أبو تمام

أبا على لصرف الدهر والغير * وللحوادث والايام والعبر
أذكرتنى أمر داود وكنت فتى * مصرف القلب فى الاهواء والذكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها * وأنت مضطرب الاحشاء للقمر
ان أنت لم تترك السير الحبيب الى * جاذر الروم أعنقنا الى الخزر

وكان الحسن يكتب لابن الزيات فلما وقف على ما بينهما من أمر الغلامين تقدم الى بعض ولده وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يعلموه ما يدور بينهما فعزم غلام أبى تمام على الحجامة فكتب الى الحسن يعلمه بذلك ويسأله توجيه نبيذ مطبوخ فوجه اليه مائة دن ومائة دينار وخلعة وبخورا وكتب اليه

ليت شعرى يا أملح الناس عندى * هل تداويت بالحجامة بعدى
رفع الله عنك لى كل سوء * باكر رائح وان خنت عهدى

قد كتمت الهوى بمبلغ جهدى * فبدا منه غير ما كنت أبدى
وخلعت العذار فليعلم النا * س بأنى لبلك أصغى بودى
وليقولوا بما أحبوا اذا كنـ * ـت وصولا ولم ترعنى بصد *
من عذيرى من مقلتيك ومن اشـ * ـراق وجه من تحت حمرة خد

ووضع الرقعة تحت مصلاه وأعلم ابن الزيات خبرها فأرسل فى الحين وشغله بشئ ووجه من جاءه بها فلما قرأها كتب فيها على لسان أبى تمام

ليت شعرى عن كتب شعرك هذا * أبهزل تقوله أم بجـــد
فلئن كنت فى المقال محقا * يا ابن وهب لقد تطرفت بعدى
وتشبهت بى وكنت أرى أنى أنا العاشق المتيم وحدى
ان مولاى عبد غيرى ولولا * شؤم جدى لكان مولاى عبدى

ثم قال ضعوا الرقعة مكانها فلما قرأها الحسن قال انا لله افتضحنا عند الوزير واعلم أبا تمام فتلقاه فقالا انا جعلنا هذين الغلامين سببا لمكاتبتنا بالاشعار فقال لهما ومن يظن بكما غير هذا فكان قوله عليهما أشد * محمد بن اسحق قلت لابى تمام غلامك أطوع للحسن من غلامه لك قال انى أعطى غلامه قيلا وقالا ويعطى غلامى ثيابا ومالا وقال أبو تمام فى غلامه

يا عمرو قل للقمر الطالع * اتسع الخرق على الراقع
يا طول فكرى فيك من حامل * لرقعة منكوكة الطابع
ما أنت الا رشا جؤذر * حل بغنى أسد جائع

(قوله راق) أى أعجب (راع) أفزع لافراط حسنه (استنسبناه) سألناه عن نفسه وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا جاء الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم ابيه وممن هو فان ذلك أوصل للمودة (استراب) دخلته الريبة (منسابا) موضع يدخل فيه (لبسه) تخليطه و(غمة) القلب ما يغطيه من الشك أو الوهم فأراد انه لبس عليه فلم يعرفه (اذكرت) أى ذكرت (أمة) حين (الفلك) مدار النجوم (والفلك السيار) أى السفينة السريعة والفلك لفظ يقع للواحد والجمع (أعهده) أعرفه (رواء) فتوة وحسن هيئة (أيد) قوة (استحالة) تغير و(الحول) القوة وأيضا الحيلة ولو خاطبه ابن هماما بشعر لكان للشريف الرضى فى جوابه للصابى وقد شكا اليه الهرم والجلوس فى المحفة وامتناعه من التصرف فقال

لئن رام قبضا من بنانك حادث * لقد عاضنا منك انبساط جنان
وان أقعدتك النائبات فطالما * سرى موقرا من مجدك الملوان
وان هدمت منك الخطوب بمرها * فثم لسان للمناقب بان

(قوله لا يفرى فريه) أى لا يقطع قطعه ولا يعمل عمله قال الحوفزان

وما ارتعشت كفى ولا طاش ضربها * اذا طرحوا بالنارس المتهلل
ولكنها اذ ذاك تفرى فريها * وتقرع رأس الفارس المتقتل

(يبارى عبقريه) يجارى جنيه ولفظ الحريرى كله منتزع من الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأنى على بئر وأرى جميع الناس فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا

بما راق وراع استنسبناه
فاستراب وأبى الانتساب
ولو وجد منسابا لانساب
فحصلت من لبسه على غمه
حتى اذكرت بعد أمه فقلت
والذى سخر الفلك الدوار
والفلك السيار انى لاجد
ريح أبى زيد وان كنت
أعهده ذا رواء وأيد فتبسم
ضاحكا من قولى وقال انا
هو على استحالة حالى وحولى
فقلت لاصحابى هذا الذى
لا يفرى فريه ولا يبارى
عبقريه فخطبوا منه الود

أوذنوبين وفيه ضعف والله يغفرله ثم جاء عمر رضى الله عنه فاستحالت بيده غربا فلم أر عبقريا من الرجال ينرى فريه حتى ضرب الناس بأعطانهم يقال رجل عبقرى أى كامل قوى والعبقرى أيضا الحسن من كل شئ (الوجد) المال (رغب عن الالفة) أى تباعد عن الصحبة (ولم يرغب فى التحفة) أى لم يطمع فى العطية أى لم يقبل عطيتهم ولا صحبتهم (سحقتم) نقضتم وغيرتم (سحقى) ثوبى البالى (وكسفتم) بالى تنقصتم حالى وغيروها (سربالى) قميصى (السخينة) الساخطة الحارة الدمع (شاب) أى خلط و (محضه) خالصه و (غشه) عيبه وفساده وللزاهد بن عمران فى النصيحة

اسمع أخى نصيحتى * والنصح من أصل الديانه
لاتعرضن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من أن تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

(وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة)

اذا ماهديت امرأ مخطئا * أضل السبيل الى قصده
ولم تلفه سامعا قابلا * فحسن له المشى فى ضده

(وقوله لاتعجلن) ومابعده من قول الشاعر

لاتمدحن امرأ حتى تجربه * ولاتذمنه من غير تجريب

(ولابن عمران أيضا)

تحرسبيل القصد فى الناس ولتكن * على حذر منهم ولاتسئ الظنا
ولاتمدحن من لم تجربه ولاتقل * على غير علم ذاك منى ذاكم أسنى
فما كل من يرضيك ظاهر حاله * لدى الخبر محمودا وقد يحمد الادنى

(القضية) الحكم (مبتونة) مقطوعة (تبله) تجربه (خدشه) عيبه واذايته (تجتلى) تنظر (بطشه) صولته عند الغضب يقول لاتحكم بشئ على أحد حتى تجربه فى الشدة والرخاء وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان فلانا الرجل صدق قال أسافرت معه قال لا قال فهل كانت بينك وبينه خصومة قال لا قال فهل ائتمنته على شئ قال لا قال فأنت الذى لاعلم لك به وانما أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد (يبين) يظهر (خلب) كاذب (الشائمين) الناظرين الى البرق (وبله) مطره الكثير (طاشه) مطره القليل (يشين) يعيب (واره) استره (كرما) أى تكرما منك عليه (أفشه) حدث به وانشره (الارتقاء) الترفيع (رقبه) رفعه (استحط) اتضع (حشه) كنيفه وهو المستراح (التبر) الذهب قبل السبك (يستثار) يستخرج (النبش) البحث عليه (الغباوة) الجهالة (رونق رقشه) حسن زينته (مهذبا) مخلصا (دروس) اخلاق (برته) لبسته (رثه) ضعف (طمرين) ثوبين خلقين (هيب) خيف (مفوف) مزين (لفحشه) لقبح كلامه (يغش عارا) يدخله (أسماله) ثيابه البالية (مراقى) سلالم ومدارج (عرشه) سريره ومنزلته (العضب) السيف (قرابه) جفنه * ومما ينتظم فى هذا السلك ان النجاد العدوى دخل على معاوية فى عباءة فاحتقره فقال ياأمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فلما سمعه بيانا ثم خرج ولم يسأله شيأ فقال معاوية مارأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل اخرا منه

وبذلوا له الوجد فرغب عن الالفه ولم يرغب فى التحفه وقال أما بعد فان سحقتم حقى لاجل سحقى وكسفتم بالى لاخلاق سربالى فما أراكم الا بالعين السخينه ولا لكم منى الا صحبة السفينه ثم أنشد

اسمع أخى وصية من ناصح * ماشاب محض النصح منه بغشه
لاتعجلن بقضية مبتوته * فى مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى * وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
وبين خلب برقه من صدقه * للشائمين ووبله من طشه
فهناك ان ترما يشين فوارة * كرما وان ترمايزين فأفشه
ومن استحق الارتقاء فرقه * ومن استحط فحطه فى حشه
واعلم بان التبر فى عرق الثرى * خاف الى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الديناريظهر سرها * من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا * لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا فى نفسه * لدروس برته ورثة فرشه
ولكم أخى طمرين هيب لنضاء * ومفوف البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن * أسماله الامراقى عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه * خلقا ولا البازى حقارة عشه

وقال بعضهم

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

(وقال آخر)

هل ينفعنك بعد شيبك فى الهوى * توقير مكتسب ولبس ثياب
هيهات ما فخر المهند فى الوغى * بحلى تغمد فوقه وقراب

(وقال الخابز رزى)

لا تنظرن الى أثواب مغترب * نائى المحل بعيد الاهل والدار
وانظر اليه اذا ما قام فى ملأ * بمنطق لذوى الالباب سحار

(وقال المعرى)

وان كان فى لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

(وقال أبو هفان)

لعمرى لئن بعت فى دار غربة * ثيابى ان ضاقت على المآكل
فما أنا الا السيف أخلق جفنه * له حلية من نفسه وهو عاطل

(وقال لبيد)

أصبحت مثل السيف أخلق جفنه * تقادم عهد السيف والسيف قاطع

(وقال النمرى)

فان تك أثوابى تمزقن عن بلى * فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

كان بالكوفة رجل يعرف بابى ذؤيب وكان مقصدا للشعراء فدخل مجلسه محمد بن حازم الباهلى وعليه ثياب رثة وهم يتكلمون فى معانى الشعر فساله ابن حازم عن بيت الطرماح فرد أبو ذؤيب جوابا محالا وهو فى ذلك كالمزدرى لابن حازم فوثب مغضبا فقال له ماذا فتحت على نفسك من الشر أتدرى من احتقرت قال لا قيل هو أخبث الناس لسانا واهجاهم هذا ابن حازم فوثب حافيا حتى لقيه وحلف انه لم يعرفه واستقاله فأقاله وقال

أخطا على ورد غير جوابى * وزرى على وقال غير صواب
وسكت من عجب لذاك فزادنى * فيما كرهت بظنه المرتاب
وقضى على بظاهر من كسوة * لم يدر ما اشتملت عليه ثيابى
من عفة وتكرم وتجمل * وتجلد لمصيبة وعقاب
لكنه رجعت عليه ندامة * لما يسب وخاف مض عتابى
فأقلته لما أقر بذنبه * ليس الكريم على الكريم بناب

وكان ابن حازم ساقط الهمة يرضيه اليسير على انطباعه فى شعره وقال حماد بن يحيى قال لى ابن حازم يوما ما بقى على شئ من اللذات الا بيع السنانير فقلت له ويحك وأى شئ فى ذلك من اللذة قال يعجبنى أن تجئ العجوز الرعناء تخاصمنى وتقول هذا سنورى سرق فأخاصمها فتشتمنى فأشتمها وأغيظها ثم أنشد

صل خمرة بخمار * وصل خمارا بخمر

ثم ما اعتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فقدم كل منا على ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصا لرثاثة برده وأن لا نزدري سفنا مخبوأ في عمده

وخذ نصيبك من ذا * وذا الى حيث تدري

فقلت الى أين ويحك فقال الى النار يا أحمق (قوله ما اعتم) أي ما أبطأ ولا تأخر و يقال عتم القرى اذا تأخر وأعتم حاجته أخرها ومنه صلاة العتمة لتأخر وقتها (استوقف الملاح) أمر خادم السفينة بالوقوف (صعد) ارتقى وارتفع (ساح) ذهب في الارض (في ذاته) أي في نفسه (أغضى جفنه) سد عينه (قذاته) عاره وعيبه الذي تلقى به السمر وحي عند الدخول في السفينة والقذاة ما يسقط في العين فيوجعها (نزدري) نحتقر (لرثاثة برده) لاخلاق ثوبه والله تعالى الموفق

(شرح المقامة الثالثة والعشرين وهي الشعرية)

(قوله نبابي) أي قلق بي ولم يوافقني (الوطن) المنزل و (مألفه) موضع الاجتماع به والتأليف فيه (شرخ) أول أراد في أول زمانه وشبابه (خطب) أمر مخوف (خشي) خيف و (غشي) نزل وغطى (أرقت) هرقت وجعل للكرى وهو النوم كأساً مجازا وكني بهرقها عن ازالة النوم عن عينه (نصصت) رفعت وحركت (ركاب السرى) ابل السير (جبت) قطعت (وعورا) طرقا صعبة (تدمتها) تسهلها وتليتها (الخطا) هنا الاقدام وقوائم الحيوان و (القطا) طائر وقد تقدم و (هدايتها) فيما زعموا أنها تترك فراخها بالصحراء وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة فاذا ونها فيردنه ضحوة يومهن فيحملن الماء لفراخهن فيسقينهن ثم يرجعن بعد الزوال الى تلك المسافة فيشربن ويأتين فراخهن في عشية يومهن فيسقينهن عللا بعد نهل ولا يخطئن مواضع فراخهن فيقال لذلك اهدى من القطا قال الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم زحف لولت

(وقال حميد بن ثور)

كما اتصلت كدر التسقي فراخها * بعسرة رفقا والمياه شعوب

فجاءت ومسقاها الذي وردت به * الى الصدر مشدود العصام كئيب

تبادر أطفالا مساكين دونها * فلا لاتخطاد الركاب رغيب

وضعن لها غوثا بأرض تنوفة * فماهي الا نهلة وتؤب

(قوله حمى الخلافة) هي بغداد (الحرم) موضع الامن (العاصم) المانع (سروت) أزلت (ايجاس الروع) احساس الفزع والخوف و (استشعاره) استفعال من شعرت بالشئ (تسربلت) لبست سربالا (قصرت همتي) حبست همتي وارادتي (ملحة) طرفة وشئ عجب (أجتليها) انظرها (الحريم) موضع متسع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم (اروض) أعلم وأسوس (طرفي) فرسي (أجيل) أمشي (متثالون) متتابعون (منثالون) منصبون لكثرة جريهم (الطيلسان) ثوب خز أخضر (لبب) جعل في عنقه ثوبا وقاده به وأخذ بتلابيبه وهي أطواق ثوبه والتلابيب مأخوذة من اللبة وهي وسط الصدر (جديد الشباب) أي فتي السن وتقدم الجلباب (ركضت في أثر النظارة) أي خلف الناظرين لما يفعل به ومن شأن الغوغاء والعامة اذا رأوا محبوسا أو مضروبا أن يتبعوه ويتكاثروا عليه ونظر عمر رضي الله عنه الى قوم يتبعون رجلا مر بيا فقال لا مرحبا

بهذه الوجوه التي لا ترى الا عند الشر وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما اجتمعوا قط الا ضروا ولا تفرقوا الا نفعوا قيل له قد علمنا ضرا جتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى كاره وكل صانع الى صنعته وقال دعبل

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * والله يعلم اني لم أقل فندا
اني لأفتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

ومر علي بن الجهم بمربد والناس قد تجمعوا حوله وحلقوا به فلما رآهم المربد أخذ بعنان فرسه وأنشأ يقول

لا تحنثن بمعشر السهمج الذين تراهم
فبحق من أبلى بهم * نفسي ومن عافاهم
لو قيس مولاهم بهم * كانوا اذا مولاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاما جميل الوجه حسن اللابسة فهجم عليه وشق ثيابه وهو يقول

هذا السعيد لديهم * قد صار بي أشقاهم

(وافينا) وصلنا و (صاحب المعونة) والي الجنايات وقال الرسعني ولي فلان المعونة أي ولي العون أي ولاه السلطان عونة على حفظ المدينة ولفظها معولة وهي بتأويل المصدر بمنزلة قولهم ماله معقول أي عقل ولا مجلود أي جلد (مرقوعا بسمته) أي مفزعا بهيئته ووقاره (جعل كعبه العالي) أي جعل أسفل شيء منه يعلو أرفع شيء في غيره (كفلته) ضممته وقت بمؤنته * أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه وخير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه * أبو أسامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كانت له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة كنت أنا واياه في الجنة كهاتين وفرق بين أصبعيه (فطيما) أي صغيرا كما منع الرضاع (لم آله) أي لم أقصر في تعليمه (دهر) ظهر وصار ماهرا أي حاذقا (بهر) غلب أمثاله (العدوان) الظلم (يلتوي) ينعطف لضرى وهو من فعل الحية اذا اتبعها الرجل التوت عليه لتلسعه (يتقمح) يسقط حياؤه (يلتقح) يشرب لبن اللقحة واللقحة الناقة ذات اللبن (عثرت) اطلعت (الخزي) العار والشر والخزي الهوان (هتكت) خرقت (حجاب سترك) أي ثوب طاعتك (ولا شققت عصا أمرك) أي ما خالفت حكمك وشق فلان العصا خرج عن الامر مخالفا وشق عصا المسلمين فرق جماعتهم والاصل في العصا الائتلاف والاجتماع ومنه قولهم للمطمئن ألق العصا وقيل شق العصا صار منها في شق وخرج عن الجماعة وفسر قوله تعالى شاقوا الله ورسوله بالمباينة لان من صار في شق عن شق صاحبه فقد باينه وقيل معنى شق العصا ذهب الى شقها أي كسرها فجيء بالشق الذي هو من صفة العصا وفي ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ

تصدع شعب الحي وانشقت العصا * كذلك النوى بين الخليط شقوق

(ألغيت) تركت (تلاوة) قراءة و (الريب) الريبة والتهمة (أخزى) أضر وأكثر هوانا (أفحش) أقبح (ادعيته) نسبته لنفسك وليس لك (سحري) بديع كلامي (استلحقته) ألحقته بنفسك (انتحلت) ادعيت (أفظع) أمر (البيضاء والصفراء) الفضة والذهب (بنات الافكار) هي الاشعار

حتى وافينا باب الامارة وهناك صاحب المعونة متربعا في دسته ومرقوعا بسمته فقال له الشيخ أعز الله الوالي وجعل كعبه العالي انى كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جر دسيف العدوان وشهر ولم أخله يلتوي علي ويتقمح حين يرتوي مني ويلتقح فقال له الفتى غلام عثرت مني حتى تنشد هذا الخزي عني فوالله ما سترت وجه برك ولا هتكت حجاب سترك ولا شققت عصا أمرك ولا ألغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك وأي ريب أخزى من ريبك وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته وانتحلت شعري واسترقته واسراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار

(سلخ) أخذ المعنى (مسخ) قلب الكلام وغيره (نسخ) نقله بعينه والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه وهى النسخ والمسخ والرسخ والفسخ فالنسخ عندهم أن يحول الادنى الى الاعلى والمسخ ان يحول الاعلى من الحيوان الى الادنى والرسخ رد الحيوان جمادا والفسخ ان يتلاشى فلا يكون شيأ وقال شاعرهم

(أقسام سرقات الشعراء)

تعوذ بالاله من المسوخ * وسله ان تكون من النسوخ
لقد خاب الذى أضحى وأمسى * ينقل فى فسوخ أو رسوخ

(وقال المعرى)

وقال بأحكام التناسخ معشر * غلوا فأجازوا الفسخ فى ذا الورى رسخا

وتقسيم الحريرى السرقة فى قوله سلخ ومسخ ونسخ يدخل تحت أحكام السرقات التى عدها أبو محمد الحسين بن على بن وكيع رحمه الله تعالى فى كتابه المترجم بالمصنف فى الدلالات على سرقات المتنبى فانه جعلها عشرين وجها عشرة أوجه يغتفر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته الاول منها استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القصير كقول طرفة

أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوى فى البطالة مفسد

فقال الوالى للشيخ وهل حين سرق سلخ أم مسخ أم نسخ

اختصره ابن الزبعرى فقال

والعطيات خساس بينهم * وسواء قبر مثر ومقل

ففضل صدر بيته وجاء ببيت طرفة فى عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ واضح الثانى نقل اللفظ الرذل الى الرشيق الجزل كقول العباس بن الاحنف

زعموا لى انها باتت تحم * ابتلى الله بهذا من زعم
اشتكت أكل ما كانت كما * يشتكى البدر اذا ما قيل تم

(فهذا معنى لطيف أخذه ابن المعتز فقال)

طوى عارض الحمى سناه فقالا * وألبس ثوبا للسقام هزالا
كذا البدر محتوم عليه اذا انتهى * الى غاية فى الحسن عاد هلالا

الثالث نقل ما قبح مبناه دون معناه الى ما حسن مبناه ومعناه كقول أبى نواس

بح صوت المال مما * مند يدعو أو يصيح مالهذا آخذ فو * قيديه من يصيح

معناه صحيح ولفظه قبيح أخذه مسلم فقال

تظلم المال والاعداء من يده * لازال للمال والاعداء ظلاما

فجوّد الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال والاعداء وكل ذلك مليح جزل نقل عن ضعيف المبنى الرابع عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد ما كان هجاء كقول البلاذرى

قد يرفع المرء اللئيم حجابه * ضعة ودون العرف منه حجاب

معكوسه

ملك أغر محجب * معروفه لا يحجب

الخامس استخراج معنى من معنى احتذى عليه وان فارق ما قصد اليه كقول أبى نواس فى الخمر

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

احتذاه البحترى وفارق مقصده فجعله فى محبوب فقال

غاب دجاها وأى ليل * يدجو علينا وأنت بدر

السادس توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق كقول أبى تمام

لا عمر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذه من قول الاعرابى أنشده الاصمعى رحمه الله تعالى

فكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

فجرد لفظه من لفظ من أخذ منه وهو فى معناه متفق معه وهذا من أدل الاقسام على فطنة الشاعر السابع فى توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات وهذا من أشذ باب وأقله وجودا وانما قل لانه من أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته كقول أبى نواس

واسقنيها من كميت * تدع الليل نهارا

(ثم قال أيضا)

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

(ثم قال أيضا)

ألمبتغى المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوءها مصباحا

فكل هذه معان متقاربات وألفاظ متشابهات مولد بعضها من بعض الثامن مساواة الآخذ المأخوذ منه فى الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام وان كان الاول أحق به لانه ابتدع والثانى اتبع من ذلك قول العكرل فى فرس

مطرد يرتج من أقطاره * كلما هاجت فيه ريح فاضطرب

فذكر ارتجاجه ولم يذكر سكونه فأخذه ابن المعتز فقال

فكأنه موج يذوب اذا * أطلقته فاذا حبست جمد

فجمع بين الصفتين التاسع مماثلة السارق المسروق بزيادته فى المعنى ما هو من تمامه كقول أبى حية

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم

(أخذه من قول النابغة)

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فلم يزد النابغة على اتقائها باليد وزاد عليه أبو حية بقوله دونه الشمس وخبر عن المتقى ياحسن خبر فاستحقه العاشر رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظ على لفظ من أخذ عنه كقول حسان

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

(وقال أبو نواس رحمه الله تعالى)

الى بيت حان لا تهر كلابهم * على ولا يخشون طول ثوائى

ولا فرق بين المعنيين *والسرقات المحمودة أكثر من أن تحصر ونريك وجه السرقات المذمومة وهى كالمحمودة عشرة أقسام الاول نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير كقول سالم الخاسر

أقبلن فى راد الضحى بنا * يسترن وجه الشمس بالشمس

(أخذه الثانى فقال)

واذا الغزالة فى السماء تعرضت * وبدا النهار لوقته يترحل

(ذكر السرقات المذمومة)

أبدت لعين الشمس عينا مثلها * تلقى السماء بمثل ما تستقبل

المعنى صحيح والكلام مليح غير أنه تطويل وتضييق والبيتان جميعا نصف بيت سالم الثانى نقل الرشيق الجزل الى المستضعف الرذل كقول القائل

كأن ليلى صبر غادية * اودمية زينت بها البيع

(أخذه أبو العتاهية فقال)

كأن عتابة من حسنها * دمية قس فتنت قسها

فقصر لفظه عن الفصاحة ومعناه عن الرجاحة الثالث نقل ماحسن معناه ومبناه الى ماقبح مبناه ومعناه كقول امرئ القيس

ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فاتى بما لا يعلم وجوده فى البشر من وجود طيب ممن لم يمس طيبا وجاء ببيت فى مراده حسن النظام مستوفى التمام أخذه كثير فقال

فما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فطوّل وحسن وقصر غاية التقصير وأخبر أنها اذا تطيبت كالروضة فى طيبها وذلك مما لا يعدم فى أقل البشر تنظيفا الرابع عكس مايصير بالعكس هجاء بعد ان كان ثناء كقول أبى نواس رحمه الله تعالى

فهو بالمال جواد * وهو بالعرض شحيح

(عكسه ابن الرومى فقال)

ماشئت من مال حمى * يأوى الى عرض مباح

الخامس نقل ماحسنت أوزانه وقوافيه الى ماقبح وثقل على لسان راويه كقول مسلم رحمه الله تعالى

اما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

(أخذه أبو تمام فقال)

قال لى الناصحون وهو مقال * ذم من كان جاهلا اطراء

صدقوا فى الهجاء رفعة أقوا * م طغام فليس عندى هجاء

فبين الكلامين فرق بعيد الثامن نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى كقول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

(فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم)

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * جرى المعافاة فى أعضاء منتكس

التاسع نقل مايصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وافساد كقول القائل

ولقد أروح الى النجار مرجلا * مدلى بمالى ليتنا اجيادى

وانما له جيد واحد وهذا وان جاز عند بعض العرب فهو عند الآخرين غير جيد ولا سديد العاشر أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضعها وقد أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق وأول من ذم ذلك طرفة حين قال

وله الثامن كذا فى جميع الأصول التى بأيدينا وقد سقط السادس والسابع اه

ولا أغير على الاشعار أسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وقال الاعشى فكيف أنا وانتحالى القوافى بعد المشيب كفى ذاك عارا

ومن سرقة اللفظ والمعنى مايحكى عن أبى المعافى أنه لما مدح أبا العباس محمد بن ابراهيم الامام بقوله

اليك بمدحتى ياخير أبنا * رسول الله من تلد النساء

ستأتيك المدائح من رجال * وما كف أصابعها سواء

فأخذه آخر وغيره بان وضع الرجال موضع النساء وغير عجز البيت الآخر فقال

* كما اختلفت الى الغرض النبال * فاستعدى عليه أبا المعالى صالح بن اسمعيل وهو على شرطة محمد بن ابراهيم بالمدينة فقال

ماسارق الشعر فيه وسم صاحبه * الا كسارق بيت دونه غلق

بل سارق البيت أخفى حين يسرقه * والبيت يستره من ظلمة غسق

من جيد الشعر أن يخفى لسارقه * وجيد الشعر قد سارت به الرفق

فقال صالح فما تحب أن أفعل به فقال تحلفه عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا ينشد هذا الشعر الا لى وكان محمد بن زهير يشرب فاذا سكر لا يفيق الا بانشاد الشعر فأمر يوما جبار بن محمد الكاتب أن ينشده فأنشده أبياتا الا بى نواس ادعى انه قائلها وهى

صاح مالى وللرسوم القفار * ولنعت المطى والاكوار

شغلتنى المدام والقصف عنها * وسماع الغناء والمزمار

ومضى فى الشعر وأبو نواس قاعد فوثب وتعلق به قدام محمد بن زهير وأنشأ يقول

أعدنى يا محمد بن زهير * ياعذاب اللصوص والذعار

يسرق السارقون ليلا وهذا * يسرق الشعر جهرة بالنهار

صار شعرى قطيعة لجبار * أفهذا لقلة الاشعار

قل له فليغر على شعر حما * دأخى الفتك أو على بشار

وسرق محمد بن يزيد الاموى شعر الحبيب فقال حبيب

من بنو مجدل من ابن الحباب * من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل وعامر ومن الحـ * ـرث أو من عتيبة بن شهاب

انما الضيغم الهصور أبو الاشـ * ـبال جبار كل جيش وغاب

من عدت خيله على سرح شعرى * وهو للحين راتع فى كتاب

غارة أسخنت عيون المعانى * واستباحت محارم الآداب

لو ترى منطقى أسيرا وأصـ * ـبحت أسيرا بعبرة وانتحاب

ياعذارى الاشعار صرتن من بعـ * ـدى سبايا تبعن فى الاعراب

طال رهبى اليك ياربّ يا ربّ ورغبى اليك فاحفظ ثيابى

وعارض أبو أحمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحترى فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى

ما الدهر مستنفد ولا عجبه * تسومنا الخسف كله نوبه

نال الرضا مادح وممتدح * فقل لهذا الامير ما غضبه
أجلى لصوص البلاد يطردهم * وظل لص القريض ينتهبه
اردد علينا الذى استعرت وقل * قولك يعرف لغالب غلبه

واستعدى ابن الرومى العلاء بن عيسى على البحترى فقال

قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت * به الدواهى نصول الآل فى رجب
أيسرق البحترى الناس شعرهم * جهرا وأنت نكال اللص ذى الريب
وتارة يبرز الارواح منطقه * فالقوم ما بين مقتول ومغتصب
نكله ان اناسا قبله ركبوا * بدون ما قد أتاه باسق الخشب
اذا أجاد فأوجب قطع مقوله * فقد دها شعراء الناس بالحرب
وان اساء فأوجب قتله قودا * بمن أفات اذا أبقى على السلب
يسىء عفا فان أكدت مسائله * أجاد لصا شديد البأس والكلب
حتى يغير على الموتى فيسلبهم * حر الكلام بجيش غير ذى لجب

(وقال فيه ابن الحاجب)

والفتى البحترى يسرق ما قا * ل ابن أوس فى المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا * ه فعناه لابن أوس حبيب

(ولابن الحاجب أيضا)

هل الى محنة تخبر من فا * ضلنا فى القريض والمفضول
محنة تفضح اللصوص وتقضى * بالذى فيهم قضى التنزيل
سارق المال تقطع الكف منه * واللسان السروق منها بديل
ليس ود الذى يحق له السو * ددمنا ويرذل المرذول

وبلغ الصاحب بن عباد أن بعضهم سرق شعره فقال أبلغوه عنى

سرقت شعرى وغيرى * يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك ضعفا * يكل رأسا وأخدع
فسارق المال يقطع * وسارق الشعر يصفع

فاتخذ السارق لذلك جملا وهرب من الرى وبين السرى الموصلى والخالديين مستظرفات فى هذه السرقات اشتهرت فى كتب الآداب فلنلم ببعض ما قال السرى فيهما وفيه يقول الثعالبى السرى وما أدراك ما السرى صاحب الشعر الجامع بين عقود الدر والنافث فى عقد السحر ولله دره ما أعذب بحره وأصفى قطره وأعجب أمره وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ويعلق فى كعبة الظرف وكتبت منه محاسن وملحا وبدائع وطرفا كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان ونمزات الحدق الملاح قال يتظلم الى سلامة بن فهد من الخالديين

تحيف شعرى يا ابن فهد مصالت * عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى
وفى كل يوم للغبيين غارة * ترو ع ألفاظى المجللة الغرا

اذا عن لى معنى تضاحك لفظه * كما ضاحك النوار فى روضه الغدرا
غريب كنشر الروض لما تبسمت * مخايله للفكر أودعته سطرا
فوجه من الفتيان يمسح وجهه * وصدر من الاقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثر من الجهل معدم * من العلم معذور متى خلع العذرا
لاطفأتما تلك النجوم بأسرها * وأدنستما تلك المطارف والازرا
فويحكما هلا بشطر قنعتما * وأبقيتما لى فى محاسنه الشطرا

وقال يخاطب أبا الخطاب وقد سمع ان الخالديين يرجعان الى بغداد

بكرت عليك معرة الاعراب * فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكدم * وعتيبة بن الحرث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما * فى الفتك لا فى صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه * جلب التجار طرائف الاجلاب
شنا على الآداب أقبح غارة * جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى غارة * وحذار من فتكات ليثى عاب
تركت غرائب منطق فى غربة * مسبية لا تهتدى لاياب
أعزز على بأن أرى أشلاءها * تدمى بظفر للعدو وناب
جرحى وما ضربت بحد مهند * أسرى وما حملت على الاقتاب
ان عز موجود الكلام عليهما * فانا الذى وقف الكلام ببابى
كم حاولا أمرى فطال عليهما * أن يدركا الامشار ترابى

والقصيدة طويلة جمعت منها ما وافق الغرض وسنلم بشئ منها فى الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى وقال يتظلم منهما لابى البركات

يا أكرم الناس الا أن تعد أبا * فات الكرام بآيات وآثار
أشكو اليك حليفى غارة شهرا * سيف العقوق على ديباج أشعارى
ذئبين لوظفرا بالشعر فى حرم * لمزقاه بانياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغى مصلتة * فى جحفل من شنيع الظلم جرار
وأرخصاه فظل العطر منتهما * لديهما يشترى من غير عطار
ان قلدا لك بدرا فهو من نجبى * أو ختمالك فياقوتى وأحجارى
كأنه جنة راقت حدائقها * بين الغبيين فى نار واعصار
عار من النسب الوضاح منتسب * فى الخالديين بين الخزى والعار

وشتان بين قول السرى فى أبى بكر وأبى عثمان ابنى هشام الخالديين وبين قول الثعالبى فيهما حين قال ان هذين لساحران يغربان فيما يجلبان ويبدعان فيما يصنعان وكان ما يجمعهما من أخوة الادب مثل ما ينظمهما من اخوة النسب وهما فى الموافقة والمساعدة يجريان روح واحدة ويشتركان فى قول الشعر وينفردان ولا يكادان فى السفر والحضر يفترقان وكانا فى التساوى كما قال أبو تمام

رضيعي لبان شريكي عنان * عتيقي رهان حليفي صفاء

(بل كما قال البحتري)

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعدموضع فرقد عن فرقد

(بل كما قال الصابي)

أرى الشاعرين الخالدين نشرا * قصائد يفنى الدهر وهي تخلد

جواهر من أبكار لفظ وعونه * يقصر عنها راجز ومقصد

تنازع قوم فيهما وتناقضوا * ومر جدال بينهم يتردد

فطائفة قالت سعيد مقدم * وطائفة قالت لهم بل محمد

وصاروا الى حكمي فأصلحت بينهم * وماقلت الا بالتي هي أرشد

هما الاجتماع الفضل روح مؤلف * ومعناهما من حيث ألفت مفرد

كما فرقدا الظلماء لما تشاكلا * علاء أأشكي ذاك أم ذاك أمجد

فزوجهما ماشاء في اتفاقه * وفردهما بين الكواكب أسعد

فقاموا على صلح وقال جميعهم * رضينا وساوى فرقد الارض فرقد

فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الادب ما أحدث سوى أن يترشح شرحه وأغار على ثلثي سرحه فقال له أنشد أبياتك برمتها ليتضح ما احتازه من جملتها فانشد

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما أضحكت في يومها * أبكت غدا بعدا لها من دار

واذا أظل سحابها لم ينتقع * منه صدى لجهامه الغرار

غاراتها ما تنقضي وأسيرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار

كم مزده بغرورها حتى بدا * متمردا متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن وأولغت * فيه المدى ونزت لاخذ الثار

فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا

وأفاضل الشأم والعراق بعضهم يفضل السري عليهما وبعضهم يفضلهما فهذا كله فصل في السرقات مستظرف احتوى على فوائد من علم الادب وهي عشرون وجها والعشرون وجها في السرقة جلبتها من كتاب الوكيعي على اختصار (قوله والذي جعل الشعر ديوان العرب) أي كتابا تدون فيه أخبارهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من هذا الشعر جزل من كلام العرب به يعطى السائل ويكظم الغيظ وبه يؤتى القوم في ناديهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من الشعر لحكمة رواه ابن عمر رضي الله عنه * عمر رضي الله عنه قال تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى وحكمة للحكماء ويدل على مكارم الاخلاق (قوله ياخاطب الدنيا الدنية) أي التي لاخير فيها (شركُ) مصائد (الردى) الهلاك (قرارة) موضع يستقر فيه الماء (الاكدار) ما يتكدر به الماء الصافي (أظل) دنا وقرب (ينتقع) يروى (صدى) عطش (جهامه) سحابه الذي لا ماء فيه (الغرار) الخداع (تنقضي) تنقطع وتتم أراد أن الدنيا تهلك من فيها فكني بالاسير عن ذلك وأسير الموت لا يفدى (الجلائل) جمع جليلة وهي الشيء الرفيع * وتقدمت الاخطار (مزده) معجب (غرورها) خداعها (متمردا) متجاوزا الحد في الفساد (المجن) الترس (أولغت) جعلتها تلغ الدم (المدى) جمع مدية السكين (نزت) وثبت عليه (الثار) طلب الدم وأراد أنها لما بسطت الارزاق للانسان فأعجب بها وركب رأسه في الفساد تحولت عليه وسقت سكينها من دمه والعرب تقول قلبت له ظهر المجن اى غيرت له حالي وهو مثل يضرب للمحارب بعد المسالمة وأصله في الحرب لان الرجل اذا صالح صاحبه جعل بطن مجنه مما يلي صاحبه المصالح فاذا حاربه قلب له ظهره للقتال ومن جواب رسالة المهلب الى الحجاج وزعمت اني ان لم ألتهم في موضع كذا أسرعت الى صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن ثم اذا كانت الواقعة فهذا بين ماذكرناه (اربابعمرك) أي ارفع عنها نفسك واحتفظ فيها بعمرك وتقول ربأت القوم أي صرت لهم ربيئة وهو الحارس لهم والمرباً الموضع المشرف الذي يقعد فيه الناظر فمعنى اربابنفسك أي

ارتفع بموضع ممتنع واحترس فيه لتنجو (سدى) مهملا (استظهار) استعدادوقد استظهرت بالشئ فظهرت به وأظهرته اذا جعلته خلف ظهرك حماية ووقاية والظهير المعاون و(العلائق) كل مايعلق القلب بحب الدنيا و(الرفاهة) الخفض والعيش الهنئ (الاسرار) البواطن يريد ان سر الانسان وخاطره اذا قطع علائق الدنيا كان مترفها خالى السر والبال (ارقب) احرس (سالمت) صالحت (كيدها) مكرها (الغدار) الذى يؤمنك فاذا أمنته خانك (وتوثبه) تهيؤه للوثب عليك (خطوبها) أمورها ونوازلها (تنفجا) تأتى على غفلة (ونت) فترت و(السرى) مشى الليل (الاقدار) مايقدره الله على العبد من خير أوشر فيقول اذا أمنتك الدنيا من مكرها فلا تامنها فخطوبها تأتى على غفلة بعد أمد طويل وضمن هذا الشعر وصايا فى التحذير من الدنيا ونسوق هنا من النظم والنثر ما ينتظم فى سلك مانظم قال النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذى لايشبع وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال ابنه محمد بن الحنفية من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وقيل لبعض الحكماء صف لنا الدنيا فقال أمل بين يديك وأجل قد طل عليك وشيطان فتان وأمانى جرارة العنان تدعوك فتستجيب وتزجرها فتخيب وقيل لآخر صف لنا الدنيا فقال ناقضة للعزيمة مرتجعة للعطية كل من فيها يجرى الى مالايدرى وقال هرون الرشيد لوقيل للدنيا صفى نفسك ماوصفت نفسها بأكثر من قول أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال آخر

ياخاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

(وقال أبو العرب الصقلى)

ولايغرك منها حسن برد * له علمان من علم الذهاب
فأوله رجاء من سراب * وآخره رداء من تراب

(وقال أبو العتاهية)

أصبحت الدنيا لنا فتنة * والحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وله أيضا

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل فى الذين بقوا * كما فى من مضى فعلت

وقال المتنبى

أبدا تسترد ماتهب الدنـ * ـيا فما فى اليت جودها كان بخلا
وهى معشوقة على الغدر لاتحـ * ـفظ عهدا ولا تتم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها * وبفك اليدين منها تحلى
شيم الغانيات فيها فلا أد * رى لذا أنث اسمها الناس أم لا

(وله أيضا)

فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها
تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ماسالمت من كيدها
حرب العدا وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تنجاوتو
طال المدى وونت سرى
الاقدار

(ذكر التحذير من الدنيا)

فذى الدار أخون من مونس * وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها * وما يحصلون على طائل

(وقال المعرى)

وجدنا أذى الدنيا الذيذا كأنما * جنى النحل أصناف الشقاء الذى نجنى
على أم دفر غضبة الله انها * لاجدر أنثى أن تخون وأن تخنى
كعاب دجاها فرعها ونهارها * محيالها قامت له الشمس بالحسن
كان بنيها يولدون ومالها * حليل فتخشى العار ان سمحت بابن

(وقال ابن عبدربه)

ألا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال الا خدائع * عليها ولا اللذات الا مصائب
فلا تكتحل عينالك فيها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وقال أبو العتاهية)

رضيت بذى الدنيا لكل مكاسر * ملح على الدنيا وكل مفاخر
ألم ترها ترقيه حتى اذا سما * فرت حلقه منها بشفرة جازر

(وقال أبو بكر البلوى)

ان الذى أصبح لا والد * له على الارض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم * فأى نفس بعده خالده
ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

(وقال ابن عمران)

أف لدنيا قد شغفنا بها * جهلا وعقل للهوى متبع
فتانة تخدع طلابها * فلا تكن ممن بها ينخدع
أضغاث أحلام اذا حصلت * أو كوميض البرق مهما لمع

(وقال ابن قاضى ميلة)

لدنيالك نور ولكنه * ظلام يحاربه المبصر
فان عشت فيها على أنها * كما قيل قنطرة تعبر
فلا تعمرن بها منزلا * فان الخراب لما تعمر
ولا تدخرن خلاف التقى * فتفنى ويبقى الذى تدخر

ابن عمران واعلم ان الانسان لا يحب شيأ الا أن يجانسه فى بعض طباعه وان الدنيا جانست الانسان فى بعض طبائعه فأحبها بكله وقال

نراع لذكر الموت فى حال ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

(وقال ابراهيم بن أدهم)

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وهذا مثل قول أعرابى قيل له كيف أنت فى دينك فقال أخرقه بالمعاصى ولا أرقعه بالاستغفار وللاعمى الطليطلى

تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * ان سوف تقتلهم لذاتهم بددا
قل للمحدث عن لقمان أولبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

تأمل هذه المقاطع فانها تضمنت حكما وآدابا وكل قطعة منها لها تعلق بشعر الحريرى اما باللفظ أو بالمعنى (قوله أقدم) أى تقدم (لؤمه فى الجزاء) يريد أنه جازاه على ما فعل معه من الخير مجازاة لئيم فسرق شعره (السداسية الاجزاء) لان عروضها من الكامل وأجزاؤها متفاعلن ست مرات (الرزء) المصاب (فلذ) قطع (أرعنى سمعك) أى اسمع منى (ذرعك) بالك وقلبك (أصلت) جرد سيفه (تتصعد) تتطلع الى فوق (الخريج) الذى خرجه معلمه وفلان خريجك أى الذى خرج بتهذيبك وتعليمك (مارق) خارج عن الطاعة (وتلميذ) طالب متعلم (برئت) زلت وانفصلت (يناويه) يعاديه (يقوض) يهدم (نمت) اتصلت ونميت الحديث أسندته (ألفت نظمى) جمعت شعرى (توارد الخواطر) توافق الاذهان أى وقع لذهن الفتى من الكلام ما وقع لذهن الشيخ مثل الحافر الذى يقع على الحافر وهذا الكلام يعزى لابى الطيب المتنبى وسئل عن اتفاقات الخواطر فقال الشعر ميدان والشعراء فرسان فربما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال الاصمعى رحمه الله تعالى قلت لابى عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان فى المعنى ويتواردان فى اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه ولا سمع شعره فقال لى تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها ومن مشهور ذلك ما وقع فى القصيدتين البائيتين لامرئ القيس وعلقمة وكذلك اتفاقه مع طرفة فى قوله

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقال امرؤ القيس وتجمل ومن توارد الخواطر قول ربيعة بن مقروم

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل

وقال النابغة صرورة متعبد وقال

لزار رؤيتها وحسن حديثها * ولهم من تامور يتنزل

وقال النابغة لزار رؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

تامور صومعته ومن ذلك ما حكى أبو على انه خرج جرير والفرزدق مردفين الى هشام بن عبد الملك فنزل جرير يبول فتلفتت الناقة فضربها الفرزدق وقال

الام تلفتين وأنت تحتى * وخير الناس كلهم أمامى

فقال جرير يجيبه

متى ترددى الرصافة تستريحى * من التهجير والدبر الدوامى

ثم قال الآن يجيء جرير فأنشده البيتين فيرد على

تلفت انها تحت ابن قين * الى الكيرين والنفس الكهام
متى ترددى الرصافة تخزفيها * نخزيك فى المواسم كل عام

فقال له الفتى ثم ماذا صنع هذا فقال اقدم للؤمه فى الجزاء على أبياتى السداسية الاجزاء فحذف منها جزأين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الرزء فيها رزأين فقال له بين ما أخذ ومن أين فلذ فقال أرعنى سمعك واخل للتفهم عنى ذرعك حتى تتبين كيف أصلت على وتقدر قدر اجترامه الى ثم أنشد وانفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت
فى يومها ابكت غدا
واذا اظل سحابها
لم ينقع منه صدى
غاراتها ما تنقضى
واسيرها لا يفتدى
كم مزده بغرورها
حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجـ
ـن وأولغت فيه المدى
فاربأ بعمرك ان يمـ
ـر مضيعا فيها سدى
واقطع علائق حبها
وطلابها تلق الهدى
وارقب اذا ما سالمت
من كيدها حرب العدا
واعلم بأن خطوبها
تنبى ولو طال المدى

فالتفت الوالى الى الغلام وقال ثالث من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى

برئت من الادب و بنيه
ولحقت بمن يناويه ويقوض
مبانيه ان كانت أبياتى

نمت الى علمى قبل ان ألفت نظمى وانما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر

قال فجاء جرير والفرزدق يضحك فقال ما يضحكك يا أبا فراس فأنشده البيتين فقال جرير تلفت انها البيتين كما قال الفرزدق سواء فقال والله لقد قلت هذين البيتين فقال جرير أما علمت أن شيطاننا واحد ومر رجل بالفرزدق بالمربد فقال من أين أقبلت قال من اليمامة قال فأي شيء أحدث ابن المراغة فأنشده * هاج الهوى لفؤادك المهتاج * فقال الفرزدق

* فانظر توضح باكر الاحداج * فقال الرجل * هذا هوى شغف الفؤاد مبرح * فقال الفرزدق

* ونوى تقاذف غرزات خلاج * فقال الرجل * ان الغراب بما كرهت لمولع * فقال الفرزدق

* بنوى الاحبة دائم التسحاج * فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيري قال لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال فقال أما علمت ان شيطاننا واحد ودخل الفرزدق على امرأة من عقيل تحدثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل فاقبلت عليه تحدثه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك وقال للفتى أتصارعني قال ذلك اليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه وجلس على صدره فضرط الفرزدق فوثب الفتى عنه وقال هذا مقام العائذ بك والله ما أردت ما جرى فقال والله ما بي ذلك ولكن كأني بابن المراغة جرير قد بلغه الخبر فقال

جلست الى ليلى لتحظى بقربها * فخانك دبر لا يزال خؤون

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها * كما شد خرقا بالدلاص قيون

فلما بلغ الخبر جريرا قال البيتين وأمر سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستعفاه فلم يفعل وأعطاه سيفا لا يقطع فضرب به عنق رومي فثنيا السيف فضحك سليمان ومن حوله فجلس وهو يقول

أيعجب الناس ان أضحكت سيدهم * خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب سيفي عن رعب ولا دهش * عن الاسير ولكن أخر القدر

ثم قال ما ان يعاب فرس اذا كبا ولا يعاب صارم اذا نبا ثم جلس وهو يقول كأني بابن المراغة قد بلغه الخبر فقال

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقالوا محدث غير صارم

وانصرف فجاء جرير وأخبر الخبر فقال بسيف أبي رغوان البيتين ثم قال كأني يا أمير المؤمنين بابن القين قد أجابني فقال

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

(فاخبر الفرزدق القصة فقال)

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع احيانا مناط التمائم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومي جاءت لكم * أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

فهذا ان سمع من أعجب اتفاق الخواطر وقال الاقيشر

جريت مع الهوى طلق العنيق * وهان علي مأثور النسوق

وجدت الذعارية الليالي * قران النغم بالوتر الخفوق

ومسمعة اذا ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى * ووصل بعرا الصبوح بعرا الغبوق

(وقال أبو نواس رحمه الله تعالى)

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان علىّ مأثور القبيح
وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة اذا ماشئت غنت * متى كان الخيام بذى طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرا الغبوق بعرا الصبوح

ومن ذلك مانسب السرى للخالدى فيما قدمناه من سرقة شعره قال السرى

وكأن كأس مدامها * لما ارتدت بحبابها
تورید وجنتها اذا * مالاح تحت نقابها

وقال أبو بكر الخالدى فكأن الكأس لما * ضحكت تحت الحباب
وجنة حمراء لاحت * لك من تحت النقاب

(وقال السرى فى وصف جام فيه فالوذج)

بأحمر مبيض الزجاج كأنه * رداء عروس مشرب بخلوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه * وان كان تلقاه بلون حريق
كأن نباض اللوز فى جنباته * كواكب در فى سماء عقيق

(وقال أبو بكر الخالدى)

مداما كأن الكف من طيب نشرها * وصفرتها قد خلقت بخلوق
تعاينها نورا علاه تجمد * وتشربها نارا بغير حريق
كأن حباب الماء فى جنباتها * كواكب لاحت فى سماء عقيق

(وقال السرى رحمه الله تعالى)

رأت شيبا يصاحبنى فصدت * وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت اذ رأت للمشط فيه * سوادا لا يشاكله نفيسا
تلق العاج منه بمشط عاج * ودع للآبنوس الآبنوسا

(وقال أبو عثمان أيضا)

وقفتنى ما بين هجر وبوس * واثنت بعد ضحكة بعبوس
اذ رأتنى مشطت عاجا بعاج * وهى للآبنوس بالآبنوس

وهذا ما تواردا وتسابق والتسابق أشبه بهم (قوله زعمه) الزعم قول منعه اعتقاد (بادرة) سابقة وهى الكلمة الرديئة تبدر من المتكلم (الفائق) الفاضل وفاق الناس فضلهم وعلاهم بقول أو علم (المائق) الاحمق الضعيف التدبير (المناضلة) المراماة (لزهما) ضمهما وشدهما (قرن) حبل يقرن به بين الشيئين (المساجلة) أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما من الماء مثل مايخرج الآخر فايهما نكل فقد غلب وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

قال فكأن الوالى جوز صدق زعمه فندم على بادرة ذمه فظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميز به الفائق من المائق فلم ير الا أخذهما بالمناضلة ولزهما فى قرن المساجلة

* وأنا الاخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة من بيت العرب

ومر الفرزدق بالفضل وهو يستقى وينشد البيتين فشمر ثيابه عن نفسه وقال أنا أساجلك ثقة بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس فرد ثيابه وقال ما يساجله الا من عض ابر أبيه ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة وأراد هنا بالمناضلة والمساجلة أن يقول هذا بيتا وهذا بيتا حتى يعلم لمن الغلب وأكثر ما جرت به العادة فيها بانصاف الابيات كما شهر فى قصة امرئ القيس والتوأم حين قال امرؤ القيس * أحار ترى برقا هب وهنا * فقال التوأم * كذا رجوس تستعر استعارا * ثم مضيا على القطعة بالانصاف حتى كملت وهى مشهورة قال أبو العيناء وقف على غلام يسألنى ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربه وخرج غلام لى أسود قد اغتسل وهو يرعد وكان خبيثا فاومأت الى الاسود فقلت كأنه ذئب غضى أزل * فقال الغلام * بات الندى يضربه والطل * فوصلته بدراهم وانصرف واجتاز ابن أبى الخصال من بلده شقورة بأبدة وهو صبى صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهم منها عنقودا أسود فقال القاضى * انظر اليه فى العصا * فقال ابن أبى الخصال * كرأس زنجى عصا * فعلموا أنه سيكون له شأن فى البيان. ومثل ذلك ما حدثنى به الشيخ الفقيه أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبى عبد الله ان أبا بكر بن المجبل وأبا بكر بن الملاح الشبلين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان قد برعا فى الطلب وحازا قصب السبق فى حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع هجاء فركب ابن المجبل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح ويقول له قطعت ما بينى وما بين صفيى أبى بكر باقذاعك فى ابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادئ أظلم وانما يجب أن يلحى من بالشر تقدم فعذره أبوه فبينما هما على ذلك اذ أقبل على وادتنق فيه ضفادع فقال أبو بكر لابنه أجز تنق ضفادع الوادى * فقال ابنه * بصوت غير معتاد * فقال الشيخ كان نقيق مقولها فقال ابنه * بنو الملاح فى النادى * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال أبو بكر وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه * اذا اجتمعوا على زاد * فقال أبو بكر * ولا غوث للهوف * فقال ابنه * ولا غيث لمرتاد * والاجازة بالابيات بكمالها كثيرة مشهورة وحكى المارردى ان الناس تذاكروا حفظ السر بمجلس عبد الله بن طاهر فقال عبد الله

ومستودعى سرا تضمنت ستره * فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبيد الله وهو صبى

وما السر فى قلبى كشاو بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكننى أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

* وحكى الفقيه أبو الحسن ان أباه حدثه أن الاديب أبا الطاهر ابن أبى ركب حضر عنده بسبتة بقرية تشنان فى نزهة شعبان لاستقبال رمضان فاكل مع من حضر ضروبا من الاطعمة والالوان فقال أبو الطاهر رحمه الله تعالى لابى عبد الله بن زرقون اجز

جمعت لشعبان المبارك شيعة * تسهل عنى الجوع فى رمضان

فقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى

كما جمد الصب المتيم زورة * أطاق لها الهجران طول زمان

فقال أبو الطاهر دعوها بشعبانية فلو أنهم * دعوها بشعبانية لكفانى

وحدثنى أيضا ان أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قعد مع صهره أبى الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له أبو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح فى مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله تمنع لا تعوم به سفين * ولو حدقت به الزهر النجوم

(قوله افتضاح العاطل) أى شهرة الفارغ من قول الشعر (تراسلا) تجاريا والتراسل فى الغناء والنشيد أن يتجاذب الصوت المغنيان والتراسل فى الخيل ان ترسل فرسين فى الطلق (تباريا) تجاريا (وتجاولا) تصرفا (والحلبة) يأتى ذكرها فى المقامة وأراد تجاريا فى الشعر كما يتجارى خيل الحلبة فى الميدان (بسبرك) قياسك وتجربتك لنا (متوارد) متسابق متتابع و (التجنيس) أن تكون الالفاظ متناسبة والمعانى متباينة (تلحمانها) تنسجانها و (شيه) رقه (ترصعانها) تزينانها وكل ماخرزته او عقدته فهو مرصع (الف) معشوق يؤلف ويؤنس به (بديع) غريب (ألمى) أسمر واللمى ان تتعقق حمرة الشفة حتى تضرب الى السواد (التثنى) الانعطاف (التيه) الاعجاب والاحتقار بغيره (التجنى) ادعاء الجناية على عاشقه وذلك أن المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنبا عليه وجناية ليتوصل بذلك الى هجره ثم سمى الصد والاعراض تجنيا (مغرى) مولع (والتناسى) استعمال النسيان أراد أنه يعد عاشقه بالزيارة وغيرها فاذا ذكر بها قال نسيت (والصد) الاعراض (على هذا النسق) اى على هذا التتابع والانضمام (اتسق) انضم واجتمع ونسقت الشئ بالشئ ضممته اليه (أحوى) أسمر لشفة والحوة حمرة تضرب الى السواد يقال شفة حوّاء جراء (رقى) اى ملكى والرق الملك ورق الرجل رقا صار عبدا (برقة لفظه) بحلاوة كلامه (غادرنى الف السهاد) تركنى صاحب سهر (بغدره) بقلة وفائه (تصدى) تعرض (اسره) حبسه (باسره) بجملته و (الزور) الكذب (ازوراره) انقباضه و (الهجر) الفحش (استعذب) أستطيب (أجد عذابى) جد عذابى (جد) زاد واجتهد (بره) اكرامه يريد متى زادنى عذابا وهجرا نازدت فيه حبا وبرا (ذمامى) عهدى (مذمة) عيب (أحفظ) أغضب (التباهى) التفاخر (اكبره) أعظمه وأراه كبيرا (أفوه) أنفق (نشره) تحرك رائحته (رشف ثغره) تقبيل أسنانه (ثنيت) عطفت (أعنتى) جمع عنان (أجتلى) أنظر (نور بدره) حسن وجهه يقول لولا حسن شيمه لتركته وملت الى غيره ثم قال وانى على ما يلقانى به من الهجر والجفاء وألقامه من البر والصفاء ليرجع عندى المرء من أفعاله * لوانى اتبامى لما يحب و يامره وقد أنشدوا فى ذلك

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرّنى انى خطرت ببالكا

وقال فى مثله وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا * ما من يهون عليك ممن يكرم

فهذا غاية الانقياد لمراعاة مراد الحبيب وقال الشاعر

ولقد منحتكم المودة محضة * وكتمت ما اشتملت عليه ضلوعى

جاز يتمونى بالوصال قطيعة * شتان بين صنيعكم وصنيعى

فاذا أتيتك زائرا متشوقا * قصر الطريق وطال عند رجوعى

وفى معنى قوله له منى المدح يقول ابن رشيق و زاد معنى مستظرفا

وأكبره عن أن أفوه بكبره * له منى المدح الذى طاب نشره ولى منه طى الوتمن بعد نشره ولو كان عدلا ياتحنى وقد جنى

على وغرى يحتى رشف ثغره ولولا تثنيه ثنيت أعنتى * بدارا الى من أجتلى نور بدره

وتجاريا ليهلك من هلك
عن بينة ويحيا من حى
عن بينة فقالا له بلسان
واحد وجواب متوارد
قد رضينا بسبرك فرنا بامرك
فقال انى مولع من أنواع
البلاغة بالتجنيس وأراه
لها كالرئيس فانظما الآن
عشرة أبيات تلحمانها بوشيه
وترصعانها بحلية وضمناه
شرح حالى مع الف لى بديع
الصفة ألمى الشفة مليح
التثنى كثير التيه والتجنى
مغرى بتناسى العهد واطالة
الصد واخلاف الوعد
وأنا له كالعبد قال فبرز
الشيخ مجليا وتلاه الفتى
مصليا وتجاريا بيتا فبيتا
على هذا النسق الى أن
كمل نظم الابيات واتسق
وهى

وأحوى حوى رقى برقة لفظه
وغادرنى الف السهاد بغدره
تصدى لقتلى بالصدود واننى
لفى أسره مذ حاز قلبى بأسره
أصدق منه الزور رغم خوف
ازورارهِ
وأرضى استماع الهجر خشية
هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما
أجد عذابى جد فى حب بره
تناسى ذمامى والتناسى مذمة
وأحفظ قلبى وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهى بحبه

أرالك اتهمت أخالك النقه * وعندك مقت وعندى مقه
وأثنى عليك وقد سؤتنى * كما طيب العود من أحرقه

(وقال ابن زيدون)

بنى جهور أحرقتم بجفائكم * جنانى فما بال المدائح تعبق
تعدونى كالعنبر الندّ انما * تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

ذكر ما جاء من الشعر فى أوصاف الغلمان

وهما وان توارداعلى هذا المعنى فانما أخذاه من قول حبيب

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

ونذكر هنا جملة من الشعر الرائق المستطرف الفائق تنسحب على أوصاف الغلام المذكور وتتعلق بشعر الحريرى من جهة التجنيس أو من جهة الانقياد للمحبوب وان جفا وصدّ ونبدأ بذكر حكاية أبى اسحق الحضرمى لتعلقها بما انبنت عليه المقامة من توارد الخواطر

قوله الحضرمى كذا بالاصل وفى نسخة الحصرى اه مصححه

كان أبو اسحق يختلف الى بعض مشيخة القيروان وكان الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل

ومعذرين كأن نبت خدودهم * أقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا
فهم الذين اذا الخلىّ رآهم * وجد الهوى بهم اليه طريقا

وكان يختلف اليه غلام من أعيان أشراف القيروان وكان به كلفا فبينما هو عنده والحضرمى قد أخذ فى الحديث اذ أقبل الغلام وهو يقول

فى صورة كملت فخلت بأنها * بدر السماء استة وثمان
يعشى العيون ضياؤها فكأنها * شمس الضحى تعشى بها العينان

فقال الشيخ يا حضرمى ما تقول فيمن هام بهذا القدّ وصبا لهذا الخدّ فقال الحضرمى الهيمان والله بهذا غاية الظرف لاسيما اذا شام كافور خده ذلك المسك الفتيت وهيم على صبحه ذلك الليل البهيم والله ما خلت سواده فى بياضه الا بياض الايمان فى سواد الكفر أو غيهبا فى ضوء الفجر فقال للحضرمى صفه فقال من ملك رق القول حتى انقاد له صعابه فذل له جموحه حتى سطع له شهابه أقعدنى فى ذلك فقال صفه فانى دعمل فى ذلك فكرى فأطرق ساعة فقال الحضرمى

أو ردقلبى الردى * لام عذار بدا
أسود كالكفر فى * أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ أرالك اطلعت على ضميرى أو خضت بين جوانحى فقال له الحضرمى ولم ذاك قال لانى قلت

حرك قلبى فطار * صوبح لام العذار
أسود كالليل فى * أبيض مثل النهار

فهذا غاية فى بابه وقال السرى

بلانى الحب فيك بما بلانى * فشانى ان تفيض غروب شانى
أبيت الليل مرتقبا أناجى * بصدق الوجد كاذبة الامانى
ويشهد لى على الارق الثريا * ويعلم ما أقاسى الفرقدان
ستصرف طاعتى عمن نهانى * دموع فيك تلحى من لحانى

ولم أجهل نصيحته ولكن * جنون الحب أحلى فى جنانى
فياولع العواذل خل عنى * ويا كف الغرام خذى عنانى

وهذا مما يأخذ بمجامع القلوب ويحتوى على النوعين من المعنى المطلوب وقال السلامى

ماضن عنك بموجود ولا بخلا * أعز ما عنده النفس التى بذلا
يحكى المطايا حنينا والهجير جوى * والمزن دمعا واطلال الديار بلا

وقال أيضا

منيت بمن اذا منيت أفضت * منى الى بنفسج عارضيه .
وفاضت رحمة لى حين ولى * مدامع كاتبى وكاتبيه

(وله فى غلام بدوى)

وعلقته بدوى اللسا * ن والوجه والزى ثبت الجنان
أعانق من قده صعدة * ترى اللحظ منها مكان السنان
أدار اللثام على خده * فأهدى الشقيق الى الاقحوان
ومسك ذوائبه سائل * على آس دياجه الخسروان
أحييه بالورد والياسمين * فيصبو الى الشيح والايهقان

(وله فى غلام غزى رام)

قمر من الاتراك يحسب أنه الـ * ـخود الحصان على أقب حصان
يرمى بلحظيه القلوب وسهمه * فعجبت كيف تشابه السهمان
بطل حمائله كعارضه وحا * جبه الازج كتوسه المرنان
حييته لعبا فامطرنا حتى * قبلا فليت فى مكان بنانى

(وللشريف الرضى)

ياصاحب القلب الصحيح اما اشتفى * ألم الهوى من قلبى المصدوع
أأسأت بالمشتاق حين ملكته * وجزيت فرط نزاعه بنزوع
وتركتنى ظمآن أرشف دمعتى * أسفى على ذاك اللمى الممنوع
قلبى وطرفى منك هذا فى حمى * قيظ وهذا فى رياض ربيع
كم ليلة جرعته فى طولها * مضض الملام ومؤلم التقريع
تفرى أنامله التراب تعللا * وأنا لى فى سنى المقروع
أبكى ويبسم والدجى مابيننا * حتى أضاء بثغره ودموعى
قمر اذا استعجلته بعتابه * لبس الغروب فلم يعد لطلوع
لو حيث يستمع السرار وقفتما * لعجبتما من عزه وخضوعى
أعزز على اذا امتلأت من الكرى * أنى أبيت بليلة المسموع

(وللوزير ابن المعتز)

دنف بمصر وبالعراق طبيبه * يضنيه طول بعاده ويذيبه
ما ناله الا الذى هو أهله * اذ غاب عن بلد وفيه حبيبه
لزم السهاد تحيرا وتلذذا * وتأسفا اذ أو بقته ذنوبه

زعم الفراق دعابه فأجابه * ونعم دعاه فلا أراه يجيبه

ولله أيضا

ولقد أراه فى الغدير يشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهو * وفرنده فى صفحتيه
صبغت بياض النيل حمرة وردة فى وجنتيه

(ولابن الرقاق)

تمنيت من أهوى به وهو قاتلى * ورب منى للمرء فيه منايا
فسافر مانى عن قسى حواجب * تنوب لها دأبا عن الرشق عيناه
أدلنا دماء فى هواه وأدمعا * وضن لنا ظلما بظلم ثناياه
فبارح الشوق المبرح سادرا * لأحوى حوى كل المحاسن مرآه
فنظره والثغر منه وعرفه * وقامته والرد منه وخداه
لشمس الضحى والدر والمسك نفحة * وغصن النقا والدعص والورد اشباه

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا فى برده
ماء الشبيبة والجمال أرق من * صقل الحسام المنتضى وفرنده
يحيى الانام بلمعة من وصله * من بعد ما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أى الجوى لجوانحى لم يهده

وقال أيضا

أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضا سيف أجفانه طرفه
ودل بسمه راحة * نخلت الاقاح دنا قطفه
أشار لتقبيلها فى السلام * فقال فى ليتنى كفه

(ولادريس بن اليمانى)

وذى لعس للاقحوان ثناياه * وللورد خداه وللاس صدغاه
والسوسن الريان صفحة خده * وللظبى عيناه وللمسك رياه
فريد جمال تم لى نوأم الهوى * به ولكل العاشقين فراداه

(ولبعض أصحابنا)

كف عنى الملام يا من يلوم * ان لوم الشجى فى الحب لوم
جل همى بأن أهيم حياتى * صغرت همة امرئ لا يهيم
أبدا أطلب الغرام مجدا * فكأنى الى الغرام غريم
ان ريما رمت براسة قلبى * مقلتاه حبى له لا يريم
صح حبى واعتل جسمى فحسبى * أن كلى الى هواه سقيم

وكل ما تضمنت هذه الجملة مع قطعة الحريرى من التذلل والخضوع الى المحبوب فهو حكم الباب والمجمع عليه عند ذوى الالباب الا قوله وغيرى يجتنى رشف ثغره فان أكثر أهل هذا الشأن يأبون أن يكون المحبوب بين عاشقين وينسبون محبه الى خساسة الهمة ويعتدونها على المحبوب من

أكبر التهمة قال امرؤ القيس

انى بحبلك واصل حبلى * وبريش نبلك رائش نبلى
مالم أجدك على هدى اثر * يقر ومقصلك قائف قبلى

يقول أنا أديم من مواصلتك مالم أجد غيرى يتبعك طمعا فى مواصلتك وقال أبو ذؤيب

تريدين كيما تجمعينى وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

فهذا قد أبى الشركة على التساوى فكيف الاقامة على الجور الذى ذكر الحريرى وقد قدمنا فى العاشرة للمولدين فنا غير هذا على أن المحبوب اذا كان حسن الخلق حسن القبول زاد فى أبهة جماله كما أن الجفاء فى المحبوب والخلق الذميم يطمس نور حسنه وينقص من كماله وأنشدوا

أياحسنا أزرت قبائح فعله * عليه كما أزرى الكسوف على البدر

(وقال عبد الصمد المصرى)

فلو زين الحسن من وجهه * بهجر الصدود ووصل الوصال
لتم ولكن ما ان أرى * جميل المحيا جميل الفعال

(وقال آخر)

صحا عن حبك القلب المتوق * فما يصبو اليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء * وقد يسلى عن الولد العقوق

فهذه جملة كافية ونرجع الى ذكر أنواع البلاغة فى صناعة الشعر التى سماها المحدثون صنعة البديع والشعراء يتفاضلون فى سياقها والاقتدار عليها وهى فى أشعار العرب موجودة وفى الشعر المولد أكثر وأنا آتى منها بما للناظر فيه كفاية بعون الله سبحانه وتعالى ونبدأ منها بالتجنيس الذى أولع به الحاكم فى المقامة *(التجنيس)* هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحكم قال أبو بكر حازم بن حازم التجنيس أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام وهو من أضيق أنواع البديع فمنه قوله تعالى وأسلمت مع سليمان وأقم وجهك للدين القيم وفى الحديث عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله والظلم ظلمات يوم القيامة وقال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار هشمتك هاشم وأمتك أمة وخزمتك مخزوم وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الابواب اذا أقبلت وتغلقها اذا أدبرت والتجنيس أنواع فمنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم ومنه تجنيس الخط وهو ما يصح تصحيفه كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وفى حديث سعد بن أبى وقاص لما أسلمت راغمتنى أمى فهى مرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالبسر* البحترى من سعادة جدك وقوفك عند حدك وفى رسالة عاد الى المسامحة والمحاسنة بعد المشامخة والمخاشنة وقال البحترى

ولم يكن المعتز بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

(وقال البحترى أيضا)

وحالا كريش النسر مهما رأيته * جناحا لشهم عادريشا على سهم

ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومن رسالة لم يكن لامره مضيعا ولا لسره مذيعا البستى من لم يكن لك نسيبا فلا ترج منه نصيبا ومن لم يكن لك

(التجنيس)

صدره بالحاجات فسيحا فلا تسمع له بها لسانا فصيحا وقال

أبوك كريم غير أنك سابق * مداه فلا ضيم عليك ولا ذيم
فلا تعجبن الناس مما أقوله * وأقضي به فالغيث يقدمه الغيم

(وقال المعرّي رحمه الله تعالى)

أعوذ بالله من قوم إذا سمعوا * خيرا أسرّوه أو شرّا أذاعوه
وخالدين سنان ليس ينقصه * من قدره الكون في حيّ أضاعوه

*ومنه تجنيس المضارعة فمنه من رسالة أتابه بين احتفاء واحتفال وبين ذكر مطر مطرب وثناء مغر مغرب وقال أبو تمام

يدون من أيد عواص عواصم * تطول باسياف صوارصوارم

وقال المعرّي *من اتقى الله فهو السالم السارى* وقال ابن عمار

اذا ركبوا فانظره أول طاعن * وان نزلوا فانظره آخر طاعم

وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب والناس له تبع كما انفرد بحسن القطع في آخر قصائده فلا يكاد الشاعر الماهر يزيد بيتا في آخر قصائده في الغالب كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فله ابتدا آت لا يجارى فيها كما انفرد ابن المعتز بجودة التشبيه يكاد على كثرته في شعره أن لا يسقط له تشبيه واحد كما انفرد المتنبي بلطف التخلص من التغزل الى المدح ومن تجنيس حبيب قوله

عدالذ حرا لثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

السلسال العذب والحصب الجارى على الحصباء شبه الريق به ففي هذا البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتقسيم والترديد والتبليغ وتأتى هذه الانواع في هذا الفصل وحبيب أكثر الناس استعمالا لصنع البديع ومن شعره يتعلم وقال أيضا

كم نيل تحت سناها من سنى قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

وقال أيضا يا من تدمى عينه تلك الدمى * فيه ويقمر ليله الاقمار

أخذه البحترى فقال جافى المضاجع لا ينفك في لجب * يكاد يقمر من لألائه القمر

وأنشد أبو علي الفارسي في نوادره لابى الغول الطهوى يصف سحابا

وقرى كل قرية كان يقرا * هاقرى لا تخف منه القرى

وفي المقامات من التجنيس كثير وفي هذا الشرح منه ما يستطرف ويستبدع فما يستحسن منه قول السرى يمدح سيف الدولة

أغرتك الشهاب أم النهار * وراحتك السحاب أم البحار
خلقت منية ومنى فأضحت * تمور بك البسيطة أو تمار
تحلى الدين أو تحمى حماه * فأنت عليه سور أو سوار
سيوفك من شكاة الثغر بزّ * ولكن للعدا فيها بوار
وكفاك الغمام الجود يسرى * وفي احشائه ماء ونار
فيمنى من سجيتها المنايا * ويسرى من عطيتها اليسار

ومن الشعر الذى جمع الى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابى أبا أحمد الشيرازى

قوله تجنيس المضارعة الخ عنونه في التلخيص بالجناس الناقص المطرف وقوله تطول الخ كذا في النسخ التي بايدينا والذى في معاهد التنصيص *تصول باسياف قواض قواضب* فتأمل اه مصححه

من شعر يشتكى له نقرسا أصابه وأوله

الى الله أشكو ضنى شفنى * وكم قبله من ضنى قد شفانى

فأجابه الصابى

عنانى من الهم ما قد عنانى * فاعطيت صرف الليالى عنانى
ألفت الدموع وعفت الهجوع * فعيناى عينان نضاختان
لسقم ألح على سيد * به قد غفرت ذنوب الزمان
وكيف سطابهما واستطال * وأرض بساطهما النيران
وهلا تجاوزه قاصدا * الى عصبة عصبت بالهوان
اذا ماسعى لطلاب العلا * فكل أوان هم فى توان
أتتنى بالامس أبياته * تعلل روحى بروح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب * وظل الامان ونيل الامانى
وعهد الصبا ونسيم الصبا * وصفو الزمان ورجع القيان
أجبت عن الشعر مسترسلا * بطبع شجاع وقلب جبان
ولولا سكونى الى فضله * قبضت بنانى بقبض اللسان

(وقال أبو الفتح البستى)

ان أساقفنا العضاب الدوامى * صيرت ملكنا قرين الدوام
باقتسام الاموال من وقت سام * واقتحام الاموال من وقت حام

(ذكر التشبيه)

(التشبيه) وقد أوردنا فى هذا الكتاب منه كل غريب والتشبيهات على ضروب مختلفة فمنها تشبيه الشئ بالشئ صورة وهيئة ومنها تشبيهه به معنى ومنها تشبيهه به لونا ومنها تشبيهه به صوتا ومنها تشبيهه به حركة وسرعة فالاول كقوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

اجمع أهل العلم بالشعر كابى عمرو بن العلاء والاصمعى أن أحسن التشبيه ما يقابل به تشبيهان فى بيت واحد وان أحدا لم يقل ذلك كبيت امرئ القيس كان قلوب الطير وقال بشار مازلت مذ سمعت قوله كان قلوب الطير أراود نفسى أن أشبه شيئين بشيئين ولا أستطيع ذلك الى ان قلت

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويا بعد ما بين البيتين على أن بيت بشار غريب ولا أحفظ للبيتين ثالثا الا أن بشارا قد قال أيضا

من كل مشتهر فى كف مشتهر * كأن غرته والسيف نجمان

وأما تشبيه المعنى فكتشبيه الشجاع بالاسد والجميل بالقمر وكقوله

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحدا ان خاشنته خشنان

واللون كقول ابن هرمة

وليل كسربال الغراب ادرعته * اليك كما أخبث اليمانى أجدل

والصوت كقول النابغة * له صريف صريف القعو بالمسد * والحركة والسرعة كقول امرئ القيس * كجلمود صخر حطه السيل من عل * وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض فاذا اتفق

قوله كما أخبث الخ كذا فى النسخ التى بايدينا وحرر صحته اه

في الشئ المشبه معنيان أو ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه وأصدق التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مشبها به صورة ومعنى كقول امرئ القيس

نظرت اليها والنجوم كانها * مصابيح رهبان تشب لقفال

فتشبيه النجوم بالمصابيح لفرط ضيائها صحيح وتشبيه المصابيح بالنجوم صحيح وربما أشبه الشئ الشئ صورة وخالفه معنى وقد تقدم ذكر ذلك في الثانية وربما قارب وداناه وشابهه مجازا لا حقيقة * وأدوات التشبيه كان والكاف ومثل وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر وقد يشبه بقولهم تخاله وتحسبه فما كان منه صادقا قيل فيه كأنه أو كذا وما قارب الصدق قيل فيه تراه أو تخاله فاذا حققت هذا الفصل انكشفت لك أسرار التشبيه وقد تقدم نوع من التشبيه في الثانية وسيأتي في الاربعين تشبيهات الغريب العقم في حكاية الاصمعي

(ذكر أدوات التشبيه)*

(الاستعارة) هي من العارية لان الشاعر يعير المعنى ألفاظا غير لفظه الموضوع له وهي على ثلاثة أوجه أحدها ما يستعيره الشاعر من الالفاظ على سبيل التمثيل وتتميم المعاني وهذا الضرب يعد في البديع ومحاسن الشعر وهو كثير في كلامهم وعليه انبنى كتاب المقامات وقلما يوجد بيت يخلو منه وما جاء منه في القرآن سماه بعضهم مجازا وأباه بعضهم نحو قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة واشتعل الرأس شيبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وقال امرؤ القيس * وليل كموج البحر أرخى سدوله * وقال علقمة وهو بديع * والصبح بالكوكب الدري منحور * وقال زهير في الحرب ضروس تهز الناس أنيابها عصل * وقال عمرو بن كلثوم

الا أبلغ النعمان عني رسالة * فجدلك حولي ولومك قارح

وقال الحسن في مجلس فحل السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر

(وقال العباس بن الاحنف)

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري أنه صدقا

(ذكر الاستعارة)*

*الثاني ان ينتحل الشاعر قولا لغيره فيدخله في شعره وهذا هو الاجتلاب الذي نفاه جرير عن نفسه بقوله

ألم تعلم مسرحي القوافي * فلا عيا بهن ولا اجتلابا

*الثالث أن يستعير الشاعر ألفاظا كان غنيا عنها والمعنى غير مفتقر اليها ويسمى الحشو والاسعانة ويحسن بقدر ما يتحمل من الفوائد ويقبح اذا فرغ منها *(الاشارة)* قال قدامة الاشارة هي اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة بالصحة الدالة ولم يأت أحد منها بمثل قول زهير

وانك لو لقيتك فاجتمعنا * لكان لكل منكرة كفاء

(وقال امرؤ القيس)

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جري غير كز ولا وان

فتامل ما اشتملت عليه لفظة أفانين مما لو عد كان كثيرا وما اقترن به من جميع أصناف الجودة طوعا عن غير طلب ولا مسئلة ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر عيوب الخيل والاشارة

(ذكر الاشارة)*

من غرائب الشعر وملحه ولا يأتى بها الا شاعر مبرز وتسمى اللمحة الدالة وأصلها الاختصار وهى أنواع فنها الوحى كقول جاهلى فى يزيد بن الصعق

تركت الركاب لاربابها * وألزمت نفسى على ابن الصعق
جعلت يدى وشاحاله * وبعض الفوارس لاتعتنق

فقوله جعلت يدى وشاحاله اشارة بديعية دالة على الاعتناق بغير لفظه *(ومنها الايماء)* فن ملحه قول قيس بن الذريح *(ذكر الايماء)*

أقول اذا نفسى من الوجد أصعدت * لها زفرة تعتادنى هى ماهيا

وقول كثير تجافيت عنى حين لا لى حيلة * وغادرت ماغادرت بين الجوانح

فقوله غادرت ماغادرت ايماء لميح *(ومنها التلويح)* ومن أجوده قول النابغة فى طول الليل *(ذكر التلويح)*

تطاول حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذى يرعى النجوم بآيب

فالذى يرعى النجوم هنا الصبح أقامه مقام الراعى يغدو فتذهب الابل والماشية فتلويحه هذا عجب فى الجودة ومنه قول المجنون

لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل * بى النقض والابرام حتى علانيا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا *(ومنها التعريض)* كقول عمرو بن معديكرب *(ذكر التعريض)*

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

أى لو أن قومى صدقوا فى القتال وطعنوا برماحهم أعداءهم لنطقت بمدحهم ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين فكأنها أجرت لسانى أى شقته كما يجز لسان الفصيل فكأنها أسكتتنى فهذا تعريض ينوب عن التصريح وأخذه أبو بكر بن دريد فقال

يابنى مالك عقلتم لسانى * كيف يجرى المقيد المعقول
ان سلكتم الى الفعال سبيلا * وضحت لى الى المقال سبيل

(ومن التعريض قوله)

بنى عمنا لاتذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

(ومنه قول حميد بن ثور وقد تقدم)

أرى بصرى قد خانى بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

(ومنها التفخيم) كقول الغنوى *(ذكر التفخيم)*

أخى ما أخى لا فاحش عند بيته * ولا روع عند اللقاء هيوب

ونحو هذا حكاية الأعرابى فى نوادر ابى على حين سئل أله بنون فقال نعم وخالتهم لم تقم عن مثلهم منجبة فلما ذكر أسماءهم قال جهم وماجهم عشمشم وماعشمشم عشرب وماعشرب ومن هذا التفخيم مايجىء على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى الحاقة ما الحاقة و القارعة ما القارعة وهو كثير فى كلام العرب ومما جاء فى الاشارة على معنى التشبيه قول الاعرابى يصف لبنا ممذوقا * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * فاشار الى تشبيه لونه اذا غلب عليه المذق بلون الذئب كما صرح به الآخر حين قال

فيشربه مذقا ويسقى عياله * سحابا كاقراب الثعالب أورقا

(ذكر المطابقة)

(المطابقة) أبو الفرج علي بن الحسين قلت لابي الحسن علي بن سليمان الاخفش وكان أعلم من شاهدته بالشعر طائفة وهم الاكثرون تزعم ان الطباق ذكر الشيء وضده فيجمعهما اللفظ لا المعنى وطائفة تقول هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد مثل قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل قبيلة وكاهل للعضو فقال من ذا الذي يقول هذا قلت قدامة وغيره فقال هذا يا بني هو التجنيس ومن ادعى انه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والاصمعي قلت أفكانا يعرفان هذا فقال سبحان الله وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه قلت فانشدني أحسن طباق للعرب فقال قول عبد الله بن الزبير الاسدي

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وقال أبو الفرج وأنا أقول ان أحسن بيت قيل فيه

للسود في السود آثار تركن بها * لعا من البيض يثنى أعين البيض

يعني أن الليالي بمرورهن تبيض سواد الشعر قال أبو حاتم سألت الاصمعي عن صنعة الشعر فذكر في بعض قوله المطابقة وقال أصلها وضع الرجل في موضع اليد فقلت أنشدني أحسن ما قالت العرب في ذلك فقال قول زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

وقيل المطابقة أن يأتي الشاعر بلفظتين مختلفتين في المعنى واللفظ في بيت واحد أو في كلام نحو قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال علي رضي الله عنه من رضي عن نفسه كثر من يسخط عليه وقال أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه وقال الحسن كثرة النظر الى الباطل تذهب بمعروف الحق وقال الفرزدق

لعن الاله بني كليب انهم * لا يعذرون ولا يفون لجار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال حبيب يرى العلقم المأدوم بالعزأرية * يمانية زالأرى بالضيم علقما

(ذكر التقسيم)

(ومنها التقسيم) قال أبو الحسن علي بن هرون بن علي بن حماد بن اسحق الموصلي هو أن يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه فلا يغادر قسما يقتضيه الا أورده والى هذا كان يذهب أهلنا وأحسن ما قيل في ذلك قول زهير

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا * ضاربوا حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وقول عنترة ان يلحقوا أكروان يستلحموا * أشدد وان يرموا بضنك أنزل

* أبو العيناء اجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أتى به متقدم قول عمر بن أبي ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت تصبر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا بعدها يسني ولا أنت مقصر

* المبرد لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح وهو

وقد كان فيها للامانة موضع * وللكف مرتاد وللعين منظر

وقد تقدم فى شرح الثانية بيت المتنبى فى التقسيم وهو بدت قمرا اليت ونسج على منواله الزاهر فقال

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا واتفقن جآذرا
وأطلعن فى الاجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات الفلوب ضرائرا

وقال الناشى

رأيت على أكوارنا كل ماجد * يرى كل مايفنى من المال مغنما
ندوم أسيافا ونعلو قواضبا * ونقض عقبانا ونطلع أنجما

وقال السلامى

ماضن عنك بموجود ولا بخلا * أعز ماعنده النفس التى بذلا
يحكى المطايا حنينا والهجير جوى * والمزن دمعا وأطلال الديار بلا

والتقسيم فى الشعر كثير *(التسهيم)* قال على بن هرون هذا القب شئ اخترعناه وصفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع الى قوافيه قبل أن ينتهى اليها راويه حتى لو سمع الشطر الاول استخرج الآخر قبل أن يسمعه وأحسن ماقيل فى ذلك قول جندب أخت عمرو ذى الكلب ترثى أخاها *(ذكر التسهيم)*

فأقسمت ياعمرو لو نبهالك * اذا نبها منك داء عضالا
اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نهوسا ومالا
وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء لاتشتكى الكلالا
فكنت النهار به شمسهم * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

قال الحاتمى فانظر الى ديباجة هذا الكلام ماأصفاها والى تقسيماته ماأوفاها وانظر الى قوله مفيتا مفيدا ووصفها اياه بالشمس بالنهار والهلال بالليل تجد المطبع الممتنع القريب البعيد *(التتميم)* هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيأ يتم ويتكامل الاحسان معه فيه الا أتى به وأحسن ماقيل فى ذلك قول طرفة *(ذكر التتميم)*

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

فقد تم الاحسان فى المعنى الذى ذهب اليه بقوله غير مفسدها ويتلوه قول خليفة بن نافع العنزى

رجال اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

فالمعنى تم بقوله ويعطوه ولولاه كان ناقصا وقال حبيب

حتى لقد ظن الغواة وباطل * أنى تجسم فى روح السيد

فتم الاحسان فى المعنى الذى أراد بقوله وباطل والسيد الحميرى له فى الشيعة مذهب ردىء والغواة هنا القائلون بالتناسخ يقول لافراط حبهم فى أهل البيت توهم الغواة أن روح السيد تجسم فى وتوهمهم باطل *(الترديد)* هو تعليق الشاعر لفظة فى البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر وأكثر مايستعمله المحدثون وأجمعوا أن أباحية النميرى سبق الى الاحسان جميع من تقدمه وتأخر عنه فى قوله *(ذكر الترديد)*

الا حى من أجل الحبيب المغانيا * لبسن البلا مما لبسن اللياليا
اذا ما انقضى للمرء يوم وليلة * تقاضاه شئ لايمل التقاضيا

ابتدأ بالمصراع الاول فأحسن الابتداء وردد فى المصراع الثانى فأحسن فى الترديد ثم ابتدع

فى البيت الثانى ماليس لاحد مثله *أبو تمام لا أعلم أحدا أحسن صنعة فى الترديد من زهير فى قوله

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

*الحاتمى وأحسن الخليع الباهلى فى الترديد بقوله

لقد ملأت عينى بحسن محاسن * ملأن فؤادى لوعة وهموما

(التجريد) وهو أن يجرد الشاعر موصوفه من صفته ويسندها لاجنبى فى الظاهر وهو يريد الاول فى المعنى مثل قول الاعشى

ياخير من يركب المطى ولا * يشرب كاسا بكف من بخلا

فظاهره أنه لا يشرب كأسا بكف رجل ينسب الى البخل انما يشربها بكف كريم وذلك الكريم هو الممدوح فى المعنى فجرده فى الظاهر وهو يريد بكف بخيل من نفسه وأبو على الفارسى اختار لهذه الصنعة اسم التجريد ومنه قول طرفة

جازت البيد الى أرحلنا * آخر الليل بعفو رحذر

يعنى بعفو رحذر من نفسها وقال الاخطل

ربيع حيا ما يستقل بحمله * سؤم ولا مستنكس البحر ناضبه

أى ما يستقل بحمله سؤم من نفسه أى ليس بملول وقال النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * طفحت عليك بنائق مذكار

ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرئ القيس *على لاحب لا يهتدى بمناره* فظاهره أن المنار الذى يهتدى به الى الطريق لا يهتدى به وهو فى المعنى قد جرد الطريق من المنار وانما أراد ليس به منار أصلا فليس ثم اهتداء فنفى المسبب الذى هو الاهتداء وأثبت السبب الذى هو المنار فى اللفظ واتكل على قوة دلالة المعنى وأن مراده نفى سبب الهداية الذى هو المنار فتنتفى الهداية ومثله قول النابغة

يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

أى ليس بها رمد فتحتاج الى كحل وقال الراجز *ولم يقلب أرضها البيطار* وقال الله عز وجل ولم يكن له ولى من الذل وهو كثير فى الكلام *(التتبيع)* هو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتى باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له فاذا قال التابع أبان عن المتبوع وأبدع ما فى ذلك قول عمر بن أبى ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

ذهب الى طول العنق فلم يذكره بلفظ خاص به بل أتى بمعنى دل به على طوله وهو قوله بعيدة مهوى القرط ومثله قول الآخر

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا * وما بينها والكف مهوى نفانف

فأراد نعلق سيوفنا فى أعناق مثل السوارى فى الطول والاعتدال وما بين العنق والكف طول كثير فكنى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به وأبدع ما فى التتبيع قول امرئ القيس

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل * فدل على ترفهها وأن لها من يكفيها المؤنة باللفظ التابع لذلك

(التبليغ) وسماه قوم الايغال وهو أن يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاما قبل انتهائه الى القافية ثم يبلغ القافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة * النورى قلت للاصمعى رحمه الله

(التجريد)

(التتبيع)

(التبليغ)

تعالى من أشعر الناس قال من يأتى الى اللفظ الخسيس فيجعله بلفظ حسنا أو ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى مثل قول ذى الرمة

أظبى الذى يجدى عليك سؤالها * دمرعا كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاد شيأ *ومن التبليغ قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فقد أتى على التشبيه قبل القافية وزاد بقوله الذى لم يثقب بلوغا الى الغاية القصوى فى الجودة وكذلك قوله

اذا ماجرى شاوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

فمرت بأثأب زيادة على التشبيه التام والاثأب شجر يكون للريح فى أغصانه حفيف شديد فأفادت الزيادة فى التشبيه معنى بديعا وقال زهير

(التصدير) كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب القنا لم يحطم

وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة فى آخر البيت الايغال والتبليغ وفى حشوه المبالغة والتتميم

(التصدير) هو أن يبدأ الشاعر بكلمة فى البيت ثم يعيدها فى عجزه أو فى النصف منه ثم يرددها فى النصف الآخر منه فاذا نظم الشعر على هذه الصنعة كسى استخراج قوافيه قبل أن يطرق اسماع مستمعيه وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل

وكنت سنانا فى فزارة تامكا * وفى كل حى ذروة وسنام

التامك الشديد وقال الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

وقال آخر جهول اذا أزرى التحلم بالفتى * حليم اذا لم يزر بالحسب الجهل

(الاستثناء) والتصدير والترديد المتقدم يسميه كثير من البلغاء ردالاعجاز الى الصدور *(الاستثناء)* قيل ان أول من بدأ به النابغة وأحسن كل الاحسان فى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وهذا كقول الجعدى

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

ويستحسن قول أبى دهمان

فان تسألى عنا فنحن حلى العلا * بنى دارم والارض ذات المناكب

ولا عيب فينا غير أن سماحنا * أضر بنا والبأس فى كل جانب

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير غائب

(الالتفات) ويسمى هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم *(الالتفات)* اسحق الموصلى قال لى الاصمعى رحمه الله تعالى أتعرف التفات جرير قلت لا فانشدنى

أتنسى اذ تودعنى سليمى * بيطن بشامة سقى البشام

ألا ترى مقبلا على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له *(الاعتراض)* ويسمى الالتفات وهو

(والاعتراض)

أن يكون الشاعر آخذا فى معنى فيعدل عنه آخذا فى غيره قبل أن يتم الاول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة فى الاول وزيادة فى حسنه قال ابن المعتز الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة وعن المخاطبة الى الاخبار ومن أحسن ما فى ذلك قول النابغة

ألا زعمت بنو عبس بأنى * ألا كذبت كبير السن فان

وقيل بل قول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك العطايا

فقوله ألا كذبت وقوله وأنت منهم اعتراض بين أول الكلام وآخره وفيه زيادة حسنة ويستحسن قول الآخر

فانى ان أفتك يفتك منى * فلا تسبق به علق نفيس

فقوله فلا تسبق به اعتراض لطيف فى معناه وموضعه ويسمى هذا أيضا وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد ومنه قول الاخطل

وأقسم المجد حقا لا يحالفهم * حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فقوله حقا حشو أفاد معنى حسنا وكذلك قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فحول خبائنا وأرحلنا لو سقط لكان التشبيه تاما والوزن ناقصا فأورده حشوا وفيه زيادة بارعة رائعة وهى الاخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه مرزوق فى صيده وما أحسن قول ابن المعتز رحمه الله تعالى

وخيل طواها السير حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد خفاف وأرجل

فوقع ظالمين أحسن موقع لانه نفى بذلك عنها هجنة البطء وأخذه من قول اعرابى

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * اذا هاج شوقى من معاهده ذكر

وقلت له ذلفاء و يحك سبيت * لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فحسنه ابن المعتز ملئا وأما الحشو القبيح فكقول أوس بن حجر

وهم لقل المال أولاد علة * وان كان محضا فى العمومة مخولا

فذكره للمال مع قوله مقل حشو لا فائدة فيه وكذلك قول الهذلى رحمه الله

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع حشو لا فائدة فيه وأهجن منه قول الاعشى

فرميت غفلة قلبه عن شأنه * فأصبت حبة قلبها وطحالها

فتكريره ذكر القلب لا فائدة فيه وهجنه بذكر طحالها ودون هذا قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا الذهب

كتنفس الريحان مازجه * ماورد جور قاطر السعب

فذكر الماء مع المزج حشو لا فائدة فيه وأخذه من قول أبى نواس

سلبوا قناع الطين عن رمق * حى الحياة مشارف الحتف

فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

فلم يذكر أبو نواس الماء مع المزج وذكره ديك الجن فقصر عنه وزاد الحسن عليه بذكر الانف حسنا وذكر ديك الجن ماء الورد مع الريحان ولم يذكره الحسن لان ذكاء الريحان أكثر ما يكون اذا أصابه بلل لكنه فى ذكره ماء الورد زيادة معنى بلا شك الا أنه قد انضاف اليها العيوب المتقدمة ومع هذا فالحسن قد استوفى المعنى فى بيت واحد وديك الجن فى بيتين وصاحب بيت أبدا عندهم باتساق أشعر كقول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

فما احتوى عليه هذا البيت أتى به علقمة فى ثلاثة أبيات مشهورة وان كان المعنى أبسط وأجل فالفضل لصاحب البيت والزمان واحد لان من قال علقمة سرقه فقد أخطأ فأما اذا كان السابق مستوفى المعنى فى بيت واحد ويسوقه المتاخر فى ابيات فالكلام فى هذا كقول امرئ القيس

نمس باعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مهضب

أخذه عبدة بن الطبيب فقال

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار للقوم بالغلى المراجيل

وردوا شقرها ينهيه طابخه * ما غير الغلى منه فهو مأكول

تمت فقمنا الى جرد مسومة * أعراقهن لأيدينا مناديل

وقال عبد الملك يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الادباء ما خير المناديل فقال قائل مناديل مصر كأنها عرف البيض وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ما صنعتما شيأ أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعنى عبدة وأنشد الابيات وهى مع جودتها قصرت عن بيت امرئ القيس وكذلك قول طرفة

نطرد الفر بحر صادق * وعليك القيظ ان جاء بقر

(وقال الاعشى)

وبرد برد رداء العرو * س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

ونسخن ليلة لا يستطيع * نباحا بها الكلب الا هريرا

(الاستطراد) البحترى أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن ادريس الشامى *(الاستطراد)*

وسابح هطل التعداء هتان * على الجزاء أمين غير خوان

أظمى الفصوص ولم تظما قوائمه * فجل عينيك فى ظمآن ريان

فلو تراه مسيحا والحصى زنم * بين السنابك من مثنى و وحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال ما هذا من الشعر قلت لا أدرى فقال هذا هو الاستطراد فقلت فما معنى ذلك فقال يريك وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان فأخذه البحترى فقال فى فرس

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت * صيدا و ينقض انقضاض الاجدل

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق جدويه الاحول

وكان جدويه عدو الممدوحه فاستطرديه و يقال ان البحترى لما عير بسرقة هذا البيت ازاله من

شعره وقال دعبل

فلو أنى أصبحت فى جود مالك * وعزته ما نال ذلك مطلبى
فتى شقيت أمواله بسماحه * كما شقيت قيس بارماح تغلب

فخرج فى استطراده من مدح الى ذم وهو مقلوب استطراد زهير فى قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الجواد على علاته هرم

فخرج من ذم الى مدح وقال جرير

ترى برصا يجمع اسكتيه * كعنفقة الفرزدق حين شابا

والسابق الى هذا المعنى والناس له تبع السموأل حيث قال

وانا اناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

ومما يستحسن قول بشار

خليلى من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن فروعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلا تلقه الا وأنت كمين

فقف على هذه الجملة من صناعة البديع ففيها كفاية بعون الله سبحانه وتعالى وأما قوله (فبرز الشيخ مجللا وتلاه الفتى مصللا) فاصل ذلك فى الخيل ونذكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع وينتظم المجلى والمصلى فى حكاية الرشيد مع المأمون وذلك أن الرشيد أجرى الخيل يوما بالرقة فوقف متلوما حتى طلعت فاذا فى أولها فرسان فى عنان واحد فتأملهما فقال فرسى والله ثم تأمل وقال وفرس ابنى عبد الله فجاء الفرسان أمام الخيل فرسه السابق وفرس المأمون المصلى فسر بذلك الرشيد سرورا عظيما قال الاصمعى فقلت للفضل يا أبا العباس هذا من أيامى فاحتل حتى توصلنى فقال الفضل يا أمير المؤمنين ان الاصمعى قد أعد فى أمر الفرسين شيأ يريد به سرور أمير المؤمنين فقال هات يا أصمعى فقلت يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم وفرسا كما كما قالت الخنساء وقد قيل لها كيف تفضلين أخاك على أبيك فقالت

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر
حتى اذا جد الجراء وقد * ساوت هناك الغدر بالغدر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صفيحة وجه والده * ومشى على غلوائه يجرى
أولى فاولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

قيل لابى عبيد ليس هذا فى مجموع شعرها فقال العامة أسقط من أن يجود واعليها بمثل هذا فقولها ملاءة الحضر تعنى بها غبرة الفرسين التى أثارا ها جعلتها كالملحفة يرتديانها ويتجاذبانها وسيأتى من أخذ منها هذا المعنى ومن سبق اليه فى الاربعين ومراتب الخيل فى الحلبة السابق منها يسمى المجلى ثم المصلى ثم المسلى ثم التالى ثم المرتاح ثم العاطف ثم الحظى ثم المؤمل ثم اللطيم ثم السكيت قال الاصمعى وأبو عبيدة لم نسمع فى سوابق الخيل اسما لشئ منها ممن يوثق بعلمه

(ذكر الحلبة من الخيل)

الاالثانى واسمه المصلى قال الاصمعى هو من الصلا وهو جانب ذنبه والعاشر واسمه السكيت وما سواهما فانما يسمى الثالث والرابع الى التاسع وكان عند المتقى العباسى فتى راوية للخبر والشعر يانس به فقال ليلة لجلسائه عودوا الى ذكر الخيل فقال الفتى يا أمير المؤمنين حدثنى كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل من خيلها أراسيل عشرة عشرة والقصب سبعة سبعة فلا يدخل الحجرة من الخيل الا ثمانية الاول السابق المجلى لانه جلى عن وجه صاحبه الكرب والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهو صلاه والصلا عجب الذنب والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق فسلى عن صاحبه بعض همه والرابع التالى لانه تلا المسلى دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى الراحة خمس أصابع فلما كان الخامس على خامسة الأصابع سمى مرتاحا والسادس حظى لانه نال حظا لحظى به وان قل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس نصيبا وهو آخر حظوظ الحلبة وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشىء وان خس اذ كان قد دخل الحجرة الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سمى اللديغ سليما فسمى مؤملا لقربه من ذوات الحظوظ التاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة لطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن العاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيا وعيا وكانوا يجعلون فى عنقه جلا ويحملون عليه قردا يركضه ليعير بذلك صاحبه أبو عبيدة يشدد السكيت وسمى سكيتا لانه آخر العدد الذى يقف عليه العاد والسكت الوقوف وسميت حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها أى تضمرها وأنشد ابن الانبارى أبياتا تجمعها وهى قوله

جاء المجلى والمصلى بعده * ثم المسلى بعده والتالى
والخامس المرتاح ينقص عدوه * والعاطف الصهال كالرئبال
نسقا وقاد حظيها فى صهوة * ذاك المؤمل غير ذى الاشكال
ثم اللطيم يقودها بجميعها * قبل السكيت العاشر الذيال

ونذكر هنا جملة مقاطيع فى أوصاف الخيل يكمل بها الغرض المقصود قال امرؤ القيس *(ذكر الخيل)*

اذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتنا الصيد نحطب

(وقال عمارة بن عقيل)

وأرى الوحش فى يمينى اذا ما * كان يوما عنانه بشمالى

وقال حبيب

مخلق وجهه على السبق * تخليق عرس لليلة عرس
يقتل عشرا من النعام به * بواحد الشد واحد النفس

وقال أيضا

ان زار مسد اناسبى أهله * أو نادیا قام اليه الجلوس
نرى رزان القوم قد أسمحت * نفوسهم فى حسنه وهن شوس
كأنما لاح لهم بارق * فى المحل أو زفت اليهم عروس
سام اذا استعرضته رئته * أعلى رطيب قده اريبس
كأنما خامره أورق * أو عارضت هامته الخندريس
عوذه الحاسد بخلابه * ورفرفت خوفا عليه النفوس

(وقال البحترى)

وأغرّ في الزمن البهيم محجل * قدرحت منه على أغرّ محجل
كالهيكل المبنيّ الاأنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالرداء المسبل
تتوهم الجوزاء في أرساغه * والبدر غرة وجهه المتهلل
وتراه يسطع في الغبار لهيبه * لونا وشدا كالحريق المشعل
هرج الصهيل كان في نغماته * هزات معبد في النقيل الاوّل
ملك العيون فان بدا أعطيته * نظر المحب الى الحبيب المقبل

(وقال عبد الله بن المعتز)

ولقد وطئت الغيث يحملني * طرف كلون الصبح حين وقد
يمشي ويعرض في العنان كما * صدر المعشق ذو الدلال وصد
جماع أطراف الصوارفا الاخرى عليه اذا جرى بأشد
بل المهابد مائهن ولم * يبتل منه بالجميم جسد
وكأنه موج يذوب اذا * أطلقته واذا حسبت جمد

(وقال المتنبي)

وعيني الى أذني أغر كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة عن جسمه في اهابه * يجيء على صدر رحيب ويذهب
شققت به الظلماء أدنى عنانه * فيطغى وأرخيه مرارا فيلعب
وأصرع أي الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين يركب
وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت في عين من لا يجرب
اذا لم تعاين غير حسن شياتها * وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال ابن نباتة يصف فرسا أغر حمله سيف الدولة عليه

قد جاءنا الطرف الذي أهديته * هاديه يعقد أرضه بسمائه
يختال منه على أغر محجل * ماء الدياجي قطرة من مائه
وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه
لا تعلق الالحاظ في أعطافه * الا اذا كلفت من غلوائه

(وقال أيضا)

وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا * ويطوي خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه * تشبث بالقوائم والمحيا

(وقال أبو منصور يخاطب أبا الفضل الميكالي)

يا مهدي الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الاربع
لا شيء أسرع منه الا خاطري * في شكر نائلك اللطيف الموقع
ولو أنني أنصفت في اكرامه * لجلال مهديه الكريم الاروع

أقضمته حب القلوب لقضمه * وجعلت مربطه سواد الادمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق * برد الشباب بجله والبرقع

(وقال القسطلي)

سامي التليل كأن عقد عذاره * في رأس غصن البانة المياد
يهدي بمثل الفرقدين وناب عن * رعي السماك بقلبه الوقاد
فكأنما أطأ الاباطح والربا * بعقاب شاهقة وحية واد
وكأنه من تحت سوطي خارجا * في الروع شعلة قادح بزناد

(ولابي تمام الاندلسي)

وأقب تنقد البروق اذا جرى * من غيظها حسدا بان لم تلحق
ملك الرياح قوائما جرى بها * فيكاد يأخذ مغربا من مشرق

(وقال فيه أيضا)

وتحتي ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
له في المدى سبق الى كل غاية * كأن لنافيه نفوذ عزائم
وهمة نفس نزهتها عن الونى * فيا عجبا حتى العلا في البهائم

وكان للمتوكل قبطليوس فرس أخضر أغر محجل على كفله ست نقط بيض فبذل كل شاعر في وصفه جهده فاسبق الغاية الا البحتري بقوله

حمل البدر جواد سائح * تقف الريح لادنى مهله
وكأن الصبح قد خاض به * فبدا تحجيله من بلله
لبس الليل قميصا سابغا * فالثريا نقط في كفله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله في أجله

والباب لايدخل تحت الحصر فلنكتف بهذا القدر (قوله بهت) أي تحير (المتعادلين) المتماثلين وشبههما بالفرقدين لرفعتهما وتوقدهما وأخذا لحريري هذا التشبيه من البحتري في قوله * كالفرقدين اذا تأمل ناظر * وتقدم في الثانية وبالزندين لما فيهما من النار وفي هذين من الذكاء وجعلهما في وعاء يريد متى التمسهما الانسان وجدهما وقعت عليه يده حاجته (وجده) غناه وما عنده من العلم (ثب) ارجع (هيهات) معناها بعد (مقتي) محبتي (تعلق به ثقتي) يريد لا أثقه بعد ماجربته (بلوت كفرانه للصنيع) اي جربت قلة شكره لفعل الجميل معه (منيت) بليت (العقوق) المقاطعة (الشنيع) المشتهر بالقبيح * ونسوق هنا في كفران الصنيع فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عباد الله عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم قلنا من أولئك يارسول الله قال المتبرئ من والديه رغبة عنهما والمتبرئ من ولده ورجل أنعم الله عليه نعمة فكفرها وفي التوراة من صنع معروفا الى أحمق فهي خطيئة تكتب عليه وقال الحجاج لابن الكلبي أخبرني عن خمسة أشياء أضيعت في الدنيا قال نعم أصلح الله الامير سراج يوقد في شمس ومطرجود في أرض سبخة وامرأة حسناء ترف الى عنين وطعام اجتهد صاحبه في صنعته فقدمه الى سكران أو شبعان ومعروف تصنعه الى رجل لايشكرك

وانى على تصريف أمرى وأمره
أرى المرحلوا في انقيادى لامره

فلما أنشدها الوالى متراسلين بهت لذكائهما المتعادلين وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء وكرندين في وعاء وأن هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني بوجده عمن سواه فتب أيها الشيخ من اتهامه وثب الى اكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو تعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع

عليه * عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع الصنيعة الا عند ذى حسب ودين كما لا تنفع الرياضة الا فى نجيب * المدائنى خرج فتيان فى صيد لهم فأثاروا ضبعة فنفرت ومرت فاتبعوها فلجأت الى بيت رجل فخرج اليهم بالسيف مسلولا فقالوا له يا عبد الله لم تمنعنا من صيدنا فقال انها استجارت بى فخلوا بينها وبينه فنظر اليها فاذا هى مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحا ومقيلا وغبوقا حتى سمنت وحسنت حالها فبينما هو ذات يوم متجرد اعدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له

ومن يصنع المعروف فى غير أهله * يلاق الذى لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت بقربه * مع الامن ألبان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه ومعروفه فى أهل الحفاظ واذا أراد به سوأ جعلها فى أهل المضائع وقال حسان

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت وأنشد عبد الله بن جعفر هذا البيت فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادفت موضعه فهو الذى قصدت والا فكنت أحق به قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصنعه اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس أهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت أهله وقد قال الحريرى بعد هذا * واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة أم غمط * أى لا تفسد معروفك بالمن شكره من أنعمت عليه أم كفره وغمط ستره وهو ضد شكر (قوله اعترضه) اى واجهه وقابله (شؤم) نحس وطيرة (الحنق) الغضب (الظنة) التهمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لازمات أمتى سوء الظن والحسد والطيرة قيل ما يذهبهن قال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر واذا تطيرت فامض (اعنات) مشقة (هبنى) احسبنى (اقترفت واجترحت) معناهما اكتسبت (جريرة) جناية (ابان أنسك) أى وقت أنسى بك (تجاف) تباعد (تعنيفه) لومه (زاغ) مال (قسط) جار وقوله (وهن ان عز) لفظ المثل اذا عز أخوك فهن يروى بضم الهاء وكسرها فالضم من هان يهون قال ابن أحمر

ذببت لها الضرا وقلت أبغى * اذا عز ابن عمك أن تهونا

وروى بالكسر أبو عبيد وثعلب وقال أبو عبيد معناه أن ميسرتك صديقك ليست بضيم يركبك فتدخل منه حمية انما هو حسن خلق وتفضل منك فاذا عاسرك فيسر فالضيم الذى ذكر هو الهوان بعينه قال ابن درستويه معناه اذا صار أخوك عزيزا قويا عليك فأطعه واخضع له تسلم من ظلمه ورواية الكسر من هان يهين ويكون معنى عز تصعب واشتد لا من العزة ومعناه اذا صعب أخوك فلن له والمثل لهذيل بن هبيرة وسببه أنه أغار على ضبة فغنم وأقبل بالمغانم فقال له أصحابه اقسمها بيننا فقال أخاف أن يدرككم الطلب فأبوا فعندها قال المثل ونزل فقسمها

فاعترضه الفتى وقال يا هذا
ان اللجاج شؤم والحنق
لؤم وتحقيق الظنة اثم
واعنات البرى ظلم وهبنى
اقترفت جريرة أو اجترحت
كبيرة أما تذكر ما أنشدتنى
لنفسك فى ابان أنسك
سامح أخاك اذا خلط
منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه
ان زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده
شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه ان عاصى وهن
ان عز وادن اذا شحط

(قوله شمط) أى بعد (واقن الوفاء) أى الزمه وقنيت الحياء بكسر النون أقنيه قنيا الزمته (أخل) نقص (بما اشترطت وما اشترط) أى بما جعلتما بينكما من علامة ومنه أشراط الساعة أى علاماتها ومنه الشرط لان لهم علامة يعرفون بها (مهذبا) مخلصا و (الشمط) مجاوزة القدر قال الفضيل بن عياض من طلب أخا بلا عيب بقى بلا أخ وقال الحرث المحاسبى ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخاء مع الامانة وقال النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

(وقال يزيد بن محمد الباهلى)

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

(قوله قط) بمعنى الدهر والابد و (الحسنى) الفعل الحسن (فقط) حسب (لزا) ربطا (النمط) ثوب من الصوف المصبوغ والنمط الطريق تقول الزم هذا النمط والنمط النوع من العلم والخير فيريد أن الخير والشر قد نظما فى سلك واحد فاذا أتى يوم يرضى أتى بعده يوم يسخط (الجنى) الطرى مما يجنى فعيل بمعنى مفعول وأصل مجنى مجنوى فأعل و (الملتقط) من قولك لقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة أى اخترتها وانتخبتها أبو أمامة قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الناس اليوم كشجرة ذات جنى ويوشك الناس أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك وان هربت منهم طلبوك قيل فكيف المخرج من ذلك قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وأنشد عمر بن الجعد

طب عن الامة نفسا * وارض بالوحدة أنسا
لست بالواجد حرا * أو ترد اليوم أمسا
ما وجدنا أحدا يسـ * ـوى على الخبرة فلسا

(قوله نغص) تكدير العيش ونغص الرجل اذا لم يتم له أمره وتكدر عيشه (يشوبها) يخالطها (الشمط) اختلاط الشيب بالسواد و (انتقدت) فتشت و (السقط) من لا خير فيه وللزاهد بن عمران فى معنى أبيات الحريرى رحمه الله تعالى

اذا وغد جفاك فلا تلمه * لانك ان فعلت أثرت جيفه
وان يصل الكريم عليك فاصفح * ستعطفه اصالته الشريفة
ومن يك بين ذاك فأغض عنه * تنل مجدا ومرتبة منيفه
وسل الضغن ان آنست ضغنا * ببسط الوجه والحيل اللطيفه

أخذ البيتين الاولين من قول حاتم

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

(قوله ينضنض) أى يحرك لسانه (الصل) الحية (يحملق) ينظر بحملاقه وهو باطن جفنه وذلك نظر الغضبان (المطل) المشرف على فريسته (الشهب) النجوم (روعى) فزارى (توقى) خشية (الافتضاح) الشهرة (أمونه) أتكلف لوازمه (أراعى) احفظ (شؤنه) أموره (يسح) يصب الرزق الحشو) ما حشى به (بوس) ضر (بزتى) ثوبى (عارة) أى عارية (تطور) تقرب منه يريد أن

واقن الوفاء ولو أخل * بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك ان طلبـ * ـت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذى ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط
أو ما ترى المحبوب وا * لمكروه لزا فى نمط
كالشوك يبدو فى الغصو * ن مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطوي * ـل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بنى الزما * ن وجدت اكثرهم سقط
رضت البلاغة والبرا * عة والشجاعة والخطط
فوجدت أحسن ما يرى * بسير العلوم معا فقط
قال فجعل الشيخ ينضنض ضنضنة الصل ويحملق حملقة البازى المطل ثم قال والذى زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب ما روعى عن الاصطلاح الا لتوقى الافتضاح فان هذا الفتى اعتاد أن أمونه وأراعى شؤنه وقد كان الدهر يسح فلما كن أشح فاما الآن فالوقت عبوس وحشو العيش بوس حتى ان بزتى هذه عارة وبيتى لا تطور به فارة قال فرق لمقالهما قلب الوالى

الفأرة ليس لها فيه ما تأكل وأخذ هذا المعنى من قول امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا بيتها خبزا ولحما وسمنا وقد أعاد هذا المعنى منظوما في الثالثة والثلاثين فقال

وأمحلت ربعي حتى خلت * من ربعي المحل جرذانه

وحكى الفنجديهي بسنده الى أبي محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا أنسخ في السراج وبين يدي قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة فاخذت لوزة فمضت ثم عادت فأخذت أخرى فبددت الماء الذي في القدح فعادت الفأرة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلي ساعة فاذا فأرة أخرى قد جاءت فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك والفأرة الاخرى تشقشق من داخل القدح فلم تجد حيلة في خلاصها فمضت أختها فاتت بدينار فوضعته ووقفت ولم أرفع القدح عن الفأرة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت ولم أرفع القدح ففعلت ذلك الى أن أتت بسبعة دنانير ووقفت ساعة ولم أخل عن الفأرة فمضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنها لم يبق عندها شئ فخليت عن الفأرة قال الفنجديهي رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقات وعلى ذكر الفأرة والجرذان كتب أبو حفص الوراق رقعة الى الصاحب منها وحال عبد مولانا في الحنطة مختلفة وجرذان داره عنها منصرفة فان رأى أن يخلط عبده بمن أخصب عنده فعل ان شاء الله تعالى فوقع فيها أحسنت يا أبا حفص قولا وسنحسن اليك فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب وأمنها من الجدب فالحنطة تأتيك في الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله تعالى (قوله أوى) أشفق (غير) تغير وهو من تغير الحال وهو اسم واحد بمنزلة النطع والغير مذكر وجمعه أغيار هذا قول الكسائي ويجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة وهذا قول ابن عمرو يقال للدية غيرة لانها تغير الفؤاد الى الرضا به (صبا) مال (الاسعاف) قضاء الحاجة (النظارة) الناس الناظرون اليه (متشوفا) متطلعا (وسمه) علامته (يسفر) يكشف (ينفرج) ينفتح لي فرجة (تقوضت) تفرقت وأصلها الهدم (أجفل) أسرع المشي (توسمته) نظرته (مغزاه) مذهبه ومقصده (انقض) انحط وأنصب (استعرف) أعرفه بنفسي (زجرني) انتهرني (ايماض) اشارة بالعين خفية وكثيرا ما يصرف الحريري في المقامات تنبيه أبي زيد لابن همام على نفسه بخفي الاشارة المغنية عن تصريح العبارة وهو مذهب للعرب ونبلاء أهل الادب وقد قالوا رب كناية تغني عن ايضاح ورب لحظ يدل على ضمير وفي اشارة اللحظ يقول الشاعر

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن اللحظ قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال أبو نواس

لهفي على النجل العيون * النهد القب البطون
الناطقات عن الضمير * لنا بالسنة الجفون

(وقال المهدي بن المنصور)

ومطلع من نفسه ما يسره * عليه من اللحظ الخفي دليل
اذا هو لم يبد الذي في ضميره * ففي اللحظ والايماء منه رسول

وأوى لهما من غير السبي وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف وأمر النظارة بالانصراف (قال الراوي) وكنت متشوفا الى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه اذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا ينفرج لي فأدنو منه فلما تقوضت الصفوف وأجفل الوقوف توسمته فاذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه وكدت أنقض عليه لاستعرفه اليه فزجرني بايماض طرفه

وقال تميم بن المعتز سبحان من خلق الخدو * د شقائقا تتنهم
وأعارها الالحاظ فهـ * ـى بلحظها تتكلم

وقال آخر العين تبدى الذى فى نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال أعرابى وليل لم يقصره رقاد * وقصر طوله وصل الحبيب
بمجلس لذة لم نقو فيه * على شكوى ولا عدة الذنوب
بخلنا أن نقطعه بلفظ * فترجمت العيون عن القلوب

(وقال الحسن بن بشير)

أما ترى لى ناظرا شاهدا * بالحب والاعين رسل القلوب
ودون الحاح جفونى هوى * يخبر عما فى ضمير الكئيب
وأنت لا شك به عالم * لان عند اللحظ علم الغيوب

(وقال الاحوص)

ودعتهن ولا شئ يراجعنى * الا البنان والا الاعين السجم
اذا أردن كلامى عنده عرضت * من دونه عبرات فارعوى الكلم
مسندات وقد مالت سوالفها * وما بهن سوى مس الهوى ألم

(وقال مانى الموسوس)

بنان يدتشير الى بنان * تجاوبنا وما تتكلمان
جرى الايماء بينهما رسولا * فاحكم وحيه المتناجيان
فلو أبصرتنا الغضت طرفا * عن المتحدثين بلا لسان

والباب لا يحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة (قوله واستوقفنى بايماء كفه) أى أمرنى بالوقوف والايماء الاشارة (مرامك) مرادك (مقامك) تلبثك ووقوفك (أنيسى) صاحبى الذى أتأنس به (فتسمح بتأنيسى) أى أولانى منه المؤانسة (رخص) لين وسهل (أفاض) صب (خلعتين) كسوتين (والنصاب) عشرون دينارا و (العين) الذهب (استعهدهما) استحلفتهما (يتعاشرا) يتصاحبا (اظلال) قرب ودنو (اليوم المخوف) يوم موته (ناديه) مجلسه (مشيدين) رافعين بشكره أصواتهما (أياديه) نعمه (مثواهما) مسكنهما (فحواهما) معنى كلامهما ويروى نجواهما أى سرهما (أجزنا) خلفنا (أفضينا) وصلنا (الفضاء) المتسع من الارض (جلا وزته) شرطه واحدهم جلواز والجلاز عقب ملوى على القوس وجلزت القوس والسوط والسكين عصبتهما بالعقب فسموا جلاوزة لانهم يعصبون بالسياط الناس عند الضرب أو لان السياط لا تفارق أيديهم والجلز الشد وهم يربطون الناس ويشدونهم (مهيبا) داعيا حوزته موضعه الذى يحميه ويحوزه (استحضرنى) طلب حضورى (يستخبرنى) يسألنى خبره (أجول) أتصرف وأمشى أى علمنى فى أى غرض من الحديث آخذ معه (غباوة) جهل ورجل غبى غير فطن (تلعابى بلبه) أى لعبى بعقله والتلعاب بنية للمبالغة (يستشرى) يتشر (طيشه) خفته من الغضب (يسرى) يسير (بطشه) ايقاعه وتناوله بما يكره (الرها) بلد من كورة الجزيرة تجاورها الرقة

واستوقفنى بايماء كفه فلزمت موقفى وأخرت منصرفى فقال الوالى ما مرامك ولاى سبب مقامك فاتدره الشيخ وقال انه أنيسى وصاحب ملبوسى فتسمح عند هذا القول بتأنيسى ورخص فى جلوسى ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف الى اظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما لاعرف مثواهما وأتزود من فحواهما فلما أجزنا حمى الوالى وأفضينا الى الفضاء الخالى أدركنى أحد جلاوزته مهيبا الى حوزته فقلت لابى زيد ما أظنه استحضرنى الا ليستخبرنى فاذا أقول وفى أى وادمعه أجول فقال بين له غباوة قلبه وتلعابى بلبه ليعلم ان ريحه لا قت اعصارا وجدوله صادف تيارا فقلت أخاف أن يتقد غضبه فيلتفت لهبه أو يستشرى طيشه فيسرى اليك بطشه فقال انى أرحل الآن الى الرها

وحران سميت باسم صاحبها الرها بن البلوى بن مالك بن ذعر وهو أول من نزلها وقال المعقوبى الرها من ديار مصر وهى مدينة رومية ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الانهار وبها الكنيسة التى للنصارى وهى احدى عجائب الدنيا الموصوفة وكان بالرها رجل ضعيف الحال متجمل بين الناس فخرج ذات يوم من منزله وعليه جبة له فلقيه سائل فسأله شيأ يدفئه فقال والله ما أملك غير جبتى هذه فقال السائل ألا تحب أن تكون من الذين قال الله تعالى فى حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فدفعها اليه (أنى) كيف (سهيل والسها) كوكبان لا يلتقيان لان السها نجم خفى فى بنات نعش وبنات نعش لا تغرب أبدا فى بلاد أرمينية وفى سمت بلاد الشام والمغرب والاندلس وسهيل لا يرى فى شئ من هذه البلاد الا رؤية لا يعتد بها فى أيام قلائل فلا يلتقى سهيل والسها بوجه وانما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبى ربيعة حيث قال

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

والثريا هذه بنت على بن عبد الله بن الحرث وكانت موصوفة بالجمال وكان عمر يشبب بها فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر فضرب لها عمر المثل بالكوكبين وأبدل الحريرى لفظ الثريا بالسها وأفاد عدم الالتقاء وسهيل هو كوكب أحمر يخيل اليك لشدة اضطرابه أنه يستدير وقال المعرى فى صفته فأحسن

وسهيل كوجنة الحب فى اللو * ن وقلب المحب فى الخفقان
مستدير كأنه الفارس المعـ * ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى أحمرار كما تسـ * ـرع باللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الاعادى * فبكت رحمة له الشعرتان
قدماه وراءه وهو فى المجـ * ـزكساع ليست له قدمان

قالوا ولا تقع عين بعير على سهيل الا مات من حينه وقد أشار المعرى الى هذا فى قوله

لا تحسبن ابلى سهيلا طالعا * بالشأم فالمرئى شعلة مقبس

ومتى طلع صرفت الابل كلها وجوهها عن مطلعه وقابلته باعجازها وقال المتنبى

وتنكر قتلهم وأنا سهيل * طلعت بموت أولاد الزناء

وفى معنى تخويف ابن هبيرة للسروجى بعقاب الوالى ما حدث ان أبا الحسن العباس بن حيون دخل عليه فى السجن من أعلمه أن ابراهيم بن الاغلب يريد قتله فلم يجد منفرا فقال لمعلمه بالخبر وأحسن فى قوله

تخوفنى بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولى أجل وكل * سيبلغ حيث بلغه الكتاب

(قوله انجلى) أى زال وانكشف (نشدتك) حلفتك (الدست) الاول هو الثوب والثانى المجلس والثالث هو الاول والرابع هو الخداع والحيلة وقد قدمه فى الحادية عشرة حيث قال متى ما دسته تم (ازورت مقلتاه) اعوجت عيناه وتغير نظرهما (والوجنتان) ما أحاط بالعين من أسفل (أعجزنى) غلبنى (فضح مريب) كشف متهم (تطلس) لبس الطيلسان وهو من لباس الخواص

وأنى يلتقى سهيل والسها فلما حضرت الوالى وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه صر أخذ يصف أبا زيد وفضله ويذم الدهر له ثم قال نشدتك الله ألست الذى أعاره الدست فقلت لا والذى أحلك فى هذا الدست ما أنا بصاحب ذلك الدست بل أنت الذى تم عليه الدست فأزورت مقلتاه وأحرت وجنتاه وقال والله ما أعجزنى قط فضح مريب ولا تكشيف معيب ولكن ما سمعت بان شيخا دلس بعد ما تطلس وتقلس

وهو كساعخز (لبس) خلط (سكع) ذهب (اللكع) اللئيم العاجز قال بعض أهل العلم كان يقال خمس خصال من أقبح شئ فيمن كن فيه الحدة فى السلطان والكبر فى ذى الحسب والبخل فى الغنى والحرص فى العالم والفسق فى الشيخ وثلاث هن أحسن شئ فيمن كن فيه تؤدة لغير ذل وجود لغير ثواب ونصب لغير الدنيا (أشفق) خاف (تعدى طوره) تجاوز قدره (ظعن) رحل (فوره) حينه (نوى) بعد وسفر (كلأه) حفظه (ثوى) أقام (زاولت) حاولت (نكره) منكره (مكره) خداعه (أوغلت) أبعدت (أوقع به) أتناوله بالشر والمكروه والضرب وقال أبو حازم فى معنى دعاء الوالى على السروجى

اذا استقلت بك الركاب * فحيث لا درت السحاب
زالت سراعا وزلت تجرى * بينك الظبى والغراب
بحيث لا يرتجى اياب * وحيث لا يبلغ الكتاب

والذى استعمل الناس فى الدعاء على الغائب أن لا يرجع قول زهير

(لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم)

(وقال آخر)

(كما سار الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

ومثل هذا رقية المرأة اذا سافرز وجها قالت نافرك القمر وظل الشجر شمال تشمله ودبور تدبره ونكباء تنكبه شيك ولا انتقس وتعس ولا انتعش ثم ترمى اثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول حصاة حص أثره ونواة نأت داره وروثة راث خبره وبعرة تبعره ولو أوغل فى طلبه كما ذكر فأدركه لانشده السروجى

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

(وقال المعرى)

اذا ما أخفت المرء جن مخافة * وأيقن أن الارض كفة حابل
يرى نفسه فى ظل نفسك قائما * وبينكما بعد المدى المتطاول

(وقال محمد بن هانئ رحمه الله تعالى)

فلا مهجة فى الارض منك منيعة * ولو قطرت من ريق أرقط شجعم
ولو أنها نيطت بمخلب طائر * ولو أنها باتت على قرن أعصم

وقال أشجع السلمى فى الرشيد حين بعث لادريس بن عبد الله العلوى من اغتاله بالمغرب

أتظن يا ادريس أنك مفلت * كيد الخلافة أو يقيك حذار
ان السيوف اذا انتضاها عزمه * طالت وتقصر دونه الاعمار
هيهات الأن تكون ببلدة * لا يهتدى فيها اليك نهار

(ولابى العرب الصقلى)

كانت بلاد الله كفك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الانامل
فأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان يطوى فى يديك المراحل

(قوله تشيع) أى تتصل يقال شاع الخبر فى الناس اى اتصل بكل واحد فاستوى علم الناس به

فبهذا تم له أن لبس أفتدرى أين سكع ذلك اللكع قلت أشفق منك لتعدى طوره فظعن عن بغداذ من فوره فقال لا قرب الله له نوى ولا كلأه أين ثوى فما زاولت أشد من نكره ولا ذقت أمر من مكره ولولا حرمة أدبه لاوغلت فى طلبه الى أن يقع فى يدى فأوقع به وانى لاكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام فافتضح بين الانام

ويقال سهم شائع ومشاع اذا كان فى جميع الدار فانصل كل جزء منه بكل جزء منها واصله فى الناقة يقال أوزعت الناقة بولها ايزاعا اذا فرقته فاذا أرسلته متصلا قيل أشاعت به (تحبط) تسقط وتبطل (مكانتى) منزلتى (ضحكة) يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول وتحريكها للفاعل (أفوه) أنطق (اعتمد) أى قصد من الخداع (حلا) مقيما (يتاول) يحتال ليمينه فيحملها فى الباطن على غير ما أوقعها فى الظاهر عليه فيريد أنه ثبت له اليمين (السموأل) هو ابن عاديا يضرب به المثل فى الوفاء وقصة وفائه ان امرأ القيس لما ألح المنذر فى طلبه لحق بعمرو بن جابر بن مازن يستجير به فقال له يا ابن حجر انى أراك فى خلل من قومك وأنا أنفس بك أفلا أدلك على رجل لم أر أحسن جوارا منه فدله على السموأل بتيماء ووصف له حسبه وحصنه فقال ومن لى به فقال أصحبك من يوصلك اليه فأصحبه الربيع بن ضبع وكان الربيع يأتى السموأل ويمدحه فيحمله ويعطيه فشوا حتى قدموا على السموأل فأنشدوه اشعارا فعرف حقهم وأنزل هندا بنت امرئ القيس فى قبة من أدم وأنزل القوم فى مجلس له براح فكان عنده ماشاء ثم طلب أن يكتب له الحرث بن أبى شمر الغسانى بالشام ليوصله الى قيصر ففعل فاستودعه بنته وأدراعه الخمس وهى الفضفاضة والصافية والمحصنة والحريق وأم الذيول وكن لبنى آكل المرار وهم أجداده يتوارثن ملكا عن ملك فمضى الى قيصر وأقام عنده حتى جهز بجيوش ثم بعث له بالحلة المسمومة فلما لبسها تقطع لحمه ومات فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تيماء حصن السموأل فبعث اليه أن يعطيه أدراع امرئ القيس وما ترك عنده من المال فقال له انما أدفع ذلك لابنته ولورثته فحاصره فى الحصن حتى أخذ ابنا له صغيرا فقال للسموأل اما أن تعطينى ما ترك امرؤ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر اليه فقال له والله لا وفيت له فى حياته وأغدر به بعد وفاته أبدا فشأنك يا بنى فافعل به ماشئت فذبحه وهو ينظر اليه ولم يرض بالغدر فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته وقال

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماخان أقوام وفيت
وقالوا انه كنز عظيم * ولا والله أغدر ما حييت
بنى لى عاديا حصنا حصينا * وبئرا كلما شئت استقيت

فضرب به المثل فى الوفاء وانظر فى الثلاثين ابتداء الحكاية

وتحبط مكانتى عند الامام وأصير ضحكة بين الخاص والعام فعاهدنى على أن لا افوه بما اعتمد مادمت حلا بهذا البلد (قال الحرث بن همام) فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى السموأل

(قصة وفاء السموأل)

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله شرح المقامة الرابعة والعشرين)